الجمهورية العربية السورية
وزارة التعليم العالي
جامعة دمشق
كلية الآداب - قسم التاريخ



مملكة بلنسية

في عصر ملوك الطوائف

400 – 495هـ/1009–1102م

أطروحة أعدت لنيل درجة الدكتوراه
في التاريخ الإسلامي

إشـــــراف
أ. د. عـــــلي أحمـــــــد
إعـــداد
الطالبة ســـلام أحمـــد ضـــاهر

1431هـ/2010م

إهداء

إلى التي جعل الله الجنة تحت أقدامها ....

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي..........................

إلى والدتي الغالية حفظها الله

إلى الأرواح الطاهرة في ملكوت السماوات............

إلى أكرم من في الدنيا وأنبل بني البشر...................

إلى الشهداء

بطاقة شكر

إلى اليد الكريمة التي مدت إلي بكل خير................

إلى من أفنى أوقات كثيرة في متابعتي............................

ولم يبخل عليّ بأدنى مساعدة...................................

إلى من أغناني بعلمه وخبرته...

فأنار لي الطريق حتى وصلت..

إلى من تعجز كلمات شكري وامتناني عما يجول في خاطري................................

إلى أستاذي الأستاذ الدكتور علي أحمد

فهرس المحتويات

المقدمة

ليس غريباً أن يندفع الباحثون منذ عقود إلى دراسة التاريخ الأندلسي والاغتراف من معينه. ولكن ما حظي به من دراسات لا يزال ضئيلاً أمام شموخ التراث الأندلسي وسعته. ففي بداية القرن الماضي صب الباحثون اهتماماتهم على نشر بحوث علمية جادة، فشكّل ذلك خطوة مهمة، ولكنها ظلت غير مكتملة، لأنها تناولت في معظمها عصر الخلافة الأموية، وقليل منها تناول عصر ملوك الطوائف، وتطرق إلى مملكة بلنسية.

وإذا كان عصر ملوك الطوائف، الذي امتد أكثر من نصف قرن 422–487هـ /1031–1094م، من أخصب العصور وأغناها في تاريخ الأندلس، على الرغم من الانحلال السياسي وانقسام الأندلس إلى عدد من الممالك الهزيلة، بحيث سيطرت على الحياة السياسية ؛ فإن موضوع مملكة بلنسية في عصر ملوك الطوائف يأخذ قيمته وأهميته. وإذا كانت الأبحاث قد أقرت أنَّ الصقالبة العامريين قد تمكنوا من إنشاء مملكة مستقلة في بلنسية شرق الأندلس، تكون هذه الدراسة محاولة رائدة في تناول تلك المملكة في تلك المدة من التاريخ الأندلسي الغنية بالأحداث؛ لأن رؤساء تلك الممالك كانوا يدفعون الجزية لملوك الإسبان دفعاً لشرهم من جهة، وجلباً لمصالحهم من جهة ثانية ، وكانت تلك الممالك يحارب بعضُها بعضاً ويستعين في كثير من الأحيان بجنود مرتزقة من الإسبان للتغلب على هذا الحاكم أو ذاك. كذلك ازدهرت الحياة الأدبية في هذه الممالك ازدهاراً رائعاً، لأن حكامها كانوا يشجعون الأدباء والشعراء ؛ فقامت للأدب سوق رائجة، ونشطت حركة التأليف على نحو رائع أخّاذ. كذلك امتازت الحياة السياسية بالانحلال، إذ لم يتحرج أحد من الرؤساء عن عقد مودة وصداقة مع الملك الآخر، وفي الوقت نفسه نراه يتحالف مع أخصامه أو يفسد أتباعه عليه أو يدبر انقلاباً، أو يثير عداء الإسبان عليه. ولقد اغتنم الإسبان فرصة ضعف الأندلس وتقسمها إلى عدد من الممالك؛ فاسترجعوا قسماً من الأراضي الأندلسية أهمها طليطلة عاصمة القوط القديمة. وظلت الأندلس تتخبط بين فكي كماشة: الفساد الداخلي، والانقسام والعدو الخارجي المهدد بالسيطرة حتى أنقذها المرابطون.

ولهذا كان اختيار مملكة بلنسية التي قامت في شرق الأندلس، في عصر ملوك الطوائف، موضوع دراسة مستقلة، تقدم للقارئ العربي، وتضاف عملاً جديداً إلى المكتبات العربية ولا سيما الأندلسية منها؛ لأن تلك المملكة صارت قاعدة وعاصمة لواحدة من ممالك الأندلس، تزخر بمنجزات حضارية مهمّة في ميادين الثقافة والاقتصاد والعمران،فمن هذا المنطلق، كانت الرغبة في البحث حول هذا الموضوع.

ومن جهة ثانية، لا يُعلم أن أحداً كتب في موضوع مستقل عن مملكة بلنسية في عصر ملوك الطوائف في العربية وغير العربية.

والترتيب الذي سارت عليه الأطروحة هو كالتالي: في الفصل الأول عُرّفت بلنسية، فكان الوقوف على قديمها، ومن تولاها، ثم كان الحديث عن تعميرها، وتسميتها، وموقعها، وأوصافها، ومرجها، وجبالها، وأنهارها، وأعمالها من مدن، وحصون، وقرى.

أما الفصل الثاني، فإنه يشتمل على الحياة السياسية في مملكة بلنسية، فكان الحديث عن الحكام منذ أن كانت بلنسية بيد مجاهد العامري أيام الفتنة، وكيف انتقل الحكم فيما بعد إلى يد مبارك ومظفر العامريين 400–408هـ /1009–1017م،والحديث عن سياستهما الداخلية والإشارة إلى أبرز وزرائهما، وكيفية انتقال الحكم إلى لبيب الصقلبي 408–411هـ /1017–1020م، الذي ما لبث أن أُخْرِج من الحكم، وكيف تولى عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر الحكم 411–452هـ /1020–1060م، وتناولت الدراسة أعماله الإدارية ، فكان الحديث عن أهم كُتابه، ورسمت الدراسة صورة واضحة للمملكة في عهد المظفر عبد الملك بن المنصور العامري452–457هـ /1060–1064م، الذي كانت تعوزه الخبرة بشؤون الحكم والإدارة، ومن ثم سيطرة وزيره ابن روبش. وبعد ذلك كان التعرض للمملكة في عهد المأمون يحيى بن ذي النون والحديث عن أشهر وزرائه، ثم كان الكلام عن أوضاع المملكة في ظل الوزير أبي بكر بن عبد العزيز468–478هـ /1075–1085م، الذي اشتهر بحنكته السياسية، بحيث تمكن من إبعاد كل ويلات الحروب عن مملكته، ثم تناولت الدراسة أوضاع المملكة في عهد أبي عمرو عثمان بن عبد العزيز 478هـ /1085م، الذي افتقر إلى الخبرة السياسية والإدارية، كذلك تناولت الدراسة المملكة البلنسية في عهد القادر يحيى ابن ذي النون 478–485هـ /1085–1092م، والحديث عن أبرز وزرائه، وسياسته الداخلية، وإلى محاولة المرابطين لإنقاذ المملكة من التدخل القشتالي. وبعد ذلك أوضحت الدراسة كيف تولى القاضي جعفر بن عبد الله بن جحاف الحكم في المملكة 485–487هـ /1092–1094م، وكان عرض لسياسته الداخلية، ولخداع السيد القنبيطور للقاضي، وكيف خطط للاستيلاء على بلنسية، وكذلك إلى النجاح الذي أصابه السيد في السيطرة على المملكة التي رزحت تحت الحصار، ومن ثم الاستسلام للمغامر القشتالي، الذي أحرق القاضي ابن جحاف حياً. وأشرت إلى المواجهات التي حصلت بين السيد القنبيطور وبين المرابطين الذين تمكنوا من تحرير بلنسية من السيطرة القشتالية عام 495هـ /1102م.

ودُرست في الفصل الثالث أوضاع مملكة بلنسية الاقتصادية، فكان الكلام على العملة المعتمدة فيها، ومواردها المالية، والسكة، وأنواع العملات، وأهم وحدات الكيل والأوزان، والأسعار. وبعد ذلك تناولت الدراسة ثلاثة جوانب اقتصادية هي الزراعة، والصناعة والتجارة؛ فعرضت الدراسة العوامل المؤثرة في الزراعة إيجاباً وسلباً، وأشارت إلى محاصيل أعمالها الزراعية، وأهم الصناعات فيها كالنسيج والورق، ثم كان البحث في العوامل التي ساعدت على ازدهار التجارة ونشاط حركة التصدير والاستيراد.

أما الفصل الرابع، فكان دراسة للحياة الاجتماعية للمملكة، فكان الكلام على المظاهر الاجتماعية لمملكة بلنسية بهدف إلقاء الضوء على حياة الناس فيها؛ فكان البحث في العناصر والفئات التي يتكون منها مجتمع بلنسية وعرض أوصاف أهل بلنسية وعوائدهم وسيرهم والحديث عن دور المرأة في المجتمع البلنسي، سواء كانت حرة أو أمة.

وأفرد الفصل الخامس للحديث عن الحياة الثقافية في مملكة بلنسية ؛ فتناول البحث الحياة اللغوية ،الدينية والعلوم البحتة (العلمية) ، إضافة إلى أبرز علماء تلك المملكة في ذلك العصر في مختلف صنوف المعرفة .

وفي الفصل السادس رُسمت صورة لبعض المنشآت الحربية والمدنية والدينية التي أقيمت في بلنسية، فكانت الإشارة إلى أبوابها الخارجية والداخلية، وسُورها، وقصرها، ومساجدها، وقيساريتها، وأرباضها ومقابرها.

وخصص الفصل السابع، للحديث عن العلاقات الخارجية لمملكة بلنسية مع المدن الأندلسية المجاورة، ودول المغرب، والمشرق ودول الإسبان، فكان الكلام عن العلاقات السياسية التي اتصفت بالعداء حيناً والتودد حيناً آخر، وباللين والمداراة من جهة وبالعسف والظلم والتبعية أو الاستعانة بالقوة الخارجية من جهة ثانية. والإشارة إلى أهم أعمال مبارك العسكرية، وهي حربه ضد منذر بن يحيى التجيبي، والتعرض أيضاً إلى علاقة الود بين لبيب الصقلبي وريموند صاحب برشلونة، كذلك إلى أهم أعمال مجاهد العسكرية وهي حربه ضد منذر بن يحيى التجيبي أيضاً. ورسم صورة لسياسية اللين والمداراة التي اعتمدها المنصور عبد العزيز بن أبي عامر، حيث قام بنشاط دبلوماسي واسع النطاق، ووطّد علاقته بالقاسم بن حمود، صاحب قرطبة، والمعتضد عباد، صاحب إشبيلية، ومع ملوك إسبانيا، والإشارة للتوسع الذي شهدته المملكة، حيث شمل مرسية وشاطبة وألمرية. وألقي الضوء على علاقة المنصور بمجاهد العامري، صاحب دانية، التي اتسمت بالود في البداية ثم بالعداء، وكان التحديات السياسية التي واجهت الوزير أبي بكر محمد

ابن عبد العزيز، التي جابهها باللين والمداراة بفضل حنكته السياسية، وأبرز تلك التحديات كانت مع ابن عمار، صاحب مرسية، كذلك مع بني هود أصحاب سرقسطة، إضافة إلى علاقته بالسيد القنبيطور، لكن العلاقة مع الأخير اتسمت بوجود احتكاك حربي بين الطرفين. وألقت الدراسة الضوء على تدخل القوى الخارجية القشتالية بقيادة البرهانس Alvar Hanez بأمور مملكة بلنسية وذلك في عهد القادر يحيى بن ذي النون، وبحثت الدراسة في طمع المنذر بن هود صاحب لاردة، وطرطوشة، ودانية، وشاطبة، في السيطرة على بلنسية، الأمر الذي دفع بالقادر إلى الاستنجاد بألفونسو السادس. ثم كان الحديث عن علاقة القاضي ابن جحاف بالمرابطين، واستنجاده بهم؛ بسبب أوضاع المملكة المتردية؛ من جرَّاء الحصار، والكلام عن فشل المرابطين في استنقاذ بلنسية في المرحلة الأولى، ومن ثم الإشارة إلى إصرار المرابطين على مواصلة معركة الجهاد في شرق الأندلس، الذين تمكنوا من تحرير بلنسية عام 495هـ / 1102م.

أما على صعيد العلاقات التجارية للمملكة، فكان الحديث عن قيام نشاط تجاري واسع النطاق خارج المملكة، فتناولت الدراسة المقومات التي ساعدت على قيام نشاط تجاري خارج نطاق المملكة، مع الإشارة إلى أهمية موقعها، والكلام عن مقومات الزراعة، والصناعة، وشبكة المواصلات البرية والمائية، وأهم السلع المُستوردة والمُصدَّرة إلى المدن الأندلسية المجاورة، ودول المغرب، والمشرق، والممالك الإسبانية، ودول أوروبا،فضلاً عن الصلات العلمية المتبادلة ما بين مملكة بلنسية و غيرها من المدن . وانتهى البحث بخلاصة شملت أهم النتائج التي تم التوصل إليها وقسم خاص بالملاحق، وقائمة بالمصادر والمراجع التي أسهمت في إنجاز العمل وتطويره.

كذلك أحتوت هذه الأطروحة على بعض الرموز، الخاصة بالدراسة وهي:

هـ = هجري	ط = طبعة
م = ميلادي	ج = جزء
م = مجلد	ق = قسم
ت = توفي	ص = صفحة

أخيراً ونتيجة للظروف التي رافقت هذا العمل، وضرورة التنقل بين المكتبات عامها وخاصها، تم استخدام أكثر من طبعة للكتاب الواحد.

نظرة في أهم المصادر

لقد اعتمدت الدراسة هذه على مجموعة من المصادر والمراجع العربية والإسبانية، وفيما يلي عرض موجز لأهمها:

1- المصادر التاريخية:

1-1- ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف) ت 469 هـ/1076م.

أعظم مؤرخ في الأندلس، وأهم مؤلفاته التي استقيت منها المعلومات كتاب "المقتبس في أخبار الأندلس"، والمتتبع لهذا الكتاب يرى أن ابن حيان عالج الأندلس معالجة شاملة لنواحي النشاط الإنساني في الحقبة التي يؤرخ لها، منذ الفتح الإسلامي عام 91هـ/709م حتى أواخر القرن الرابع الهجري، واتبع فيها منهج الكتابة بحسب العهود، وأيضاً بحسب المنهج الحولي. وكان اعتماده على مصادر مكتوبة وليس على الروايات الشفهية؛ فلم يكن مجرد ناقل للأحداث، بل قارنها وفحصها متحرياً الحقيقة والحياد.

فابن حيان يبدأ الحديث عن سيرة الأمير وشخصيته وأخلاقه ورجال دولته والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية وبعضاً من تفاصيل حياة الناس اليومية، والنوادر، ثم ينتقل للحديث عن الأحداث في تفصيل بترتيب السنوات وتحديد التواريخ وضبطها [(1)]، ومن هذا الكتاب وصل أربع قطع منفصلة:

- القطعة الأولى، تؤرخ للسنوات الأخيرة من إمارة عبد الرحمن الأوسط ومعظم عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن 232-267هـ/846-880م، وهي تتضمن إشارات تتعلق ببعض عمال بلنسية من قبل السلطة المركزية بقرطبة، كما تعرض بإيجاز لثورة الأمير عبد الله البلنسي.
- القطعة الثانية[(2)]، تتحدث عن عصر الأمير عبدالله بن محمد 275-300هـ /888-912م، وهي لا تحوي أية معلومات حول بلنسية خلال تلك المدة.
- القطعة الثالثة[(3)]، تتناول معظم عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر 300-350هـ / 888-961م، وهي تشير إلى أسماء ولاة بلنسية في عهده، وإشارات إلى بعض الفتن التي حدثت في عهده والتي كان لبلنسية دور فيها.

---

(1) ابن حيان: **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، تحقيق محمود علي مكي، قطعة خاصة بجزء من عصر عبد الرحمن الأوسط، وجزء كبير من عهد ابنه الأمير محمد، دار الكتاب العربي، بيروت،1973م،ص86-87.
(2) ابن حيان: **المقتبس**، تحقيق ملتشور انطونيا، باريس،1937م.
(3) ابن حيان: **المقتبس**، حقق هذا الجزء بدور شالميتا (Pedro Chalmeta)، مدريد، 1979م.

- أما القطعة الرابعة[1]، فتؤرخ لبضع سنوات من عهد الخليفة الحكم المستنصر، وتتضمن معلومات مختصرة عن بعض الشخصيات البلنسية التي تمتعت بنفوذ كبير في بلاط الخليفة، كما ذكر اسم عامل بلنسية في عهد الحكم المستنصر.

1-2- مذكرات الأمير عبد الله الزيري، المسماة بكتاب " التبيان":

الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيري الصنهاجي. هو الملك الثالث والأخير لإمارة غرناطة، وقد خلعه المرابطون عام 483هـ/1090م، ونفي إلى المغرب (مدينة أغمات). وفي الأخيرة كتب الأمير عبد الله مذكراته الخاصة المسماة بكتاب "التبيان"[2].

تعتبر تلك المذكرات الشخصية للأمير عبد الله وثائق تاريخية مهمة، فهي تتضمن معلومات تتعلق بعصر ملوك الطوائف، كما تشمل معلومات عن أسرة بني زيري منذ تسلمهم الحكم بغرناطة حتى الإحاطة بعرشه، إضافة إلى ذلك فهو يقر في هذه المذكرات بمخازي عصره، ويبرر دخول المرابطين لخلع ملوك الطوائف. ورغم الاستطرادات لتسويغ موقفه السياسي أمام الأخطار التي كانت تهدد إمارته، فإن كتاب "التبيان" يزود الباحث بمعلومات دقيقة لجميع الحوادث التي انتهت باستيلاء ألفونسو السادس على طليطلة عام 478هـ / 1085م، وما تبع ذلك من حوادث، مثل تدخل المرابطين في الأندلس في السنة التالية، كما تتضمن تلك المذكرات حالة الانحلال السياسي والاجتماعي التي أصابت المجتمع الأندلسي قبل وقوع معركة الزلاقة وبعد ذلك بسنوات[3].

إضافة إلى ذلك، فإن تلك المذكرات تتضمن حقائق تاريخية، ذات أهمية بالنسبة لموضوع الدراسة؛ ففيها معلومات مفيدة عن محاولة المقتدر بن هود صاحب سرقسطة الاستيلاء على بلنسية، كما تشير المذكرات إلى الاتفاق القائم بين ألفونسو السادس والقادر يحيى بن ذي النون، بشأن مساعدة الأول للثاني للاستيلاء على بلنسية.

ومن ناحية أخرى، تشير تلك المذكرات باختصار إلى محاولة السيد القنبيطور الاستيلاء على مدينة بلنسية، ولكن صاحب كتاب "التبيان" توفي قبل أن يستوفي هذا الموضوع حقه عام 483هـ/1090م.

1-3- ابن الكردبوس: (أبو مروان عبد الملك)، عاش أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني

---

(1) ابن حيان: **المقتبس**، هذه القطعة حققها، عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت،1983م.

(2) راجع: مذكرات الأمير عبد الله الزيري، المسماة بكتاب **" التبيان"** تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1955م، مقدمة المحقق، ص7-9.

(3) المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص7-9

عشر الميلادي:

لا يقل كتاب ابن الكردبوس أهمية عن الكتب التاريخية الأخرى، بحيث يتناول جزءاً كبيراً من تاريخ الأندلس في عصر ملوك الطوائف، وهذا الكتاب هو " الاكتفاء في أخبار الخلفاء" وقد حققه أحمد مختار العبادي تحت عنوان " تاريخ الأندلس " ويقع هذا الكتاب في جزأين:

- الجزء الأول: يتناول تاريخ الدولة العربية منذ عهد الرسول (ص)، وينتهي بالكلام عن بني أمية في الأندلس، وفيه معلومات مختصرة للأندلس منذ الفتح العربي حتى بداية عهد الموحدين.
- أما الجزء الثاني من الكتاب، فيتناول تاريخ الخلفاء العباسيين حتى بداية عهد الخليفة المسترشد العباسي 512–516هـ/1118–1122م[1].

وفي هذا الكتاب معلومات حول السيد القنبيطور وحوادث بلنسية، نقلاً عن كتاب "البيان الواضح"، لابن علقمة ت 509هـ/1115م. وهو مؤرخ بلنسي عاش الأحداث البلنسية التي هي موضوع الدراسة.

إضافة إلى ذلك فقد أمد ابن الكردبوس الباحث بمعلومات جديدة ووافية لا توجد في المصادر التاريخية الأخرى، ومن هذه المعلومات ذكره أخبار وقعة " كنشرة " أو "كنسويجرا" "consuegra" التي انتصر فيها جنود المرابطين على قوات ألفونسو السادس عام491هـ / 1097م، كما أشار إلى بعض المعارك التي حصلت بين المرابطين والإسبان من أجل استرداد بلنسية من قبضة السيد القنبيطور.

1–4– ابن عذاري (أبو العباس أحمد)، كان حياً عام 712 هـ/1312م، كتاب "البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس"[2]:

هذا الكتاب يتناول تاريخ المغرب والأندلس، من بداية الفتح حتى أواخر القرن السابع الهجري. ويقع في أربعة أجزاء محققة، الأول والثاني يتناولان تاريخ المغرب والأندلس من الفتح إلى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، أي إلى سقوط الخلافة الأموية وقد نشرهما كولان وليفي بروفنسال[3]. ويتناول الجزء الثالث أخبار الأندلس والمغرب في عصر ملوك الطوائف، أي

---

(1) راجع: **تاريخ الأندلس** لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، نصان جديدان، تحقيق العبادي، أحمد مختار: معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971م، مقدمة المحقق.

(2) راجع: سالم، السيد عبد العزيز: **المغرب الكبير،** الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1966م، ج2ص101.

(3) ابن عذاري: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،ط1،دار صادر، بيروت،مطبعة المناهل،1950م.

القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي وقد نشره ليفي بروفنسال [1] أما الجزء الرابع فهو قطعة من تاريخ المرابطين، وقد نشرها إحسان عباس[2].

وفي هذه الدراسة كان الاعتماد على الجزء الثالث، إضافة إلى الجزء الثاني، والذي يتضمن معلومات مهمة عن بعض الثورات التي قامت في منطقة شرق الأندلس، مثل ثورة ابن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي، وثورة الأمير عبد الله البلنسي.

وجدير بالذكر أن الجزء الثالث الذي نشره ليفي بروفنسال هو تتمة للجزء الثاني، لأنه يتكلم على دويلات الطوائف، أورد فيه ابن عذاري مجموعة من الروايات عن هذه الدويلات.

أما القطعة الرابعة، التي نشرها إحسان عباس وتتعلق بتاريخ المرابطين، فتتضمن أخباراً ذات أهمية عن السيد القنطبيور أثناء وجوده في بلنسية، معظمها مأخوذ عن كتاب ابن علقمة " البيان الواضح في الملم الفادح " أشار فيه المؤلف لبعض المعارك التي نشبت بين المرابطين والقنبيطور.

ومن الأهمية بمكان القول: إن ابن عذاري، قد انفرد دون غيره بهذه الميزة من مؤرخي الأندلس والمغرب؛ ففي هذه القطعة **(القطعة الرابعة)** معلومات ترسم صورة للحياة الاجتماعية في بلنسية أثناء حصار السيد لها، كما ذكر أسعار بعض السلع آنذاك، مما يسهم في دراسة الحياة الاقتصادية لبلنسية.

1-5- لسان الدين ابن الخطيب ت 776هـ/1374م، كتاب " أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام":

كان لسان الدين ابن الخطيب، وزيراً في دولة بني أحمر بغرناطة، لحقته عدة محن أدت إلى سجنه ومن ثم القتل. كان عالماً متفنناً في علوم مختلفة؛ فكان أديباً، وشاعراً، وطبيباً، وفيلسوفاً، ومؤرخاً، وصنف في ذلك كتباً مختلفة، ومنها كتاب "أعمال الأعلام"، هذا الكتاب يتّحدث عن التاريخ العام للعالم الإسلامي، وينقسم إلى ثلاثة أقسام؛ يتناول القسم الأول تاريخ المشرق الإسلامي من السيرة النبوية حتى عصر المماليك، وما يزال مخطوطاً، والقسم الثاني عبارة عن تاريخ عام للأندلس من أوّل الفتح حتى عصر ابن الخطيب، وقد أضاف إليه المؤلف مختصراً لتاريخ الممالك الإسبانية مثل قشتالة وأراغون والبرتغال [3]، والقسم الثالث يتناول تاريخ المغرب

---

(1) ابن عذاري: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت،د.ت.

(2) هذه القطعة حققها إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1976م.

(3) القسم الثاني، حققه ليفي بروفنسال،عام 1934م، ثم أعيد طبعه في بيروت،1956م.

حتى بداية عصر الموحدين [1]، وهذا الكتاب يعدُّ من الكتب الشاملة لتاريخ شبه الجزيرة العربية والإسبانية ووصل كاملاً.

وفي هذا المصدر، كان الاعتماد على القسم الثاني الذي يختص بتاريخ إسبانيا العربية [2]، ويتضمن معلومات وافية لها قيمتها فيما يتعلق بقيام دويلات الطوائف بالأندلس والأوضاع السياسية لبلنسية وقتذاك.

وجدير بالذكر أن ابن الخطيب هو المؤرخ الوحيد الذي أشار إلى المعركة التي حصلت بين مبارك الصقلبي صاحب بلنسية، ومنذر التجيبي صاحب سرقسطة، وفي هذا القسم معلومات عن ثورة القاضي ابن جحاف واستيلاء القنبيطور على المدينة وتصويره لمأساة ابن جحاف وحرق القنبيطور الأخير حياً، وفي هذا المصنف، أخبار عن الحياة الاجتماعية في بلنسية في عصر ملوك الطوائف حتى حصار السيد للمدينة.

2- كتب التراجم:

2 1 -ابن بشكوال (أبو القاسم خلف عبد الملك بن مسعود الأنصاري)ت 578هـ/1182م،كتاب "الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم":

كان ابن بشكوال من علماء الحديث والتاريخ، وصنف فيها عدداً من الكتب يأتي في مقدمتها كتابه " الصلة " الذي لقي قبولاً عظيماً في عصره وما تلاه.

وقد اعتمد ابن بشكوال في تراجمه على مصادر أساسية، منها الرواية المتواترة، والسماع عن شيوخه، والمراسلات التي كانت بينه وبين غيره من العلماء، والاقتباس عن المصادر السابقة ككتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ت 403 هـ/ 1012م[3].

ويركز ابن بشكوال في تراجمه على رجال الحديث والفقه والعلوم الدينية الأخرى وعدد لا بأس به من أهل الأدب واللغة، كما ضمن تراجمه إشارات تفيد الباحث في دراسة المظاهر العمرانية والطبوغرافية؛ إذن نستدل على مواضع تساعد الباحث على إعادة رسم المدينة أو المركز العمراني، أو تحديد الموقع على وجه التقريب من خريطة البلد أو المدينة التي ينسب إليها صاحب الترجمة.

كما أنه أمد الباحث بمعلومات عن سير العلماء والأدباء التي تصور الحياة العلمية السائدة

---

(1) القسم الثالث، حققه أحمد مختار العبادي وإبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م.

(2) ابن الخطيب: **تاريخ إسبانيا الإسلامية** ، أو كتاب **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام** ، تحقيق ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت،1956م.

(3) جنثالث بالنثيا، آنجل: **تاريخ الفكر الأندلسي** ، ترجمة حسين مؤنس، ط 1، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1955م، ص270-271.

في عصر ملوك الطوائف. ويتألف الكتاب من جزأين[1]. وسار في كتابه على نهج ابن الفرضي في طريقة تأليفه، أي أنه رتبه على حروف المعجم[2].

وفي هذه الدراسة يعتبر كتاب " الصلة " من المصادر الرئيسية التي اعتمدت عليها خاصة بما يتعلق بالحياة العلمية؛ إذ أن المؤلف ضمن مصنفه تراجم لعدد كبير من علماء بلنسية وأدبائها، وأوضح دورهم في تنشيط الحركة العلمية والأدبية، كما أشار إلى معلومات مهمة تتعلق بعمران المدينة وأهم معالمها، كإشارته إلى المسجد البلنسي.

2-2 ابن الأبار البلنسي (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي)ت 658هـ/1259م.

كان من علماء اللغة والتاريخ والأدب والحديث والقراءات، وكان متطلعاً إلى الجاه والمناصب وهذا كان سبباً في قتله؛ إذ أنه بعد أن عاش شطراً من حياته في مدينة بلنسية، اضطر لتركها بعد وقوعها بيد الإسبان، فتوجه إلى تونس، وحل محلاً رفيعاً في بلاط سلطان تونس. وعرف عنه اعتداده بنفسه وحدة لسانه، الأمر الذي ألب عليه بعض الحاقدين في بلاط السلطان؛ فسعوا به للسلطان، بحجة أنه يدبر مؤامرة سياسية ضد السلطان الذي أمر بالقبض عليه ثم قتله وإحراق مصنفاته،وأهم كتبه التي اعتمدت عليها:

2-2-1- كتاب " الحلة السيراء"[3]:

من أعظم ما صنفه ابن الأبار من كتب التراجم والكتاب يتألف من جزأين. وقد قسمه على فترات زمنية بحسب القرون، من القرن الأول إلى القرن السابع الهجري، وترجم فيه لأهل الأدب والشعر من الأمراء وغيرهم من أعلام الأدب والشعر[4].

إضافة إلى ذلك، يعتبر هذا الكتاب من أهم كتب التراجم المتصلة اتصالاً وثيقاً بتاريخ بلنسية؛ إذ يتضمن تراجم لعدد من أمراء الطوائف الذين تولوا بلنسية أو أدّوا دوراً مهماً في تاريخها السياسي خلال عصر الطوائف والمادة التي رسمها إلينا تتسم بالغزارة والدقة، ولا غرابة في ذلك فهو ابن بلنسية. أي أنه على دارية تامة بأهل بلده وأحداثه وخير دليل على ذلك ترجمته للوزير ابن عبد العزيز المعروف بابن روبش وابنه أبي بكر، وكلاهما تقلد أمور بلنسية لسنوات طويلة، هذا وقد أمدنا المؤلف بمعلومات قيمة عن ثورة القاضي ابن جحاف ونهايته المؤلمة من خلال ترجمته للوزير الأديب المرسي ابن طاهر.

---

(1) ابن بشكوال: **الصلة**، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م.

(2) راجع مقدمة كتاب الصلة ص 1-2؛ العبادي، أحمد مختار: **في تاريخ المغرب والأندلس** ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، د.ت، ص353.

(3) ابن الأبار: **الحلة السيراء**، تحقيق حسين مؤنس، ط1، الشركة العربية للطباعة، القاهرة،1963م.

(4) راجع مقدمة المحقق لكتاب الحلة السيراء، ص51-53.

2-2-2- "التكملة لكتاب الصلة":

يتألف هذا الكتاب من أربعة أجزاء [1]، ويتضمن تراجم لعلماء الأندلس، حرص ابن الأبار على ذكر كل ما يتعلق بحياتهم وسيرتهم وذكر شيوخهم والمساجد التي يسمعون فيها، كل في بلده، والمقابر التي دفنوا فيها. وكثيراً ما أشار ابن الأبار إلى مواضع مهمة في بلنسية، تعتبر من المعالم الطبوغرافية التي أسهمت كثيراً في تحديد المواقع على نحو تقريبي على خريطة بلنسية الإسلامية في عصر الطوائف. وأسهمت أيضاً في تتبع الطبوغرافية التاريخية لبلنسية.

3 – المصادر الأدبية

3 1 -كتب الأدب:

3 1 1 -ابن خاقان: (أبو نصر الفتح بن محمد بن خاقان) ت 535 هـ/1140م، كتاب " قلائد العقيان":

هذا الكتاب عبارة عن أربعة فصول : الأول في محاسن الرؤساء وأبنائهم، والثاني في غرر حلية الوزراء وفقر للكتاب، والثالث في لمع أعيان القضاة ولمح أعلام العلماء والسراة، والرابع في بدائع الأدباء وروائع الشعراء[2].

يحتوي هذا الكتاب الأدبي على تراجم لبعض ملوك الطوائف ووزرائهم، وكتابهم وشعرائهم ومن بينهم بعض أدباء بلنسية في عصر الطوائف. وعند ترجمته لهذه الشخصيات يمدنا المؤلف ببعض المعلومات الطبوغرافية في بلنسية، كذكره لقصور معينة ورياض ومنيات أسماها بأسمائها، وقد أورد في كثير من الأحيان أوصافاً لهذه المنيات ومجالس الأنس التي كانت تعقد داخل القصور أو في المنيات أو في البساتين المحيطة بها.

ومما يجعل لهذه الأوصاف قيمة، أن ابن خاقان قام بزيارة بلنسية، حيث التقى بابن طاهر أمير مرسية المخلوع، وأورد ترجمة مفصلة له وبعض نماذج من نشاطه الأدبي بمدينة بلنسية.

3 1 2 -ولابن خاقان كتاب آخر هو "مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس"[3]:

وهذا الكتاب، يعتبر من المصادر المهمة في دراسة المجتمع الأندلسي ودراسة أدبه، ويتضمن معلومات مهمة تتصل بالتاريخ السياسي والحضاري لبلنسية وذلك من خلال تراجمه لبعض الوزراء والأدباء البلنسيين، ومن هذه ترجمته للوزير البلنسي أبي عبد الله محمد بن عبد

---

(1) ابن الأبار: **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت،1995م.

(2) ابن خاقان: **قلائد العقيان**، تحقيق محمد الصباغ، القاهرة، 1283هـ ؛ وراجع بالنثيا: **مرجع سابق**، ص 296-298.

(3) ابن خاقان: **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس** . رسالة ماجستير، إعداد وتحقيق محمد علي فاضل شوابكة، إشراف عبد الكريم خليفة،كلية الآداب، الجامعة الأردنية،1977-1978م.

العزيز وابنه أبي بكر، كذلك أورد المؤلف معلومات قيمة، أسهمت في دراسة عمران مدينة بلنسية، كذكره لمنية الوزير أبي بكر بن عبد العزيز الواقعة في ظاهر بلنسية.

3 1 3 ابن بسام : (أبو الحسن علي بن بسام) ت 542هـ/ 1147م، كتاب " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة":

هذا الكتاب عبارة عن موسوعة أدبية وتاريخية تتضمن تراث القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وهي الفترة التي تخص هذه الدراسة. وينقسم هذا الكتاب إلى أربعة أقسام بحسب الأقاليم الأندلسية، بحيث يتحدث في كل إقليم على ملوكه وأمرائه وأدبائه وعلمائه.

القسم الأول يتناول قرطبة وما يجاورها، ويتناول القسم الثاني إشبيلية ومنطقة غرب الأندلس، والقسم الثالث يتناول بلنسية وشرق الأندلس، والقسم الرابع والأخير يتحدث عن الغرباء الذين وفدوا إلى الأندلس من المشرق والمغرب.

ولابن بسام فضل عظيم على التاريخ والأدب الأندلسي، فقد احتفظ لنا بالكثير من المعارف والمعلومات التاريخية عن علماء الأندلس وأدبائها وشعرائها الذين عاشوا في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، والملاحظ أن ابن بسام ينقل من كتاب "المتين"– المفقود– لابن حيان حوادث الأندلس منذ اندلاع الفتنة عام 399 هـ/1008م[1]، زد على ذلك أنه نقل الكثير من أخبار بلنسية ولا سيما عن ابن علقمة الذي كان معايناً الحوادث، ولكن أهمية هذا المصدر ترجع إلى كون مؤلفه معاصراً للطوائف.

وفي هذه الدراسة كان الاعتماد على القسم الثالث [2]، من هذا الكتاب الذي يتعلق ببلنسية وشرق الأندلس، ويحتوي على معلومات مهمة وإن كانت موجزة عن أحوال بلنسية السياسية والاجتماعية والاقتصادية في عصر ملوك الطوائف، وقد روى ابن بسام ثورة ابن جحاف بالتفصيل، وكذلك وقوع بلنسية تحت سيطرة القنبيطور، وترجم أيضاً لعدد من شعراء وأدباء بلنسية في عصر الطوائف وذكر نماذج من أشعارهم، وفي هذه الدراسة كان الاعتماد على تلك التراجم عند الحديث على الحركة العلمية والأدبية في بلنسية.

3 1 4 ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد) ت 685هـ/1286م، كتاب "المغرب في حلى المغرب":

ابن سعيد ينتمي إلى أسرة من المؤرخين هي أسرة بني سعيد أصحاب "قلعة يحصب" من

---

(1) بالنثيا: مرجع سابق،ص288-296.

(2) ابن بسام: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، القسم الثالث، تحقيق سالم مصطفى البدري ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

أعمال غرناطة في القرنين السادس والسابع الهجري/ الثاني عشر والثالث عشر الميلادي. وقد تضافر أفراد هذه الأسرة على كتابة تاريخ شامل للأندلس على امتداد مائة وخمسة عشر عاماً وكان الذي وضع نواة هذا الكتاب الأديب محمد بن إبراهيم الحجاري الذي وفد على عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بني سعيد بالقرب من غرناطة عام 530 هـ/1135م. فأكرمه وقربه وطلب منه تأليف كتاب في تراجم أدباء الأندلس وإنتاجهم الأدبي. فصنف له "المسهب في غرائب المغرب"، ثم نقحه عبد الملك وتابعه أبناؤه بالزيادة وبالإضافة والتنقيح حتى تم إخراج الكتاب في صورته النهائية على يد المؤرخ علي بن موسى بن سعيد، وضاع معظم هذا الكتاب ولم يبق منه سوى أجزاء بسيطة تضمنت تراجم لبعض الشخصيات البارزة في الأندلس من العصر الأموي حتى نهاية الموحدين[1]

ويبدأ ابن سعيد كتابه بالحديث عن الأندلس وخصائصها وفضائلها، ثم ينتقل للحديث عن الكور واحدة بعد الأخرى. وقد سمى هذا القسم كله الخاص بالأندلس "وشى الطرس في حلى جزيرة الأندلس"، ثم رجع وقسم الأندلس إلى غرب ومتوسطة وشرق، وأفرد لكل قسم كتاباً.

وفي هذا الكتاب كان الاعتماد على الجزء الثاني الذي يتناول شرق الأندلس وفيه يخصص المؤلف فصلاً عن بلنسية أطلق عليه عنوان " كتاب الروضة النرجسية في حلى المملكة البلنسية". ويبدأ فيه بذكر جغرافية المدينة وأوصاف الشعراء لها، ثم يذكر بإيجاز حكامها وأهم وزرائها والكتاب والعلماء والأعيان فيها، وكذلك الشعراء والأدباء وأهم إنتاجهم الأدبي، كما يذكر معلومات تتعلق بالأحوال الاقتصادية كإشارته لابن سابق صاحب أحكام السوق بلنسية.

وابن سعيد ينقل عن الحجاري صاحب كتاب " المسهب في غرائب المغرب " إضافة إلى ابن حيان وابن الفرضي وابن بسام وابن خاقان وغيرهم، عند ترجمته للعلماء والأدباء بكور الأندلس المختلفة[2].

3-1-5- المقري (أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بالمقري نسبة إلى بلدة مقرة بالمغرب الأوسط) ت 1041 هـ/1631م، كتاب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب":

عاش المقري في تلمسان حيث تلقى تعليمه. ثم رحل إلى العديد من المدن العربية مثل فاس ومدن الحجاز والشام ثم القاهرة حيث توفي في جمادى الآخرة عام 1041هـ/1631م، وفي الأخيرة عكف على تأليف كتابه المذكور أعلاه، وهذا الكتاب عبارة عن عشرة أجزاء، نصفها الأول يتضمن التعريف بالأندلس، والنصف الثاني التعريف بابن الخطيب حياته وإنتاجه العلمي

---

(1) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف، في جزأين، دار المعارف، مصر،1955م.
(2) راجع مقدمة المحقق لابن سعيد، ج1 ص7-9

والأدبي[1].

ويضم الكتاب معلومات عن التاريخ والجغرافيا والأدب والشعر والأخبار عن الأندلس فضلاً عن تاريخ صراعها مع الممالك الإسبانية، وهذا الكتاب مصدر أساسي للباحث في تاريخ الأندلس وأدبه، ومما يؤخذ عليه أنه كثير الاستطراد، بحيث ينتقل من التاريخ إلى الجغرافيا، إلى الأدب، إلى الفقه إلى الشعر وغيره، إضافة إلى ذلك فإنه لم يعتمد منهجاً واحداً في كتاباته، كأن ينقل رسالة كاملة مهما طالت، أو يبتر رسالة مهما قصرت، أو يكرر رواية في أكثر من موضع[2].

ومع ذلك، يعود له الفضل، حيث احتفظ بفقرات من نصوص كاملة أو ملخصة من كتابات مفقودة لمؤرخي الأندلس الأوائل، مثل الرازي وابن حيان ولا سيما ابن سعيد خاصة فيما يتعلق بجغرافية بلنسية، وما أورده من الأشعار في وصفها، وأهم أعمال كورتها وتقسيماتها الإدارية، إضافة إلى التفاصيل التي أوردها عن الوقائع والحوادث التاريخية التي تتعلق ببلنسية في عصر ملوك الطوائف مثل وقعة بطرنة، واستيلاء القنبيطور على المدينة، ومأساة ابن جحاف، إضافة إلى ترجمته لبعض علماء وأدباء المدينة، فضلاً عن إشاراته المتعددة للنواحي العمرانية والحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلنسية.

3 2 – الشعر:

الشعر من المصادر المهمة التي تساعد الباحث في التاريخ على تصوير الحياة الاجتماعية والسياسية والعمرانية من قصور ومنيات ومنتزهات[3]، ومن أبرز المصادر الشعرية التي اعتمدت في هذا البحث:

3 2 1 – ديوان ابن دراج القسطلي[4]، (أبو عمر أحمد) ت 421 هـ/1030م:

شعر ابن دراج يعبر تعبيراً صادقاً عن أحوال الأندلس في عهد الدولة العامرية وبداية عصر الدويلات، وكانت بلنسية من الحواضر التي تنقل بينها وامتدح حكامها؛ فابن دراج كان قد بدأ بزيارة ألمرية، ومدح صاحبها خيران العامري، ثم غادرها إلى بلنسية، حيث كان يحكمها مبارك ومظفر العامريان وهما من الصقالبة الخصيان، فمدحهما بقصيدة رائعة.

3 2 2 – ديوان ابن خفاجة[5]،(أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح) ت 538هـ/1143م:

---

(1) المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق مريم قاسم طويل، ويوسف علي طويل، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت،1995م، مقدمة المحقق ص د.

(2) المصدر السابق، ج1، مقدمة المحقق، ص و.

(3) سالم: **التاريخ والمؤرخون العرب**، دار الكتاب العربي، الإسكندرية، 1967، ص236.

(4) **ديوان ابن دراج القسطلي**، تحقيق محمود علي مكي، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت،1961م.

(5) **ديوان ابن خفاجة**، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت،1961م.

شعر ابن خفاجة جميل، لاسيما فيما يتعلق بمدينة بلنسية، حيث يحمل بين طياته وصف طبيعة المدينة، ويرسم أحوالها السياسية في عصر ملوك الطوائف، وفي عهد السيد القنبيطور، ويصوّر قيام دولة المرابطين ودورهم باستردادها عام 495هـ/1102م.

4 - كتب الجغرافيا:

لا غنى للباحث في التاريخ عن الرجوع إلى المصادر الجغرافية. فلدراسة أي بلد لا بد من التعرف إلى البيئة الجغرافية بتضاريسها ومناخها ومواردها البشرية والاقتصادية. وفي هذا المجال كان الارتكاز على :

1- العذري، (أحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بالدلائي) ت 478هـ/1085م، كتاب "ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك"[1]:

كان العذري عالماً بالأدب، والحديث، والفقه، والجغرافيا، والتاريخ. ولكن المصادر الأندلسية التي ترجمت له، كجذوة المقتبس للحميدي، وبغية الملتمس للضبي، لم تشر إليه على أنه عالم جغرافي، ولم تذكر كتابه المشار إليه، ولكن هناك علماء آخرون أشاروا إلى كتابه، كالبكري في المسالك والممالك، والقزويني في آثار البلاد.

من محتويات الكتاب، يجد الباحث أن العذري على مقدرة فائقة في الكتابة الجغرافية؛ فهو يضيف إلى وصفه الجغرافي للمواقع والمدن والمسافات، معلومات مهمة عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية. وعند تفصيله المدن التي يتعرض لدراستها، يعتمد العذري على تاريخ أحمد الرازي[2]، وقد قسم العذري كتابه إلى ما يشبه الفصول، كل فصل يدور حول كورة من كور الأندلس.

ومن خلال حديث العذري عن بلنسية، يبدو أنه عاينها، وعرف مواضعها وأحياءها؛ ففي وصفه لها، تفاصيل عن جغرافية المدينة، وتخطيطها، وعمرانها، كما يتضمن معلومات مهمة عن تاريخها السياسي؛ فبينما يتعرض لجغرافية بلنسية بإيجاز، نراه يتحدث بشيء من التفصيل لسورها وأبوابها، إضافة إلى إشارات حول بعض جوانبها الاقتصادية والاجتماعية، زد على ذلك ذكره للجانب الإداري لكورة بلنسية؛ فقد زود الباحث بمادة كافية عن قاعدة الكورة وأهم أعمالها من المدن، والأقاليم، والقرى، والحصون.

4-2- ابن غالب الأندلسي،(محمد بن أيوب)، عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر

---

(1) العذري: **ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك** ، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد،1965م، مقدمة المحقق، ص أ.
(2)المصدر السابق، ص ج .

الميلادي، كتاب " فرحة الأنفس"[1]:

هذا الكتاب قطعة موجزة قام بنشرها لطفي عبد البديع، وهي رغم إيجازها تصور كور الأندلس، ومدنها بعد الأربعمائة، وتصور أيضاً التوزيع الإداري للأقاليم، وما يضمه كل إقليم، كما يعطي رسماً جديداً للخريطة الجغرافية لإسبانيا العربية، وتقسيمها الإداري إلى كور، فيذكر في كل منها ما تضمه من مدن وحصون وقرى، وما يتميز به كل موقع من خصائص، والمسافة بينها، وما اشتهرت به المدن من صناعة وزراعة.

وجدير بالذكر أن ابن غالب نقل عن الرازي ما ورد في تاريخه من وصف إسبانيا العربية، الذي ضاع أصله العربي.

وقد تعرض ابن غالب في كتابه لذكر كورة بلنسية؛ فأشار إلى موقعها الجغرافي وما تضمه من مدن، وبعض المحاصيل الزراعية التي تشتهر بها كورة بلنسية.

4-3- الإدريسي،(أبو عبد الله محمد بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي) ت 548هـ/ 1153م، كتاب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"[2]:

وفي هذا المصنف وصف للكرة الأرضية بما فيها قارة أوروبا، وما يتصل في هذا الكتاب بأيبيريا يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: هو الأقصر حيث يعرض الهيئة العامة لشبه الجزيرة الأيبيرية وانقسامها إلى قسمين أحدهما عربي في الجنوب يسميه إشبيلية، والآخر إسباني شمالي يسميه قشتالة، نسبة إلى مملكة قشتالة أكبر الممالك الإسبانية على أيامه.

القسم الثاني: أطول قليلاً وفيه وصف لإقليم أيبيريا.

القسم الثالث: الأطول والأهم وفيه وصف لمدن أيبيريا واحدة بعد الأخرى، من حيث هيئتها العامة وموقعها، بحرية أو برية أو نهرية، ويصف مرفأها وأهميتها وأصناف تجارتها، وأهم معالمها المعمارية من أسوار وأبواب وغير ذلك، وما يزرع فيها، أو يستخرج منها من معادن، وما يصنع فيها، ثم معالمها الجغرافية من جبال ووديان وأرضها مقفرة أو منتجة، والطرق الموصلة إليها ومعالمها وأهلها وأحوالها من فقر وغنى، ونادراً ما يخلط ذلك عنده بالتاريخ.

وما يلفت الانتباه أن الإدريسي، وصف شبه الجزيرة الأيبيرية (الإسبانية) وصفاً دقيقاً يطابق

---

(1) ابن غالب: **قطعة من كتاب فرحة الأنفس** ، نشر لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية، 1955م، م1، ج2ص 277-280

(2) الإدريسي: **صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس** مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،ط1،دار عالم الكتب، بيروت،1989م.

الواقع، لما في ذلك من سواحل، وجبال، وأنهار، ومدن، وقرى، وطرق، وحدد المسافات فيما بينها مبيناً مراحلها، مع أنه لم يزرها.

وقد تعرض الإدريسي إلى ذكر بلنسية في كتابه؛ فأشار إلى طبوغرافية المدينة وأهم غلاتها ومعادنها، ومادته في هذا المجال مميزة تتسم بالجدة لأنه استقاها من مشاهداته وأسفاره ومن مصادر أخرى مما يضفي عليه قيمة كبرى[1].

4-4- الحميري، (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم) ت 866 هـ/1461م، كتاب "صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار":

هو معجم جغرافي تاريخي في آنٍ واحد، ومادة هذا القسم مرتبة ترتيباً أبجدياً، وهو لذلك من أهم المعاجم الجغرافية التي وصلت، جمع فيه المؤلف مادته الجغرافية صحيحةً ودقيقةً، ثم أكمل دراسته الجغرافية بما يتعلق بهذه المواقع من أخبار تاريخية مختلفة، وهو منهج أشار إليه في مقدمة معجمه بقوله: "صار هذا الكتاب محتوياً على فنين مختلفين، أحدهما ذكر الأقطار والجهات...، وثانيهما الأخبار والوقائع المختلفة بها.." [2]، ومن ثم تنوعت مصادر المعجم بين تاريخية، وجغرافية، وأدبية، واقتصادية، واجتماعية، ذات قيمة مثل مصادر الثروة الطبيعية، والمعدنية، والنباتية، والأنشطة الصناعية، والضرائب، والأسواق، والعادات، والتقاليد، والملابس، وغير ذلك مما يحتاجه الباحث.

ويعتمد الحميري في كتابه على الإيجاز كما يبعد عن الاستطراد؛ فحديثه عن جغرافية بلنسية مقتضب، ولكنه يتضمن وقائع وأخباراً تاريخية خاصة بها، إضافة إلى إشارات اقتصادية وعمرانية لها أهميتها بالنسبة لموضوع الدراسة.

5- المراجع الأجنبية والعربية:

5-1- الباحث الإسباني أويثي ميراندا (Huici Miranda)، كتاب "تاريخ بلنسية الإسلامية وإقليمها"[3] (Historia Musulmana de Valencia y su region) :

يتألف هذا الكتاب من ثلاثة أجزاء: الجزء الأول خصصه المؤلف لتاريخ بلنسية الإسلامية منذ الفتح حتى عبور المرابطين إلى الأندلس وانتصارهم على ألفونسو السادس في موقعه الزلاقة عام 479هـ/1086م.

---

(1) بالنثيا: مرجع سابق، ص 312-314.

(2) الحميري: **صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار** ، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937م ، ص1.

(3) Huici Miranda**: Historia Musulmana de Valencia y su region**, 3 tomos, Valencia, 1969-1970.

والجزء الثاني: يتناول ظهور السيد القنبيطور على مسرح الحوادث بشرق الأندلس واستيلائه على بلنسية إلى أن استردها المرابطون عام 495هـ/1102م.

أما الجزء الثالث: فيتحدث عن أحوال بلنسية في عصر المرابطين والموحدين حتى سقوطها في يد خايمي الأول ملك أراغون عام 636هـ/1238م.

وفي هذه الدراسة كان الاعتماد على الجزء الأول والثاني من الكتاب ولاسيما أن هذا الكتاب يتضمن الأسباب والتفاصيل لدرجة أنه قام بدراسة الأحوال السياسية لبعض المدن مثل شاطبة ودانية التابعة لبلنسية.

وما يميز كتابات المؤلف التزامه الحياد والموضوعية ويتمثل ذلك في موقفه من موضوع القاضي ابن جحاف وحرقه على يد السيد القنبيطور، فظهر محايداً أو منصفاً لابن جحاف، في حين أن المؤرخ الإسباني مينندث بيدال (Menéndez Pidal)، كان متعصباً للسيد ومتحيزاً له.[1]

وجدير بالذكر أن أويثي ميراندا اهتم بدراسة الأحوال السياسية لبلنسية وأهمل قليلاً دراسة الجوانب العمرانية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية، وابتعد عن الناحية الجغرافية، إضافة إلى ذلك، فقد وقع في بعض الأخطاء التاريخية ولاسيما فيما يتعلق بالأسماء لبعض الأمراء وأنسابهم.

ومن الأهمية بمكان القول: إن المؤلف كان على إلمام باللغة العربية، ولذا تمكن من مقارنة النصوص العربية بالروايات الإسبانية، وهذا ما سهل عليه التوصل إلى الحقائق التاريخية.

5-2- ليفي بروفنسال (Levi Provençal)، كتاب "الإسلام في المغرب والأندلس"[2]:

يتضمن هذا الكتاب معلومات مهمّة في تاريخ المغرب والأندلس، وفيها بحث حول السيد القنبيطور، الذي تميز بالدقة والموضوعية بعيداً عن المبالغة والتحيّز، وذلك من خلال ما تيسر له من وثائق ومخطوطات كانت غير معروفة من قبل.

وفي هذا الكتاب إشارات طبوغرافية حول بلنسية، أفادت الدراسة ولاسيما فيما يتعلق بالأبواب وأسمائها ومنها باب الشريعة في بلنسية.

5-3- عنان، محمد عبد الله، كتاب "دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي"[3]

تناول مؤلف هذا الكتاب أحوال الأندلس السياسية في عصر دويلات الطوائف، بحيث قام بدراسة كل دويلة على حدة منذ قيامها حتى عبور المرابطين إلى الأندلس، ثم سقوطها في أيديهم.

---

(1) Menéndez Pidal: **La España del cid**, 2 volume,Madrid,1947.

(2) بروفنسال، ليفي: **الإسلام في المغرب والأندلس**، ترجمة سالم ، السيد عبد العزيز، وحلمي ، محمد صالح الدين، القاهرة، 1956م.

(3) عنان ، محمد عبد الله: **دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، القاهرة، 1960م.

وهذا ما جعله يكرر بعض المعلومات في مواضع متعددة. ومما يؤخذ عليه أنه لم يذكر المصادر العربية التي أخذ عنها المعلومات، ولكنه يشير إلى المراجع الإسبانية التي تنقل أساساً عن المصادر العربية.

وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن مؤلفه طاف في العديد من قواعد ودويلات الطوائف ومدنها وعاد إلى العديد من المصادر العربية والإسبانية، مما سهل عليه كتابة بحثه، وقد تضمن بحثه فصلاً عن أحوال بلنسية في عصر الطوائف حتى سقوطها في أيدي المرابطين عام 495 هـ/ 1102م..

5-4- سالم، عبد العزيز، كتاب "قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس"[(1)]:

يعدّ هذا الكتاب من المراجع المهمة في تاريخ إسبانيا العربية ولا سيما تاريخ عصر الخلافة الأموية. ويتضمن معلومات تتصل بالحياة السياسية والحضارية لمدينة قرطبة، إضافة إلى بعض مظاهر الحياة الحضارية كإشارته إلى مراكز الغناء والموسيقى في الأندلس، وفي دراسته رجع المؤلف إلى العديد من المصادر العربية والإسبانية، إضافة إلى بحوث علماء إسبان وقد أقام في بلنسية عدة سنوات، فمن هنا تبرز أهمية هذا المرجع.

5-5- العبادي، أحمد مختار، كتاب "دراسات في تاريخ المغرب والأندلس"[(2)]:

يعتبر هذا الكتاب من المراجع المهمة في تاريخ المغرب والأندلس، إذ يحوي معلومات قيمة تتعلق بالخطط أو النظم الإدارية والعسكرية، وقد رجع فيه المؤلف إلى العديد من المصادر والمدونات الإسبانية.

وقد اعتمدت الدراسة على هذا الكتاب عند الحديث عن فتح منطقة شرق الأندلس على يد عبد العزيز بن نصير، و قيام دويلات الطوائف، وتغلب الفتيان العامرية على منطقة شرق الأندلس بعد انهيار الخلافة الأموية في قرطبة واندلاع الفتنة.

5-6- أرسلان ، شكيب، كتاب " الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية":

هذا الكتاب عبارة عن قسمين: جغرافي وتاريخي، وفي القسم الجغرافي تحدث المؤلف عن أحوال إسبانيا قديماً وحديثاً، وقارن ما كتبه العرب بما كتبه الإفرنج، وأدخل في القسم الجغرافي أسماء من نبغ من أهل العلم في كل بلد من البلدان التي ذكرها.

هذا من جهة الجغرافية الطبيعية، ومن جهة ثانية تعرض المؤلف للجغرافيا السياسية أي ما يتعلق بالسكان والممالك، أو ما يُقال له " الأتنوغرافية".

---

(1) سالم ، السيد عبد العزيز: **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، بيروت، 1971م.

(2) العبادي ،أحمد مختار: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، ط1، الإسكندرية، 1968م.

ويتألف الكتاب من ثلاثة أجزاء، والمنهج الذي اتبعه صاحب هذا الكتاب واحد في الأجزاء الثلاثة في ذكر مواقع البلاد الجغرافية ومزايا كل منها ومن نبغ فيها من العلماء والأدباء.

ففي الجزأين الأول والثاني، تكلم المؤلف على شمالي إسبانيا مثل قشتالة وليون ونبارة وأراغون وقتلونيا، وطليطلة ومجريط، ووادي الحجارة وقونكة ومدينة سالم وقلعة أيوب ودروقة وسرقسطة ووشقة ولاردة ومضافاتها. أما في الجزء الثالث، فقد تعرض صاحب الكتاب إلى شرق الأندلس، مثل طرطوشة، وقرطاجنة، وشاطبة، ودانية، ولقنت، وألش، وأوريولة، وشقورة، وشنجالة، ولورقة، ومرسية وملحقاتها، وترجملمن نبغ في هذه البلاد الشرقية من العلماء والأدباء وبعض أخبارهم. وقد كان الاعتماد على الجزء الثالث [1]، ولا سيما فيما يتعلق بالناحية الجغرافية، وفيه تحدث المؤلف عن بلنسية وتوابعها.

---

(1) أرسلان ،شكيب: **الحلل السندسية في الآثار والأخبار الأندلسية**، ج3، دار مكتبة الحياة، بيروت،د.ت.

الفصل الأول
الوضع الجغرافي لمملكة بلنسية
وظهورها مملكةً مستقلةً

الفصل الأول

الوضع الجغرافي لمملكة بلنسية

وظهورها مملكةً مستقلةً

1- تعميرها

كانت بلنسية قبل الفتح العربي فرضة صغيرة على البحر المتوسط (بحر الروم)، تسمى فالنثيا (Valencia) ثم قام العرب بعد الفتح بتعريب هذا الاسم وصارت تعرف باسم بلنسية[1].

تأسيسها:

تعدّ بلنسية من المدن ذات المنشأ الروماني في شرق الأندلس؛ فقد أسسها الرومان عام 138 ق.م.[2] وذلك بعد موت الثائر فيرياث (Viriathe)[3]حيث أنزل فيها جونيوس بروتوس (Junius Brutus) بعض الجنود الرومان المخلصين الذين ظلوا يرتبطون مع روما برابط الولاء[4].

وكان لبلنسية مساهمة عظيمة في الحروب الأهلية الرومانية حيث أدّت دوراً مهماً في حروبها، إذ ساندت سيرتوريوس (Sertorius) الذي أعلن ثورته على بومبي (Pompée) وقام سيرتوريوس سنة 77 ق.م. بعدة حملات عسكرية في شبه الجزيرة الإيبيرية، تكمن بفضلها من الاستيلاء على المنطقة الممتدة ما بين وادي آنه [5] (Guadiana)، وجبال البرتات أو البرت[6](pyrenees / pirineos)، كما أخضع مدن الساحل الشرقي مثل بلنسية ودانية عام 75

---

(1) مؤنس، حسين : **رحلة الأندلس** ، الشركة العربية للطباعة، ط1، القاهرة، 1963م، ص271.

(2) **Encyclopedie de l'islam, Novelle édition établie avec les concours des principeaux orientalistes composé par un comité de Redaction composé de Rames, Levi provençal**, 3éme impression, Paris,1991,T.1, p.1016.

(3) احتل الرومان شريطاً ضيقاً في جنوب وشرق شبه الجزيرة الإيبيرية، فاصطدمت مشاريع الاحتلال بمقاومة عنيفة وظهرت حركات تمرد وتحرر، فبرز على المسرح التاريخي قائد اسمه فيرياث، الذي أصبح روح ومنظم هذا التمرد. وقد سمي " صديق الشعب الروماني"، وتم عقد صلح معه. إلا أن مجلس الشيوخ الروماني رأى أن هذه المعاهدة غير لائقة بالشعب الروماني فتم إصدار أمر بذبحه. انظر المسعودي: **مروج الذهب**، تحقيق شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، بيروت، 1966م،ج2، ص514.

(4) Eduardo Hernandez y Francisco Hernandez: **Historia de España, dirigia por Menéndez pidal,** Madrid, 1955 ,V.2, p.134: Encyclopedie de l'Islam,T.1,p. 1016.

(5)العذري: مصدر سابق، ص179.

(6) جبال البرتات أو البُرت أو البرانس (pyrenees/pirineos): هي جبال فاصلة بين فرنسا وإسبانيا. ومبتدؤه من البحر القبلي للمتوسط المجاور لطرطوشة ومنتهاه إلى البحر الغربي بين الأشبونة وجليقية. وهذه الجبال هي ليست جبال البرانس (Sierra de Almadén) أي جبل المعدن كما يقول أرسلان. راجع البكري: **المسالك والممالك**، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ط 1،دار الإرشاد، بيروت، 1968م، ص85؛ أرسلان: مرجع سابق، ج 1 ص79. وفي جبال البرتات يوجد معدن الزئبق والزيتون المتناهي الجودة. الحميري: مصدر سابق ص 142.

ق.م. ولم يبق تحت سيطرة الرومان سوى القسم الجنوبي لشبه الجزيرة الإيبيرية، وكان يعرف باسم فندالوشيا وتعريبه الأندلسي (Andalucia)[1].

ولم يستمر سيرتوريوس طويلاً في الحكم، إذ سرعان ما مني بالهزيمة واجتاح بومبيوس مدينة بلنسية وخرب عمرانها انتقاماً من سكانها، لكنها عادت وازدهرت زمن أغسطس (Augustus) وظلت تنعم بهذا الازدهار إلى أن تمكن القوط الغربيون (Les Wisigoths)[2] من السيطرة عليها عام 413م[3]، وشهدت فترة من التألق في عهد هؤلاء القوط، وتمتعت بالحكم، غير أنها وقعت تحت سيطرة البيزنطيين عام 554م، ثم عادت إلى الحكم القوطي عام 584 م[4].

وبعد تتبع الأحداث التاريخية، لم يُعثر في المصادر العربية والإسبانية ما يشير إلى فتح المسلمين بلنسية، الأمر الذي دفع بالباحثين إلى إبداء عدد من الآراء حول ذلك الموضوع؛ فمنهم من يرى أنها فتحت على يد طارق بن زياد، الذي اتجه بعد سيطرته على سرقسطة [5] إلى مدينة طرطوشة[6] وزحف بموازاة الساحل الشرقي وتمكن من السيطرة على مربيطر وبلنسية وشاطبة،

---

(1) Menéndez Pidal**: La España del cid** V.2, p.221

(2) القوط الغربيون: من الشعوب الجرمانية التي انقضّت على الإمبراطورية الرومانية حيثما تسلل إليها الضعف والاحتلال في أوائل القرن الخامس. ففي عام 409م. اقتحمت هذه القبائل الجرمانية شبه الجزيرة الإيبيرية التي كانت خاضعة للإمبراطورية الرومانية وتقاسمت مقاطعاتها وكان القوط الغربيون ثلاث مجموعات، (Suevos) وكان نصيبهم الطرف الشمالي الغربي، وهو الذي يدعى جليقية (Galicia) والآن (Alanos) وقد استقروا في المقاطعتين: الشرقية وهي المدعوة القرطاجنة (La Cartaginense)، والغربية وكانت تدعى لجدانية (Lusitania) البرتغال، والمجموعة الثالثة هي الوندال (Vandalos) وكان حكمهم في المقاطعة الجنوبية المدعوة باطقة (La Bética)، إلا أن حكم القوط لم يكن مستقراً في تلك البلاد؛ فالمنازعات كانت مستمرة ما بينهم وبين الفرنجة، كما أن أجزاء في جنوب البلاد كانت تحت حكم البيزنطين، الجيوسي، سلمى الخضراء: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1988م، ج1 ص 57.

(3) والاس هاديل: أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة مانشستر، **أوروبا في صدر العصور الوسطى 100-400م**، تعريب وتعليق حياة ناصر الحجي، ط 1،الكويت، 1979م، ص 148 وما بعدها؛ Dictionnaire Hachette (Encyclopedique illustré) Redacteur en chef: Jean-pierre Mével, Paris, 1999, p.1944.

(4) العدوي، إبراهيم أحمد: **المسلمون والجرمان**، ط1، دار المعرفة، القاهرة،1960م، ص22.

(5) سرقسطة (Saragoza): مدينة كبيرة شرق الأندلس، تعرف بالمدينة البيضاء، استردها الاسبان من أيدي العرب عام512هـ /1121م. الإدريسي: مصدر سابق، ج2، ص554؛ ياقوت: **معجم البلدان** تحقيق فريد عبد العزيزالجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3 ص240، الحميري: مصدر سابق، ص96-98؛ المقري:**نفح الطيب** ج1 ص149-150.

(6) طرطوشة(Tortosa): مدينة بالأندلس، شمال بلنسية، في سفح جبل، ولها قصبة على صخرة عظيمة، اشتهرت بصناعة السفن لوفرة أشجار الصنوبر بها . وهي مدينة جليلة على نهر أبرة . أسسها الروماني درتورة (Dertosa) استولى عليها العرب في بداية الفتح. ثم عاد الاسبان فملكوها، فاسترجعها عبد الرحمن ابن الحكم في عهد أبيه الحكم بن هشام الربضي. ولوجودها في طرف بلاد المسلمين، كان الخلفاء يجعلونها منفى لمن يرون إبعاده من أهل الفتنة. ولما انحلت وحدة الدولة وظهر ملوك الطوائف، صارت طرطوشة إمارة مستقلة يحكمها مولى من بني عامر اسمه لبيب الصقلبي، ويحكم معها بلنسية. وفي عام 452هـ/1060م، ثارت طرطوشة بأميرها هذا الصقلبي، فلجأ إلى المقتدر بن هود صاحب سرقسطة. ودخلت طرطوشة منذ ذلك اليوم في طاعة بني هود، ثم كان استيلاء الإسبان عليها في منتصف شعبان عام 543هـ/1148م، وكان الذي استولى عليها هو ريموند بيرانجة صاحب برشلونة بمساعدة فرسان الهيكل الصليبي وأساطيل بيزه وجنوه، كما استولى في

ودانية[1]. سنتطرق إلى هذه المواقع من بَعدُ.

وهناك من يرى أنها فتحت على يد طارق بن عبد العزيز بن موسى بن نصير، ويعتقد أصحاب هذا الرأي أن الأمير عبد العزيز افتتحها وكانت ضمن مدن شرق الأندلس(El Levante) وذلك عام 95هـ/ 713م[2].

ويبدو أن فتح بلنسية كان في عهد ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير على الأندلس 95–97هـ /713–715م، وذلك في أعقاب افتتاحه كورة[3] تدمير وعقده اتفاقية مع حاكمها القوطي تيودمير (Teodomiro) الذي تمكن من الاستقلال بولايته مقابل دفع جزية سنوية[4].

ويشير أويثي ميراندا إلى أن بلنسية نعمت بنوع من الاستقرار والهدوء منذ أن ثبّت العرب سلطانهم في شرق الأندلس[5]. أما العذري فيقول: إن عامل بلنسية من قبل عبد العزيز بن موسى هو قائم الهذلي [6]، وكان قد أعلن الثورة في بلنسية على الأمير، فخرج الأخير (عبد العزيز) بعسكره متجهاً إلى تدمير حيث انضمت إليه قواته بقيادة واليها إبراهيم السكندري، ثم زحف بحشوده نحو بلنسية وتمكن من إخماد الثورة والقبض على صاحبها الهذلي[7].

هذا ويُذكر أيضاً اسم عامل آخر يدعى محمد بن بكر، فهذا العامل كان قد أعلن الثورة أيضاً على واليها ويدعى عَنْبَسَةُ بن سُحَيم الكلبي 103–107هـ/ 721–725م، وكان قد تقدم نحو تدمير

العام نفسه على أفراغه ولاردة، وتقع أفراغه ولاردة بعد طرطوشة نحو الشمال على ساحل بحر الروم. الإدريسي: مصدر سابق، ص190؛ المراكشي: **المُعْجب في تلخيص أخبار المغرب من لَدُن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين**، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ط 1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949م، ص71 ؛ابن غالب: مصدر سابق، ص285؛ القزويني: مصدر سابق، ص544؛ المقري: **نفح الطيب**، ج1 ص 143؛ محمد الفاس: **الأعلام الجغرافية الأندلسية**، مجلة البيئة، العدد الثالث، الرباط ، 1962م، ص25-26.

(1) Encyclopedie de l'islam, T.1, P.1016.

(2) ميراندا، أويثي: بلنسية الإسلامية ، تقرير معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد، 1965م، ص 111؛ Vallvé,Joaquin **: El Reino de Murcia en la época Musulmana , revista , del instituto egipcio de estudios islamicos,** V.20, Madrid,1979-1980, p.27.

(3) لفظة يونانية الأصل من (Curia) . وقد برز اصطلاح " كورة " في الأندلس أول مرة في عهد الوالي أبي الخطار الحسام بن ضرار الكَلْبي 125-128هـ / 742-745 م، عندما وزع جُنْدَ الشام الذين دخلوا الأندلس عام 123هـ/736م، مع بَلْج بن بِشرْ القُشيري . Lévi Provençal: **Histoire de l'Espagne Musulmane** , Leiden, Paris, 1950-1953, T.3, P.48. ؛ وقال ياقوت : الكورة ، اسم فارسي بحت ، وهو كل صُقع يشتمل على عدة قرى. ياقوت: **معجم البلدان**، ج1 ص54.

(4) حول كورة تدمير، راجع: العذري: مصدر سابق، ص 4-5؛ سالم ، عبد العزيز : **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** ، نشر دار المعارف ، بيروت ، 1962م، ص110-111؛ Claudio Sanchez Albornoz : **La España Musulmana, Cuatro edicion**, Madrid, 1974, T.1, p.p.56-57.

(5) Huici Miranda **: Historia Musulmana de Valencia** , T.1, P.88.

(6) أشار العذري إلى اسم هذه الشخصية ضمن شهود اتفاقية تدمير عام 95هـ / 714م. راجع العذري : مصدر سابق، ص5.

(7) مؤنس، حسين: **فجر الأندلس**، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1959م، ص115.

للاستيلاء عليها، إلا أن حاكمها إبراهيم السكندري سرعان ما تحالف مع عامل بياسة [(1)]، وتمكنا من إيقاع الهزيمة بوالي بلنسية في موقعة قرب تدمير، أما ابن بكر فقد توفي بعدها ببضعة أيام[(2)].

ومن ثم تعود الأخبار البلنسية إلى الظهور مجدداً وذلك عند الحديث عن ثورة عبد الرحمن ابن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي لطوله وشقرته وزرقة عينيه [(3)]. فبعد أن عبر الأخير عام 161هـ /778م، إلى الأندلس نزل بساحل تدمير، ودعا للخلافة العباسية وطلب العون من زميله سليمان بن يقظان والي سرقسطة فلم يستجب الأخير لدعوته. ولهذا لم يتضامن الثوار فيما بينهم، وتمكن عبد الرحمن بن حبيب الفهري من أن يقضي عليهم.

وبعد ذلك ظهر الفهري مجدداً وتقدم لمحاربة سليمان بن يقظان، إلا أن الأخير أوقع به هزيمة قرب برشلونة [(4)]، وأرغم الصقلبي (الفهري) على الانسحاب جنوباً، فاتجه بنفسه إلى سواحل بلنسية وعندئذ بادر الأمير عبد الرحمن الداخل بمهاجمته، وتمكن من إحراق سفنه واضطر الصقلبي إلى التحصن بجبال بلنسية، وانتهى أمره بأن قتل على يد مشكار أحد المغاربة، الذي حمل رأسه إلى عبد الرحمن الداخل وذلك عام 162هـ /779م[(5)].

يبدو أن لأهل بلنسية دوراً مهماً، فأيدوا ثورة الفهري بدليل أن هذا الأخير التجأ إلى جبال بلنسية. وفي هذا المجال يورد العذري خبراً، فيشير إلى أن الأمير عبد الرحمن الداخل قام بتخريب بلنسية عام 162هـ/ 779م[(6)]، وفي ذلك إشارة إلى أن الأخير أراد التخلص من الثوار في بلنسية من أنصار الفهري، فأقدم على تخريب معاقلهم وتدمير حصونهم.

وتتتابع الأحداث، فبعد وفاة الأمير عبد الرحمن الداخل، يخلفه ابنه هشام الرضا، وعقب وفاة الأمير عبد الرحمن الداخل، ثار سعيد بن الحسين بن يحيى الأنصاري واستولى على طرطوشة، ولمّا علم الأمير هشام بذلك كلف واليه على بلنسية ويسمى موسى بن حديرة القيسي بالقضاء على تلك الثورة، إلا أنه هزم

---

(1) بياسة (Baeza) : تقع على نهر الوادي الكبير ، بينها وبين جيان (Jaén) عشرون ميلاً ، وهي مدنية ذات أسوار وأسواق ومتاجر وحولها زراعات ، الإدريسي: مصدر سابق، م2 ص569.

(2) المقري: **نفح الطيب،** ج1 ص 225، 287؛ ج4 ص 13-14.

(3) هو عبد الرحمن بن حبيب الفهري، أحد المغامرين في إفريقية من أعقاب عقبة بن نافع الفهري. ابن عذاري: مصدر سابق، ج2ص83.

(4) برشلونة (Barcelona): شمال شرق إسبانيا على البحر المتوسط، قاعدة قطلونيا، اشتهرت بالحنطة والحبوب والعسل. الإدريسي : مصدر سابق ، م2 ص734؛ الحميري : مصدر سابق ، ص42.

(5) العذري : مصدر سابق ، ص 11 ؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج 2،ص83؛ ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون، المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،** تحقيق خليل شحادة ، سهيل زكار، ط 1، دار الفكر، بيروت، 1981م، ج3 ص264؛ سالم : **تاريخ المسلمين وآثارهم** ، ص201-202.

(6)العذري : مصدر سابق ، ص18.

وقتل في المعركة سنة172هـ/788–789م، فأمر الأمير هشام ولاته على غرناطة[1] ومرسية[2] إرسال قواتهم لمساعدة والي بلنسية الجديد ويدعى أبا عثمان[3]، الذي تمكن من إنزال الهزيمة بقوات سعيد بن الحسين بن يحيى الأنصاري عام174هـ/790–791م، وقتل الأخير في تلك المعركة، وأرسل رأسه إلى قرطبة العاصمة[4].

وبعد ذلك يظهر على المسرح التاريخي الأمير عبد الله البلنسي، وهو أحد أبناء الأمير عبد الرحمن الداخل، مؤسس دولة بني أمية في الأندلس، وكان قد ثار بأخيه الأمير هشام [5]، ثم بالحكم الربضي، واستقر به الأمر في بلنسية يتولى حكمها[6]، وبها قام ببناء المنية الشهيرة، "منية الرصافة" "La Rusafa" تقليداً لرصافة قرطبة التي ابتناها والده الأمير عبد الرحمن الداخل[7].

ومن ثَمَّ نصل إلى عصر الدولة الأموية، فنصادف شحاً في المصادر العربية حول أحوال بلنسية السياسية، باستثناء إشارات ورد معظمها في المقتبس لابن حيان؛ وذلك في جملة حوادث عام 234هـ/أواخر 848 م، ومن تلك الإشارات : أن الأمير عبد الرحمن الأوسط 206–238هـــ/821–852م، أغزى أسطولاً من ثلاثمائة مركب إلى أهل جزيرتي ميورقة[8] ومينورقة[9] لنقضهم العهد،

---

(1)غرناطة (Granada): مدينة بالأندلس، من مدن ألبيرة، يحدها من الجنوب جبل شُلِيْر (Sierra Nevada) = (Solarius) أي المشمس، لإنعكاس ضوء الشمس على ثلوجه، ومن الشرق شُلِيْر وألمرية، ومن الشمال جيان، ومن الغرب لوشة (Loja من إقليم ألبيرة)، ونهر شنيل (Genil)، أحد أنهار غرناطة وينبع من جبل شلِيْر.
حول ترجمة غرناطة راجع طويل، مريم قاسم: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر 403 – 483هـ/1012 – 1090م، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1994م، ص 19 وما بعدها.

(2) مرسية (Murcia): أسست عام 216 هـ/ 831م، على يد جابر بن مالك عامل تدمير في عهد عبد الرحمن الأوسط على أنقاض مدينة تدمير. وكان يطلق عليها اسم البستان لكثرة جناتها المحيطة بها. **العذري:** مصدر سابق، ص1 - 6؛ابن غالب: مصدر سابق، ص 284، الحميري: مصدر سابق ص 181، المقري: نفح الطيب، ج1ص163.

(3) يبدو أن أبا عثمان هو عبد الله بن عثمان، أحد زعماء موالي بني أمية بالأندلس، وكان له دور بارز في تأسيس الدولة الأموية بالأندلس .

(4) ابن خلدون: مصدر سابق، ج4 ص 159.

(5) ترجمة الأمير هشام وابنه الحكم المعروف بالربضي في مجهول : **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها فيما بينهم** ، مكتبة المثنى بغداد ، طبع بمدنية مجريط بمطابع ربدنير، 1867م، ص120-121؛ ابن الأبار : **الحلة السيراء** ، ج1 ص42-43، ترجمة رقم 9-10؛ المقري : **نفح الطيب** ، ج 4 ص306-307.

(6) ابن حزم : **جمهرة أنساب العرب** ، تحقيق مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001م، ص94؛ النويري : **نهاية الارب في فنون الأدب** ، ج22، نسخة مصورة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية تحت رقم 22 عن نسخة دار الكتب المصرية، المخطوط لوحة 9.

(7) سالم : **تاريخ المسلمين وآثارهم** ، ص 221؛ Huici Miranda **: Historia Musulmana de Valencia** , T.1, P.120.، سيشار إلى هذه المنيات من بَعْد.

(8)ميورقة (Mallorca) : هي شرق بلنسية ودانية ، وإلى الغرب من جزيرة مينورقة . الإدريسي : مصدر سابق ، م2 ص582؛ الحميري: مصدر سابق ، ص188.

(9) مينورقة (Minorca) : شرق ساحل طرطوشة وبرشلونة ، وإلى الغرب تقع ميورقة . الإدريسي : مصدر سابق م2 ص582.

وإضرارهم بمن يمر إليهم من مراكب العرب.

ومن الإشارات أيضاً، أن الأمير أرسل فتاهُ شنظير الخصي إلى ابن ميمون عامل بلنسية، ليجبي حاصلات الغنائم ويقبض الخمس [1]، ففي هذا النص إشارة واضحة إلى أن عامل بلنسية في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط كان يعرف بابن ميمون. وعلى الرغم من عدم وجود أي تفصيلات حول هذا الاسم، يبدو أن لهذا الوالي علاقة بأسرة بني ميمون الذين ظهر منهم قادة بحريون عظام منذ نهاية عصر الطوائف حتى في ظل دولة الموحدين[2].

ومما يذكر أن الفترة التي تلت حكم الأمير عبد الرحمن الأوسط [3]206–238هـ/822–852م ، لم تشهد أية حوادث تذكر بشأن بلنسية، يبدو أن تلك الفترة نعمت بالاستقرار.

ونصل إلى عصر الطوائف الأول الذي يمتد من وفاة عبد الرحمن الأوسط 238ه/ 852م، حتى إمارة عبد الرحمن بن محمد عام 300ه /912م، الذي يتميز بالفتن والثورات التي شملت سائر أنحاء الأندلس، فتفتت وحدة البلاد واستقل القادة والرؤساء بالمدن والأقاليم، وقد وضع عبد الرحمن بن محمد حداً لهذا التفتت بعد أن اعتلى عرش الإمارة واتبع سياسة تقوم على الترغيب والترهيب، ومع ذلك تعددت الثورات في كورة بلنسية.

وفي هذا السياق يشير ابن حيان إلى أن ثورة اندلعت في كورة بلنسية وتدمير304ه /916م، فسير الأمير عبد الرحمن بن محمد قوة لإخمادها بقيادة إسحاق بن محمد القرشي الذي نجح في إخماد الثورة والقضاء على هذا التمرد[4].

ومن الثورات أيضاً تلك التي اندلعت في أواخر عهد الأمير عبد الله في بلنسية وشاطبة، بزعامة رجل من المغاربة يدعى عامر بن أبي جوشن بن ذي النون الذي نجح في السيطرة على شاطبة، وجزيرة شقر، وبلنسية، وبقي هذا الثائر في المنطقة إلى أن استخلف عبد الرحمن بن محمد جده عبد الله في الإمارة عام 300ه /912م، وفي عهد الأمير عبد الله بادر عامر ببذل الطاعة استجابة لهذا الأمير فأقره الأخير على أعماله واشترك(عامر) معه في غزوته على إمارة

---

(1) ابن حيان : مصدر سابق ، تحقيق مكي ، ص 2-3 .

(2) إن لأسرة بني ميمون دوراً بارزاً في تاريخ البحرية الإسلامية بالأندلس، وبرز منها قادة عظام منهم عيسى بن ميمون أمير البحر في أواخر أيام يوسف بن تاشفين المرابطي . ويبدو أن أسرة بني ميمون دخلت في خدمة الموحدين بعد ذلك، واستمروا في أداء دورهم البحري في حماية السواحل والثغور الأندلسية. ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص104؛ سالم، السيد عبد العزيز: **تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية** ، ط1 ، بيروت ، 1966م، ص50-51.

(3) ابن حيان : مصدر سابق ، انظر قطعة خاصة بعصر الأمير عبد الله بن محمد ، نشر ملشور أنطونيا .

(4) ابن حيان : مصدر سابق، انظر قطعة خاصة بعصر الخليفة عبد الرحمن الناصر، نشر بدرو شالميتا، مدريد، 1979م، ص127.

نبرة[1] (Navara) عام 312هـ /924م، ولكنه لم يلبث أن أعلن التمرد والعصيان من جديد في هذه السنة، لذا سيّر إليه الأمير عبد الرحمن قائده أحمد بن إسحاق لمحاربته، فتقدم الأخير لمحاربته بشاطبة، واستمر يحاربه، فلما طال أمره أرسل إليه الأمير قائداً آخر يدعى دُرِّى بن عبد الرحمن، الذي ضيّق الخناق على هذا الثائر، وانتهى أمره بدخوله في الطاعة من جديد، فصفح عنه الخليفة عبد الرحمن الناصر وانتقل هو وأبناؤه إلى قرطبة عام 317هـ/ 929م[2].

وفي عصر الخلافة نرى الهدوء يلف بلنسية، ذلك أن أهلها دخلوا في طاعة قرطبة، فإذا بالولاة يتولون أمرها بأمر من الخليفة الناصر ونذكر من هؤلاء : عبد الله بن محمد بن عقيل الذي ولاه الخليفة على بلنسية وشاطبة عام 317هـ/929م، ومحمد بن إسحاق الذي خلفه محمد بن إلياس عام 323هـ /934م، وتم عزله بعد عام بأمر من الخليفة عام 324هـ /935م، وولى بدلاً منه موسى بن محمد[3].

وتجدر الإشارة إلى أن بعض المتطوعة من البلنسيين قد شارك في الحملات التي سيرها الخليفة الناصر إلى ممالك إسبانيا؛ فالمصادر العربية تشير إلى أن القاضي (قاضي بلنسية) جحاف بن يمن الذي ينسب إلى أسرة بني جحاف الشهيرة في بلنسية، اشترك مع الخليفة في غزوة الخندق قرب مدينة شمنقة [4] (Semanacas) عام 327هـ/938م، التي انهزم فيها الخليفة هزيمة نكراء، واستشهد فيها هذا القاضي البلنسي[5].

ومن الأهمية بمكان القول: إن أسرة بني جحاف تولت منصب القضاء في بلنسية فترة طويلة، وأدت دوراً هاماً في الحياة السياسية والعلمية بهذه المدينة لا سيما في عصر دويلات الطوائف، وقد برز منهم القاضي عبد الرحمن بن جحاف وذلك في عهد الخليفة الحكم المستنصر 350–366هـ /941–976م، وكان من الشخصيات البارزة في بلاط الأخير ومن المقربين إليه[6].

---

(1) إمارة نبرة (Navara) : وهي اليوم مقاطعة بهذا الاسم مساحتها 10500 كلم2. وهي مجاورة لمملكة أراغون (Aragon)، يسقي كل منهما نهر أبرة ، راجع أرسلان: مرجع سابق، ج2 ص68-69.

(2) ابن حيان: مصدر سابق، قطعة خاصة بالناصر، نشر بدرو شالميتا ص 249-250 ؛ العذري: مصدر سابق، ص14؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج2 ص302 .

(3) ابن حيان : مصدر سابق، قطعة خاصة بالناصر، نشر بدرو شالميتا ، ص 391.

(4) شمنقة (Semanacas) : مدينة تقع على نهر دوبرة، شرق مدينة سمورة في إمارة قشتالة. حول تفاصيل هذه الغزوة . راجع : سالم: **تاريخ المسلمين وآثارهم** ، ص289؛
Levi Provençal: **Histoire de l'Espagne Musulmane, paris** , 1967,T.2 , p.172.

(5) ابن حيان: مصدر سابق، قطعة خاصة بالناصر، نشر بدرو شالميتا، ص 432-437؛ الحميدي: **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** ، القاهرة، 1966م، ص120، ترجمة رقم 364؛ عياض: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** ، تحقيق أحمد بكير، محمود، نشر مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، م 2 ص463.

إليه[1].

وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر برز أحد الشخصيات البلنسية في بلاطه، وكان له نفوذ كبير، ألا وهو الحاجب المصحفي[2]، الذي كان وزيراً للخليفة الحكم، ثم لابنه هشام المؤيد، توفي عام 372هـ /982م.

ومن الشخصيات البلنسية البارزة في عهد الحكم، هشام بن محمد بن عثمان الذي تولى كورة بلنسية، وقد ورد اسم تلك الشخصية بمناسبة وصول سفارة من إمارة برشلونة إلى بلاط الخليفة الحكم عام 360هـ /970م، فاستقبلهم هشام بن محمد عامل بلنسية وطرطوشة، وصحبهم إلى العاصمة قرطبة، حيث تلقاهم الخليفة [3]. وكان هشام يتولى منصب صاحب الشرطة العليا، وقد خلف عمه الوزير جعفر بن عثمان صاحب المدينة[4] في هذا المنصب[5].

وكان ممن تولى أمر بلنسية ومرسية في حجابة المنصور محمد بن أبي عامر الشاعر والكاتب والوزير عبد الملك بن شهيد[6]، الذي ينتمي إلى أسرة بني شهيد المعروفة بالعلم والثراء. والثراء.

وبعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر عام 366هـ /976 م، تولى الحُكم ابنه هشام المؤيد [7]، إلا أن الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر سيطر على الخلافة الأموية ومن بعده ولده عبد الملك المظفر ثم عبد الرحمن شنجول(8)، الذي أراد الاستئثار بالخلافة الأمر الذي أدى إلى مقتله

---

(1) ابن عذاري : مصدر سابق ، ج2 ص 351.

(2) المصحفي : هو جعفر بن عثمان بن نصر، أصله من مغاربة بلنسية، وكان والده عثمان المصحفي يتولى تأديب الخليفة الحكم في صغره، وتمتع بمنزلة كبيرة عند الخليفة عبد الرحمن الناصر . ابن الفرضي: **تاريخ العلماء والرواة بالأندلس** ، تحقيق عزت العطار الحسيني، ط 2 ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1988م، ج2 ص348-349، رقم 898 ؛ الحميدي : مصدر سابق، ص 187، رقم 353؛ ابن الأبار : **الحلة السيراء**، ج1 ص257-258، رقم 100 ؛ ابن سعيد : **المغرب في حلى المغرب**، ج1 ص 182، رقم 119؛ المقري**: نفح الطيب**، ج1 ص 366؛

Lévi provençal : **Histoire de l'Espagne Musulmane,** T.2, P.172.

(3) ابن حيان: مصدر سابق، قطعة خاصة بالحكم المستنصر، تحقيق الحجي، ص 20-21.

(4) صاحب الشرطة ، كان يعرف بصاحب الليل وصاحب المدينة . المقري **: نفح الطيب** ، ج1 ص209.

(5) ابن حيان: مصدر سابق، تحقيق الحجي ، ص46.

(6) عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد (أبو مروان)، من أهل قرطبة، وينتمي إلى أسرة بني شهيد المشهورة، التي تولت الحجابة والوزارة والكتابة طوال عصر الخلافة الأموية بالأندلس. وكان عبد الملك هذا وزيراً من وزراء الحاجب المنصور بن أبي عامر ومن أكثر المقربين إليه. ويذكر ابن بشكوال: أنه نبغ في كثير من العلوم والآداب والتاريخ واللغة والشعر، وقد توفي عام 393هـ/1002م. ابن بشكوال: مصدر سابق، ج2 ص355-356، ترجمة رقم 711؛ ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج1 ص239، ترجمة رقم 92؛ ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج1 ص198، ترجمة رقم 129.

(7)ابن عذاري: مصدر سابق ، ج2 ص377 وما بعدها .

(8) شنجول هو تصغير لشانجة، وقد تلقب عبد الرحمن بهذا اللقب لأن أمه عبدة ابنة شانجة الثاني بن غرسية الملقب بأبركة ملك بنبلونة (Sancho Garcés Abarca) كانت تدعوه في صغره شنجول (Sanchuelo) تذكراً منها لاسم أبيها شانجة ولا سيما وأنه كان أشبه الناس به. ابن عذاري: مصدر سابق، ج3ص38.

مقتله وسقوط الدولة العامرية وقيام الصراعات بين العناصر المختلفة في الدولة كالمغاربة والصقالبة وأهل قرطبة، ونشوب فتنة عُرفت بالفتنة القرطبية التي انتهت بسقوط الخلافة الأموية عام 422هـ/1030م[1].

لقد أسهمت الفتنة القرطبة في نشر الفوضى والخراب في جنوب الأندلس في وقت كانت منطقة شرق الأندلس لاسيما بلنسية، تنعم بجو من الهدوء والأمن والاستقرار، فشكلت مأوى للفارين من تلك الفتنة، فالتجأ إليها الفتيان العامرية (الصقالبة)، حيث نعموا فيها بحياة مستقرة [2].

ومنذ ذلك الوقت بدأ عصر جديد في تاريخ الأندلس، عُرف بعصر دويلات الطوائف.

عصر دويلات الطوائف:

اصطلح المؤرخون على تسمية هذا العصر بعصر الفتنة أو عصر الطوائف، أو عصر الفرق، كذلك أطلقوا على مؤسسي هذه الدويلات أمراء الفرقة، أو زعماء[3]الفتنة

يبدأ عصر دويلات الطوائف منذ سقوط الدولة الأموية في نهاية المائة الرابعة عندما انهار سلطان الخلافة وتمزقت أوصال الأندلس، وانفرط عقد البلاد وتوزعتها عدة دويلات. وإذا كانت الخلافة الأموية استمرت حتى عام 422 هـ / 1030م، فقد كانت حياتها حياة مريض في حالة الاحتضار، ولم يكن سلطان الخليفة الفعلي آنذاك يتجاوز أثره قرطبة وأرباضها [4]؛ ذلك أنه عند وفاة المنصور محمد بن أبي عامر عام 392هـ /1001م، في مدينة سالم وهو عائد من غزوته الصيفية للأراضي الإسبانية في الشمال، بعد أن دام حكمه سبعة وعشرين عاماً، استقدم الخليفة هشام المؤيد، أبا مروان عبد الملك بن المنصور محمد أبي عامر، وحذره من حركة الفتيان الصقالبة[5]، وازدياد نفوذ بعضهم، ثم أصدر كتاباً بتوليته الحجابة مكان أبيه[6].

قام عبد الملك بالحجابة وتلقب بالمظفر سيف الدولة عام 392هـ/1001م، وكان شهماً حازماً

---

(1) العبادي: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس** ، ص 87-88.

(2) ابن عذاري: مصدر سابق ، ج3 ص 115 ؛ وراجع Huici Miranda : **Historia Musulmana de Valencia,** T.1, P.136.

(3) ابن بلقين: مصدر سابق، ص56-58؛ ابن عذاري: مصدر سابق،ج3 ص 254.

(4) عنان: دول الطوائف، ص 16.

(5) الصقالبة (صقلبي، أو صقلب Esclave)، كلمة فرنسية قديمة ومعناها عبد أو رقيق. وهي التسمية التي أطلقها الجغرافيون العرب في العصور الوسطى على الرقيق الأبيض المجلوب من بلاد السلاف وبلغاريا، التي كانت أراضيهم تمتد من بحر قزوين إلى البحر الأدرياتي. وكانوا يتعرضون لأسر الجرمان الذين كانوا يبيعونها إلى عرب الأندلس والمغرب، ثم عممت هذه التسمية بمرور الوقت على جميع الأرقاء المجلوبين من الأمم الأوروبية سواء داخل شبه الجزيرة الإيبيرية كجليقية وقطلونية أو من خارجها مثل ساحل البحر الأسود ولمباردية. حول أصل الصقالبة راجع: ابن حوقل: **صورة الأرض**، ط2، دار صادر، بيروت، طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل 1938م، ج1 ص110؛ **Dozy Rinhart**: **Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de L'Andalousie par les Almoravides,** leyde, 1932,T. 2, p.154.

(6) ابن بسام: مصدر سابق، م4 ص49.

كأبيه، واستفتح عهده بمعاقبة بعض الفتيان المتمردين، ونفى بعضهم خاصة الفتيان الناصرية والحكمية(1).

وقد نصح هشام المؤيد عبد الملك بألا يخوض في بحر من الدماء عند تخلصه من مناوئيه من الصقالبة العاصين، وطلب منه احتواءهم ومصانعتهم، وقد أخذ عبد الملك بنصيحته، وعمل على استرضاء الجند، والإحسان إلى الصقالبة العامريين واصطناعهم، فولاهم أعلى المناصب وأهمها، خاصة في الثغور، واعتمد عليهم في كل شؤون الدولة.

وإلى جانب الصقالبة فقد استقدم عبد الملك المظفر زعماء المغاربة من العدوة واستخدمهم في جيشه، وكان أعظم من قدِم منهم زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي ومن صحبه من إخوته، فاستقبلهم عبد الملك بن أبي عامر أعظم استقبال ووصلهم بصلاته الجليلة(2).

ولم يطل حكم عبد الملك، فقد وافته المنية قرب قرطبة وهو يتجهز للخروج على رأس جيش لمجاهدة الإسبان وذلك عام 399هـ/1008م، وقيل أن أخاه عبد الرحمن شنجول هو الذي دس إليه السم(3).

خلف عبد الرحمن شنجول أخاه عبد الملك المظفر، ولم يكن الأخير على شيء من صفات أبيه ولا أخيه، ذلك أنه لم يكن سياسياً حصيفاً، فكانت تعوزه الحكمة وبعد النظر، وكان مغروراً بنفسه إلى حد كبير، فتلقب بالناصر ثم المأمون، والحاجب الأعلى، ناصر الدولة، كان شاباً طائشاً، أساء التصرف وأنفق الأموال في غير وجهها، ودفعه جهله بعواقب الأمور إلى ارتكاب أعظم الأخطاء، وذلك بإرغام الخليفة هشام المؤيد على إصدار مرسوم بتعيينه ولي عهد له، وهو أمر لم يقدم عليه أبوه المنصور ولا أخوه المظفر، اللذان اكتفيا بأن تكون لهما السلطة الفعلية، ولم يطمعا بالمظاهر الشكلية، وأثار هذا القرار ثائرة أهل قرطبة، فكان بتصرفه هذا واغتصابه الخلافة المتسبب الأول لقيام الفتنة ومن ثم انهيار الخلافة الأموية وقيام دويلات الطوائف(4).

---

(1) أول من استخدم الصقالبة في الوظائف الإدارية والعسكرية في الأندلس، الأمير عبد الرحمن الداخل 138-172هـ/755-788م. واستكثر منهم أمراء بني أمية منذ عهد الحكم الربضي، ليبلغ نفوذهم الذروة في بلاط الخلافة في عهد عبد الرحمن الناصر وولده الحكم المستنصر؛ فسيطر كثير منهم على الحكم والإدارة؛ بحيث ظن الصقالبة بعد وفاة الحكم المستنصر عام 366هـ /976م، أنهم أصبحوا سادة الموقف، وبعد أن تقلد المنصور محمد بن أبي عامر منصب الحجابة، قام بتشريد العناصر الصقلبية من القصر الخلافي، واعتمد على عناصر جديدة دانت له بالولاء، وعرف هؤلاء بالفتيان العامرية نسبة إليه، ومن هؤلاء مجاهد ومبارك ومظفر. وقد أدى هؤلاء دوراً رئيسياً زمن الفتنة. ابن بسام: مصدر سابق، م4 ص50.

(2)المصدر السابق، م4 ص 50.

(3) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص37.

(4) طلب شنجول من الخليفة هشام المؤيد أن يصدر له عهداً بذلك، بحجة القرابة بينه وبين المؤيد من ناحية الخؤولة، لأن أم هشام كانت من البشكنس، وكذلك أم عبد الرحمن، السيدة عبدة بن شانجة. راجع نص ولاية العهد: ابن عذاري، ج3 ص 43-46؛ ابن الخطيب:**أعمال الأعلام**، ص 91-93.

وبعد أن حظي عبد الرحمن شنجول بولاية العهد، أراد أن يشغل الناس بحديث الغزو أسوة بأبيه وأخيه، فتجهز للغزو، إلا أن فتاه الأكبر واضح [1] أنكر عليه ذلك، وحذره من مغادرة قرطبة[2]، وهي في حالة غليان؛ فأهلها كانوا يبغضونه لإقدامه على اغتصاب الخلافة.

ويشير ابن عذاري إلى أن الزلفاء أم أخيه عبد الملك المظفر، كانت تؤمن كل الإيمان بأن عبد الرحمن شنجول، قد دسّ السم لولدها وقتله، فصممت على الانتقام منه وسعت إلى تأليب أهل قرطبة عليه بواسطة بشر الصقلبي أحد فتيان العامرية المنشقين عن عبد الرحمن شنجول[3].

توصل بشر إلى محمد بن هشام بن عبد الجبار[4]، وتقدم المصادر بعضاً من ملامح شخصيته التي تميزت بالاستهتار والمجون والحقد والتسرع، وقد ورث هذا عن فترة شبابه، حيث كان " يعاشر في مدة استهتاره قوماً من الصعاليك[5]، وكان ذلك سبباً لافتقاره إلى الحكمة والتأني والذكاء، وهي شروط ضرورية لمن يتولى الحكم خاصة في فترة اضطرابات وغليان شعبي، إضافة إلى ذلك فقد انساق وراء التصور الشعبي البسيط، وحقد على المغاربة الذين سخطتهم القلوب[6]، بسبب مساندتهم العامريين، ولم يدرك أن المغاربة قوة يمكن الاستفادة منهم لدعم دولته، ويستخدمهم مرتزقة كما استخدمهم من سبق، وبالإساءة إليهم بدأت الأمور تفلت من يده.

ومع ذلك فقد كان محمد بن هشام يتسم بالقوة والبأس ووعده بشر الفتى بمعاونة الزلفاء له إذا ما ثار على عبد الرحمن شنجول. واعتمد محمد بن هشام بن عبد الجبار على تأييد أقاربه من بني مروان، وعلى العامة وسفلة القوم ممن وجدوا في الفتنة مجالاً خصباً للسلب والنهب[7].

---

(1) واضح العامري: هو من موالي المنصور محمد بن أبي عامر، وقد عينه هشام المؤيد بعد عودته إلى الخلافة حاجباً له. ابن خلدون: مصدر سابق، ج4 ص194.

(2) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص96. ويذكر ابن الخطيب أن عبد الرحمن شنجول أعرض عن النصيحة واستهان بها وقال : "والله لو اجتمع بنو مروان إلى مرقدي وأنا نائم ما أيقظوني".

(3) ابن عذاري: مصدر سابق،ج3ص37، 52؛ ابن الخطيب:**أعمال الأعلام**، ص109.

(4) كنيته أبو أيوب، ولقبه المهدي. وكان والده هشام قد اشترك في مؤامرة على المنصور محمد بن أبي عامر فأعدمه. وكان محمد بن هشام موتوراً من العامريين؛ فانتهز فرصة التفكك الذي أصاب الأسرة العامرية عندما انقلبت الزلفاء على عبد الرحمن شنجول، لاعتقادها بأنه دس السم لولدها مظفر، ليحقق رغبته في الانتقام لمقتل والده من هذه الأسرة العامرية . حول تفاصيل فتنة هشام بن عبد الجبار وتآمره مع الوزير عيسى بن سعيد ضد عبدالملك المظفر بن محمد بن أبي عامر. راجع ابن الأبار: **الحلة السيراء**،ج2ص5؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج3ص27-36؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام** ،ص109؛ الطاهر، أحمد: **عامة قرطبة في عصر الخلافة**، الرباط،1988م،ص213.

(5) النويري: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق أحمد كمال زكي ومراجعة مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1980م، ج23 ص 411.

(6)ابن خلدون: مصدر سابق،ج4 ص192.

(7) ابن عذاري: مصدر سابق، ج 3 ص55؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص109- 110. في هذين المصدرين إشارة إلى أن تدبير الثورة كانت على يد اثني عشر رجلاً وردت أسماء بعضهم مثل "طرسوس المجوسي" الذي كان أشهمهم و" أبو سلمة الزاهد". في حين يذكر أحمد الطاهر، أن تدبير الفتنة كان على يد عشرة رجال من العامة والممارسين لمهن ذليلة. راجع الطاهر: مرجع سابق، ص 217.

استغل محمد بن هشام فرصة خروج شنجول للغزو عام 399هـ/1009م، في وقت شديد البرودة، كثير الأمطار، فأعلن الثورة والتف حوله الأتباع من العامة الذين بدؤوا ثورتهم؛ بأن بادروا بالقبض على عبد الله بن عمر المعروف بعسقلاجة صاحب المدينة وقتلوه ورفعوا رأسه على رمح ومثلوا بجثته. ثم أرسل ابن عبد الجبار بعض رجاله إلى سجن العامة فأطلق سراح من فيه من المجرمين، وقبض محمد بن هشام على الخليفة هشام المؤيد، وأعلن نفسه خليفة مكانه، وتسمى بالمهدي، وجعل ولي عهده ابن عمه سليمان بن هشام بن سليمان بن الناصر.

أما عبد الرحمن شنجول فقد تملكه الجزع وتخلى عنه أنصاره وتفرقوا خاصة المغاربة الذين كانوا معه بأحواز طليطلة[1]، وقد أشار ابن عذاري إلى ذلك فقال: "أن المغاربة أدركوا أمراً لا يدرون تأويله، وأيقنوا أن لا مدخل لهم في قتال أهل قرطبة، فحصول أموالهم وأهليهم بأيدي أهل البلد، فاتفقوا على إسلام عبد الرحمن إليهم وطلب السلامة من بوادرهم"[2].

وبعد أن تخلى عنه أصحابه قرر العودة إلى قرطبة، واعتقد أن في استطاعته إخماد الثورة متى قدم إلى قرطبة، فلما وصل إلى دير أرملاط (Guadamellate) قرب قرطبة، قبض عليه أعوان ابن عبد الجبار وقتلوه، وكان ذلك يوم الخميس 3 رجب عام 399هـ/آذار 1009م، وزالت بمقتله دولة بني عامر بعد أربعة أشهر من حجابته.

أما محمد بن عبد الجبار فما إن أمسك بزمام الأمور، حتى عمل على اضطهاد العناصر المغربية؛ لأنهم كانوا من أعوان العامريين ودعائم دولتهم[3]، كذلك عمد إلى نفي جماعة كبيرة من الصقالبة العامريين وصقالبة القصر الذين فروا إلى أطراف الأندلس الشرقية، مكونين دويلات صقلبية،

---

(1) طليطلة (Toledo): تقع على ضفة نهر تاجة، وكانت حاضرة للقوط الغربيين، وتتميز بحصانتها ومناعتها؛ القزويني: مصدر سابق، ص545-547؛ الحميري: مصدر سابق،ص130.

(2) ابن عذاري: مصدر سابق،ج3 ص67.

(3) ساهم المغاربة في فتح الأندلس عام 92هـ/711م، ومنذ الفتح استقرت أعداد كبيرة منهم في الأندلس. وقد استخدمهم الأمير عبد الرحمن الداخل في الجيش لدعم سلطانه ومواجهة ثورات العرب. وحذا حذوه حلفاء بني أمية في ذلك، ولم يقتصر استخدامهم على الجيش، بل استخدموا في الوظائف الإدارية العليا كالحجابة والوزارة. أما الخليفة عبد الرحمن الناصر، فقد فتح الأبواب في الأندلس لوفودهم واستمال العناصر الزناتية المناوئة للصنهاجيين والكتاميين أنصار الفاطميين وغمرهم بالهدايا والتحف واعتبرهم متطوعين يحاربون في جيشه دون أن يدونهم في السجلات العسكرية، أو أن يمنحهم رواتب ثابتة. ابن حيان: مصدر سابق، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص190 ؛

Garcia Gómez (Emilio) **:Al Hakam II y los Berberes,** Revista Al Andalus, 1948, V. 13, P. 213.

أما الحكم المستنصر فقد أكثر من استخدام المغاربة في الجيش، أما المنصور محمد بن أبي عامر فقد استخدمهم في إدارة الولايات وأصبح المغاربة العنصر الموثوق به في المصادمات العسكرية ضد الأعداء. راجع، ابن بلقين: مصدر سابق، ص 16-17. وحذا الأمير عبد الله بن المنصور حذو أبيه في الاعتماد على المغاربة فاستخدمهم في قواته العسكرية.

وسجن ولي عهده سليمان بن هشام لنصحه إياه في الاعتدال والاستقامة والعمل على حرمة الحُكم ومصلحة الشعب[1]

وبعد مقتل عبد الرحمن شنجول، وإعلان المهدي نفسه خليفة، ظهر أحد أفراد البيت الأموي، وهو هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، أحد أحفاد الناصر، منافساً للمهدي على الخلافة، وانضمت إليه طائفة من العبيد العامريين وطوائف من المغاربة وتلقب بالرشيد، وكان ظهوره في الخامس من شوال عام 399هـ/3 أيار 1009م، وتقدم هشام بن سليمان من القصر الخلافي، مطالباً المهدي بالتخلي عن الخلافة، ولكن العامة في قرطبة انضموا إلى المهدي وناصروه. ودارت معركة بين الطرفين انهزم فيها هشام بن سليمان (الرشيد)، ووقع الأخير وولده وأخوه وبعض أتباعهم في الأسر، فقتلهم المهدي جميعاً [2]، ومن ثم كانت المذبحة التي نفذها المهدي وأتباعه في المغاربة، وكان رد فعل هؤلاء المغاربة أن أعلنوا الثورة على المهدي، وبايعوا بالخلافة أميراً أموياً منافساً له هو ابن عمه، سليمان بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر وتلقب هذا بالمستعين[3]

وهكذا بدأت الحرب بين الحزبين، الحزب الأندلسي بزعامة المهدي، وكان هذا الحزب يضم البلديين من العرب والمولدين وعوام قرطبة، إضافة إلى الصقالبة الناقمين على العامريين والمناوئين لهم، بخلاف الصقالبة الذين تعرضوا للاضطهاد والنفي على أيدي أصحاب المهدي، فلاذوا بشرق الأندلس وبرز من هؤلاء الصقالبة[4] الذين انظموا إلى المهدي، واضح الفتى.

أما الحزب الثاني فتّكون من العناصر المغربية التي التفت حول سليمان المستعين.

التقت جيوش المهدي المتحالفة مع واضح الفتى أمام جيوش المستعين وأتباعه من المغاربة في موقعتين:

- الأولى: موقعة شرنبة (Jarama)[5] ودارت على مقربة من قلعة عبد السلام (Alcala de Henares)[6] في ذي الحجة 399هـ /آب1009.[1]

---

(1) حومد ، أسعد: **محنة العرب في الأندلس**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1988م، ص89.

(2) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص79 وما بعدها؛ المقري: **نفح الطيب**، ج1 ص409.

(3) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص82؛ المقري: **نفح الطيب**، ج2 ص 26-27؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص113 وما بعدها.

(4) إسماعيل، أحمد: **دويلات الصقالبة العامريين شرق الأندلس**، رسالة ماجستير، الإسكندرية، 1992م، ص136.

(5) شرنبة (Jarama): اسم نهر عند قلعة (Nueva)، والأخيرة ضاحية من ضواحي مدريد، جداوله متعددة آتية من سلسلة جبال إقليم طليطلة، ومن سفح هضبة (Cebollero) التي تفصل ما بين مدريد ووادي الحجارة.
Enciclopedia Universal Ilustrada, europeo Americana, Madrid, 1992, t. 28, P. 2540.

(6) قلعة عبد السلام (Alcala de Henares): شمال نهر شرنبة (Jarama). أما نهر (Henares) فيمر عند قلعة (Nueva) وهذا النهر ينبع من مقاطعة وادي الحجارة.
Enciclopedia Universal Ilustrada, Madrid, 1993, T. 27, P. 1058.

و-الثانية دارت على سفح جبل قُنتيش [2] في 11 ربيع الأول من العام 400هـ/5 أيلول 1009م، انهزم فيها واضح الفتى قائد جيش المهدي، وأدت هذه المعركة إلى انتصار المغاربة، وفرار واضح العامري إلى مدينة سالم، بينما فرّ المهدي إلى طليطلة، واتصل واضح من موقعه بالثغر، بالقوس رامون بوريل الثالث (Ramon Borrel III) قومس برشلونة وأخيه أمير أرقلة (أرمنجول الذي يسميه العرب أرمنتد)، واتفق معه على أن يساعد المهدي بقواته الإفرنجية في مقابل أن يتنازل له المهدي عن مدينة سالم [3][4]، إضافة إلى جملة من الشروط تم الاتفاق عليها، وهي:

- أن يقدم العرب لقواتهما الطعام والمؤن.
- أن يتقاض كل من الأميرين مئة دينار في اليوم.
- أن يتقاض كل جندي ديناراً في اليوم.
- أن يستولي الإسبان على ما يغتنمونه من سلاح المغاربة وأموالهم.

التقى المهدي وحلفاؤه مع جيوش المستعين في موضع يعرف بـــ"عقبة البقرة " أسفر عن هزيمة المستعين وأتباعه وفرارهم إلى شاطبة [5] ثم عاد فالتقى الفريقان أي جيش المهدي وحلفاؤه من جهة، والمغاربة من جهة أخرى في وادي آره(Guadiaro) في 6 ذي القعدة سنة400هـ/21 آب 1010م، وفي هذه المعركة انهزم المهدي هزيمة شنعاء وقتل المغاربة عدداً كبيراً من حلفائه الصقالبة، وتراجع المهدي إلى قرطبة[6]، وعاد المستعين من شاطبة ليلحق بأعوانه المغاربة المنتصرين[7].

وجدير بالذكر أنه عقب هزيمة المهدي في هذه الموقعة (وادي آره)، حدث تطور بارز في موقف الصقالبة الفارين إلى شرق الأندلس، وكذلك الصقالبة الذين كانوا قد بدؤوا تأييداً للمهدي وعلى رأسهم واضح الفتى، إذ أن واضح سرعان ما نقم على المهدي، وتذكر ما فعله بهشام

---

(1) ابن عذاري: مصدر سابق،ج3 ص87؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص113.
(2) قُنتيش: اسم جبل عند وادي الحجارة، من أعمال طليطلة. ياقوت: **معجم البلدان**، ج 4 ص 456؛ وحول هذه المعركة راجع ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص 88-89.
(3) ابن عذاري مصدر سابق،ج3ص 94؛ ابن الخطيب:**أعمال الأعلام**، ص114؛ حومد: مرجع سابق، ص91.
(4)مدينة سالم: مدينة بالأندلس وهي من أعظم المدن وأكثرها شجراً وماءً. ياقوت: **معجم البلدان**، ج3 ص194.
(5) أشار ابن الأثير في الكامل أنهم خرجوا إلى شرق الأندلس. ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997م،ج7 ص 352؛ أما ابن عذاري وابن الخطيب يذكران اسم شاطبة عندما يتحدثان عن هزيمة المستعين وفراره هو ومن معه. ابن عذاري: مصدر سابق، ج 3 ص95؛ ابن الخطيب:**أعمال الأعلام** ،ص115؛ **Huici Miranda: Historia Musulmana de Valencia ,T.1,P.136**
(6) حول تفاصيل هذه المعركة، راجع: سلامة، إبراهيم عبد المنعم: **الأندلس بين سقوط الدولة العامرية ونهاية الخلافة الأموية399-422 هـ/1009-1030م**، رسالة ماجستير، الإسكندرية، 1993م، ص230-236.
(7) ابن عذاري: مصدر سابق،ج3 ص 96.

المؤيد، وبآل المنصور بن أبي عامر [1].

كان المهدي قد قبض على هشام المؤيد، وسجنه في قصره [2]، وأعلن المهدي أن هشاماً قد توفي ودفن، وكان ذلك في 27 شعبان 399هـ/ نيسان 1009م، ولكن بالحقيقة لم يمت هذا الرجل بل قام المهدي بذلك ليخلو له الطريق إلى سدة الحكم[3].

أما صقالبة شرق الأندلس وعلى رأسهم واضح وخيران[4] فقد انسحبوا إلى شاطبة، وقدم جماعة جماعة منهم إلى قرطبة وعلى رأسهم خيران، فاتفق الأخير مع واضح الفتى على الغدر بالمهدي والالتفاف حول هشام المؤيد، فأخرج واضح الفتى هشام المؤيد من السجن وأعاده إلى كرسي الحكم إرضاءً للمغاربة. وأمر بقتل المهدي، وتولى قتله عبد من عبيد العامريين، يعرف بالشفق وكان ذلك يوم الأحد 8 ذي الحجة 400 هـ /23 حزيران1010م، وأعلنت خلافة هشام المؤيد مرة أخرى، وبهزيمة المهدي ومقتله عام 400هـ/1010م، استعاد الصقالبة نفوذهم وأصبح الخليفة هشام المؤيد ألعوبة في أيديهم وأيدي العامريين، وتولى واضح الحجابة للخليفة هشام المؤيد، ثم كتب واضح إلى المغاربة يدعوهم للدخول في طاعة هشام المؤيد، ولكنهم رفضوا طلبه، وأرادوا الثأر منهم عما فعلوه بهم، فهاجم المغاربة شقندة[5] وفج المائدة[6]، ثم دخلوا مدينة الزهراء[7] في 24 ربيع الأول عام401هـ/ 4 أيلول 1010م، وزحفوا على أرباض قرطبة، وشددوا الحصار على المدينة حتى ضاق الأمر بالناس، فعاد واضح لمراسلتهم باسم الخليفة هشام المؤيد يرغبهم في المصالحة وبدء عهد جديد، ولكن المغاربة بزعامة سليمان المستعين رفضوا ذلك العرض، وقام المستعين بتمزيق كتاب واضح قبل أن يقرأه، وأدرك الأخير أن الأمر ميؤوس منه فأراد الهرب سراً إلى الشمال، ولكن الجند بقيادة أحمد بن وداعة[8] قتلوه في15 ربيع الأول402 هـ/16 تشرين الأول1011م[1].

---

(1) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص 96-97.

(2) حومد: مرجع سابق، ص89.

(3) مؤنس، حسين: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، 1980م، ص 356.

(4) هو خيران الصقلبي العامري وكان من جملة فتيان ابن أبي عامر، فلما تخربت الخلافة وانشقت عصا الأمة، استقل خيران في مدينة ألمرية وأعمالها وانضوى إليه جميع فتيان محمد بن أبي عامر ودبر أمر ألمرية إلى أن هلك عام 419هـ/1028م. ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص 96، 166.

(5) شقندة(Secunda): من قرى قرطبة. المقري:**نفح الطيب**، ج1 ص228؛ج3 ص 381.

(6) فج المائدة: الفج هو الطريق الواسع بين جبلين وجمعه فجاج. ياقوت: **معجم البلدان**، ج4 ص 267، وفج المائدة هو أحد الحصون الكثيرة المنتشرة على جبل الشارة من شرق الأندلس إلى غربها. راجع أبو الفداء: **تقويم البلدان**، دار صادر، بيروت، ص 170.

(7) مدينة الزهراء: مدينة عظيمة مدرجة البنية، أنشأها أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب بالناصر أحد ملوك بني أمية بالأندلس، بالقرب من قرطبة على بعد نحو خمسة أميال عام 325هـ / 936م. الإدريسي: مصدر سابق، م 2 ص 579-580؛ المقري: **نفح الطيب**،ج 2 ص 64-65.

(8) كان أحد الرؤساء المشايعين لسليمان المستعين فحارب في صفوفه، وأقدم هو وجنده على مقتل واضح واحتزوا واحتزوا رأسه وطافوا به في قرطبة، في حين ألقوا بجسده في رصيف قرطبة في الموضع نفسه الذي ألقى منه جسد

ثم عادت وتجددت المعارك بين الطرفين إلى أن كانت المعركة الحاسمة التي انتصر فيها سليمان المستعين والمغاربة واقتحموا قرطبة وفتكوا بأهلها في شوال عام 403هـ/ أيار 1012م، وتسلم المغاربة السلطة الفعلية في قرطبة، عندئذ خشي الفتيان العامرية من سوء العاقبة بعد مقتل واضح، ولما رأوا غلبة المغاربة على السلطة في قرطبة الجديدة توجسوا خيفة ولاذوا بالفرار إلى المناطق الآمنة بشرق الأندلس[2]، لبعدها عن قرطبة فأنشؤوا دويلاتهم الصقلبية هناك. وكان ذلك بداية انهيار الخلافة الأموية بالأندلس وتكريساً لبداية عهد جديد من التفكك السياسي والتفتت العنصري إلى كيانات طائفية، وقد عبر ابن الخطيب عن أحوال الأندلس آنذاك بقوله: "وذهب أهل الأندلس من الإنشقاق والانشعاب والافتراق إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار، مع امتيازها بالمحل القريب والخطة المجاورة لعباد الصليب، ليس لأحدهم في الخلافة إرث ولا في الإمارة سبب، ولا في الفروسية نسب، ولا في شروط الإقامة مكتسب، اقتطعوا الأقطار واقتسموا المدائن الكبار، وجبوا العمالات والأمصار وجندوا الجنود، وقدموا القضاء، وانتخبوا الألقاب"[3].

وهكذا تولّد عن انهيار الخلافة الأموية بقرطبة وسقوطها دويلات صغيرة متنازعة فيما بينها، استقل كل أمير بناحيته، ودخلت البلاد عصراً جديداً هو عصر دويلات الطوائف أو عصر الفرق كما يسميه ابن الكردبوس[4].

وأيا كان نوع هذه الطوائف وعددهم فمن الأهمية بمكان القول: إن المغاربة استأثروا بحكم مناطق متعددة من الأندلس وترأسهم بنو زيري الصنهاجيون في غرناطة، وبنو حمود الأدارسة في مالقة[5]، وبنو النون في طليطلة، وبنو الأفطس في بطليوس[6]، وبنو يفرن في تاكرونا[7]، وبنو

ابن عسقلاجة والمهدي. وحاول هشام المؤيد استرضاءه فولاه شرطة المدنية فاشتد على أهل الريب وهابه جنده. ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص105.

(1) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3ص104؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص 118.

(2) ابن عذاري: مصدر سابق،ج3 ص 115؛ ابن الخطيب:**أعمال الأعلام**،ص 119.

(3) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص 144. وعن نشوء دويلات الطوائف، راجع ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج 7 ص 628 وما بعدها؛ المراكشي: مصدر سابق، ص 70؛ المقري: **نفح الطيب** ،ج1 ص 413؛ وأيضاً Hussain Monés: **Essai sur la chûte du califa Umayyade en 1009,** le caire, 1948, pp.278-282.

(4) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص78.

(5)مالقة (Malaga): مدينة بالأندلس على شاطئ البحر المتوسط، اشتهرت بالتين والرمان، تبعد عن غرناطة ثمانين ميلاً، ومنها إلى قرطبة مائة ميل. الإدريسي: مصدر سابق، م2 ص565، 570، 580.

(6)بطليوس: (Badajoz) مدينة بالأندلس، لها ربض كبير، وهي على ضفة نهر يسمى أَلفَوْر بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي. ومن بطليوس إلى إشبيلية ستة أيام، ومنها إلى قرطبة ستة مراحل. الحميري: مصدر سابق، ص46.لقد حدد عبد الواحد المراكشي مسيرة اليوم التام بأربعين ميلاً، ومسيرة اليوم برفق بعشرين ميلاً . المراكشي: مصدر سابق ، ص371.

(7)تاكُرُونَّا (تاكرونة): من أعمال شذونة بالأندلس، ياقوت: **معجم البلدان**، ج2 ص7.

ذي برزال في قرمونة[1]، وبنو دمر وأزداجة في شذونة[2] ومورور، وبنو رزين في السهلة[3].

أما عرب الأندلس، فقد أسسوا عدة دويلات، أهمها: مملكة إشبيلية [4] وحكمها بنو عباد، ومملكة سرقسطة وترأسها بنو هود، ومملكة ألبونت [5] وتزعمها بنو قاسم الفهري، ومملكة قرطبة وحكمها بنو جهور.

ومن جهة أخرى، فقد اختص العامريون والصقالبة بشرق الأندلس، ففي ألمرية [6] تملك خيران ثم زهير العامريان [7]، وفي دانية والجزائر الشرقية (جزر البليار) تملك مجاهد العامري ثم ولده علي، وفي بلنسية تغلب مبارك ومظفر العامريان (الصقلبيان) وخلفهما لبيب الفتى (الصقلبي) ومجاهد العامري ثم بنو المنصور بن أبي عامر[8].

ولقد سعى كل من هؤلاء الملوك على أن يستند في مملكته إلى سند شرعي يستمد منه سلطانه، فمجاهد العامري أقام خليفة قرشياً من أشراف قرطبة ينتسب إلى المروانيين يدعى أبا عبد الله المعيطي

---

(1)قرمونة (Carmona): مدينة بالأندلس، شرق إشبيلية. الإدريسي: مصدر سابق، م2 ص537، 572- 573، **المقري: نفح الطيب** ج1 ص156.

(2)شذونة (Sidonia): مدينة بالأندلس متصلة بكورة مورور. الإدريس ي: مصدر سابق، م 2 ص 537، 572، **المقري نفح الطيب**: ج1 ص142.

(3) السهلة: هي شنتمرية الشرق، وتسمى أيضاً (Albarracín)، تقع جنوب الثغر الأعلى (سرقسطة)، وشمال شرق الثغر الأوسط (طليطلة)، وسط سهل خصب من الأرض بين بلنسية وسرقسطة، يحدها شرقاً جبال بني رزين، المقري: **نفح الطيب**، ج1ص 133، 164.

(4) إشبيلية (Sevilla): مدينة بالأندلس، عامرة على ضفة نهر قرطبة، وبها سوق وتجارات من أعمالها: قرمونة، شذونة، مورور، قلعة ورد، أركش، أشونة، جزيرة طريف، الجزيرة الخضراء، رُندة، لبلة أونبة.

ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1964، ج1 ص237؛ المقري: **نفح الطيب**، ج1 ص157- 158، 164.

(5)ألبونت (Alpunte): يقول الحميري بأنها قرية صغيرة من أعمال بلنسية، أما ابن سعيد فقد وصفها بأنها معقل من المعاقل المنيعة، وقد استقل بها بنو قاسم في عصر ملوك الطوائف. ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب** ، ج2ص395؛ الحميري: مصدر سابق، ص56. وسترد ترجمة ضافية لهذا الموقع من بعد.

(6)ألمرية (Almeria): تقع على ساحل الجنوب الشرقي للأندلس بين مالقة ومرسية، وكانت من أهم القواعد البحرية الأندلسية في العصر العربي أنشأها الخليفة عبد الرحمن الناصر عام 343هـ /955م، واشتهرت بحصانتها وبصناعة الحلى والديباج والحرير. الإدريسي: مصدر سابق، م 2 ص561-562-563؛ أبو الفداء: مصدر سابق، ص 174؛ سالم: **تاريخ مدينة ألمرية**، ص13- 16، 31؛ El Sayed, Abdel Aziz Salem: **Algunos aspectos del Florecimiento economico de Almeria islamica,** instituto Egipcio des estudios islamicos ,Madrid, 1979, pp.7-8,14

(7) زهير العامري: تولي أمر ألمرية بعد وفاة خيران عام 419هـ/1028م، من موالي المنصور بن أبي عامر، ومن ملوك الطوائف،وملك شاطبة إلى طليطلة، وكان حليف حبوس والد باديس (سيترجم لهما لاحقاً). ثم صار من ألد أعداء ابنه باديس فقتله عام 429هـ/1037م. ابن بسام: مصدر سابق، م1 ص 408؛ ابن خلدون: مصدر سابق، ج4 ص 208.

(8) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص 144-145؛ سالم : **تاريخ مدينة ألمرية** ص 57؛ Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**,T.1, P.136.

نصبه بمملكته في دانية وجزر البليار ولقبه بالمنتصر بالله في سنة405هـ /1014م[1]، ومملكة إشبيلية دعت لأحد أشباه هشام المؤيد، ويدعى خلف الحصري[2]، استقدمه أبو القاسم محمد بن عباد وبايعه بالخلافة[3].

في حين تشبه عدد كبير من ملوك الطوائف بالخلفاء العباسيين فتلقبوا بألقاب الخلافة وكان ذلك مثاراً لسخرية الشعراء والكُتّاب في ذلك العصر مثل قول الشاعر ابن رشيق[4]:**(البسيط)**

مـــمّا يُزَهدني في أرضِ أندلسٍ أَسْمَاءُ مُعْــتَضَدٍ فيـــها ومُعْتَمَدِ

ألقابُ مملكةٍ في غيرِ موضِعِها كالهِرِّ يَحْكي انتِفَاخَاً صُوْرَةَ الأسدِ [5]

كان هذا عرضاً للأحداث التي أطاحت بالخلافة الأموية، وبذلك يمكن الخروج بعدة ملاحظات ومنها:

1"- فيما يتعلق بالأمويين: ذهبت بعض الآراء إلى تحميل محمد بن عبد الجبار المهدي مسؤولية اندلاع الفتنة، ومن هؤلاء ابن الأبار فقال:" محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن بن الناصر باعث الفتنة بالأندلس وموقد نارها الخامدة، وشاهر سيفها المغمد". [6] أما ابن عذاري فيقول:" فكان هذا من فعل السفيه ابن عبد الجبار، ورأيه سبب الفساد والفتنة العظيمة الطويلة التي يسميها أهل الأندلس بالفتنة البربرية، ولو سموها بفتنة بن عبد الجبار لكان الأحق والأولى"[7] ومن المعاصرين نجد حمدي عبد المنعم يحمل محمد بن عبد الجبار مسؤولية الفتنة أيضاً[8].

لقد قدمت المصادر بعضاً من ملامح تلك الشخصية التي تميزت بالاستهتار والمجون والحقد والتسرع؛ " فقد كان يعاشر في مدة استهتاره قوماً من الصعاليك" [9]، وهذا ما جعله يفتقد إلى الحكمة والتأني والذكاء وهي شروط ضرورية للحاكم. إضافة إلى ذلك فقد حقد على المغاربة

---

(1) ابن عذاري: مصدر سابق، ج 3 ص116؛ سالم، السيد عبد العزيز: **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس** ؛ بيروت،1971م،ج1ص88.

(2) ابن عذاري: مصدر سابق،ج3 ص244.

(3) ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2 ص 34،ترجمة رقم 118؛ ابن عذاري: مصدر سابق،ج3ص244.

(4) هو أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني، أحمد الأفاضل البلغاء، وقد ذكر ابن بسام أنه ولد بالمسيلة ثم ارتحل إلى القيروان، وقال غيره أنه ولد بالمهدية عام 390هـ /1070م. ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق مريم قاسم طويل، ويوسف علي طويل ، ط 1، دار الكتب العلمية، 1998م، ج2 ص 69-70، ترجمة رقم 165.

(5) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**،ص144.

(6) ابن الأبار: **الحلة السيراء**،ح2ص5.

(7) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3ص76.

(8) حمدي، عبد المنعم: **دولة بني برزال بقرمونة**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990م، ص28.

(9) النويري: مصدر سابق، ج23 ص 411.

الذين ساندوا العامريين [1]، ولم يدرك أن المغاربة قوة يمكن الاستفادة منها لدعم سلطانه، ويستخدمهم مرتزقة كما استخدمهم من سبقه، وبالإساءة إليهم بدأت الأمور تفلت من يده، وقد أشير إلى ذلك.

أما باقي زعماء الأمويين، فقد كان كل واحد منهم يفكر في نفسه ويرغب في نيل الخلافة لنفسه دون غيره، وهذه كانت من سمات الضعف لدى بني أمية، وهذه السمة دفعتهم إلى الاستهتار بالفضائل والقيم الدينية والخلقية، والتخبط في شؤون الحكم وإدارة البلاد [2]، وهذا الضعف جعلهم يشجعون المغاربة على التحرك في البداية في شخص هشام بن سليمان بن هشام ابن الحكم. ويبدو أن هذه الشرعية من العوامل التي شجعت المغاربة على تحركاتهم.

هذا وتحتفظ بعض المصادر بصور من المعاملة التي عومل بها الأمويون في ظل الحكم العامري، فالنويري يشير إلى أن المنصور " تخوف من بني أمية أن يثوروا به فأخذ في تقتليهم صغاراً وكباراً حتى أفنى من يصلح منهم للولاية، وفرق الباقين في البلاد والبوادي"[3]. وقبل موته موته أوصى ابنه عبد الملك بالحفاظ على هذه المعاملة[4].

وبذلك يمكن القول: إن ضعف البيت الأموي وغياب الرجال الأَكْفاء كان نتيجة مباشرة للاستبداد العامري.

إضافة إلى ذلك فقد كان من سمات بني أمية أثناء الفتنة استعانتهم بالإسبان في الصراع على عرش الخلافة، مما قضى على هيبة الخلافة، وقد دلّ ذلك على ضعف الحماس الديني لدى هؤلاء الخلفاء، فاستهان بهم الناس وأصبحوا لا ينظرون إليهم كما كانوا ينظرون من قبل إلى الناصر أو المستنصر.

2- أما فيما يتعلق بالمغاربة، فكانوا ينظرون إلى أنفسهم كمرتزقة يخدمون الخلافة، ولا يرتبطون بأحد، لهذا رأيناهم يتخلون عن عبد الرحمن شنجول ويلتحقون بالمهدي الثائر بقرطبة. إلا أن أهل الأندلس لم يدركوا الأمور بهذه الصورة، وحملوا المغاربة تبعات ما لحقهم من متاعب الاستبداد العامري، وفي ذلك يقول ابن حيان إن المغاربة اعتدوا على البلاد" اعتداء أصارهم إلى ما هم الآن بصدده: من إبطال الخلافة وتفريق الجماعة والتمهيد للفتنة والإشراف بالجزيرة على الهلكة"[5].

---

(1) ابن خلدون: مصدر سابق، ج4 ص192.
(2) ابن بسام: مصدر سابق ، م1ص592-593.
(3) النويري: مصدر سابق ، ج23 ص 406 .
(4) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص81-82.
(5) ابن حيان: مصدر سابق، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، ص 193.

هذا وقد ظهر الحقد القديم للمغاربة خلال تلك الفترة واضحاً؛ فالخلفاء يسيئون معاملتهم وتكرههم العامة، وأكثر من ذلك فإن العداء للمغاربة تخطى عقليات العامة البسيطة، فإذا بالعلماء والمشايخ أكثر تعصباً ضد المغاربة. فأحد العلماء "استقبلهم شاهراً سيفه يناديهم إلي! إلي! يا حطب النار، طوبى لي إن كنت من قتلاكم، حتى قتلوه" [1].

واعتبر أهل الأندلس كل من قتله مغاربياً شهيداً؛ فابن بشكوال يشير إلى أحد العلماء بقوله: "ثم ختم الله له آخر ذلك كله بالسعادة فقتله المغاربة يوم تغلبهم على قرطبة"[2]. وقد مات عدد كبير من العلماء وهم يقاتلون المغاربة مع المهدي أو دفاعاً عن قرطبة عام 403هـ/ 1012م.

هذه الأحقاد كلها كانت تدفع المغاربة إلى الدفاع عن أنفسهم، وكان طبيعياً أن يقابلوا العنف بالعنف، بحيث قتلوا الآلاف أثناء دخولهم قرطبة.

فمن الأهمية بمكان القول: إن دورهم في الفتنة جاء عفوياً، وتطور نتيجة أحقاد ومواقف المهدي وأهل قرطبة.

وأخيراً وليس آخراً يمكن القول: إن الفتنة التي اندلعت بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، كانت نتيجة أساسية للاستبداد العامري الذي أضعف البيت الأموي، وزرع الحقد في النفوس، الذي انعكس على المغاربة، فكانوا ضحية الحقد والاستبداد ودُفعوا إلى هذه الحروب التي لم يكونوا سبب اندلاعها.

3- الصقالبة: من المعروف أن معظم هؤلاء ينتسب إلى بني عامر، وقد خاضوا غمار الفتنة. وهؤلاء ومن خلال توالي الأحداث وتتابعها تبين لنا أن الصقالبة انقسموا إلى قسمين:

القسم الأول: وكان يتكون إما من الموالين لعبد الرحمن شنجول والعامريين وعلى رأسهم كبير فتيان القصر واضح الذي حذر شنجول من عواقب الخروج للغزو في تلك المرحلة الحرجة، وهؤلاء الفتيان هم الذين تعرضوا لاضطهاد المهدي عندما استولى على القصر الخلافي بقرطبة؛ فطرد بعضهم ونفاهم إلى شرق الأندلس، أو من الذين فروا إلى شرق الأندلس بعد أن اندلعت الفتنة وانقلبوا على العهد الجديد طلباً للهرب من الحرب الداخلية في قرطبة وخوفاً من اضطهاد المهدي وأنصاره، ومن هؤلاء مجاهد العامري الذي تغلب على دانية والجزائر الشرقية، ولبيب الذي تغلب على طرطوشة، ومبارك ومظفر العامريان اللذان حكما بلنسية، ولبيب [3] الذي تغلب

---

(1) ابن بشكوال: مصدر سابق، مطبعة روفس، مدريد، 1882م، ق2 ص460.
(2) المصدر السابق، ق2 ص 460.
(3) تجدر الإشارة إلى أن الأمر قد اختلط بسبب التشابه ما بين اسمي نبيل ولبيب، ولاسيما وأن العملة التي عثر عليها كان قد نقش عليها اسم نبيل، مما جعل البعض يؤرخ أن نبيل هو الذي استقل بطرطوشة منذ بداية عصر الطوائف. غير أنه يبدو أن لبيباً هو الذي استقل بطرطوشة عند قيام دويلات الطوائف وليس نبيل، إذ أن هذا الأخير

على شاطبة التي ستنضم إلى بلنسية في عهد مبارك ومظفر، وخيران الذي حكم ألمرية ومرسية وأوريولة[1] عام 399هـ/1008م[2].

القسم الثاني:

هم الصقالبة المناوئين للعامريين، ومن أبرزهم بشر الفتى الذي اعتمدت عليه الزلفاء للانتقام من شنجول قاتل ولدها عبد الملك المظفر وبعض الفتيان الذين اتخذوا مواقف مناهضة لعبد الملك بن المنصور، وفئة مؤيدة للمهدي محمد بن هشام، انضمت إليه منذ اللحظة الأولى وعلى رأسهم واضح الفتى صاحب طليطلة والثغر الأوسط.

أما سبب اختيار الفريق الأول من الفتيان الصقالبة لشرق الأندلس[3]،للاستقرار فيه هو أن هذه المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة الإيبيرية كانت أكثر المناطق الأندلسية أمناً، فضلاً على أنها كانت مركزاً اقتصادياً للصقالبة[4]، زد على ذلك أن الصقالبة لم يجدوا أي صعوبات في التعايش مع سكانها ولا سيما أن معظم سكان شرق الأندلس كانوا ينتمون إلى أصول إسبانية رومانية، قربتهم العناصر الصقلبية[5].أما العناصر المغربية التي كانت تستوطن بعض مدن شرق الأندلس منذ أن سيطر عامر بن أبي جوشن

كان آخر من تولى حكم طرطوشة من الفتيان العامريين، فقد سلمها للمقتدر بن هود عام 452هـ /1060م، أثر فتنة نشب بها. وبذلك يمكن القول إن نبيلاً كان من معاصري المنصور عبد العزيز بن أبي عامر. أما لبيب الفتى فكان يعاصر مبارك ومظفر العامريان. راجع، ابن عذاري: مصدر سابق، ج 3 ص 163؛ ابن الخطيب **أعمال الأعلام**، ص226 ؛ وراجع:. Prieto y vives**: Los Reyes de taifas, Madrid,1926.,** p.37.

(1) أوريولة أو أريولة (Orihuela): من أعمال مرسية، على ضفة النهر الأبيض.. ولها قنطرة وقصبة في نهاية الامتناع، ولها بساتين وجنات وبها فواكه متنوعة وبين أوريولة والبحر عشرون ميلاً، وبينها وبين مرسية اثنا عشر ميلاً. الإدريسي: مصدر سابق،م2 ص557-558؛ أبو الفداء: مصدر سابق، ص179.

(2) عنان: **دول الطوائف**، ص 158. تجدر الإشارة إلى أن مجاهد قد أسهم في أحداث الفتنة منذ اندلاعها مع كل من واضح وخيران وزهير، وكان من مؤيدي المهدي محمد بن عبد الجبار، وغيرهم من الفتيان العامرية، وكان من بين الذين خذلوا عبد الرحمن شنجول في بداية الأمر وتخلوا عنه، عندما تبين لهم أنه ليس بالحاكم الذي يستطيع أن يحفظ لهم مكاسبهم ومكانتهم التي حققها لهم المنصور والمظفر. ولكن المهدي ما إن طردهم إلى شرق الأندلس، حتى انقلبوا عليه وعلى رأسهم مجاهد. أما واضح فقد بقي مؤيداً للمهدي لفترة لاحقة ثم انقلب هو الآخر بدوره على المهدي. ابن بسام: مصدر سابق، ج3 ص 7، 11-12.

(3) عبر أحد الشعراء عن الوضع بشرق الأندلس، عند قيام دويلات الطوائف بقوله(الرجز):

وَثَـارَ فـي شَرْقِ البـلادِ الفِتْيَانُ — العـامـرّيون ومنهم خيرانُ

ثـمّ زُهيـر والـفـتـى لـبيـــبٌ — و مـنـهُمُ مجاهدُ اللبيـبُ

سلطـانُـهُ رسـا بمـرسى داني ةْ — ثـم غـزا حتّى سـردانـيـة

ثـم أقـامَـت هـذه الصّـقـالبـ ةْ — لابن أبي عامرهم بشاطبة

و جعـل مــا مُلّكَهُ بلنــسيـ ةْ — و ثـار آلُ طاهرٍ بمـرسية

ابن بسام : مصدر سابق، م1 ص593.

(4) إسماعيل: مرجع سابق، ص 48.

(5) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia** ,T.1, pp.72-74,136.

وقبيلته على شاطبة وثغر بلنسية؛ فيبدو أنهم (المغاربة) تعاطفوا مع هؤلاء الفتيان الذين فروا من أخطار التعرض لنقمة المهدي وأتباعه، إذ أن المهدي كان قد سارع إلى الانتقام من هذا الفريق الصقلبي وعلى أمثالهم من مغاربة قرطبة.

2- تسميتها:

بَلَنْسِيَة: بفتح الباء الموحدة وفتح اللام وسكون النون وكسر السين المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها، وبعدها هاء ساكنة[1].

لقد حباها الله بميزات عدة،ومنها: وفرة المياه وخصوبة التربة، فكانت مصدر إعجاب للكثيرين وهذا يفسر ما أطلق عليها من تسميات منها " مدينة التراب" [2]. ويبدو أن سبب هذه التسمية لأنها بنيت على أرض تكونت من رواسب نهرية لا تعتمد على أسس صخرية صلبة. [3] وقد ساعد ذلك على خصوبة تربتها ووفرة محاصيلها الزراعية.

وسميت أيضاً "مَطِيب الأندلس" [4]، والمطيب عند أهل الأندلس باقة من الورود والأزهار والرياحين، مما يدل على كثرة بساتينها وجناتها التي ما تزال تشتهر بها حتى الآن، ولقد ورث الإسبان في العصر الجديد هذه التسمية من العرب فأطلقوا عليها اسم بستان إسبانيا [5]، كذلك أطلق أطلق عليها الجغرافيون العرب اسم "بستان الأندلس" [6]، لكثرة بساتينها التي تحيط بها من كل ناحية، والمنازه التي تطرز واديها الأبيض (Guadalaviar) أحد روافد نهر (Turia)، وقد أشار الحميري إلى ذلك بقوله: "وهي (بلنسية) على نهر جارٍ ينتفع به، ويسقى المزارع، ولها عليه بساتين وجنات وعمارات متصلة"[7].

3- موقعها:

كانت بلنسية في العصر العربي قاعدة من أهم قواعد الأندلس، ومقراً للعمال، ومركزاً للكورة التي كانت تسمى باسمها[8].

وتقع مدينة بلنسية في إقليم شرق الأندلس (El Levante) على مسافة ثلاثة أميال من ساحل

---

(1) ابن خلكان: مصدر سابق، ج1 ص81.

(2) العذري: مصدر سابق، ص17؛ابن غالب: مصدر سابق، ص285.

(3) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, p.20.

(4) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب** ، ج2 ص 297؛ المقري **: نفح الطيب** ، ج4 ص194.

(5) Elias Teres: **Textos Poéticos Arabes Sobre Valencia,al Andalus**, V.3, Madrid, 1965-pp.292-295.

(6) ابن سعيد: **بسط الأرض في الطول والعرض** (كتاب الجغرافيا)، تحقيق إسماعيل العربي، ط 1، بيروت، 1970م، ص167.

(7) الحميري: مصدر سابق، ص47.

(8) الإدريسي: مصدر سابق،ج2ص556؛ ياقوت:**معجم البلدان** ج1 ص581؛ الحميري: مصدر سابق، ص47.

البحر الأبيض المتوسط[1]، وعلى خط الطول (1) غرباً، وعلى خط عرض (38) شمالاً، وهي برية بحرية[2]، وكان لها مرسى صغير يسمى جراو (Grao)[3]، ويحدها من الشمال طرطوشة، طرطوشة، ومن الجنوب دانية ومرسية، ومن الغرب طليطلة، وتطل بوجهها الشرقي على البحر الأبيض المتوسط "وهي (بلنسية) مدينة متمكنة الحضارة، جلية القدر"[4].

4- أوصافها:

افتخر المؤرخون، والجغرافيون، والشعراء، والأدباء، قدماء ومعاصرين بجمال بلنسية وفضائلها، وأشادوا بذكر محاسنها، ووصفوا بساتينها التي تروى من مياه (النهر الأبيض)، فهي تنعم بطبيعة ساحرة، وقد خصها الله بمناظر خلابة وتوافرت فيها المياه الرائعة والتربة الخصبة، فجعلها الجغرافي الشهير أحمد الرازي، ت344هـ /955م- الذي أعطى معلومات جغرافية مهمة عن بلنسية رغم ما تتسم به من إيجاز شديد- كورة لها خطة واسعة، ومدن حسنة لأهلها عظيمة، جمعت البر والبحر والزرع والضرع، ولها السهل والجبل[5]، ووصفها ابن حوقل بأنها مشهورة بالغلات والتجارات[6]، ووصفها العذري أيضاً وصفاً وصفاً دقيقاً، فعرّف بأهمية بلنسية؛ فأشار إلى أنها كانت من أشهر الحواضر وأهمها في الأندلس، وأنها قاعدة من قواعد العمال القديمة، والكورة تنسب إليها[7]، وقال الإدريسي بأنها في مستو من الأرض[8].

ووصفها القزويني بأنها " طيبة التربة ينبت بها الزعفران ويزكو بها" [9]. وفي بلنسية قال ابن سعيد " مطيب الأندلس، ومطمح الأعين والأنفس وقد خصها الله بأحسن مكان وحفها بالأنهار والجنان، فلا ترى إلا مياهاً تتفرع، ولا تسمع إلا أطياراً تسجع، ولا تستنشق إلا أزهاراً تَنْفَح، وما أَجَلْتَ لحظاً بها في شيء إلا قلت هذا أملح.."[10]

وقال الحميري بأنها".. على نهر جار، ينتفع به، ويسقي المزارع وعليه بساتين وجنات وعمارات متصلة، والسفن تدخل نهرها، وسورها مبني بالحجر والطوبى..."[11]

---

(1) الإدريسي: مصدر سابق، م2ص556؛ الحميري: مصدر سابق، ص47.
(2) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**،ج2ص298.
(3) ابن غالب: مصدر سابق، م1ج2 ص 285؛ Enciclopedia de la cultura Español, Madrid,1963.T.5, p.536.
(4) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**،ج2ص298.
(5) Levi provençal: **La derscription de l'Espagne d'ahmad AL-Razi Andalus**, Madrid, 1953,v.18, p.71.
(6) ابن حوقل: مصدر سابق، ج1 ص109.
(7) العذري: مصدر سابق،ص17-18.
(8) الإدريسي: مصدر سابق،م2 ص556.
(9) القزويني: مصدر سابق،ص513.
(10) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب** ،ج2ص297.
(11) الحميري: مصدر سابق، ص47.

وجاء في صبح الأعشى للقلقشندي بأنها "كثيرة التجارات"[1]. وذكر المقري بأن بها "منازه، ومسارح، ومن أبدعها وأشهرها الرصافة، ومنية ابن أبي عامر"[2]. ووَرَدَ في الموسوعة الفرنسية الفرنسية الإسلامية بقلم ليفي بروفنسال عن بلنسية ما يلي: بلنسية هي المدينة الثالثة في إسبانيا.. يبلغ عدد سكانها نحو 250 ألف نسمة وهي إلى الشرق من جزيرة الأندلس على بعد أربع كيلومترات من البحر المتوسط، ولها مرسى يُقال له جراو (Grao)...وبلنسية مركز ولاية وفيها رئاسة أساقفة، وموقعها يستجاب النظر في وسطها محرثها الخصيب الذي يشرب من نهر (Turia) أو النهر الأبيض كما كان يقول العرب. وبلنسية بخلاف قرطبة وطليطلة لم تفقد مكانتها الماضية بل زادها الدهر أهمية، ولا تزال إلى اليوم عاصمة شرق الأندلس، ويُقال لها بلنسية السيد (Valencia del cid) نظراً للدور الذي أدّاه السيد القنبيطور، هذا الرجل القشتالي في بلنسية[3].

هذا وقد تغنى الشعراء بجمال طبيعتها وسحر رصافتها وروعة حدائقها ورياضها؛ فقال ابن الزقاق البلنسي[4]: (الوافر)

بَلَنْسِيـــةٌ إذا فكـــّرْت فــيها	وفــي آيَــاتِهَا أَسْــنَى الــبلادِ
وأعظَـمُ شـاهِدي منها عَلَيهَا	بأنَّ جَمَـالَـها لِلعَـين بـادي
كسَـاها رَبُّـها دِيباجَ حُـسْنٍ	ولـها عَـلَمانِ مــن بَـحْرٍ وَوادي

وقال أبو الحسن بن حريق[5]:(الوافر)

بَلَنْسِيَــةٌ قرارةُ كــلِّ حُــسْنٍ	حديثٌ صَحَّ في شَرْقٍ وغَرْبٍ
فإن قــالوا: مَحَلٌّ غَلاَءٍ وسِعْرٍ	ومسقطُ دِيمتَيْ طَعْنٍ وضَرْبِ

---

(1) القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** ، تحقيق محمد بن حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1988م،ج3 ص246.

(2) المقري: **نفح الطيب**،ج1 ص175.

(3) أرسلان: مرجع سابق، ج3 ص49-50.

(4) ابن الزقاق: **ديوان ابن الزقاق**، تحقيق عفيفة ديراني، دار الثقافة، بيروت، 1964م، ص139، ولكن باختلاف يسير عما جاء في **نفح الطيب** للمقري،ج1ص176. ابن الزقاق هو علي بن عطية بن مطرف بن سلمة اللخمي: من أهل بلنسية، يعرف بابن الزقاق ويكنى أبا الحسن. عني بالآداب وامتدح الأمراء والرؤساء، وكان شاعراً مطبوعاً يتصرف كيف يشاء، ت 528 هـ/1133م، وقيل بعد الثلاثين ولم يبلغ الأربعين عاماً. ابن الأبار: **التكملة**،ج3 ص186-187.

(5) هو علي بن محمد بن أحمد بن سلمة بن حريق، شاعر بلنسي متبحر في اللغة والأدب، حافظ أشعار العرب. ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب** ،ج2ص318؛ ابن شاكر الكتبي: **فوات الوفيات**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1973م،م3ص64؛ المقري: **نفح الطيب**،ج1ص176.

فَقُــلْ هي جنـــةٌ حُفّتْ رُباها بَمكّــروهين من جُوعٍ وحَرْبِ

وكتب الوزير الشهير أبو الوليد بن زيدون (1) إلى الوزير أبي عبد الله بن عبد العزيز:

(مجزوء الكامل)

رَاحَتْ فَصَحَّ بهَا السّقِيمْ ريــحٌ مُعَــطَّرَةُ النّسِيمْ

مَقْبُــولَةٌ هَبّــتْ قَبُــولا فَهْيَ تَعْبَقُ في الشّمِيمْ

أَفضِيضُ [2]مِسْكُ أَمْ بَلَنْسِـــ يَةٌ لِــرَيّــاها نَمِــيمْ [3]

بَــلَدٌ حَبِــيــبٌ أُفــقُــهُ لِفَــتَىً يَحُــلّ بِهِ كَرِيمْ [4]

5- مناخها:

تتمتع المناطق الساحلية لمملكة بلنسية والأودية المحيطة بها، بمناخ حوض البحر المتوسط، الذي يتميز باعتدال شتائه ووفرة أمطاره، وصيفه الحار مع غلبة الجفاف[5].

أما المناطق الداخلية فمناخها قاري، بمعنى أن الشتاء أشد برودة والصيف أكثر حرارة مما هو على السواحل(6). هذا ما أشار إليه ابن سعيد حيث يقول"... ولها البحيرة التي تزيد في ضياء بلنسية صحو الشمس عليها. ويُقال: إن ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الأندلس، وجوُّها صقيل أبداً، لا ترى فيه ما يكدر خاطراً ولا بصراً، لأن الجنات والأنهار أحدقت بها، فلم يَثُرْ بأرجائها تراب من سَيْر الأرجل وهبوب الرياح، فيكدِّر جوها، وهواؤها حسن لتمكنها من الإقليم الرابع(7)".

---

(1) هو الوزير الشاعر أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون، من شعراء عصر الطوائف المشهورين، خدم لبني عباد بإشبيلية، وزار بلنسية نحو العام 440هـ/1048م، وقد قال هذه الأبيات عند مغادرته بلنسية راجع ابن خاقان: **قلائد العقيان**، ص70.

(2) الفضيض: المنتشر، البستاني: المعلم بطرس، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت،1983م، ص603.

(3) النميم: من نمت الرائحة، سطعت، البستاني: مرجع سابق، ص918.

(4)ابن زيدون: **ديوان ابن زيدون،** تحقيق كرم البستاني، بيروت،1851م،ص110؛ ابن خاقان: **قلائد العقيان،** ص74-75؛ ابن بسام: مصدر سابق، م1 ص227-228 ، وروايتها في هذه المصادر تختلف عما جاء هنا. راجع : المقري: **نفح الطيب**،ج4 ص240.

(5) المقري: **نفح الطيب،** ج1 ص134؛ مؤنس، حسين: **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس،** ط1، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، بمدريد، 1967م، ص 104؛ جودت، حسين: **جغرافية أوروبا الإقليمية** ، ط 1، الإسكندرية، 1970م، ص537.

(6) José Ibanez Martin: **Geografia de España**, Madrid,1931, p.71.

(7) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب،** ج2ص297-298.

6- سطحها:

تميزت مملكة بلنسية بأنها سهلية جمعت بين خصوبة التربة ووفرة المياه؛ فتربتها خصبة تكونت بفعل الرواسب النهرية[1]، فكان ذلك من العوامل التي أسهمت في ازدهار الزراعة في مملكة بلنسية وكثرة إنتاجها الزراعي عبر حقب التاريخ، ذلك أنه من مميزات إقليم المملكة كثرة مجاري وديانها وأنهارها، وإن كان بعضها يتعرض للجفاف أثناء الصيف،وأهم هذه الوديان: الوادي الأبيض (Guadalaviar)، ونهر شقر (Júcar)، وسيربس (Serpis)، وميخارس (Mijares)[2].

وتقع سهول المملكة البلنسية على ضفاف الأنهار، وتتميز بتربتها الخصبة، أما سواحل المملكة فهي منخفضة ورملية[3].

أما القسم الأعلى من سطح إقليم المملكة، فتكسوه السلاسل الجبلية التي تُعد امتداداً للسلسلة الإيبيرية الرئيسية، فإلى الشمال تمتد مرتفعات مربيطر[4]، وألبونت (بني قاسم) ، وفي جنوبها توجد مرتفعات لقنت[5]، وفي الغرب جبال بلنسية[6].

وقد ساعدت هذه المرتفعات على عزل إقليم مملكة بلنسية عن إقليم مملكة قشتالة وعن جنوب الأندلس، وأصبح لسكانها خصائص تختلف عن باقي المناطق المتاخمة لها سواء من حيث اللهجة أو من حيث النشاط الاقتصادي.

7- سهل بلنسية (La Huerta de Valencia):

إن سهل بلنسية، بالنسبة لإسبانيا، يدخل ضمن نطاق تاريخي، فهو عبارة عن أراضٍ لإقليم تاريخي.

بجزء منه يشكّل مدينة بلنسية، كما جميع البلديات والنواحي للإقليم الحالي ولأراضيه شمالاً،

وجزء من أراضي الجنوب

(Alfafar, Paiporta, Masanasa, Catarroja, Benetúser, lugar Nuevo de la corona y sedavi).

وأيضاً جزء من الأراضي غرباً (Chirivella, Picaña, Paterra, Mislata).

---

(1) Lévi Provençal: **la description de l'Espagne d'Ahmad al Razi**, p.71

(2) شريف، إبراهيم: **أوروبا دراسة إقليمية**، نشر مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية،1960م، ص295؛ José Ibanez : **Geografia de España**, p. 71.

(3) José Ibanez : **Geografia de España**, p.70

(4) مربيطر (Murviedor) تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، شمال بلنسية، وجنوب طرطوشة، وبها قرى عامرة، وأشجار ومياه متدفقة سيترجم لها لاحقاً. الحميري: مصدر سابق، ص 180-181.

(5) لقنت (Alicante): تقع جنوب دانية، على ساحل البحر المتوسط، وهي مدينة صغيرة عامرة يتجهز فيها التجار بالحلفاء وتنشأ بها المراكب. الإدريسي: مصدر سابق،2ج ص558؛ الحميري: مصدر سابق، ص170.

(6) أرسلان: مرجع سابق،ج3ص213.

وفي الوقت الحالي سيتم ضم باقي البلديات والمناطق والنواحي للأقاليم المذكورة.

سهل بلنسية: هو عبارة عن مساحات مخصصة لزراعة الأَرُزِ، والحمضيات، التي تُصدر عبر مرفأ بلنسية، وهذه السهل يمتد من (Puzol) شمالاً حتى (Albufera) جنوباً، إلى مرتعفات (Paterna) غرباً، وهذه الأراضي السهلية تأخذ بالارتفاع ببطء من البحر حتى الداخل، وقد تكونت منذ عهد الإمبراطورية الرومانية، وجعلت منها مركزاً لوجستياً لحملات غزواتها الاستعمارية الإيبيرية، وخلال العصر العربي، نال سهل بلنسية التطور والاهتمام؛ حيث نشأت خلاله بنية تحتية (نهرية) مهمة جداً وأساسية مع بناء السواقي وخزانات المياه والسدود الصغيرة، التي تستخرج المياه الناشئة من مياه (Turia) القوية. وبذلك تسبب جفاف مناطق كبيرة من المستنقعات (آخذة مياه الري للقرى).

وقد دعمت بتطوير نشاطات متعددة لهذه البنى التحتية كنواعير المياه، والاستفادة من التيار المحيط بالسواقي؛ لتروي بذلك أراضي القرى الصغيرة المحيطة والقريبة كما هو الحال لأراضي سهول الرصافة (La Rusafa)، وبفضل هذه البُنَى التحتية فإن مدينة بلنسية وضواحيها قد توصل أهلها إلى التطور الذي هم عليه. وبذلك قد نشأت منطقة غنية إنتاجياً.

أما المحاصيل الزراعية فيها فهي متنوعة، بعضها كان معروفاً منذ العهد الروماني كالحبوب، والزيتون والعنب، وبعضها تم إضافته كالأَرُزِ خاصة في المناطق الرطبة، وخضار جديدة كالباذنجان، والأرضي شوكي.. إلخ.

إن معظم مناطق (السهل) الواسعة كانت تتم سقايتها في العهد العربي بواسطة قنوات مائية.. التي كما هو ظاهر اليوم كان يتم من خلالها السيطرة على استخدام مياه مجرى التيارات المائية القوية للري.

السواقي الأكبر لمدينة بلنسية ثمانية هي: Moncada, Cuarte, Rascana, Mestalla, Tormos, Robella, Fabara, Mislata.

تعتبر أراضي سهل بلنسية من المناطق الأكثر كثافة سكانية في المجتمع البلنسي؛ وبلنسية هي ثالث منطقة في إسبانيا من حيث التعداد السكاني تسبقها مدريد وبرشلونة.

وجدير بالذكر أن ساقية كوارت (Cuarte)، تصب في البحيرة ، أما باقي السواقي فهي تصب في نهر (Turia)، وجميع هذه القنوات تتشعب إلى عدة أقنية متشابكة، وحالياً، لهذه الأقنية هيئات خاصة لإدارة أمورها، فلكل قناة هيئة يتم انتخابها من قبل أصحاب البساتين، وهذه الهيئات تجتمع اجتماعاً عاماً كل سنتين مرة.

ومن هذه الهيئات يتألف ديوان المياه، الذي هو المرجع في المنازعات الواقعة على المياه. وإذا إحتاج الأمر إلى إصلاح الأقنية، يفرض على أصحاب البساتين ضريبة كل بحسب مقدار أرضه(1).

8- جبالها:

جاء في"Enciclopedia" الإسبانية: أن أعلى قمة ارتفاعاً في أراضي بلنسية هي قمة (Peñagolosa) وارتفاعها 1.813م، وتحتوي جميع السلاسل الجبلية كشبك كبير وضخم يضم سلسلة الجبال المتلاصقة والمتقاربة، من حدود (Aragón) تبدأ تفرعاتها بكل الاتجاهات، حتى جبال (Alto Maestrazgo) من الجهة الشمالية، أما من الجهة الجنوبية الغربية فتصل تشعباتها حتى جبال (Espadán). ومن الأمام تواجه السلسلة الجبلية البحرية على طول الساحل.

إلاَّ أنها قد تُعد في علم الجغرافيا، المعضلة (المتاهة) بالنسبة للإقليم، خاصة على أطراف المدن، التي تكون هناك مستحيلة ، وليست فقط صعبة من ناحية التفريق والتمييز بين السلسلة الجبلية فيها، عندما يحتاج الأمر إيجاد مكان ومواضع القمم الأكثر ارتفاعاً بينها.

إن علم الجغرافيا لهذا الإقليم، هو الأكثر تعقيداً، من غيره (لدى باقي الأقاليم) ما عدا البعض منها في شمال إسبانيا.

كل الحدود ما عدا (La Plana Castellonense)، وأراضي بلنسية السهلية، بالإضافة إلى سهول (Alicante)، والتي تمر عبر (Villena, Murcia) وغيرها..، تمثل مشكلة أو حتى متاهة جبلية قادرة على تضليل باحثي أوعلماء الجغرافيا، من المنحدر الشرقي للسلسلة الإيبيرية الكبيرة، تتجمع وتتكاثف مرتفعات جبلية، ولكن بطريقة غير متناسقة وبشكل مُحيّر. فقط تبدو مميزة ومحددة السلاسل الجبلية التالية: (Muela de Ares) ذات تفرعين، وإلى الشمال (Vallibona, Morella, Tosals, Encardader)، بالإضافة إلى تفرع آخر ناحية جبال (Peñagolosa, Espadán) التي تختفي عند (Almenara)(2). وفي إقليم بلنسية تبرز عدة جبال، نذكر منها:

8- 1 -جبل البُرت:

يمر على بلنسية حيث الطول عشرون درجة والعرض ثمان وثلاثون ثم ينعطف غرباً وشمالاً إلى دانية(3).

---

(1) أرسلان، مرجع سابق، ج3 ص 46، 213-214-215؛
Enciclopedia Universal Ilustrada, Madrid, 1991, T. 66, P. 573.

(2) Enciclopedia universal Ilustrada, Madrid, 1991. T.66. P. 572-573

(3) أبو الفداء: مصدر سابق، ص31.

8 -2 -(Espadán):

أحد جبال إقليم (Castellón)، التي يستمر امتدادها من (Almenara) من حدود مدينة بلنسية... ثم يتابع امتداده حتى الشمال مع انحدار نحو الغرب حيث يزيد ارتفاعه. تخترقه عدة أنهار منها: (Mijares) ثم يتابع مجراه فيتحدمع جبل (Peñagolosa) حيث يغير من تسميته[1].

8 -3 -(Porta-Coeli):

يقع عند أقدام سلسلة (Náquera) من جهة الشمال، ويقع في وادي وعر بين غابات كثيفة من الصنوبر وفوق تلة صغيرة تحده من جهة الشمال والغرب ويمتاز بقمم جباله المرتفعة والكثيرة التي تكللها على القمم أشجار الصنوبر.. وتحت السماء دائمة الصفاء والزرقة، حيث ينفتح على الوادي حتى (Levante) و (Mediodía).

أما الأفق الشاسع فإنه يتسع على امتداد النظر حيث يلتقي مع السهول الخصبة للريف البلنسي (ريف بلنسية) الرحب، حيث تمتد مناظر للقرى العديدة هناك... إلى أن يصل في آخر امتداد لحدوده على مشهد رائع للبحر المتوسط.. البعيد بين (Cartuja) و(Porta-Coeli)، على مسافة 22 كلم من عاصمة الإقليم[2].

8 -4 -(Sancti Spiritus):

أحد سلسلة جبال (Cordillera) الإيبيرية، يبلغ علوه 441م[3].

8 -5 -(Cabrillas):

جبل تابع لإقليم بلنسية، يقع إلى الشرق من المدينة، ويمتد موازياً لنهر (Vega)[4].

8 -6 -(Martes):

جبل تابع لإقليم بلنسية، بين نهري(Júcar) و (Magro)، حدوده تتلاشى في السهول المرتفعة غرب بلنسية، حيث يشكل هناك رأس الهضبة الرئيسية لـ (Kaspaña). وجبل (Martes) ارتفاعه ما بين 550 و 628م، باتجاه الشرق. وهذا الجبل يحوي قمماً ترتفع حتى 1000م أو أعلى. وما يسمى بجبل الذهب كوّن ما يشبه الشرفة لهذه السلسلة[5].

8 -7 -(Ayora):

جبال تمتد من إقليم بلنسية على حدود قرية (Jarafuel) حتى مرفأ(Almansa) في محافظة

---

(1) Enciclopedia, universal Ilustrada Madrid,1993,T. 20, p.1274.
(2) Enciclopedia, universal Ilustrada, Madrid,1991,T. 46, p.581.
(3) Enciclopedia, universal Ilustrada, Madrid,1991,T. 53, p.1189.
(4) Enciclopedia, universal Ilustrada, Madrid,1991,T. 10, p.218.
(5) Enciclopedia, universal Ilustrada, Madrid,1991,T. 33, p.446.

(Albacete) على حدود (Teresa) و (Ayora)، والأخيرة تتبع إقليم بلنسية، حدودها الشمالية مع (Chiva)، ومن الشرق مع (Carlet) و (Alberique) و (Enguera)، ومن الجنوب مع (Almansa) ومدينة (Albacete) ومن الغرب مع (Casas Ibáñez). وتمتد على طول 36 كلم من الشمال إلى الجنوب و44 كلم من الشرق إلى الغرب[1].

8 – 8 (Bicorp):

يتبع لإقليم بلنسية، يقع على ربوة صغيرة تشرف من جهة اليمين على نهر (Fraile) و (Escalona)، يحيط به خندق كبير وواسع، حيث تجري فيه مياه جدول (Centillana). أراضيه وعرة وقاسية تنتج الحبوب (الحمص، الأرز، الخروب، العسل، الحرير، النبيذ، الزيت..) بالإضافة لتربية المواشي. يبعد 24 كلم عن (Alcudia)[2].

8 – 9 (Costera De Ranes):

جبل في أراضي إقليم بلنسية، يحيط بالقرى التالية: (Alcudia, Anahuir, Ayacor, Canalas, Cerdás, Corbera, Granja, LLanera, Novelté, Rotgla, Torrella, Vallés). وأرضه خصبة جداً وتمتد ما بين أنهار (Albaida), (Cañolas), (Sellente)[3].

9 – أنهارها:

تشتهر بلنسية بكثرة أنهارها، وأهم هذه الأنهار هي:

9 – 1 بنلوبة (Vinalopó):

نهر في إقليم (Alicante)، ينبع من أقصى الحد الجنوبي لإقليم بلنسية، عند جبل (Moncabrer) على حدود (Bocairente)، ويجري نحو الجنوب الغربي، ويدخل في (Alicante) من (Baneras)، ويتخذ مجرى شرقياً في الشرق. يروي بمياهه وادي (Benejama) بين جبال (Blanquinar) وجبال (Peña Blanca)، ثم يسير باتجاه الجنوب الشرقي إلى مدينة (Villena).

نهر بنلوبة، في جزئه الأعلى يتلقى من جهته اليسرى جدولاً منحدراً من (Biar).، وفي جزئه السفلي يتلقى من جهته اليمنى جدولاً آخر آتياً من مدينة (Albacete). من مدينة (Villena) يبدأ النهر بسيره بشكل منحن متخذاً طريقاً تجاه الجنوب والجنوب الشرقي ثم يستمر حتى البحر عبر وادٍ عريض يفصل بين سلسلة جبال متوازية فيما بينها. ماراً عبر (Sax)، (Elada) و (Monóvar) و (Nobelda) و (Eleche)، وهي قرى آهلة بالسكان ومحاطة بمنطقة ريفية خصبة مروية من

---

(1) Enciclopedia, universal Ilustrada, Madrid,1991, T.6, p.1344.
(2) Enciclopedia, universal Ilustrada, Madrid,1992, T.8,p.764.
(3) Enciclopedia, universal Ilustrada, Madrid,1991,T.15,p.1265.

مياه النهر نفسه. ومن روافده الضئيلة، رافد (Romana) الذي ينزل من جبال (Salinas) على تخوم مرسية مجتازاً (Eleche)، وهذا النهر يجري عبر أراض مقفرة غير مسكونة ، حيث ترتفع هناك أشجار النخيل التي تميز تلك المنطقة، ثم يصب في بحيرة (Eleche) إلى الغرب عند رأس سانتا بالوما (Santa paloma)، وهذا النهر يدعى أيضاً (Rambla de say), (Elada) (Novelda), وهي قرى يروي أراضيها هذا النهر بمياهه خلال عبوره[1].

9 – 2 – بلا نسية (Palancia) :

نهر في إقليم قشتالة وبلنسية، توجد منابعه في مركز (Viver) مع (Peña Escabia)، يسير أولاً إلى الجنوب وبعد ذلك يجري نحو الجنوب الشرقي، يجتاز أجزاء (Viver) و (Segorbe)، ماراً عبر (Teresa) و (Viver) و (Castellnovo) و (Segorbe) و (Jerica) و (Soneja). ثم يدخل أراضي (Algar) و (Algunia) و (Torres Torres) و (Albalate) و (Petres) و (Sagunto).

وفي الجنوب عند البحر، يبدأ بالتقلص بعدة سواق وترع، قاعه عريض، كثير الصخور... ويكون جافاً تقريباً في معظم أوقات السنة، مياهه تستخدم للري... وفيضاناته تكون قوية وقد تسبب أضراراً وخسائر كبيرة.

ونهر (Palancia) يتلقى في جزء (Viver)، مياه مجاري قنوات مائية من الجهة اليمنى قرب (Arteas). ومن كلا الجانبين يوجد الكثير والعديد من الروافد الصغيرة الآتية من جبال (Espadán) و (Espina) والجبل الأكبر (المغارة المقدسة).[2]

9 – 3 – توريا (Turia ó Guadalaviar) :

نهر تابع لإقليم (Teruel) و (Cuenca) و (Valencia)، ويسمى أيضاً النهر الأبيض، يحد حوضه من جهة اليسار المنحدرات الشرقية والجنوبية لجبال (Tremedal) و (Lomo)، التي تتجه وتلتقي مع جبال (Gúdar) والفروع التي تفصل فيما بين هذه السلسلة الجبلية. كما تفصل الحوض العائد لنهر (Palancia). أما حدود ضفافه الغربية ، هي المنحدرات الشمالية لجبال (Universales). والحوض عموماً ضيق جداً، كما أن منحدراته سريعة جداً. وغير رافد (Alfambra) ، فإن روافد (Turia)، ليست إلا عبارة عن أنهار وجداول صغيرة وهي ليست قادمة من أنهار أخرى، إنما هي كلها تنبع من المناطق الصغيرة نفسها التي يجتازها النهر الرئيسي.

أكثر ينابيع (Turia) ارتفاعاً هي الموجودةعلى سفح سان خوان على حدود (Griegos)

---

(1) Enciclopedia Universal Ilustrada ,Madrid,1991, T.68, p.1647-1648.

(2) Enciclopedia Universal, Ilustrada,Madrid,1991,T.41, p. 91.

في إقليم (Teruel)، بعد (Villar del cobo) فإنه يحتضن جدول (FrÍas) الذي ينبع من على مسافة ثلاثة كلم إلى الشرق من (Fuentegarcía) بعد (Torres)، وفي قرية تسمى (Entrambasaguas)، تنضم إليه جداول (Calomarde) و (Reyuelo) ومن بين نتوءات شديدة العمق ومنحدرات وعرة وعالية يأتي إلى مدينة (Albarracín) حيث يروي أراضي من جهة الجنوب حتى عمق 200م، بعدما يلتقي جدول (Monterde) ويكمل حتى (Gea) حيث يكمل جريانه إلى (Teruel)، حيث هنا بشكل مستمر يزيد من حدة تياره وتتناقص جداوله كجدول (Bezas)، القادم من (Jabaloyes) و (Toril)، قرب مدينة (Teruel) حيث رافده الأساسي (Alfambra). وعلى مدى 66 كلم من مجراه تنضم إليه ينابيع في سلسلة جبال (Gúdar). وهذه كلها ومع (Alfambra) و(Turia) تتجه إلى الشرق. ثم يمر عبر (Villaespesa) و (Villastar) و (Villel) حيث هنا نهر (Cascante) أو (Camarena) الموجود على ضفاف جبال (Javalambre). بعد ذلك وبمسافة صغيرة يمر عند قرية (Libros) الأخيرة في ذلك الجانب، ويتلقى مياه الجداول القادمة من (Collado de la plata) مثل نهر (Deba) القادم من سفح جبل (Javalambre) و (Ebión)، الذي يجري جزء منه عبر المدينة، بعد ذلك مباشرة يتقدم في عبوره إلى الحدود بين مدينتي (Teruel) و(Valencia) على مسار 4 كلم، ثم يعاود جريانه على مسافة 24 كلم أخرى إلى الشمال وإلى الجنوب في (Rincón de Ademuz)، حيث يبدأ ويتابع بتغيير اتجاهاته مخصباً أراضي وبساتين (Torre Altta) و(Baja). من (Ebión) يستمر النهر في جريانه عبر أراضي (Ademuz) و(Casas Atlas) و (Casas Bajas) حيث يدخل بشكل فجائي على عمق خمسة كلم في إحدى المداخل العميقة، ومن هناك يدخل أراضي إقليم (Cuenca) حيث يلتقي ومن جهة اليسار نهر (Arcos) الآتي من (Teruel)، يعود ليدخل وهذه المرة أكثر تحديداً في إقليم بلنسية على حدود (Aras de Alpuente) باتجاه الجنوب الشرقي، يروي خلال جريانه (Benagebar) و (Domeño) و (Longuilla) إلى الجنوب حيث يدخل عبر فجاج صغيرة وضيقة إلى ما يسمى (Salto de chulilla)، وهي ليست إلا فجاجاً صغيرة على عمق 150م، وعرض 15–20م حيث يعرف هناك باسم النهر الأبيض.

يقول أحد العلماء ويدعى (Cavanilles): "إن مياه (Truia)، وعندما يتحدث حول هذا الجزء تحديداً من مسار النهر) تجري عبر قناة قد تتكون من ثلاثين شبراً (Polmos) عريضاً

وأكثر من 200 (Varas)[1] عمقاً. أما جدرانه (muros) الشبه عامودية فمن خلالها يتم اكتشاف مدى ثخانة (سماكة) حجارته وصخوره التي حافظت على الأخاديد التي وعبر فترات مختلفة متعاقبة قد كونت مياهه، تُرى كم من القرون قد مرت منذ أن أخذت هذه العملية بالتشكل من نظرية رؤية متانة وقساوة هذه المادة التي حفرت قناة بهذا العمق".

إلى الجنوب من (Chulilla) يتلقى نهر (Turia) مياه نبع ينشأ من على ضفافه نفسها وهو السبب بوجود منتجع صحي هناك، قبل (Gesbalgar) تنصب مياه نهر (Sot) في (Turia) والذي يمر بعد ذلك عبر (Bugarra) و(Pedralba) ويصل إلى أراضٍ واسعة ومفتوحة حيث يتزايد تياره مع مجرى (Villar del Arzobispo) ويروي أراضي (Villamarchante) و(Ribarroja) ثم يجتاز سهل(Cuarte) ويدخل في بساتين بلنسية بين (Manises) و(Paterna)، حيث يتجه بعد ذلك ليصب في البحر الأبيض المتوسط. إن مجرى نهر (Turia)، داخل إقليم (Teruel) هو على مسافة 65 كلم، وفي بلنسية تكون مسافة جريانه 135كلم، ويمكن أن يضاف إليهم مسار 15 كلم إلى (Cuenca)، كما أن ضفافه تروي إقليم بلنسية لمسافة 5 كلم قبل أن يصل إلى البحر.

قد يكون نهر (Turia) من أكثر الأنهار في إسبانيا التي يستفاد من مياهه للري، من (Benaguacil) يبدأ جريانه عبر سهول كثيرة الخصوبة، حيث يوزع مياهه لـ ثماني قنوات وسواقٍ، أربعة منها تذهب باتجاه اليمين لري 17 قرية في مناطق أراضٍ وبساتين وسط سواقٍ لا عدّ لها متفرعة من الأساسية، والأربعة الأخرى تذهب باتجاه اليسار، وتروي 37 قرية بالطريقة نفسها.

تيار نهر (Turia) يصبح جافاً عندما يقترب من الشاطئ، أما إذا مَطَر بغزارة في كل حوضه أو جزء كبير منه، فإن النهر يتزود بنسبة كبيرة من المياه.

إن طريقة جريان مياهه المتكافئة وتوزيعها بين تفرعاته وبين السواقي والجداول المتأتية (الناشئة) عنه في وقت الحاجة، هي ليست وليدة القرن الحالي أو الماضي، بل هذه الطريقة الخاصة والمميزة التي كانت تستخدم من قِبل المزارع العربي وربما القوطي أو الروماني.

وأما سهل بلنسية الذي يروى من النهر الأبيض بسبعة جداول فإن مساحته نحو عشرة آلاف هكتار، فمن جهة الشمال قناة يُقال لها (Acequia de Moncada) وأقنية (Tormos) و(Mestalla) و (Rascaña). ومن جهة الجنوب أقنية (Cuarte) و(Mislata) و(Fabara) و[2] (Robella). هذا

---

(1) وحدة قياس تساوي 0.835م طولي.

(2) Enciclopedia Universal Ilustrada, Madrid,1991, T. 65, p.284.

وتعتبر (Acequia de Moncada) أحد التفرعات الأكثر أهمية لنهر(Turia) في بلنسية.

أما مروجه الجميلة في الجزء الأعلى من حوضه والقرى والمزارع الخصبة والمثمرة لسهوله في آخر مجراه تزيد من مدى أهمية هذا النهر من منشئه الأصلي حتى الشرق...، كما يعمل على تنويع الأراضي والطبيعة لدى دخوله أراضي بلنسية.

في الوقت الحاضر هناك مشروع للاستفادة من قوة الدفع لمياه نهر (Turia) من خلال بناء سد قرب ملتقى النهر مع (Chelva) (قرية). وانطلاقاً من هذا السد ومن الأراضي المجاورة للتخوم اليسارية للنهر سيتم فتح قناة بقطاع مستقيم على شكل انحرافي على بُعد 97.17م(1).

9-4- سيربس(2) (Serpis ó Alcoy) :

نهر في إقليم ألقنت وبلنسية، ينبع من إقليم ألقنت من بين جبال (Carrascal), (Masida) قرب قمة (Moncabrer) (1.385م) وجاذباً المياه لهذا الجبل، مشكلاً مع التجويف الشمالي الشرقي شكلاً نصف دائري، ويصل إلى (Alcoy)، حيث يميل إلى الشمال والشمال الشرقي ويمر عبر أراضي(Cocentaina)، وتزيد هناك حدة تياره حيث يلتقي بالجداول الآتية من (Penáguila) وجبال (Serrella)، ويستمر مروره حتى (Lorcha) على مقربة من جبال (Benicadel) وبعد ذلك يخترق بلنسية عبر مضيق هناك حيث تحفر فيه المياه على الحد الشرقي لجبل (Agullent-Benicadel)؛ ويجري إلى الشرق والشمال الشرقي. وهناك يكون اندفاع مجراه قوياً حيث يخرج بعدها إلى منطقة مفتوحة، فيعدل قليلاً في سير مجراه إلى الشمال الشرقي ويمر قرب , (Ador) و(Real de GandÍa) (Palma) ويجتاز إقليم (GandÍa) وبساتينها الجميلة والخصبة ليصب في البحر المتوسط. توجد ساقيتان متفرعتان من نهر(Serpis) بين (Villalonga) و(Potries) على ارتفاع (80م) ويتم الاستفادة منها بحرص لري السهول المزروعة التي تحيط بالقرى الصغيرة.

هناك برجان عاليان يبرزان من بين النباتات والأعشاب الكبيرة والخضراء على ضفاف النهر الواسعة الجاف صيفاً، من (Potríes)، حتى البحر، حيث توجد رواسب نهرية غير عادية شديدة الكثافة.

9-5- سيغورا (Segura)(3):

نهر في إقليم جيان، من روافد المتوسط، بعد مسيرة 225 كلم، توجد جذور ينابعه، داخل إقليم جيان على منحدرات جبال (Seca) التي تحتويها مجموعة جبال تعرف باسم جبال

---

(1) Enciclopedia Universal Ilustrada Madrid, 1993, T.65, p.285.
(2) Enciclopedia Universal Ilustrada, Madrid, 1991, T.55,p.567.
(3) Enciclopedia Universal Ilustrada Madrid, 1993, T.54, p.1505.

.(Segura)

هذا النهر ينبع من نبع غزير المياه، يوجد عند أقدام مرتفعات اسمها (La Sima) عند حدود (Segura) على بعد قليل من أطرافه.

نهر (Segura) يترك إقليم(Albacete) ويجري أولاً باتجاه الشرق بين جبال (Calares) و(Grillemona). في البداية يروي وادياً ضيقاً ويتلقى منه عدة جداول تأتي من وديان أخرى متشابهة، ثم يقطع (Almadenes) بين جبال رأس أسنو (Caber del Asno) و(Grillemona) ثم يأتي إلى قرية Calas (ضمن مرسية) وسط أربع سواقٍ باتجاه الجنوب الشرقي حيث يروي أراضيَ خصبة مغطاة بالليمون والبرتقال ويسمى (Vale de Ricote)، وتوجد أسفله مياه حمامات طبيعية. ومن (Archena) قرب (Cotillas) يستقبل نهر (Mula)، ليدخل بعدها في أراضي مرسية حيث يروي خلال ذلك ساقيتين كبيرتين متفرعتين من سد اسمه (Contrapa). وبعد أن يسقي أراضي مرسية يجري نهر (segura) ليسقي أراضي (Orihuela) بإقليم (Alicante). وفي تلك المنطقة المحاطة بالسواقي والقرى الصغيرة، يجري باتجاه الشرق ليصب في المتوسط على مقربة من (Dolares).

حوضه متسع وكبير وتياره القوي في بعض أجزائه، يعود للتناقص في أخرى، وذلك لدى الاستفادة الكبيرة من مياهه في الري.

روافده الرئيسية هي:

- Al Mundo ينبع من سفوح (Calar)، في قسمه الأول يجري باتجاه موازٍ لـ (segura). في (Ayna) يغير اتجاهه إلى الجنوب الشرقي ليمتد مع (segura) في (Liétor).
- Moratalla: ينبع من قرية (zacatin)، ويسقي وادا صغيراً، عند السفح الجنوبي لجبل (Grillemona) شمال جبال(castellon) ثم يمتد مع(segura).
- Caravaca: يجري باتجاه الشرق عبر أراضي منطقة(Caravaca) وبعد أن يسقي أراضيها يسير ليروي أراضي(Cehegin) و (Calasparra) حيث يلتقي مع(Segura).
- Quipar: يأتي من جبال(Grillemona) مياهه قليلة الاستخدام في الري، وتسير مياهه للتجمع مع (Segura) قرب (Almadenes).

وأخيراً (Guadalentín) أو (Sangonera) الذي ينبع من رابية (Vertientes) بين جبال (Oria) و (María). ويستمر باتجاه الشرق عبر وادٍ ويمر عبر (Velez Rubio) و(Lorca)، ثم يغير مسيره باتجاه الشمال الشرقي ليدخل عبر واد آخر عريض، تحده جبال (Carrascoy)،

(Almenara) ويجف بسبب استخراج الأهالي المياه التي على ضفافه.وفي الفصول الماطرة، سيلان تياره يصب في نهر (Segura). البيئة الجغرافية تجعل من حوضه غير متنوع. أما أراضيه الثانوية ولاسيما الأراضي الكلسية التي تشكل الجزء الأعلى من حوضه بالتقاء هذا الثلاثي شرق (Albacete) و(Murcia) بأكملها ما عدا بعض نواحي المدينة[1].

عندما يصب نهر(Segura) في الشاطئ فإنه يشكل عارضة سطحية عند قرية (Guardamar) ثم يعود للسير مرتفعاً، فيؤلف جداراً رملياً، ويتقدم باتجاه الجنوب والجنوب الشرقي وإلى الشمال الشرقي.

بحسب رأي باحثين في الجغرافيا، فإن الرمال التي يجرفها هذا النهر وتتراكم، تكون بفعل الرياح الشرقية في (Perdrucho) و (Calnegre) ومنها ربما كان وعبر وقت طويل قد تشكل بفعل عدة تراكمات، حيث كان مشكلاً بحيرة (البحر الصغير) التي كانت على ما يبدو خلال عصور بعيدة خليجاً.

لهذا النهر منافع عديدة فهو يسهل ري الأراضي. إلا أنه يسبب أخطاراً وكوارث بسبب الفيضانات المتتالية في الفترات التي تكون فيها الأمطار غزيرة أو تكون تقلبات الأجواء والمناخات عنيفة، كان الرومان قد عرفوا هذا النهر باسم(Tader)، والعرب باسم(Alana).[2]

6-9- شُقْر (Júcar) :

نهر في إقليم (Cuenca) و(Albacete) وبلنسية، من روافد المتوسط ، بعد مجرى 506 كلم. ينبع من (Cuenca)، قرب (Teruel) في جبال (Tragacete) في منطقة تدعى (Ojuelo de Valdeminguete) على ارتفاع 1.720م. يتجه أولاً إلى الجنوب عبر سهل خصب جداً ماراً بـ(Tragacete) و (Huélamo)، ثم إلى الغرب عند مجرى ضيق وعميق حتى يصل إلى منطقة (Fuencaliente)، حيث ينعطف إلى الجنوب الغربي ويجري باتجاه (Cuenca)، ومن ثم يأخذ اتجاهاً عاماً إلى الجنوب ويجري حتى (Albadalejito) و(Valdegunda) و(Villagardo) في شقر، ثم يدخل إقليم (Albacete) حيث يشكل هناك منحنى ويأخذ اتجاهه إلى الشرق، ويروي حدود(Fuensanta) و (Jorguera) ويدخل بلنسية عبر أراضي (Vez) ثم يجتاز منطقة جبلية وعند وصوله إلى (Jalance)، يغير اتجاهه إلى الشمال ويجري عبر سهل رائع ينتهي عند (cofrentes)، ثم يعود مرة أخرى باتجاه الشرق ، ويروي أراضي (Antello) و (Tom). ومن جديد يعود ويجري باتجاه الجنوب الشرقي، ليسير بعد ذلك إلى سهول (Ribera)

---

(1) Enciclopedia universal Ilustrada, Madrid, 1993, T. 54, p.1505.
(2) Enciclopedia universal Ilustrada, Madrid, 1993, T. 54, p.1505.

الخصبة. بعد ذلك يأخذ اتجاه الشمال الشرقي وبعد أن يروي (Alcira) يأتي إلى حدود (Albalate)، حيث ينعطف إلى الجنوب تجاه (Cullera)[1] وعلى مقربة منها في البحر يشكل مصب، حيث كان في وقت من الأوقات يستخدم لأمور سلاح أراغون.

ومن روافد نهر (Júcar) الأساسية (Cabriel) الذي يأتيه من جهة اليسار عبر الأراضي البلنسية، ويتلقى من إقليم (Cuenca) روافد (Marianá) و(Húecar) و(Moscas) وغيرها من الروافد، ومن إقليم (Albacete) رافد (Seco)، ومن إقليم بلنسية روافد (Reconque) و(Escalona) و (Sellente) و (Albaida) و (Los ojos) و (Magro) .

ومن نهر (Júcar) تتشكل عدة سواقٍ داخل بلنسية، ومنها قناة ماريا كرستينا. تياره كبير لكنه يتناقص في الجزء السفلي بسبب الري. وأخيراً قبل أن يتلقى مع رافد (Albaida) فإن تياره لا ينقص عن 22م^2. حوض نهر (Júcar) محدود للأسباب التالية جبال (Tragacete) و (Bascuñana)، حيث المنحدرات الجنوبية والتي لاتباعها اتجاه الجنوب الشرقي من سهول (Albacete) فإنها ترتفع بشكل متعاقب من على سلسلة جبال (Chinchilla)و(Mugrón de Almansa)، اللذين يحدان هذا الحوض، ومن تلك (Segura) والمنحدرات الجنوبية لجبال (Enguera) وجبال (Grosa) و (Agujas).

ومن جهة اليسار يحده جبل (San Felipe) من ربوة سان خوان وربوات (Javalón) وغيرها، ولديه أيضاً عدة مصادر من الينابيع المتدفقة من عيون الماء تسمى (Ojuelos de Valdeminguete) بجبال (Tragacete).

جغرافياً، نهر(Júcar) تكون خلال العصور الجيولوجية بجبال(Tragacete) حتى(Cuenca)، يسير أولاً عبر أراض ثانوية، لكن بعد ذلك يشكل خطاً فاصلاً فيما بينها. ويتابع من خلال (Cuenca)، ويدخل في أراض كلسية، أراضي(Alcalá) في (Sumacárcel) في حيث يعود من جديد للدخول في المثلث نفسه ويتابع مجراه حتى مصبه[2].

9-7- ميخارس (Mijares) :

نهر صغير ببلنسية، ينبع من حدود (Yátova) ، عند حدود (Cuenca) و (Requena) قرب جبال (Montratón) [3] .

10- أعمالها:

---

(1) قليرة (Cullera): تقع جنوب بلنسية عند مصب نهر شقر. الإدريسي: مصدر سابق، م2 ص 556.

(2) Enciclopedia, universal Ilustrada, Madrid,1992,T. 28, p.3056.

(3) Enciclopedia, universal Ilustrada, Madrid,1991,T. 35, p.152.

تعتبر مملكة بلنسية حاضرة أو مركز كورة من كور شرق الأندلس [1] والكورة قسم إداري له حوز [2] واسع، يشمل عدة مدنٍ وأقاليمَ وأجزاءٍ وحصونٍ وقرى، وفيما يلي عرض لهذه الكورة الأندلسية:

10 1 – المدن:

المدينة عند أهل الأندلس، قسم إداري كالكورة، تتبعها أقسام إدارية أصغر [3] وأهم مدن كورة بلنسية:

10 1 1 – إِشْكَرْب (Segorbe):

من أعمال بلنسية، تقع على ضفة نهر بلانسية **(Palancia)**، ذكرها ياقوت في معجم البلدان فقال: إِشْكَرْب بالكسرة مع سكون الراء وآخرها باء موحدة، وقال: إنها مدينة في شرق الأندلس[4] سكانها حالياً، نحو سبعة آلاف نسمة، تحف بها آكام مشرفة على رؤوسها قصور شامخة، فيها كنائس ذات آثار عتيقة[5].

10 1 2 – أُنْدَة (Onda):

وهي مدينة من أعمال بلنسية، وذكرها ياقوت في المعجم؛ فهي بالضم ثم السكون، كثيرة المياه والرساتيق والشجر، خاصة التين فإنه يكثر بها [6]، وورد في نفح الطيب أن في جبلها معدن الحديد [7]، هذا وقد حدد العذري المسافة ما بين حصن أندة والمنارة بـ اثني عشر ميلاً، ومن أندة إلى حصن مَوْرُور بخمسة وعشرين ميلاً، ومن أندة إلى حصن شَلِينة بستة أميال، ومن أندة إلى قرية أرطانة[8] بثلاثة أميال.

ويبدو أن الإسبانيين يقولون لها اليوم(Gandia)، وسكانها اليوم نحو عشرة آلاف نسمة، وتبعد عن البحر مسافة أربعة كليومترات، وهي على ضفة نهر سربيس Serpis، ولا تزال حتى اليوم تحمل بعض الأسماء العربية مثل أباديا، وهو أحد شوارع المدينة، والمسافة من المدينة إلى الكوي(Alcoy) خمسون

---

(1) العذري: مصدر سابق، ص17.
(2) الحوز: زمام الكورة كله، أي ما يتبعها من الأرض والبلاد. راجع مؤنس: **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين** ، ص67.
(3) مؤنس، حسين: **التقسيم السياسي والإداري للأندلس** ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، م 5، العدد1-2، 1957م، ص 323؛ **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين**، ص65.
(4) ياقوت: **معجم البلدان**، ج1 ص236.
(5) أرسلان: مرجع سابق،ج3 ص 44، 56.
(6) ياقوت: **معجم البلدان**،ج1 ص314.
(7) المقري: **نفح الطيب**،ج1 ص178.
(8) أرطانة: هكذا جاءت عند العذري: مصدر سابق،ص 19؛ أما عند القزويني فهي تسمى أرناطة. القزويني: مصدر سابق، ص494.

كيلو متراً، ويمر بها خط حديدي مشرفاً على وادي نهر (Serpis) وعلى يمينه جبل (Sierra del Benicadel)[(1)].

10 1 3 – أَلْبُونْت (Al punte-Fuente la Higuero):

مدينة تبعد عن بلنسية مئة كيلومتر، وهي إلى الشمال الغربي من الأخيرة (بلنسية) بردها شديد في الشتاء،وليس فيها أشجار نظير السواحل، بل أكثر غراسها الكروم. وقد ورد ذكرها عند ياقوت في مكانين فقال:"بُنت" بالضم ثم السكون وتاء مثناة، بلد بالأندلس من ناحية بلنسية[(2)]ثم قال "ألبونت" بالضم والواو والنون ساكنان والتاء فوقها نقطتان، حصن بالأندلس[(3)]. أما الحميري فقال: "البونت" قرية من أعمال بلنسية[(4)]، وأهلها اليوم نحو أربعة آلاف، وطريق سكة الحديد، يصل إليها في نفق تحت الأرض طوله 1514م[(5)].

10 1 4 – دانِيَة(Dinia):

بعد الألف نون مكسورة، بعدها ياء مثناة من تحت مفتوحة، مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقاً [(6)]، مرساها عجيب يسمى السُّمان [(7)]. وكان الرومانيون يقولون لدانية " دانيوم" (Dianium) وهي في الأصل مدينة استعمرها اليونانيون، ووراء دانية جبال ذات ارتفاع لها مناظر بهيجة، أشهرها جبل مونغو (Mongo) وعلوه 761 متراً. وغرب دانية قرية يُقال لها جابية (Javia) وفي نواحيها الكثير من كروم العنب ويخرج منها زبيب عظيم، ودانية اليوم مركز من مراكز تجارة الزبيب الفاخر، يصدرون منه كثيراً إلى انكلترا[(8)].

وقد ذكر ياقوت أن لدانية بساتين واسعة، كثيرة التين والعنب واللوز، وكانت قاعدة مُلك أبي الجيش مجاهد العامري، وأهلها أقرأ أهل الأندلس لأن مجاهداً كان يستجلب القراء وينفق عليهم الأموال، فكانوا يقصدونه ويقيمون عنده، فكثروا في بلاده، ومنها شيخ القراء أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني صاحب التصانيف في القراءات والقرآن[(9)].

وجاء في صبح الأعشى للقلقشندي فقال:هي (دانية) في شرق الأندلس وموقعها في أوائل

---

(1) أرسلان: مرجع سابق، ج3 ص 221.
(2) ياقوت: **معجم البلدان**،ج1ص590.
(3) المصدر السابق،ج1 ص606.
(4) الحميري: مصدر سابق، ص56.
(5) أرسلان: مرجع سابق، ج3 ص 237.
(6) الحميري: مصدر سابق، ص76.
(7)السُّمان: بتشديد الميم وآخره نون، يجوز أن يكون جمعاً من سَمَنْتُ الشيء أسْمُنُهُ سمناً. وهو قرية بجبل السراة. **ياقوت: معجم البلدان**،ج2 ص494.
(8) أرسلان: مرجع سابق،ج3ص293.
(9) ياقوت: **معجم البلدان**،ج2ص494.

الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة، وقال ابن سعيد حيث الطول تسع عشرة درجة[1] وعشر دقائق، دقائق، والعرض تسع وثلاثون درجة وست دقائق، وهي جنوبي بلنسية على البحر، عظيمة القدر، كثيرة الخيرات، ولها عدة حصون، وقد صارت من مضافات برشلونة مع بلنسية[2].

أما الإدريسي فقد أسهب في وصفها، ووصف الحركة الملاحية فيها فقال: "هي (دانية) مدينة على البحر عابرة حسنة لها ربض عامر وعليها سور حصين وسورها في ناحية المشرق في داخل البحر قد بني بهندسة وحكمة ولها قصبة منيعة جداً ،وهي على عمارة متصلة وشجرات تين كثيرة وكروم، وهي مدينة تسافر إليها السفن وبها ينشأ أكثرها لأنها دار إنشاء السفن ومنها تخرج السفن إلى أقصى المشرق ومنها يخرج للغزو. وفي الجنوب منها جبل مستدير يظهر من أعلاه جبال "يابسة" في البحر ويسمى هذا الجبل جبل قاعون"[3].

وجاء في النفح للمقري:" وأما شرق الأندلس ففيه من القواعد مرسية وبلنسية ودانية والسهلة والثغر الأعلى. فمن أعمال مرسية أوريولة وألقنت ولورقة وغير ذلك، ومن أعمال بلنسية شاطبة التي يضرب بحسنها المثل، ويعمل بها الورق الذي لا نظير له، وجزيرة شقر وغير ذلك. وأما دانية فهي شهيرة ولها أعمال. وأما السهلة فإنها متوسطة بين بلنسية وسرقسطة ولذا عدّها بعضهم من كور الثغر الأعلى ولها مدن وحصون"[4].

أما الموسوعة الإسبانية، فتعتبر دانية مركز كورة في الشمال الشرقي، من مقاطعة ألقنت، وهي المقاطعة الجنوبية من المقاطعات الثلاث التي كانت تتشكل منها مملكة بلنسية وهذه المقاطعات هي قشتليون (Castellon) وبلنسية(Valencia) وألقنت (Alicante)[5].

تقع دانية في الطرف الجنوبي الشرقي من خليج بلنسية وإلى الشمال من جبل مونغو (Mango) الذي كان العرب يقولون له جبل قاعون، وهذا الجبل ارتفاعه 712 متراً، وفيها مرسى جيد، والمدينة من بناء اليونان في القرن السادس ق.م. وقد سماها الرومان ديانيوم، أي مدينة دانية، ثم جاء العرب فقالوا دانية، والإسبان يقولون لها دينية (Dinia). ولا يعلم شيء حولها أيام القوط[6].

---

(1) الدرجة عند ياقوت هي خمسة وعشرون فرسخاً ، أي خمسة وسبعون ميلاً ، وتنقسم إلى ستين دقيقة، ياقوت: **معجم البلدان**، ج1 ص57. أما أبو الفداء فيقول: الدرجة عند القدماء ستة وستون ميلاً وثلثا ميل، وعند المحدثين ستة وخمسون ميلاً وثلثا ميل. أبو الفداء : مصدر سابق ، ص14.

(2) القلقشندي: مصدر سابق،ج5ص224.

(3) الإدريسي: مصدر سابق،م2ص557.

(4) **المقري: نفح الطيب**،ج1 ص164.

(5) Enciclopedia universal, Ilustrada, Madrid, 1991, T.66, p.573.

(6) أرسلان: مرجع سابق،ج3 ص295.

وكان لدانية شأن أيام عبد الرحمن الأول (الداخل)، ولكن أصبحت أكثر شأناً أيام ملوك الطوائف بعد سقوط الخلافة، إذ جاءها مجاهد العامري مولى عبد الرحمن بن المنصور وهو أبو الجيش مجاهد الموفق الذي حكم من العام 405–420 ه/1014–1029م[1]، وعلى جزر البليار وأراد أن يستولي على سردانية، ثم خلفه ابنه علي إقبال الدولة فملكها من عام 436–468ه / 1044–1075م[2]، ولم يزل فيها إلى أن انتزعها منه المقتدر بن هود ملك سرقسطة، فبقيت إلى عام 474ه /1081م، تابعة لسرقسطة، ولما تقاسم أولاد المقتدر بن هود مملكة أبيهم كانت دانية مع لاردة[3] وطرطوشة، من نصيب المنذر من أولاد المقتدر، فبقيت تحت حكمه إلى عام 482ه /1089م، ثم حكمها سليمان سيد الدولة تحت وصاية بني بتير إلى عام 484ه/1091م، ثم تعاقب عليها الولاة من قبل المرابطين والموحدين، أما عدد سكانها اليوم فهو نحو 14000نسمة[4].

10 1 5 – **شاطبة (Xàtiva) ou (Játiva)** [5]:

شاطبة بالطاء المهملة والباء الموحدة[6]، من أعمال بلنسية، وما يميزها عن غيرها من مدن مدن شرق الأندلس، أنها تقع في سند جبل[7]، وهي إلى الجنوب الغربي من بلنسية.

وشاطبة مدينة داخلية غير ساحلية، وتبعد عن بلنسية مسافة ستة وخمسين كيلومتراً، وتبعد عن دانية مسافة تتقارب مع تلك التي تبعد عن بلنسية [8]، وعن شقر اثني عشر ميلاً وعن حصن قليرة خمسة وعشرين ميلاً [9]، وعن حصن بكيران غرباً أربعين ميلاً [10]، والدخول إلى شاطبة من بلنسية كان من بابين من أبواب بلنسية وهما باب بيطالة وباب قيسارية [11]، (سيشار إلى هذه الأبواب وغيرها لاحقاً).

وشاطبة مدينة عريقة، ويبدو أن الرومان أسسوا بشاطبة حصناً كبيراً عرف في المصادر اللاتينية باسم الحصن الأعظم وبقي من آثار تلك الحقبة، تمثال ضخم عرف بصنم شاطبة، كان

---

(1) عنان: **دول الطوائف**، ص185.
(2)المرجع السابق، ص 199.
(3) لاردة (Lerida) : هي مدينة في ثغر الأندلس. الحميري: مصدر سابق، ص168.
(4) أرسلان: مرجع سابق،ج3ص295.
(5) Encyclopedie de L'Islam, **Nouvelle édition établie avec les concours des principeaux oriental par C. F. Berworth, E.Van Donzel,W. P. Heinriches.** Leiden, Brill,1998, P.374.
(6) ياقوت: **معجم البلدان**،ج3 ص351.
(7) العذري: مصدر سابق، ص18.
(8) Rubiera: Maria Jesus, Mata**: La taifa de Denia**, Alicante,1985, p.18.
(9) العذري: مصدر سابق، ص19-20.
(10) الإدريسي: مصدر سابق، م2 ص557.
(11) العذري: مصدر سابق، ص17-18.

معلماً من معالمها البارزة في العصر العربي ووصفه الشاعر أبو عامر البرياني:[1] (البسيط)

بقيّـــةٌ من بَقَـــايَا الــرّومِ مُعْجَمَةٌ أَبْدَى البناةُ بها مِنْ عِلْمِــهِم حكَمَاً

لم أَدْرِ ما أَضْمَروا فِيْهِ سِوَى أُمَمٍ تَتَــابَعَــتْ بَعْــدُ سَمَّــوهُ لنا صَنَماً

كـــالمبردِ الفردِ ما أخطأ مُشَبِّهه حقّــاً لـــقد بَـــرِدَ الأيـــام و الأُمَمَا

كـــأَنَّهُ واعِــظٌ طَـــالَ الـــوُقوفُ مـــما يُحَـــدِّث عن عادٍ و عن إِرَمَا

فانـــظُرْ إلى حَـــجَرٍ صَلْدٍ يُكَلِّمنا أَسْمَى وَأَوْعَظُ من قُسٍّ[2] لمن فهما [3]

وقال الإدريسي في نزهة المشتاق: ومدينة شاطبة مدينة حسنة ولها قصاب يضرب بحسنها المثل في الحسن والمنعة ويُعمل بها الكاغد الذي لا نظير له في معمور الأرض ويعم المشارق والمغارب[4].

وفي شاطبة قال أحدهم: (المديد).

نِعْـمَ مُلْقى الرَّحْــلِ شَاطبةٌ لِفَـتًى طـــالتْ بـــه الـــــــرِّحَلُ

بَــلْــدَةٌ أوقـــاتُـــها سَــحَــرٌ وصَــباً فــــي ذيـــلِه بَـــــــلَـــلُ

ونَـــسِيـــمٌ عَـــرْفُـــه أَرِجٌ وريـــاضٌ غصْــنُــها ثَـــــــمِــلُ

وَ وُجُـــوهٌ كُلُّـــها غُــرَرٌ و كـــــــــلامٌ كـــــلُّـــهُ مُـــــثُـــلُ[5] مُـــــثُـــلُ[5]

هذا وقد ذكر ابن سعيد ثلاثة منتزهات في شاطبة "البطحة" "والغدير" و"العين الكبيرة"[6]

وحول اشتقاق الكلمة يقول ياقوت، أنها من الشطبة وهي السَّعَفة الخضراء الرطبة،" وشطبت المرأة الجريدة شطباً إذاً شقتها لتعمل حصيراً. والمرأة شاطبة، قال الأزهري شطب إذا عدل، ورمية شاطبة، عادلة عن المقتل"[7].

---

(1) هو محمد بن أحمد بن عثمان، وسكن بلنسية." وكان من جلة الأدباء ومشاهير الشعراء، وولد ببريانة من أعمال بلنسية، ت 533هـ/ 1138م ، ابن الأبار: **التكملة**،ج1ص356، رقم 1268.
(2) هو قس بن ساعدة الإيادي أحد خطباء العرب المشهورين في الجاهلية.المقري: **نفح الطيب**،ج5 ص260.
(3) المصدر السابق، ج5، ص 260.
(4) الإدريسي: مصدر سابق،م2ص556.
(5) المقري: **نفح الطيب**،ج1ص182.
(6) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2 ص380.
(7) ياقوت: **معجم البلدان**،ج3 ص351.

وقال القلقشندي في صبح الأعشى: هي (شاطبة) مدينة عظيمة، لها معقل في غاية الامتناع وعدة منتزهات، منها البطحاء والغدير والعين الكبيرة[1].

10 1 6 جزيرة شُقْر (Júcar):

بضم الشين المثلثة، وسكون القاف والراء المهملة [2]، وهي من أعمال بلنسية، بينها وبين الأخيرة ثمانية عشر ميلاً [3]، موقعها ما بين شاطبة وبلنسية، وموقعها من أفضل المواقع؛ فهي مدينة على جزيرة في مصب نهر شُقْر (Júcar)، وفيها آثار حصن قديم، وزراعتها كثيرة منها الأرز والبرتقال والنخيل، وهي أنزه بلاد الله وأكثرها روضة وشجراً [4]، وبها أناس وجلة، وبها جامع ومساجد وفنادق وأسواق، وقد أحاط بها الوادي، والدخول إليها شتاءً على المراكب، وتسمى اليوم (Alcira) [5].

وفي إحاطة الوادي بها يقول ابن خفاجة[6] في شعر يتشوق فيه إلى مَعَاهِدِهِ ويندب زمانه[7] زمانه[7] : (الخفيف)

بَيْــنَ شُقْــرٍ ومُلْتــقَى نَهْرَيْها حَيُثُ أَلْقَتْ بِنَا الأَمَــانِي عَصاَهَا

ويُغَــنِّي المُكّــاءُ في شَاطِئَيْها يَسْتَحِــف النُّهَى فَجَــلّتْ حُبَاهَا

عِيشة أَقْبَــلَت يُشــهّى جَنَاهَا وَ رِافٌ ظِــلّــُها لــذيذٌ كَــرَاها

لَعِبــَتْ بالُعقُــولِ إلاّ قليــلاً بَيْــنَ تَــأْوِيــبِهَا وبَيْنَ سُــرَاها

آهِ مــن غُــرْبَةٍ تُــرمْرِقُ بِثّا آهِ مِــنْ رحْــلَةٍ تَطُــولُ نوَاهَا

آهِ مِــنْ فُــرْقَةٍ لِغَــيْرِ تَلاَقِ آهِ مِــنْ دَارٍ لا يُجــيبُ صَدَاهَا

فَتَعَــالــيْ يَا عَيْنُ نَبْكِ عليها من حَيَــاةٍ إنْ كَــانَ يُغْنِي بُكَاهَا [8]

ولمن أراد الخروج من بلنسية إلى شُقْرٍ ودانيةٍ وشاطبة، كان عليه الخروج من أحد البابين

---

(1) القلقشندي: مصدر سابق،ج5 ص223.
(2) المصدر السابق،ج14ص26. وقال ياقوت: جزيرة شَقْر بفتح أوله وسكون ثانيه. راجع ياقوت: **معجم البلدان،** ج3 ص401.
(3) الحميري: مصدر سابق، ص102.
(4) ياقوت: **معجم البلدان،**ج3 ص401.
(5) ابن الأبار: **الحلة السيراء،** ج2ص267؛ القلقشندي: مصدر سابق،ج14ص26.
(6) هو ابن إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة؛ شاعر أندلسي، من جزيرة شقر. ابن خاقان: **قلائد العقيان،** ص 230؛ المقري: **نفح الطيب،** ج5ص37، (سترد له ترجمة ضافية من بعد).
(7) الحميري: مصدر سابق، ص 103.
(8) ابن خفاجة: **ديوان ابن خفاجة** ، تحقيق سيد غازي، ط 2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1979، ص364-365.

الغربيين من أبواب بلنسية وهما باب بيطالة وباب القيسارية[1]، والمسافة من شُقْر إلى شاطبة اثنا عشر ميلاً[2].

10 -2 -الأقاليم:

الإقليم في الأندلس كما قال ياقوت: قسم من الكورة، وهو يعدل الرستاق في المشرق، أي أنه قسم إداري أصغر من الكورة [3]، وقد أشار حسين مؤنس في كتابه فجر الأندلس، إلى أن الإقليم كان وحدة زراعية مالية تضم قرى كثيرة، ولكن الضرائب كانت تقدر عليه جملة.

أما الأجزاء فهي مساحات واسعة من الأرض تركتها الدولة مشاعاً للمراعي، وقد سار العرب في ذلك على أساس قديم وجد منذ أيام الرومان، وهو يجعل لكل مدينة أو قرية منطقة مشاع للرعي معفاة من الضرائب[4].

وفي هذا الميدان تكمن أهمية جغرافية العذري، تلك الأهمية تتميز في ذكره لأقاليم كل كورة وأجزائها؛ فقد ذكر أقاليم بلنسية، ثم أتبع ذلك بالأجزاء التي فيها، وهذه الأقاليم هي:

"إقليم المنارة، إقليم أُندة، إقليم شُبْرُب، إقليم زَنَاتة، إقليم كِنانة، إقليم شِلِينة، إقليم أولهيل، إقليم لبايَة ولها رتبة أولية، إقليم سمح، إقليم شارقة " [5]، ومن الأقاليم أيضاً إقليم بكيران غرب شاطبة على مسافة 40 ميلاً [6] ويتصل ببلنسية إقليم بريانة، ولها أرض خصبة[7].

أما الأجزاء فهي: "جزء الساحل، جزء قَلِيَيرة، جزء الجزيرة، جزء البيضاء وغَلِنار، جزء الأسْناد، جزء فحص شاطبة[8]، جزء ركانة، جزء مدينة التراب، جزء مصمودة، جزء بني غتيلِ، غتيلِ، جزء قسطانية، جزء فُقَيْرة، جزء مسل،وجزء مُرْبيطر"[9].

10 -3 -الحصون:

الحصن: هو موضعٌ محصّنٌ مأهول، يشبه أن يكون مدينة، وقد تتبعه حصون أخرى، والحصون تقام عادة في مواضع لها ميزاتها الجغرافية، والعسكرية والدفاعية، لذلك كانت تجدد

---

(1) العذري: مصدر سابق، ص17-18.
(2) المصدر السابق، ص19.
(3) ياقوت: **معجم البلدان**،ج1ص54.
(4) مؤنس: **فجر الأندلس**، ص 566، 579، 583.
(5) العذري: مصدر سابق، ص20.
(6) الإدريسي: مصدر سابق،م2 ص557.
(7) مؤنس: **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين**، ص 67.
(8) الفحص: هو كل موضع يسكن، سهلاً كان أو جبلاً بشرط أن يزرع فيسمى فحصاً، ثم صار علماً لعدة مواضع. ياقوت: **معجم البلدان**، ج4 ص268.
(9) العذري: مصدر سابق، ص20.

وتعمّر بالجند جيلاً بعد جيل[1]، ومن أهم حصون مملكة بلنسية:

10 3 1 **حصن أرغيرة:** وهو من عمل بلنسية[2].

10 3 2 -**حصن أندة (Castillo de Gandia):** وقد مر ذكره عند العذري، فأشار إلى المسافة من المنارة إلى حصن أندة، فقدرها بأنها أثنا عشر ميلاً[3].

10 3 3 -**حصن أنيشة (أنيجة) (Castillo de yubayla):** يقع هذا الحصن شمالي بلنسية على مقربة من بنشكلة، وهو جبل معترض عال يطل على البحر [4]، ويطلق عليه الإدريسي اسم أبيشة[5] (Abicha). وأُطلق عليه أيضاً اسم جبيلة أو جبالة (Castillo de Yubayla) أو (El puig de cebolla) وتسمى اليوم (Puig de santa Mariá)[6].

10 3 4 -**حصن بكيران (Castillo de Bacarante):** يقع على مسافة تبعد نحو أربعين ميلاً من دانية، وكان على حد قول الإدريسي حصناً منيعاً عامراً كالمدينة، اشتهر على أنه مركز تجاري مهم، تعقد به الأسواق وحوله عمارات متصلة، ذاعت شهرته في صناعة الثياب البيض التي كانت تباع بالأثمان الغالية، فهي من أبدع الثياب عتاقة ورقة حتى لا يفرق بينها وبين الكاغد في الرقة، والمسافة من بكيران إلى شاطبة شرقاً أربعون ميلاً[7].

10 3 5 -**حصن بنشكلة(Castillo de Peniscola):** يقع هذا الحصن شمالي بلنسية، وقد أشار إليه الإدريسي فقال: أنه "حصن منيع على ضفة البحر، وهو عامر آهل، وله قرى، وعمارات ومياه كثيرة، ومنه إلى عقبة أبيشة سبعة أميال"[8].

10 3 6 -**حصن البنيول (Castillo de Buñol)** : يقع ضمن قرية البنيول، وهي على بعد اثنين وأربعين كيلو متراً من بلنسية[9].

10 3 7 -**حصن شارقة (Castillo de Gérica):** يقع هذا الحصن ضمن شارقة، وله برج عالٍ ارتفاعه ثلاثون متراً، وهو من أعمال بلنسية. أما شارقة فهي بلد في آخر حدود ولاية بلنسية، وغرب

---

(1)العذري: مصدر سابق، ص19؛ مؤنس: **فجر الأندلس**، ص376، 589، 590؛ **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين**، ص67-68.

(2) مؤنس: **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين**،ص66.

(3) العذري: مصدر سابق، ص19.

(4) الحميري: مصدر سابق، ص32.

(5) الإدريسي: مصدر سابق،م2 ص555.

(6) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.2, N4, p.44

(7) الإدريسي: مصدر سابق، م2 ص 557.

(8)المصدر السابق، م2 ص555؛ ابن الأبار: **التكملة**،ج 3 ص117 ؛ الحميري: مصدر سابق، ص 56.

(9) ابن الأبار: **التكملة**،ج2 ص85.

شارقة، واد خصيب، وكان يقال لشارقة قلعة الأشراف[1].

10 3 8 – **حصن شاطبة (Castillo de Jativa):** تعتبر شاطبة من أعظم حصون الأندلس، وذلك بفضل موقعها الطبيعي، ارتفاعها عن سطح البحر لا يزيد على مائة وخمسة عشر متراً. قال القلقشندي في صبح الأعشى: (هي شاطبة) مدينة عظيمة لها معقل في غاية الامتناع". [2] إذن من أهم ما يميز شاطبة ذلك الحصن المشرف عليها، ولا تزال آثار بقاياه حتى اليوم ، وفي هذا الحصن كانوا يعتقلون مشاهير الرجال. ومن هؤلاء ورثة تاج أراغون عندما اعتدى عليهم شانجة الرابع عام 683هـ/1284م[3].

وتجدر الإشارة إلى أن المسافة من جزيرة شقر إلى حصن شاطبة هي اثنا عشر ميلاً[4].

10 3 9 – **حصن شُرِيّون:** من أعمال بلنسية، بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد الياء.[5]

10 3 10 – **حصن شلينة:** من أعمال بلنسية، وقد أشار إليه العذري فقال: "ومن حصن أندة إلى حصن شلينة ستة أميال"[6].

10 3 11 – **حصن شيركة:** من أعمال بلنسية، وقد ذكره ياقوت[7].

10 3 12 – **حصن قُلَيْيرة (Castillo de Cullera):** تقع على ضفة نهر شقر (Júcar)، وفيها آثار حصن قديم ومنها إلى طبرنة عشرة كيلومترات، وقال الإدريسي في نزهة المشتاق: "من بلنسية إلى حصن قُليبرة خمسة وعشرون ميلاً، وحصن قُليبرة قد أحدق البحر به وهو حصن منيع على موقع نهر شُقر[8]، أما العذري فقد حدد المسافة ما بين قليبرة وشاطبة بخمسة وعشرين ميلاً، ميلاً، ومن حصن قليبرة إلى مدينة دانية بأربعين ميلاً[9].

10 3 13 – **حصن متيطة:** من عمل بلنسية، ونسب إليها جماعة من العلماء والأدباء[10].

10 3 14 – **حصن مُرْبَيْطَر (Castillo de Murbidero):** بالضم ثم السكون، وباء موحدة مفتوحة، وياء مثناة من تحت ساكنة وطاء مفتوحة، وراء، هو حصن بالأندلس شرق مدينة التراب، بينها

---

(1) ياقوت: **معجم البلدان**، ج3، ص349؛ ابن الأبار: **التكملة**، ج1 ص43، 227، 344. وجدير بالذكر أن ملك أراغون جاك الأول، لما زحف على مملكة بلنسية، بدأ بشارقة، واستولى على حصنها الذي هو مفتاح بلنسية وذلك عام 633هـ/ 1235م. راجع أرسلان: مرجع سابق، ج3 ص 234-235.

(2) القلقشندي: مصدر سابق، ج5 ص223.

(3) أرسلان: مصدر سابق،ج3 ص256.

(4) العذري: مصدر سابق، ص19.

(5) ياقوت: **معجم البلدان**، ج3 ص387؛ ابن الأبار: **التكملة**،ج1 ص316.

(6) العذري: مصدر سابق،ص19.

(7) ياقوت: **معجم البلدان**،ج3ص434.

(8) الإدريسي: مصدر سابق،م2ص556-560؛ ابن الأبار: **التكملة**،ج1ص92، 361.

(9) العذري: مصدر سابق، ص20.

(10) المقري: **نفح الطيب**،ج1 ص178.

وبين بلنسية أربعة فراسخ[1] وفيها الملعب ذو العجائب؛ ذلك أن الإنسان إذا صعد فيه نزل وإذا نزل صعد[2]، كان العرب يقولون لهذا البلد مرباطر أو مربيطر (Murbite)، ومعنى هذا اللفظ "الأسوار القديمة" وهي محرفة عن (Muriveteres) وكان الإسبانيون يسمونها مربيدرو (Murvidero). وكان يُقال لها أيام القرطاجيين والرومان (Saguntum)[3]. وفيها ملعب الخيل الذي يمتد على ضفة وادي بلنسية، طوله مئتان وخمسة وثمانون متراً، وعرضه اثنان وسبعون متراً. وفي القسم الأعلى منه نهير عليه جسر روماني، والمسافة بين مربيطر وأشكرب واحد وثلاثون كيلو متراً [4]، أما المسافة بين مربيطر والمنارة فهي خمسة أميال على حد قول العذري[5].

10 - 3 - 15 - **حصن المنارة (Castillo de Manara):** من أعمال بلنسية، مر ذكر هذا الحصن في معجم البلدان لياقوت الحموي[6]، وقد اعتبر هذا الحصن مفتاح المملكة البلنسية[7].

أما العذري فقد أشار إلى المسافة بين بلنسية وحصن المنارة بعشرين ميلاً، ومن حصن المنارة إلى مربيطر بخمسة أميال، ومن حصن المنارة إلى أندة باثـــني عشر[8] ميلاً.

وفي المنارة كانت الوقعة المشؤومة على العرب عام 636هـ /1238م، وعلى أثرها استولى ملك أراغون جاك الأول على المملكة البلنسية، وقد بنى الإسبان في هذا المكان الذي وقعت فيه الوقعة كنيسة، ولا يزال في هذه الكنيسة آثار هيكل قديم[9].

10 - 3 - 16 - **حصن مورور:** مر ذكر هذا الحصن عند العذري، وقد حدد الأخير المسافة ما بين هذا الحصن وقلعة مَوْرِيلَ بخمسة وعشرين ميلاً[10].

10 - 4 - القـــــرى:

لبلنسية أعمال كثيرة تزيد على ألف وستمائة قرية في كل قرية جامع ومنبر وقاض وخطبة[11]، وهنا يمكن الحدث عن بعض القرى التي اشتهرت أكثر من غيرها منها:

10 - 4 - 1 - **أرناطة (Arnata):** بها عين أرناطة، وهي عين ينبع ماؤها من غار على فمه

---

(1) ياقوت: **معجم البلدان**، ج5 ص117؛ ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق مريم قاسم طويل، ويوسف علي طويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت**، ج1، ص14. والفرسخ: مسافة تقدر بثلاثة أميال.
(2) القزويني: مصدر سابق، ص563.
(3) أرسلان: مرجع سابق، ج3 ص36 وما بعدها.
(4) المرجع السابق، ج3 ص44.
(5) العذري: مصدر سابق، ص19.
(6) ياقوت: **معجم البلدان**، ج5ص233.
(7) أرسلان: مرجع سابق، ج3 ص35.
(8) العذري: مصدر سابق، ص19.
(9) أرسلان: مرجع سابق، ج3 ص35.
(10) العذري: مصدر سابق، ص20.
(11) مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**، مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، قسم الوثائق، مخطوط رقم 85 ص 67.

حوض، يظهر في ذلك الحوض أنه يكثر تارة ويقل أخرى كالمد والجزر، ويُرى ذلكفي كل يوم مراراً[1].

10 4 2 أسيلة(Silla): قرية تقع شمال بحيرة بلنسية، وقد مر ذكرها في التكملة لابن الأبار[2].

10 4 3 أُنْدَارَةُ (Andara): ذكرها ابن الأبار في التكملة [3]، على أنها قرية من قرى دانية من عمل بلنسية، أما الحميري فيقول: إنها مدينة عظيمة في شرق الأندلس خربتها المغاربة[4].

10 4 4 (بِتَّه): بالهاء، قرية من أعمال بلنسية[5]، ينسب إليها أبو جعفر أحمد بن عبد الولي بن أحمد البتي، كاتب وشاعر بليغ مطبوع، كثير التصرف، مليح التظرف، أحرقه السيد القنبيطور حين تغلبه على بلنسية وذلك عام488هـ/1095م[6].

10 4 5 بُرِيَّانة (Buriana): بضم أولها وكسر ثانيها وتشديد الياء[7] من قرى بلنسية عامرة ذات أشجار ومستغلات ومياه متدفقة[8]. أما المسافة من بريانة إلى بلنسية فهي اثنا عشر ميلاً غرباً[9] وبينها وبينها وبين البحر ثلاثة أميال.

10 4 6 بَطِرْنَةَ (Paterna): قرية من أعمال بلنسية[10]، وهي على بعد عشرين كيلومتراً من الأخيرة، في وسط جنان بلنسية الشهيرة، وفيها معدن التوتيا الطبيعية، وهي أزكى توتيا وأقواها في صبغ النحاس، وفيها كانت الوقعة الشهيرة حيث انتصر الإسبان على العرب، وفيها يقول أبو إسحاق بن يَعْلَى الطَّرسُوني[11]: (الكامل)

لبسُوا الحديدَ إلى الوَغَى و لَبِسْتُمُ   حُلَلَ الحرير عليكم أَلْوَانا

ما كان أَقْبَحَهُمْ و أَحْسَنَكمُ بها   لو لم يَكُنْ بِبَطَرنةٍ ما كانا [12]

10 4 7 بنيول(Buñol): قرية على ضفة نهير يُقال له البُنيول وفيها حصن قديم، وهي من

---

(1) القزويني: مصدر سابق، ص 494.
(2) ابن الأبار: **التكملة**، ج2ص62.
(3) المصدر السابق، ج1 ص262.
(4) الحميري: مصدر سابق، ص31.
(5) المقري: **نفح الطيب**،ج1، ص164.
(6) ابن الأبار: **التكملة**،ج1 ص30 ترجمة رقم 76.
(7) ياقوت: **معجم البلدان**،ج1ص482- 483؛ ابن الأبار: **التكملة**، ج1 ص356؛ج4 ص95.
(8) الحميري: مصدر سابق، ص44.
(9) الإدريسي: مصدر سابق،م2ص556.
(10) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2ص355.
(11) هو إبراهيم بن مُعلّى الطّرسُوني، نسبة إلى طرسونة، إحدى مدن الثغر بالأندلس، شاعر مشهور، اشتهر بمدح المقتدر بن هود، صاحب الثغر، وجال على مدن الأندلس، وقال هذين البيتين يصف خروج أهل بلنسية للقاء العدو في غير ثياب الحرب، وهزيمتهم بموقع بطرنة عام 455هـ/1064م. ابن بسام: مصدر سابق، م 3 ص547؛ ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2ص457.
(12) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص 554، المقري: **نفح الطيب** ، ج1 ص 177-178.

أعمال بلنسية[1]، وضبطها بضم أولها كما تلفظ بالإسبانية.

10 4 8 - **رُكَانَةَ (Requena):** قال ياقوت بضم الراء وبدون تشديد الكاف، وضبطه للاسم، كان بالحركات وليس بالحروف حتى لا يقع لبس في اللفظ [2]، وهكذا تلفظ بالإسبانية أيضاً ، بضم أولها وبدون تشديد للكاف ، مدينة لطيفة من عمل بلنسية، إلى الغرب من الأخيرة يحدها من الشمال (Chelva) ومن الشرق (Lirida) ومن الغرب (Cuenca)[3] وهي على بعد ستة وسبعين كيلو متراً من بلنسية[4].

10 4 9 - **شُبْرُبْ:** وهي من قرى بلنسية، قرأ بجامعها عبد الله بن أحمد بن نام الصدفي كتاب "التمهيد" لأبي عمر بن عبد البر عام 483 هـ/1090م[5].

10 4 10 - **شون:** قرية من قرى بلنسية، ذكرها ابن الأبار[6]، وقد ورد ذكر شون في الإحاطة لابن الخطيب[7]، وقال: أنها قرية من إقليم ألبيرة، وإقليم ألبيرة هو إقليم غرناطة.

10 4 11 - **الشارة:** قرية من عمل بلنسية ذكرها ابن الأبار[8].

10 4 12 - **لرية(Liria)** وهذه القرية، تبعد عن بلنسية مسافة سبعة كيلومترات[9].

10 4 13 - **منزل عطاء:** وهي إلى الغرب من بلنسية[10].

10 4 14 - **المَنْصَفِ:** من قرى بلنسية، وقد ذكرها المقري في نفح الطيب[11].

10 4 15 - **رصافة بلنسية (Rusafa de Valencia):** من أعمال بلنسية، تضم الكثير من البساتين، ولا يُعلم في الأندلس ما يُسمى بهذا الاسم غير رصافة بلنسية ورصافة قرطبة [12]، وفيها قال الرصافي[13]: (المتقارب)

---

(1) ابن الأبار: **التكملة**،ج2ص85.
(2)ياقوت: **معجم البلدان**،ج3ص72؛ ابن الأبار:**التكملة**،ج3ص209.
Enciclopedia universal, Ilustrada, Madrid, 1993, T.50, p.1072. (3)
(4) أرسلان: مرجع سابق، ج3 ص216.
(5) ياقوت: **معجم البلدان**، ج3 ص364؛ ابن الأبار: **التكملة**،ج1ص64، ج2 ص26، وسترد ترجمة ضافية لابن عبدالبر من بعد.
(6) ابن الأبار: **التكملة**،ج2ص101،48.
(7) ابن الخطيب: **الإحاطة**. ج1ص34،165 .
(8) ابن الأبار: **التكملة**،ج2ص128.
(9) المصدر السابق،ج1ص 96، 188، 211، 223، 231، 318؛
Enciclopedia universal, Ilustrada, Madrid, 1991,T.30,p.1004.
(10) ابن الأبار: **التكملة**،ج2ص174؛ج4ص8.
(11) المقري: **نفح الطيب**،ج1ص177.
(12) المصدر السابق،ج1ص177.
(13) هو أبو عبد الله محمد بن غالب الرصافي، شاعر بلنسية في فترة المرابطين والموحدين. توفي عام 572هـ/1176م. **ديوان الرصافي البلنسي**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت،1989م، ص124.

ولا كـــالرُّصافة مِــنْ مَنْــزِلٍ		سَقَتْــهُ السحـــائب صـــَوبَ الولـيِ [1]

أحِـــنُّ إليـــها وَمَـــنْ لـــي بهاَ		وَأَيْـــنَ السَّـــرِيُّ مِـــنَ المَـــوْصِلِ [2]

وخلاصة ما توصلت إليه الدراسة في هذا الفصل هي أن مملكة بلنسية، كانت فرضة صغيرة على البحر المتوسط، تسمى فالنثيا (Valencia)، ثم قام العرب بتعريب هذا الاسم وصارت تعرف باسم بلنسية، ويعود تاريخ تأسيسها إلى عام 138 ق.م، وهي ذات منشأ روماني.

وإن بعض المؤرخين، قد أبدوا عدة آراء حول فتح العرب لبلنسية، فمنهم من رأى أنها فتحت على يد طارق بن زياد، وبعضهم من قال: إنها فتحت على يد طارق بن عبد العزيز بن موسى بن نصير.

وبعد ذلك تظهر بلنسية على المسرح التاريخي لها استقلالها وحاكمها مع الأمير عبد الله البلنسي أحد أبناء الأمير عبد الرحمن الداخل.

وبلنسية المملكة المستقلة، برزت على المسرح السياسي مع نشوب الفتنة بقرطبة، عندما استولى عليها الفتيان العامريون، بعد سقوط الخلافة الأموية في قرطبة؛ فكان أن انفرد بحكمها الفتيان العامريان: مبارك ومظفر، فبنيا سورها، واتسعت مع الوقت وزاد عدد سكانها، ثُمّ أصبحت قاعدة لمملكة كبيرة لها أهميتها بين دول الطوائف، وقد أطلق عليها اسم "مطيب الأندلس"، ومدينة "التراب"، و"بستان إسبانيا"، و"بستان الأندلس"، وبلنسية السيد (Valencia del cid).

وتقع بلنسية على مسافة ثلاثة أميال من ساحل البحر المتوسط، وهي برية بحرية، يحدها من الشمال طرطوشة ومن الجنوب دانية ومرسية، ومن الغرب طليطلة، وشرقاً البحر المتوسط، وقد افتخر المؤرخون والجغرافيون والشعراء والأدباء، بجمالها، وكان بها منتزهات تزيد من رونقها.

كما ضمت المملكة سهلاً واسعاً عرف باسم (La Huerta de Valencia)، وكذلك ضمت عدة جبال، ومنها جبل ألبُرت، و Cabrillas ,Sancti Spiritus ,Porta Coeli ,Espadán, Costera de Ranes ,Bicorp ,Ayora ,Martes,. أما أشهر أنهارها فهي Palancia, Mijares, Júcar, ,Segura ,Serpis ó Alcoy ,Turia, Vinalopó.

---

(1) الولي: المطر ويكون بعد الوسميّ. ابن منظور: **لسان العرب**،ط6، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، م15 ص 413.

(2) "المَوْصليٍّ" هكذا وردت في طبعة دار صادر وطبعة عبد الحميد، أي بتشديد الياء. وهو غير صحيح، لأنه يريد أن يقول: إنّ السّريّ،مثلي،ترك بلده الموصل ولم يعد إليها. وهو أبو الحسن السرّيُّ بن أحمد بن السرّيِّ الكندي الموصلي، المعروف بالرِّفّاء، لأنه كان في صباه يطرز في دكان بالموصل.التحق بسيف الدولة،بحلب ثم عاد إلى بغداد فتوفي بها بعيد عام 326هـ/937م.ابن خلكان: مصدر سابق،ج3 ص355.

هذا وقد ضمت مملكة بلنسية عدة أعمال، فمن مدنها أشكرب ، و أندة، وألبونت، ودانية، وشاطبة، وجزيرة شقر. ومن أقاليمها إقليم المنارة، وأندة، وشبرب، وزناتة، وكنانة، وشلينة، وأولهيل، ولباية، وسمح، وشارقة، وبكيران.

هذا وقد احتضنت المملكة عدة حصون ومن أشهرها؛ حصن أرغيرة، وأندة، وأنيشة، وبكيران، وبنشكلة، والبنيول، وشارقة، وشاطبة، وشريون، وشلينة، وشيركة، وقلييرة، ومتيطة، ومربيطر، والمنارة وموررور.

وتزيد قراها على ألف وستمائة قرية ومن أشهرها: أرناطة، وأسيلة، وأندارة، وبتة، وبريانة، وبطرنة، وبنيول، وركانة، وشبرب، وشون، والشارة، ولرية، ومنزل عطاء، والمنصف، ورصافة بلنسية.

الفصل الثانـي

الحياة السياسية والإدارية في مملكة بلنسية

الفصل الثاني

الحياة السياسية والإدارية في مملكة بلنسية

1- بلنسية منذ أن كانت أيام الفتنة بيد مجاهد العامري:

قبل الشروع في الحديث عن هذا الموضوع، يستحسن التعريف بتلك الشخصية: مجاهد بن يوسف بن علي العامري (أبو عبد الله)، بالولاء أبو الجيش، رومي الأصل. ولد بقرطبة ورباه المنصور بن أبي عامر مع مواليه، فنسب إليه. تلقَّب بالموفق بالله. كان حازماً يقظاً شجاعاً، عارفاً بالآداب وعلوم القرآن. نعته بعض مؤرخيه بفتى أمراء دهره وأديب عصره[1].

وقد أسهم مجاهد بدور فعال في نشاط ألوان متعددة من الدراسات. ولا عجب في ذلك فقد كان عالماً بالقراءات واللغة[2]، ويبدوأن هذا عائد إلى نشأته العلمية التي نشأها في ظل حكم مولاه عبد الرحمن بن المنصور العامري..

ومن أهم ما ذكر عن مجاهد من إنجازات علمية، ما كان عليه من ولع شديد واهتمام كبير بجمع الكتب، والسعي في اجتلابها من مختلف المدن والأقطار. باذلاً في ذلك كثيراً من الأموال حتى اجتمع منها لديه خزائن عظيمة، وكان يقضي بعض وقته في مطالعتها والعكوف على قراءتها[3]، وقد جمع مجاهد من الكتب ما لم يجمعه أحد من نظرائه، وأتت إليه العلماء من كل صقع[4]. وكان مجاهد مسارعاً في تكريم العلماء راغباً في رعايتهم وتشجيعهم على العلم والمعرفة. باذلاً لهم بسخاء كل ضروب التكريم والتعظيم في سبل الرقي بالمعارف [5]. وتعود شهرة مجاهد إلى اهتماماته العظيمة بالدراسات القرآنية واللغوية، حتى اصطبغ بلاطه بهذه السمة، فرحل إليه القراء واللغويون ووجدوا في بلاطه كل تكريم[6].

أما من الناحية السياسية، فقد كان له دور بالغ في تشكيل بعض الأحداث السياسية والعسكرية في شرق الأندلس وبعض الجزر الشرقية أيضاً، فابن عذاري يذكر أن مجاهداً العامري كانت بيده حكم بلنسية وشاطبة إبان فتنة[7] ابن عبد الجبار عام 399هـ/1008م، ثم ثار به عبدان من عبيد العامريين هما مبارك ومظفر، فخرج مجاهد إلى دانية بينما استقل الآخران في مدينتي

---

(1) الحميدي: مصدر سابق، ص 353؛ الضبي: **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس،** تحقيق صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت ،2005م، ص437.
(2) الحميدي: مصدر السابق، ص354؛ ابن بسام: مصدر سابق، م 3 ص 12.
(3) ابن بسام: مصدر سابق، م 3 ص 13.
(4) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام،** ص218.
(5) الحميدي: مصدر سابق، ص354؛الضبي: مصدر السابق، ص438.
(6) ابن بسام: مصدر سابق، م 3 ص 13.
(7) ابن عذاري: مصدر سابق، ج 3 ص302.

بلنسية وشاطبة[1].

أما ابن الخطيب فيذكر نقلاً عن ابن حيان، أن شاطبة قبل أن يتملكها مبارك ومظفر كانت تابعة لخيرة الصيقل[2] ونائبه عبد العزيز بن أفلح[3].

يبدو أن هذه الأخبار متناقضة جميعها ، وبمقارنة النصوص بعضها ببعض تم التوصل إلى النتائج التالية:

– في بداية الفتنة انتزع المهدي الخلافة عام 399هـ/1008م، وانقلب على بعض الفتيان الصقالبة ومن بينهم مجاهد وطردهم من القصر الخلافي، ففر معظمهم إلى شرق الأندلس، وتمكن مجاهد العامري من الاستقلال ببعض المدن هناك. وكان قد تولى أيام المنصور محمد بن أبي عامر دانية، ثم خرجت عليه زمن ابنه المظفر الذي ولاه على الجزر الشرقية الثلاثة: يابسة، ومينورقة، وميورقة[4]، فتمكن مجاهد من الاستقلال بها وضبط أمورها وضمها إلى جزره الثلاثة، ثم تغلب على طرطوشة وشاطبة وبلنسية في المرحلة ما بين أواخر عام 399هـ /1008م، وأوائل عام 400هـ/1009م.

– يبرز أحد الفتيان الصقالبة البارزين، وهو لبيب العامري، ويبدأ في مناورة مجاهد العامري، للاستيلاء على بعض ممتلكاته، مثل طرطوشة وشاطبة وبلنسية، ويبدو أن الصراع قد أسفر عن تغلب لبيب على طرطوشة عام 400هـ/1009م، وانتزاعها من يد مجاهد. وفي الوقت نفسه كان ثمة صراع يدور بين الطرفين حول مدينة شاطبة ويبدو أن لبيب قد تمكن من السيطرة عليها لفترة محدودة عام 399هـ/1008م، وطوال عام 400هـ/1009م.

---

(1) ابن عذاري:مصدر سابق، ج 3 ص158.

(2) خيرة الصيقل: كان سخياً، استقر بشاطبة بعد زوال الدولة العامرية، دعاه مبارك إلى بلنسية وبالغ في إكرامه، ودعاه يوماً إلى طعام. ومما يذكر أن مباركاً قد دس له سماً في بعض ما أكله، فتوفي راجع ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص226.

(3) المصدر السابق، ص225- 226.

(4) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص 153. كان مجاهد قد غزا سر**دانية أيضاً** وتغلب على معظمها، إضافة إلى الولايات التي ولاه عليها المنصور بن أبي عامر (يابسة، ميورقة ومينورقة). ومن جهة ثانية فقد أشار ابن خلدون إلى أن مجاهد منذ بداية الفتنة، أسس مملكة واسعة امتدت من طرطوشة شمالاً حتى لورقة جنوباً، ولكنه خاض معارك مع خصومه من الفتيان الصقالبة الذين انتزعوا منه عدداً من مدن شرق الأندلس، بحيث لم يبقَ له إلا دانية. ومن هؤلاء الفتيان مبارك ومظفر اللذان انتزعا منه بلنسية وشاطبة، فمن هنا يمكن الأخذ برواية ابن عذاري التي تؤكد أن مجاهداً استقل بالجزر الشرقية ودانية منذ بداية الفتنة. راجع ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص155. بينما يستبعد الأخذ برواية ابن خلدون التي تقول: إن مجاهد أسس مملكته بعد وفاة المهدي عام 401هـ/1010م.ابن خلدون: مصدر سابق، ج4 ص 211. لذا فكيف يمكن القول : إن مبارك ومظفر كانا يحكمان مرسية وشاطبة عام 401هـ/1010م.

ويبدو أن خيرة الصيقل كان يتولى حكم شاطبة قبلهما نيابة عن مجاهد، وكان قد سبقه في ولايتها لبيب العامري صاحب طرطوشة، وهذا ما يفسر أن مجاهد قد فر إلى شرق الأندلس منذ بداية الفتنة عام 399هـ/1008م، كما أوضح ابن عذاري، وأن أسس مملكته (مملكة مجاهد) لم يبقَ منها إلا دانية 401هـ/1010م، وذلك بسبب المعارك التي خاضها.

– بقي مجاهد العامري مسيطراً على كل من بلنسية وشاطبة بالإضافة إلى ممتلكاته الأخرى إلى أن ثار به مبارك ومظفر وتغلبا عليها وانتزعاها منه، عندئذٍ تركها مجاهد ورحل إلى دانية[1].

– استمر مجاهد بعد فقده بلنسية يحتفظ بشاطبة، دون أن يتخذها مقراً له، إذ كان قد اتخذ من دانية مقراً لمملكته الصغيرة، وترك شاطبة لخيرة الصيقل (صقلبي) يحكمها نيابة عنه على أنه حاكم محلي لها[2]، وهذا الأخير كان قد عين بدوره نائباً له على شاطبة وهو عبد العزيز بن أفلح ليتولى شؤون المدينة في حال غيابه عنها لأي سبب من الأسباب[3].

– بعد أن استولى مبارك ومظفر على بلنسية، طمع مبارك بالسيطرة على شاطبة، فأخذ يعمل للتخلص من خيرة الصيقل، وينجح في ذلك، وبمقتل خيرة الصيقل، يتولى أمور مدينة شاطبة عبد العزيز بن أفلح، وكان الأخير يميل إلى مبارك، ويستدل على ذلك من إقدام مبارك على تقليده حكم شاطبة لابن أفلح وذلك بعد أن ضم شاطبة إلى ملكه ليتولاها نيابة عنه كتابع له، وقد عبر بوضوح تام عن ذلك ابن الخطيب فيقول: "وتفرد نائبه عبد العزيز بن أفلح السلطاني بضبط القلعة وتدبير أمر من فيها من الجند، وكان له انحطاط إلى مبارك فلم يهجه، وقنع منه بذلك وخلاَّه على حاله إلى أن تصيَّر أمرُها بعد ذلك إلى يد مجاهد العامري. واشتد سلطان مبارك بتلك الجهة واستضم الرجال"[4]وهكذا جاءت عبارة ابن الخطيب الأخيرة لتؤكد سيطرة مبارك على منطقة شاطبة كلها وخضوع ابن أفلح له.

وبذلك يمكن القول: إن مملكة مجاهد كانت تضم كلاً من دانية وبلنسية وشاطبة عندما ثار به الفتيان العامريان: مبارك ومظفر، وتمكنا من انتزاع بلنسية من قبضته، ثم تمكن مبارك فيما بعد من السيطرة على شاطبة.

2- بلنسية في عهد مبارك ومظفر العامريين 400-408هـ/1009-1017م:

إن قيام الفتنة في أنحاء الأندلس، جعل بلنسية تشارك فيها دويلة مستقلة من دويلات الطوائف، بدور بارز في أحداث شرق الأندلس خاصة باعتبارها من أعظم القواعد الشرقية، فلمّا اندلعت نار الفتنة كما أشير سابقاً في أعقاب انهيار الدولة العامرية تمكن محمد بن هشام بن عبد الجبار (المهدي) من انتزاع الخلافة من هشام المؤيد، وكان على بلنسية فتى من الفتيان العامريين هو مجاهد، فثار به اثنان من الصقالبة هما مبارك ومظفر، انتزعا منه بلنسية، عندئذٍ ترك لهما مجاهد بلنسية ورحل إلى دانية[5].

---

(1) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص302.
(2) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص225.
(3) المصدر السابق، ص226.
(4) المصدر السابق، ص 226.
(5) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص301- 302.

أما قصة هذين الفتيين الصقلبيين وأصلهما، فقد كانت موضع نقاش حيث يذكر البعض أنهما اختطفا وهما طفلان من بلاد الإسبان، وربوا تربية إسلامية بحتة[1]، ثم دخلا في خدمة مولاهما مفرج العامري قائد شرطة الزاهرة[2]، مولى المنصور محمد بن أبي عامر[3]، واستطاع هذان الصقلبيان أن يتغلبا على مجاهد في بلنسية أولاً وينتزعاها منه، فخرج مجاهد إلى دانية بعد أن سلّم بلنسية لهما، وكانت بلنسية هي الخطوة الأولى تجاه إنشاء مملكتهما.

أما ابن عذارى، وابن بسام نقلاً عن ابن حيان، فيذكران أنهما كانا بادئ ذي بدء يتوليان وكالة السقاية في بلنسية ثم حدث أن صرفا عنها، واضطرا إلى المثول بقرطبة أمام الوزير عبد الرحمن بن يسار أيام خدمته بها وذلك عام 401هـ/1010م، فاستعطفاه وتوسلا إليه، فكان ذلك سبباً لإعادتهما إلى عملهما، فعادا إلى بلنسية، ولم يلبث أن ضرب الدهر ضرباته فقضى لهما بالإمارة هناك، بينما نالت ابن يسار بعد ذلك محنة قرطبة[4].

وتشير بعض الروايات إلى أنه من المحتمل أن يكون مبارك ومظفر من العبيد الزنوج[5]،ويبدو أن هذا الاحتمال بعيد عن الواقع وليس له أساس من الصحة، لأن منطقة شرق الأندلس لم تشهد في هذه المرحلة إلا فتياناً صقالبة ينتمون من حيث الجذور إلى أصول إسبانية، ويتفقون في ذلك مع أصول سكان شرق الأندلس، كما يذكر أويثي ميراندا[6].

ويقول ابن عذاري نقلاً عن ابن بسام أن مبارك ومظفر: "كانا عبدي مهنة وأميري فتنة، قلَّ الناس فكثروا، وخلا لهم الجو فباضوا وصفَّروا وغاضوا الجماعة بقرطبة مدة أيامهم، وداسوا أحساب الأحرار بأقدامهم..."[7].

أياً تكن الظروف التي دعت كلا من مبارك ومظفر لتولي الحكم في بلنسية فمن الثابت أنهما اشتركا في حكم بلنسية، وامتزجا في ذلك امتزاج الأخوة، ونزلا في قصر الإمارة

Huici Miranda**: Historia Musulmana de Valencia,** T.1, p.49.(1)

(2) الزاهرة: هي من بناء محمد بن أبي عامر، الذي تسمى بالحاجب المنصور ، عام 368هـ/978م، أما موقع المدينة الزاهرة فه و على نهر قرطبة ، وقد عمل المنصور على رفع أسوارها، وتوسيعها، وانتقل إليها عام 370هـ/980م، وتحوي الكثير من المنيات: كالمنية العامرية، والناعورة، والسرور وغيرها. المقري: **نفح الطيب**،ج 1 ص 380؛ ج2 ص 115-116، 121.

(3) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص10؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص162.

(4) ابن عذاري: مصدر سابق، ج 3 ص158– 159، وقد نقل ابن بسام الرواية نفسها عن ابن حيان، ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص7 وما بعدها.

Prieto y Vives**: Los Reyes de taifas,** p.39. (5)

Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, pp.49-50. (6)

(7) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص162.

مختلطين[1] تجمعهما في أكثر أوقاتهما مائدة واحدة، ولا يتميز أحدهما عن الآخر في عظيم ما يستعملانه من كسوة وحلية وفراش ومركوب وآلة، ولا ينفردان إلا في الحرم خاصة، على أن جماعة حرمهما كن مختلطات في منازل القصر ومستويات في سائر الأمر [2].

ومع ذلك فقد كان لمبارك التقدم في المخاطبة هناك في حقيقة رسوم الإمارة، لصرامته وحزمه، في حين تميز المظفر برقته ودماثة خلقه، ورضوخه لصاحبه في سائر أمره. ورغم اشتراكهما في حكم بلنسية وإدارة شؤونها إلا أن هناك من الروايات ما يشير إلى أن مباركاً اختص بحكم شاطبة[3] شاطبة[3] التي كان يتولى أمرها عند انقراض الدولة العامرية على حد قول ابن الخطيب الفتى خيرة الصيقل، ولكن مطامع مبارك في الاستيلاء عليها دفعته إلى التخلص من خيرة؛ فاستضافه مبارك يوماً في بلنسية ودس له السم في طعامٍ قدمه إليه، فلما عاد خيرة الصيقل إلى شاطبة ظهرت آثار التسمم فاعتل ثم توفي[4]، فخلفه على شاطبة نائبه عبد العزيز بن أفلح ، الذي كان يدين لمبارك صاحب بلنسية بنوع من التبعية والخضوع، واستمرت الأوضاع على ذلك النحو إلى أن استولى مجاهد العامري صاحب دانية على شاطبة[5]، ولكن ماذا عن سياستهما الداخلية؟

سياسة مبارك ومظفر الداخلية:

تواصل حكم مبارك ومظفر لأمر بلنسية بضع سنوات حتى عام 408هـ/1017م، وبلغت جبايتهما مائة وعشرين ألف دينار في الشهر الواحد، سبعون منها من بلنسية، وخمسون من شاطبة[6]. وتشير المصادر إلى أنهما تجردا من مشاعر الرحمة، فكانا يتعسفان في تحصيل الأموال ويتشددان في جبايتها من الرعية، الذين أرهقهم تحمل هذا الظلم وناؤوا بأثقاله، في الوقت الذي تزايد فيه خراج هذين الصقلبيين، وتمتعا بالترف والثراء الفاحش على حساب بؤس الرعية وشقائها[7]، فكان موكبهما يفوق موكب مولاهما المظفر عبد الملك بن أبي عامر في فاخر اللباس

---

(1) ابن حزم: **رسائل ابن حزم**، تحقيق إحسان عباس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987م، ج1 ص361؛ ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص7 ؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص159.

(2) ابن بسام: مصدر سابق، م 3 ص7؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج 3 ص159، ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص222.

(3) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص7؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص159.

(4) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص225، 226؛ Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, p.181.

(5) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص226.

(6) ابن عذاري: مصدر سابق، ج 3ص160؛ Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, p.150.

(7) ابن بسام: مصدر سابق، م 3 ص10؛ابن عذاري: مصدر سابق، ج 3 ص160؛ ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب** ج2ص299.

ووفرة الأتباع وحسن خدمتهم لهما[1]، كما اهتما بإقامة القصور واقتناء الأشياء النادرة والباهظة الثمن، إضافة إلى الخدم والحشم، وأكثرا من بناء الدور وبالغا في تأثيثها، وشاركهما في هذا الترف أعوانهما من الكتاب والوزراء[2].

وتذكر المصادر أن مباركاً ومظفراً اهتما بتحصين بلنسية، ودعم دفاعاتها في عصر امتلأ بالفتن والحروب فسورا بلنسية وزَودا سورها بأبواب حصينة [3]، وكان لإنشاء هذا السور أعظم الأثر في حمايتها من أطماع الطامعين، وترتب على ذلك أن نعمت بلنسية بنوع من الأمن والهدوء، فكان لذلك الأثر الكبير في إقبال أعداد كبيرة من أهل قرطبة ممن شردتهم الفتنة وطحنتهم النوائب، على نزولها وسكناها، فانتجع الناس إليها من كل مكان، ومنهم من كان عارفاً بالزراعة والغروس، ومنهم من كان من أرباب الصنعة والفنون، فباشروا أعمالهم في ظل هذه الحياة الآمنة[4]، فازدهرت الحياة الاقتصادية وانتشر العمران، وقد ساعد على ذلك، التزام مبارك ومظفر سياسة تقوم على الحياد بين ملوك الطوائف وعدم الخوض في الحروب الأهلية المحتدمة في الأندلس[5] الأندلس[5].

وقد اجتذبت بلنسية إليها بتوافر الأمان في ربوعها واستقرار الأوضاع جمهوراً كبيراً من الموالي، والصقالبة، ومن الإفرنج، والبشكنس، وكذلك من العبيد الآبقين، قدموا من مختلف نواحي الأندلس وقد وجد هؤلاء في بلنسية فرصة لإبراز مواهبهم، فنعموا في عهد أميريها بنفوذ كبير[6].
كبير [6].

وجدير بالذكر أن مباركاً ومظفراً أقدما على سك عملة لهما عام 407هـ/1016م، نقشا عليها اسميهما إلى جانب اسم الناصر علي بن حمود الخليفة القائم بقرطبة آنذاك[7]، تعبيراً عن تبعيتهما تبعيتهما الروحية لهذا الخليفة الحمودي، ولكي يضيفا نوعاً من الشرعية على إمارتهما في بلنسية.

ومن الأهمية بمكان القول: إنه وعلى الرغم مما اتسم به كلٌّ من مبارك ومظفر من جهالة بالعلوم والآداب، كانا يعتمدان في بلاطهما على أبرز الكُتّاب، ولا سيما أولئك الذي هاجروا من

---

(1) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص10؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص161.

(2) ابن بسام: مصدر سابق، م 3 ص9؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج 3 ص161؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص222.

(3) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص8؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص160.

(4) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص8؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص160؛
Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, p.150.

(5) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص8؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص222.

(6) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص8؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص160.

(7) Prieto y vives: **Los Reyes de taifas,** p:39; Robles, Guillen: **Malaga Musulmana**, Malaga, 1957, p.242.

قرطبة عقب اندلاع الفتنة بها، والتمسوا الحياة الآمنة في بلنسية في ظل هذين الصقلبيين ، اللذين اعتمدا على الكُتّاب في دولتهم مشاورين لهم في كل ما يعني لهم من أمور[1].

وقبل الحديث عن أبرز هؤلاء الكُتّاب، يستحسن الحديث قليلا عن الكتابة في الأندلس، فهي كما يقول المقري: على ضربين أعلاهما كاتب الرسائل والكاتب هو أديب يتولى الكتابة الرسمية وغيرها، وله حظ في القلوب والعيون عند أهل الأندلس، وكاتب الزِّمام[2]، (كاتب الأمور المهمّة). وكان يطلق على الكاتب صاحب الإنشاء[3].

هذا وقد تحدث ابن رشيق عن صفات الكاتب ، وهذه الصفات ألصقها بالوزير أيضاً، فقال:" وينبغي أن يكون قصْد الشاعر في مدح الكاتب والوزير ما اختاره قدامة[4]، وغيره، وكذلك ما ناسب حُسن الرويّة، وسرعة الخاطر بالصواب، وشدة الحزم، وقلّة الغَفْلة، وجودة النظر للخليفة والنيابة عنه في المُعْضِلات بالرأي... وبأنه محمود السيرة، حسن السياسة، لطيف الحسّ، فإن أضاف إلى ذلك البلاغة والخط والتفنن في العلم كان غاية"[5].

وقد ذهب أحدهم إلى أن الكُتّاب في الأندلس يُختارون من أرفع طبقات الناس، ومن أهل المروءة والحشمة والواقفين على البلاغة وأسرارها[6]، وعليه أن يكون دقيقاً في اللغة العربية. وقد وقد وصف أهل الأندلس بأنهم "كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السمة، لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة[7]...".

ومن أبرز كُتّاب مبارك ومظفر

- ابن التاكروني:

محمد بن سعيد التاكروني، أبو عامر،ينتسب إلى تاكرُنا قرب الجزيرة الخضراء، كان كاتباً مجيداً وبلغ مرتبة عالية في عهد الدولة العامرية، خدم لمبارك ومظفر، وكذلك للأمير المنصور عبد العزيز بن أبي عامر، وترقى حتى وصل إلى منصب الوزارة[8].

---

(1) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص 225.
(2) المقري: **نفح الطيب**، ج1 ص208؛ وعن وظيفة كاتب الزمام انظر أرسلان: **الحلل السندسية**، ص252.
(3) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج1 ص204.
(4) هو قدامة بن جعفر البغدادي، المتوفي عام 337هـ /948م.
(5)ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط 4، دار الجيل، بيروت، 1972م،ص134-135.
(6) انظر مسعد ، سامية : **صور من المجتمع الأندلسي** (رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية) ، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ط 1، 1998م، ص 131 ؛ نقلاً عن أبو رميلة ، هشام سليم عبد الرحمن: **نظم الحكم في الأندلس في عصر الخلافة**، رسالة ماجستير، كلية آداب، القاهرة، 1975م، ص162.
(7) المقري: **نفح الطيب** ،ج1 ص208.
(8) ابن بسام : مصدر سابق، م3 ص145؛ الضبي: مصدر سابق، ص78، ترجمة رقم 138؛ ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج1 ص332.

نهاية عهد مبارك ومظفر في مملكة بلنسية:

جدير بالقول: إنه على الرغم من الثراء الفاحش وحياة الترف التي كان ينعم بها كل من مبارك ومظفر، فقد كان معظم رعيتهما يعانون شظف العيش ويقاسون مرارة الجوع والفقر والحرمان، بسبب الضرائب الباهظة التي أثقلت كاهلهم، حتى غدا كثير منهم يلبسون الجلود والحصر ويأكلون البقل والحشيش، كما أدت سياسة القهر والظلم، التي انتهجها أميرا بلنسية إلى حمل العدد الأعظم منهم على هجر أراضيهم التماساً للنجاة بأنفسهم، عندئذٍ وضع مبارك ومظفر أيديهما عليها.

ويبدو أن هذه السياسة الجائرة، كانت سبباً في حمل أهالي بلنسية على بُغض أميريهم، وتمنيهم التخلص من حكمهما الغاشم، رغم ما حاولا إظهاره من نهضة علمية وأدبية، ورغم حالة الأمان التي استمتع بها أهالي بلنسية، إذا ما قورنوا بأهالي وسط الأندلس [(1)]. وتذكر بعض الروايات أن مباركاً ركب جواده يوماً من قصر بلنسية يبغي الخروج للنزهة خارج المدينة، فاعترض الأهالي موكبه، وأخذوا يشكون إليه ما يلاقونه من الجور والظلم، ويتوسلون إليه أن يرفق بهم فقال لهم: "اللهم إن كنت لا أريد انفاقه فيما يعم المسلمين نفعه، فلا تؤخر عقوبتي الساعة" ثم تابع موكبه بعد ذلك، فما إن وصل إلى القنطرة الخشبية التي تطل على الوادي الأبيض، حتى تعثر الفرس، فسقط مبارك على الأرض وسقط فرسه فوقه، فتوفي. عندئذٍ أمن الناس من ظلمه. وفي غمرة سعادتهم وفرحتهم ثاروا في اليوم نفسه بزميله مظفر فقتلوه ونهبوا القصر[(2)]. وقيل: إن موت مبارك أضعف من أمر مظفر، فوثب به أهل بلنسية وأخرجوه منها فاستقل بشاطبة[(3)]. وهناك رواية أخرى تشير إلى أن مظفر قد هلك أولاً ثم ما لبث أن لحق به صاحبه مبارك في ذي الحجة عام 408هـ/1017م، أو عام 409هـ/1018م[(4)].

لقد سجلت وفاة مبارك نهاية لعهد الفتيين مبارك ومظفر في بلنسية، واتفق الأهالي على دعوة لبيب الصقلبي صاحب طرطوشة لتسلم مقاليد الحكم في بلنسية.

3- بلنسية في عهد لبيب الصقلبي408-411هـ/1017-1020م:

تشير بعض المصادر إلى أن أهالي بلنسية اتفقوا على دعوة لبيب الصقلبي صاحب طرطوشة[(5)]

(1) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2 ص299.
(2) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص11؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص225؛ العبادي ، أحمد مختار: **الصقالبة في إسبانيا**، نشر المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد،1953م، ص21؛
Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, p.153.
(3) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2 ص299.
(4) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص302.
(5) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص11.

وهو الذي كان قد انتزع طرطوشة وشاطبة من يد مجاهد العامري ونازعه عليهما عند قيام الفتنة عام 399هـ/1008م – لتسلم مقاليد الحكم فيها.

وتذكر بعض المصادر أيضاً أن مجاهداً العامري صاحب دانية شاركه في حكمها وكانت الخطبة تصدر باسميهما معاً ثم اختلفا[1]، ففر لبيب إلى طرطوشة في حين انفرد مجاهد بملك بلنسية إضافة إلى دانية[2].

4- بلنسية في عهد المنصور العامري411-452هـ/1020-1060م:

المنصور العامري هو: عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر ، وفيما يلي عرض لكيفية توليه الحكم، ولأوضاع المملكة البلنسية الداخلية في عهده.

بعد خروج لبيب الصقلبي عن بلنسية، انفرد مجاهد العامري بحكمها، ويبدو أن سيطرته عليها كانت قصيرة الأمد، لأن مجاهداً بحكم ولعه بالمغامرة، وميله للتوسع العسكري، لم يلبث أن دخل في حرب مع جيرانه خاصة منذر التجيبي صاحب سرقسطة الذي ضم طرطوشة إلى أملاكه بعد استدعاء أهلها له، مما أدى إلى اندلاع حرب بينه وبين مجاهد، الأمر الذي أخاف البلنسيين الذين ألفوا حياة الاستقرار وآثروا الدعة، ورأوا في هذه الحرب تهديداً لأمنهم ولأموالهم، وخطراً على حياتهم، فاجتمع زعماء الموالي العامرية وقرروا إسناد حكم بلنسية إلى أحد أحفاد المنصور محمد بن أبي عامر وهوالمنصور الثاني أبو الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر[3]، الذي ولد في جمادى الآخرة عام 397هـ/1006، وكان من الموالي العامريين. ويبدو أن ولاء الفتيان العامريين للمنصور محمد بن أبي عامر وأبنائه، وتعلقهم بثوابت الدولة العامرية، كان السبب الرئيسي في مبايعتهم للمنصور عبد العزيز، ووفاءً منهم لذكرى سيدهم، وإحياءً للدولة العامرية في بلنسية، لا سيما و أن معظم زعماء الصقالبة في شرق الأندلس كانوا من الفتيان العامريين الموالين لبني عامر والمدينين لهم فيما بلغوه من سلطان ونفوذ[4].

كان عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول قد فر بعد مقتل والده شنجول واندلاع الفتنة القرطبية، هو وابن عم له يدعى محمد بن المظفر عبد الملك، ولاذا بمنذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة حيث أقاما في كنفه[5]، وكان كل منهما لا يتجاوز من العمر آنذاك سبع سنوات،

---

(1) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص302.
(2) المصدر السابق، ج3 ص 302.
(3) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص159؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص164.
(4) عنان: **دول الطوائف**، ص210.
(5) ابن بسام: مصدر سابق، م 3 ص159؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج 3 ص164. ويذكر ابن عذاري أن المهدي محمد بن هشام قد صان عند بداية الفتنة الزلفاء وحفيدها محمد بن المظفر عبد الملك، وأذن لها في نزول دارها بجوف قرطبة، فانتقلت إليها بما بقي لها من أموال ومتاع وأقامت بها مع حفيدها، مطلقة اليد في أموالها

سنوات، وظل عبد العزيز بن أبي عامر مقيماً بسرقسطة في كنف منذر بن يحيى التجيبي إلى أن دعاه الفتيان العامرية ليتولى إمارة بلنسية عام 411هـ/1020م، وبالفعل تمت البيعة لعبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول بشاطبة ملكاً على بلنسية عام 411هـ/1020م، استناداً لنص أورده ابن خلدون وكذلك نص للقلقشندي، حيث تلقب بالمنصور [1]، ولما يتجاوز بعد من العمر الخامسة عشرة أو الرابعة عشرة من عمره[2]، ولكن الأخير لم يستمر طويلاً بشاطبة. فقد ذكر ابن خلدون أن أهالي شاطبة ثاروا به، فاتجه إلى بلنسية ودخلها عام 412هـ/1021م[3]، وبوجود المنصور في الأخيرة، أصبحت أهم قاعدة للعامريين ومواليهم، وهذا الوضع الجديد لم يرض خيران العامري صاحب ألمرية، ومرسية، وأوريولة، فسرعان ما دب الخلاف بينه وبين الأمير الجديد المنصور عبد العزيز، يبدو أن سبب الخلاف هو خوف خيران على سلطانه بمرسية وأوريولة من قيام الدولة العامرية الجديدة، فما كان من الأخير إلا أن أقدم على مبايعة محمد بن المظفر عبد الملك ابن عم المنصور ملك بلنسية، وتوجه أميراً على مرسية وأوريولة ولقبه بالمؤتمن ثم بالمعتصم، ويبدو أن خيران كان يهدف من وراء ذلك إيجاد منافس شرعي من العامريين لمضايقة المنصور صاحب بلنسية، وإضعاف ولاء الفتيان العامرية للمنصور وتفتيت وحدتهم، تجنباً لخطر تطلعهم إلى ملكه[4].

وقد تقدّم أن محمد بن المظفر عبد الملك كان قد لجأ مع ابن عمه المنصور عبد العزيز عند اندلاع الفتنة القرطبية إلى منذر بن يحيى التجيبي، صاحب سرقسطة، وبعد ذلك رحل عنها إلى كورة جيان (شرقي قرطبة)، حيث التفت حوله جموع كثيرة من الأتباع، اجتذبتهم إليه أمواله التي ورثها عن أبيه، بقي محمد بن المظفر عبد الملك مقيماً في جيان إلى أن دعاه خيران العامري لحكم مرسية وأوريولة. غير أن خلافاً نشب بين خيران ومرشحه الجديد المعتصم محمد ابن المظفر عبد الملك كان من نتائجه تنكر خيران وسحب تأييده له ثم تقدم خيران إلى ألمرية واحتل بها ربيع الأخير عام 412هـ/1021م، ومن هناك زحف بقواته إلى مرسية وضيق الخناق

وأملاكها. وكانت قد تمكنت من إخراج الأموال والذخائر قبل ثورة ابن هشام، وورث حفيدها محمد كل هذه الثروات بعد موتها. ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص64.

(1) ابن خلدون: مصدر سابق، ج4 ص207.

(2) ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ص419.

(3) ابن خلدون: مصدر سابق، ج4 ص207؛ القلقشندي: مصدر سابق، ج5 ص243.جدير بالذكر أن ابن الخطيب قد حدد مبايعة المنصور عبد العزيز أميراًعلى بلنسية عام 417هـ/1026م. ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص195، أما ابن بسام فقد ذكر أن المبايعة تمت عام 411هـ/1020م. ابن بسام: مصدر سابق،م3 ص160.

(4) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص193- 194؛
Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, pp.166-167.

على المعتصم، الأمر الذي دفعه إلى الهروب إلى أوريولة في ربيع الأول عام 413هـ/1022م، فاستولى الفتيان العامريون على أمواله، وبادره خيران بالحصار مما اضطره إلى الفرار منها، إلى مجاهد العامري بدانية. فأقام عنده فترة، ثم توجه إلى غرب الأندلس حيث استقر في إحدى مدنها، وتوفي بها من جراء جدري أصابه في رمضان عام 421هـ/1030م[1].

وبذلك خلا الجو للمنصور عبد العزيز في بلنسية، فاستقرت دعائم ملكه دون منازع، ونعمت بلنسية في عهده بفترة من الاستقرار والرخاء.

السياسة الداخلية للمنصور العامري:

اهتم المنصور بتنظيم شؤون دولته، فاستخدم في ديوانه عدداً من الكتّاب من أبرزهم:

- **ابن عباس:**

أحمد بن عباس، أبو جعفر،تميز بكتابته الحسنة، وخطه المميز ومعرفته بالأدب والفقه،والشعر، وكان يمتلك أسلوباً خطابياً، حسن الخلق والخليقة، ذكياً ، جامعاً للدفاتر، مقتنياً المجلدات المميزة،حتى بلغت أربعمائة ألف،وأما الدفاتر المخزونة، فلا حصر لعددها لكثرتها [2]، وكان من أغنى ملوك الأندلس، ورث عن والده ثروة ضخمة، ولكنه كان شديد البخل[3].

قُتل على يد باديس بن حبوس[4] لتيقنه من أنه هو الذي نصح زهير العامري صاحب ألمرية على غزوه[5]، وكان قد استوزره خيران العامري صاحب ألمرية قبل وفاته وانتقال الحكم إلى زهير[6]، إضافة إلى ذلك فقد كان من أبرز كُتّاب المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر[7].

- **ابــن التاكروني:**

محمد بن سعيد التاكروني، أبو عامر، تقدمت ترجمته[8]، كان كاتباً مجيداً خدم لمبارك ومظفر

---

(1) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص193- 194؛
Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, p.166.
(2) ابن بسام: مصدر سابق، م1 ص 413.
(3) المصدر السابق، م1 ص413-414.
(4) هو باديس بن حبوس بن ماكنس بن زيري بن مناد الصنهاجي 429-467هـ/1037-1074م، يُكنى أبا مناد، وقيل أبا مسعود، ويُلقب بالحاجب المظفر بالله الناصر لدين الله، وقيل بالمظفر، وقد تولى عرش غرناطة بعد وفاة والده حبوس. ابن بسام: مصدر سابق، م 1 ص408؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج1 ص259- 260 ترجمة رقم 108؛ المقري: **نفح الطيب**، ج1 ص149؛ طويل: مرجع سابق،ص79، 119وما بعدها.
(5) عنان: **دول الطوائف**، ص127.
(6) المرجع السابق، ص159.
(7) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص159؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص165.
(8) ابن بسام: مصدر السابق، م3 ص145؛ الضبي: مصدر سابق، ص78، ترجمة رقم 138؛ ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج1 ص332.

ومظفر وكذلك لابن عبد العزيز، نال مكانة مرموقة عند الأخير، وأخذ يتدرج في المناصب حتى ارتقى إلى منصب الوزارة، وكان بينه وبين أحمد بن عباس مراسلات، تباريا فيها، واقفين على حسن البراعة في الأدب والبلاغة[(1)].

– **ابن رويش:**

محمد بن مروان بن عبد العزيز، أبو بكر، أحد كبار الكُتَّاب المبدعين زمن الفتنة، وأحد أبرز الوزراء لدى ملوك الطوائف، وكان ذا حنكةٍ[(2)] سياسية، إضافة إلى ذلك، فقد كان ثرياً[(3)]، وكان متحققاً بالأدب، وهو من بيت عز وشرف[(4)]، توفي عام 456هـ/1063م.

– **ابن مثنى:**

عبد الرحمن بن أحمد بن صبغون، أبو المطرف، كان بارعاً بصناعة الكتابة، "حُلو الشمائل مُطْلَقَ البشر، متحققاً بصناعة الكتابة، بذَّ أهل وقته في البيان والبلاغة، وكان مع ذلك يحملُ قطعة وافرةً من علم الحديث وأنواع الفنون"[(5)]، وتوفي عام 458هـ/1065م[(6)].

هذا وقد عُرف عن المنصور بأنه كان كريماً سخياً مع أهله وقرابته من الأسرة العامرية، وحرص على جمع أهله، فآوى إليه من تشرد منهم، وبالغ في إكرام من لاذ به منهم، مستهدفاً تعويضهم عما لاقوه من محن وما عانوه من تشريد على أثر مصرع والده، وأغدق عليهم الأرزاق، وتناهى في صلتهم، حتى صار إسرافه في ذلك مثاراً لانتقادات جنده، ومجلبة لذمه [(7)]، وقد عبر ابن الخطيب عن سخائه مع أهله بقوله: "وكان عبد العزيز هذا من أوصلهم لرحمه، وأحفظهم لقرابته، قد ابتعثه الله رحمة للممتحنين من أهل بيته، فآواهم وجبر كسيرهم، ونعش فقيرهم طول مدته، إلى أن بلغ من ذلك مبلغاً أعيا ملوك زمانه"[(8)].

5– بلنسية في عهد المظفر عبد الملك بن المنصور 452–457هـ/1060–1064م:

توفي المنصور عبد العزيز عام452هـ/1060م، عن خمسة وخمسين عاماً، بعد أن حكم نحو أربعين سنة أي منذ عام412هـ/1021م، وكان يملك بلنسية وشاطبة ومرسية وجزيرة شقر[(9)] وأعمالها.

(1) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص145.
(2) حنكة: خبرة، البستاني، مرجع سابق، ص200.
(3) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص 24.
(4) ابن خاقان: **قلائد العقيان**، ص 163؛ المقري: **نفح الطيب**، ج2، ص 173، حاشية رقم 2.
(5) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص262.
(6)المصدر السابق، م3 ص262؛ ابن الأبار: **أعتاب الكتاب**، تحقيق صالح الأشتر، المطبعة الهاشمية، ط1، دمشق، 1961م، ص215-216، ترجمة رقم 66.
(7) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص159.
(8) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص195.
(9) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص239.

وذلك إثر صدام مسلح بينه وبين مجاهد، – سيشار إلى ذلك لاحقاً عند الحديث عن (علاقة المنصور بمجاهد العامري صاحبدانية) – وخلفه في الإمارة ابنه عبد الملك الذي بويع في بلنسية وشاطبة يوم وفاة والده، واستقر في بلنسية وتلقب بنظام الدولة ثم المظفر[1] وكان المظفر لا يزال حدثاً، وقد اختلفت شخصيته عن شخصية أبيه المنصور عبد العزيز. كان المظفر شاباً مترفاً، ألف الحياة الناعمة وانغمس في اللهو والترف والشراب بعيداً عن شؤون الحكم، فتولى تدبير مملكته، كاتب أبيه ومدبر مملكته الوزير محمد بن عبد العزيز المعروف بابن روبش[2]، وكان الأخير قد ترك بلده قرطبة عند نشوب الفتنة، واستقر واستقر في بلنسية أيام المنصور عبد العزيز، وفي بداية أمره كان كاتباً للوزير الكاتب أبي عامر التاكروني الذي وزّر للمنصور عبد العزيزوقد تقدمت ترجمته.

وهكذا تولى ابن روبش تدبير أمور المظفر عبد الملك، وأحسن توجيهه وإرشاده، فاستقرت أحوال بلنسية على يديه، وسادها الأمن على الرغم مما كانت تعانيه آنذاك من قلة المال والجند وفساد الأعمال[3].

كان عبد الملك قد تزوج من ابنة المأمون بن ذي النون، وكانت للأخير – صاحب طليطلة – لدى ابن روبش منزلة خاصة ومكانة سامية، فكان موضع إجلاله وتوقيره لهيبته التي فرضها على ملوك الطوائف، ولشخصيته القوية، ولسياسته الحكيمة ، وبعد نظره ، وثاقب رأيه، ثم لأنه كان صهراً لعبد الملك وحماه، وكان المأمون يهتم بشؤون زوج ابنته، وكان قد حمل على عاتقه مهمة حماية أملاكه والدفاع عن أراضيه ضد أي تهديد خارجي[4]، لاسيما من من جهة المعتصم بن صمادح[5] صاحب ألمرية، الذي هاجم أحد الحصون التابعة لبلنسية ، فحصلت بين الأخير والمظفر عدة معارك لم تسفر عن نتائج حاسمة[6].(وكان أبو بكر أحمد بن طاهر[7] قد انتزع منه مرسية، واستبد بها واستمرت تابعة له حتى توفي عام 455هـ/1063م، فورثها ابنه أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر).

هذا ما تميز به عهد المظفر عبد الملك، إضافة إلىوقعة بطرنة (paterna) التي انهزم فيها

---

(1)ابن عذاري: مصدر سابق ، ج3 ص165، 303؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص195- 196.
(2) ابن بسام: مصدر سابق،ق3م1ص24، 159؛ ابن الأبار: **الحلة السيراء** ج2 ص129-130.
(3) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص159؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص165.
(4) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص159؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص165.
(5) هو محمد بن معن بن صمادح الملقب بالمعتصم 443- 484هـ/1051- 1091م. كان راعياً للآداب والعلوم، موقراً للدين وأهله، باراً بوزرائه، وقد أحاط نفسه بهالة من الشعراء أضفوا على دولته رونقاً وجمالاً. بالنثيا: مرجع سابق، ص110.
(6) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص174- 175.
(7) هو أحمد بن إسحاق بن زيد بن طاهر (أبو بكر)، أصله من العرب القيسية الذين استقروا في عصر الولاة بمنطقة تدمير، وكان من أعلام هذه المدينة وذوي الرأي والوجاهة فيها. ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2 ص116.

الأخير بالقرب من بلنسية والتي أدت إلى زوال ملكه[1]. (سيشار إلى تلك الوقعة بشيء من التفصيل من بعد).

6- بلنسية في عهد المأمون بن ذي النون457-467هـ/1064-1074م:

قبل الحديث عن مملكة بلنسية في عهد المأمون بن ذي النون، يستحسن التعريف بتلك الشخصية، إذن، هو المأمون بن ذي النون؟

المأمون هو يحيى بن إسماعيل بن ذي النون [2]، وبنو ذي النون، ملوك طليطلة، وهم من أعظم ملوك الطوائف، "وكانت لهم دولة كبيرة، وبلغوا في البذخ والترف إلى الغاية، ولهم الإعذار[3] المشهور الذي يقال له الإعذار الذّنُوني" وبه يُضرب المثل عند أهل المغرب "والمأمون ابن ذي النون هو صاحب ذلك، وهو الذي عظم بين ملوك الطوائف سلطانه"[4].

لما وصلت أنباء هزيمة عبد الملك ببطرنة، إلى المأمون صاحب طليلطة، استاء استياءً شديداً، وأحس بمدى ضعف صهره المظفر وأدرك أن بقاء مملكة بلنسية في يد صهره المظفر يعرضها لخطر السقوط الوشيك في أيدي القشتاليين زعماء حركة الاسترداد فآثر أن يضمها إلى مملكته، فتكون درعاً واقية لها بدلاً من تركها عرضة للتهديد المتواصل في ظل حاكم ضعيف، فقرر أن يبدأ هو بمهاجمتها قبل العدو المتمثل بحركة الاسترداد وضمها إلى مملكته، وبدأ يسرع في تنفيذ مخططه؛ فبادر بالخروج بقواته نحو قلعة قونكة [5](Cuenca) وكان قد أرسل فرقة من جنوده إلى بلنسية تحت إمرة قائد خاصته وكاتبه ابن مثنى، وأمر قواته بدخول بلنسية والإقامة فيها، حماية لصهره المظفر وشداً لأزره ومحافظة على إقرار الأمن في المدينة، هذا في الظاهر، ولكنه كان يهدف السيطرة على المدينة وإضعاف أمر صهره عليها.

وكان المؤرخون قد أشاروا إلى الأسباب التي دفعت المأمون إلى انتزاع مملكة بلنسية من يد صهره ومن هذه الأسباب:

---

(1) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص303.

(2) حول أخبار بني ذي النون راجع: ابن بسام: مصدر سابق، م4 ص89 وما بعدها.

(3) هو حفل كان يقوم بها الأندلسيون بمناسبة ختان الطفل في العام السابع من عمره، وذلك للمحافظة على حياة المسلم، ويبدو أن هذا الاحتفال، جاء نتيجة لتأثر الأندلسيين بمظاهر الاحتفال التي كانت تقوم به الأسر التي تدين بالدين المسيحي، أثناء القيام بطقوس التعميد. وهذا الاحتفال يكون كبيراً تشترك به كل طبقات المجتمع. ويحمل اسم "الإعذار"، أو "الصنيع"، وكان الإعذار الذنوني الذي أقامه المأمون بن ذي النون لحفيده يحيى، أشهر تلك الحفلات، فدعى إليه أمراء ووزراء وقواد البلاد، وأنفق في سبيل ذلك الحفل، الأموال الجسام، حول ذلك الإعذار، راجع: **نصوص من كتاب المتين،** لابن حيان، تحقيق عبد الله محمد جمال الدين، القاهرة، 1997م، ص 183 وما بعدها.

(4) المقري: **نفح الطيب،** ج1 ص421.

(5) قونكة: مدينة بالأندلس من أعمال شنت بوية، وغير بعيدة عن طليطلة وهي اليوم مركز مقاطعة، وهي قسمان: البلدة القديمة وهي جنينة على قمة شاهقة، وأمامها وادي شقر، وإلى الشمال الغربي من المدينة تقع المدينة الجديدة. ياقوت: **معجم البلدان،** ج4 ص471 ؛ أرسلان: مرجع سابق، ج2 ص48.

1. أن المأمون كان يحقد على صهره المظفر عبد الملك بسبب سوء معاملته لزوجه بنت المأمون وإساءته عشرتها وإهانته المتكررة لها[1].
2. كان المأمون يدرك تماماً مدى ضعف صهره وعجزه عن القيام بأعباء الحكم ورد أي اعتداء على بلنسية،وخير دليل على ذلك هزيمته في بطرنة.
3. لم يكن المأمون راضياً عن صهره لأسباب سياسية منها رفض المظفر مساعدة المأمون في حربه ضد ابن عباد صاحب إشبيلية، إضافة إلى ذلك أنه كان يأوي في بلاده خصوم المأمون السياسيين الفارين من طليطلة[2].

وأياً تكن العوامل التي دفعت المأمون إلى التحرك نحو بلنسية، فالأمر المُسلم به أن المأمون رأى في نفسه أنه أحق بامتلاك بلنسية من القشتاليين على الأقل في نظر جموع العرب، وسواء كانت هذه هي الحقيقة، أو هناك حقائق أخرى من بين العوامل التي ذُكرت، فإن المأمون اختلق الحجج والأسباب لتسويغ ما أقدم عليه، وتم له ما أراد من مخططه بالاستيلاء على بلنسية بسهولة ويسر عام 457هـ/1064م[3].

وهناك عدة روايات تتعلق بالطريقة التي تم بمقتضاها سيطرة المأمون على بلنسية:

1 –**الرواية الأولى:** لابن عذاري ومحتواها أن المأمون تقدم بقواته إلى بلنسية بحجة زيارة صهره، وكانت ابنته قد توفيت قبيل وصوله إليها، فلما وصل ظاهر المدينة خرج إليه المظفر عبد الملك واحتفل باستقباله وأدخله قصره وبالغ في إكرامه، وهو لا يدري حقيقة ما كان يضمره له المأمون من نوايا عدوانية، فانتهز المأمون فرصة إقامته بالقصر لإحكام خطته، فدبر كميناً، انتهى بأن قبض على صهره ونفاه إلى بلدة شنت برية (من أعمال طليطلة)[4] حيث مات هناك بعد فترة قصيرة، بينما فر ابنه إلى سرقسطة وفيها توفي، وانقطع بوفاته اسم آل عامر من الأندلس[5].

---

(1) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص266- 267.

(2) عنان: **دول الطوائف**، ص213- 214؛
prieto y vives: **los Reyes de taifas**, p.41; Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, P.189.

(3) ابن الأبار: **الحلة السيراء** ، ج2 ص129. ابن عذاري: مصدر سابق، ج 3 ص303؛ ابن خلدون: مصدر سابق، ج4 ص207 ؛ القلقشندي: مصدر سابق، ج 5 ص244، prieto y vives: **los Reyes de taifas**, p.41.

(4) في رواية ابن عذاري أن المأمون حمل المظفر عبد الملك إلى إقليش. ابن عذاري: مصدر سابق، ج 3 ص303. أما ابن الأبار فيذكر أنه نفاه إلى قونكة. ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2 ص171- 172 ترجمة رقم 136.

(5) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص267. ويحدد ابن عذاري تاريخ دخول المأمون إلى بلنسية بعام 458هـ/1065م، وذلك بخلاف معظم المصادر العربية والمراجع الإسبانية التي أجمعت على دخوله بعام 457هـ/1064م.

2 –**الرواية الثانية:** لابن بسام، وتنص هذه الرواية على أن المأمون لما علم بحصار فرناندو (Fernando) ملك قشتالة لبلنسية، سارع بقواته إليها لانجاد صهره المظفر عبد الملك، وكان الملك القشتالي قد انسحب إلى بلاده بسبب مرضه، وبذلك سنحت الفرصة للمأمون لكي يستولي على بلنسية فدخلها بسهولة بفضل مساعدة أبي بكر بن عبد العزيز وزير المظفر، ويبدو أن اتفاقاً سرياً قد تم بين الأخير والمأمون على أن تخضع بلنسية للمأمون بن ذي النون صاحب طليطلة مقابل أن ينوب عنه ابن عبد العزيز في تدبير أمرها[1].

وقد ساعد على سهولة تنفيذ الخطة صغر سن المظفر عبد الملك ملك بلنسية، وانشغاله باللهو والملذات وعدم معرفته بشؤون الحكم، ووجود كلّ السلطات بيد وزيره أبي بكر بن عبد العزيز، الممسك بأمور المملكة، وقد أشار إلى ذلك ابن بسام بقوله " كان ابن عبد العزيز ـــ زعموا ـــ أحد من أقام ميلها، وأوضح لابن ذي النون سبلها حتى خلصت له وخلص لها، فكافأه ابن ذي النون لأول تملكه إياها بأن ولاه أمورها وحلاه شذورها..." [2]، استناداً إلى ذلك يمكن الأخذ بهذه الرواية خاصة وأن ابن بسام ينقل عن ابن حيان المعاصر لتلك الفترة.

3 – **الرواية الثالثة:** جاءت في المصادر الإسبانية، وتتضمن ما يشير إلى أن المأمون طلب المساعدة من صهره عبد الملك المظفر، صاحب بلنسية في حربه ضد المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية[3]، ولكن عبد الملك اعتذر عن تلبية طلبه بناءً على نصيحة وزيره ابن روبش القرطبي، بحجة أن زعماء العامريين بشاطبة ودانية ومربيطر وغيرها، قد تحالفوا مع ابن عباد، وأنه يخشى لهذا السبب من نقمتهم عليه، وخوفه من أن تتعرض بلاده لهجوم مشترك يقومون به عليه، فهو لهذا يحرص على سلامة بلاده، فأثار موقف المظفر عبد الملك حفيظة المأمون، وخشي أن ينظم المظفر إلى ابن عباد، لذلك جهز المأمون جيشه سراً وعقد تحالفاً مع فرناندو الأول ملك قشتالة، وهاجم الجيشان المتحالفان بلنسيةالتي لم تقوَ على صد هذا الهجوم، وسرعان ما سقطت المدينة في يد ابن ذي النون عام 457هـ/1064م، ولم تنقذ حياة المظفر عبد الملك سوى زوجه ابنة المأمون التي كانت لا تزال على قيد الحياة بخلاف ما ورد في رواية ابن عذاري، فأبقى المأمون عليه، وأقطعه حكم شلبة (شمال غرب بلنسية)، أما ابن روبش صاحب النصيحة فقد آثر الانتحار[4].

---

(1) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص24؛ ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2 ص 129- 130.
(2) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص24.
(3) هو عباد بن محمد، ابن عباد، صاحب إشبيلية في عهد ملوك الطوائف، تولى أمر إشبيلية من عام 433هـ حتى عام 461هـ/1041-1068م. ابن شاكر الكتبي: مصدر سابق، ج2 ص147؛ المقري: **نفح الطيب**، ج1 ص205.
(4) أشباخ، يوسف: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ترجمة محمد عبد الله عنان، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1958م، ص48- 49.

والجدير بالملاحظة أن هذه الرواية الأخيرة، التي أوردتها المصادر الإسبانية ضعيفة، فقد ورد فيها أن وزير بلنسية، عندما دخلها المأمون عام 457هـ/1064م، هو ابن روبش الأب، وذلك استناداً لنص ابن الأبار في الحلة السيراء، غير أن ابن حيان الذي ينقل عنه ابن بسام، يؤكد أن هذا الوزير قد توفي قبل هذه الحوادث بقليل وبالتحديد عام 456هـ/1063م[1].

ـ أشهر وزراء المأمون:

اعتمد المأمون في حكمه على عدد من الوزراء، من أبرزهم:

– ذو الوزارتين أبو عامر بن الفرج[2]:

من بيت رياسة، "ما منهم إلا من تحدى بالإمارة، وتردى بالوزارة"[3]وأبو عامر هذا واحد منهم، كان كريماً، وله معرفة بالأدب، وزّر للمأمون بن ذي النون[4].

– أبو عيسى بن لبون[5]:

هو لبون بن عبد العزيز بن لبون، أحد وزراء ابن ذي النون، ومن قواده أيضاً المميزين في دولته، وكان مفضَّلاً في الوزراء والقواد ، وكان ممن تولى أمر مربيطر[6].

– ابن المثنى:

عبد الرحمن بن أحمد بن صبغون، تقدمت ترجمته، استوزره المأمون يحيى بن ذي النون عدة سنين، وأسند إليه أمور بلده، فقام بأعباء ما أسند إليه[7]،وكان متحققاً بصناعة الكتابة، عارفاً بأصول البيان والبلاغة، وعلّم الحديث أيضاً.

7- بلنسية في ظل أبي بكر بن عبد العزيز468-478هـ/1075-1085م:

---

(1) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص24.

(2) بنو الفرج من أعيان بلنسية، الذين توارثوا الحسب، وقد لمع من هؤلاء أبو عامر بن الفرج، كذلك أبو سعيد بن الفرج الذي تولى حكم قلعة قونكة، ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2 ص171، ترجمة رقم 136؛ ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2 ص303- 304 ترجمة رقم 552.

(3) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص64.

(4) المقري: **نفح الطيب**، ج4ص365.

(5) أسرة بني لبون هي أسرة من المولدين، فاسم لبون هو صيغة التكبير أو التعظيم للاسم المعروف لب ، وهواسم إسباني معرب من لوبو (Lobo) أو (Lubo) أي ذئب. ومن المعروف أن الإسبان استعملوا في لغتهم صيغة التكبير المنتهية بحرفي الواو والنون. وقد أخذ العرب عنهم هذه الصيغة وطبقوها على أسمائهم، فأطلقوا على خالد=خلدون، وزيد= زيدون، وسعد= سعدون. أما أهم أسماء أفراد أسرة بني لبون: أبو وهب عامر بن لبون ضابط قصر بلنسية، وأشجاع أرقم بن لبون حاكم وبذة (Huete)، وأبوعبد الله بن لبون والي لورقة (Lorca) الذي توفي في معركة الزلاقة عام 479هـ/1086م، وأبو عيسى بن لبون حاكم مربيطر المذكور أعلاه. راجع ابن خاقان: **قلائد العقيان**، ص99؛ ابن بسام: مصدر سابق، م 3 ص65؛ ابن الأبار: **الحلة السيراء** ، ج 2 ص168؛ ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب** ، ج 2 ص376؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام** ، ص209، المقري: **نفح الطيب** ، ج 5 ص136 ؛المقري: **أزهار الرياض في أخبار عياض**، الرباط، 1978م، ج3 ص120.

(6) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص65.

(7)المصدر السابق، م3 ص 261- 262.

أحمد بن عبد العزيز، أبو بكر، هو ابن الوزير "ابن روبش" أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز[1].

بعد أن وضع المأمون يحيى بن ذي النون يده على بلنسية، استخلف عليها الوزير أبا بكر هذا، مكافأة له على مساعدته له في الاستيلاء على مملكة المظفر عبد الملك بن المنصور عبد العزيز بن أبي عامر، وقد عبر عن ذلك ابن بسام بقوله: "فلما قص يحيى بن ذي النون الملقب بالمأمون، أثر ابن أبي عامر، واجتث أصلهم من بلنسية، كان ابن عبد العزيز – على ما زُعِم– أحد من أقام ميلها، وأوضح لابن ذي النون سبلها حتى خلصت له وخلص لها فكافأه ابن ذي النون لأول تملكه إياها بأن ولاه أمورها"[2].

كان الوزير أبو بكر، أحمد بن عبد العزيز يتمتع بشخصية قوية، مثل والده ابن روبش وكان عالماً حازماً، تمكن من ضبط مملكة بلنسية وإقرار أمورها بعد رحيل المأمون عنها، وقام باصلاح أسوارها، ونظر في شأن العمال وأجزل العطاء للجند[3]، وقد نوه ابن الخطيب بشخصيته بشخصيته وامتدح سياسته، فقال: "أحد رجال الكمال بالأندلس، وعين بلنسية التي تبصر، ولسانها الذي تُسْهب به وتختصر"[4]. كذلك أشاد ابن بسام بشخصية هذا الوزير فقال: "ووزِّر أبو بكر بعد أبيه لعبد الملك المتلقب من الألقاب السلطانية بالمظفر، فقطع ووصل، واضطلع بما حمل، ودارت عليه الرئاسة مداراً لم تدره رحى على قطب"[5].

وقد انتهج الوزير أبو بكر بن عبد العزيز سياسة حسنة في حكم بلنسية، واكتسب حب الرعية، ثم انتهز فرصة وفاة المأمون عام 467هـ/1074م، فاستقل في بلنسية، ودانت له المدينة بالطاعة وحكمها دون منازع[6]، ولكنه رغم استقلاله في بلنسية وكل أنحاء مملكة المظفر عبد الملك ابن المنصور بن أبي عامر القديمة، استمر ينقش اسم أمير مملكة طليطلة الجديد "القادر بن ذي النون" على العملة البلنسية.

---

(1) جدير بالذكر أن ابن عذاري أخطأ عند تعريفه بشخص الوزير أبي بكر أحمد بن عبد العزيز فقد اعتبره من آل المنصور بن أبي عامر ومن أحفاد المنصور الثاني حاكم مملكة بلنسية، ابن عذاري: مصدر سابق، ج 3 ص303، وهذا الخطأ ورد عند محمد عبد الله عنان: **دول الطوائف**، ص226، حاشية رقم 2، وكذلك عند Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia,** T.1, pp.188-190. والثابت أنه ا بن الوزير محمد بن مروان بن عبد العزيز المعروف بابن روبش؛ راجع، ابن خاقان: **مطمح الأنفس**، ص25؛ ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص25؛ ابن الأبار: **الحلة السيراء**،ج2 ص129، ترجمة رقم132؛ ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2 ص300.

(2) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص25.

(3) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص303-304.

(4) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص202.

(5) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص24.

(6) المصدر السابق،م3 ص 25.

ومن الأهمية بمكان القول: إن ذلك الاستقلال جُوبه بتحديات سياسية كبيرة، ومن أبرز تلك التحديات التي واجهها أبو بكر بن عبد العزيز، علاقته بابن عمار صاحب مرسية، وكذلك علاقته مع بني هود أصحاب سرقسطة، إضافة إلى علاقته مع السيد القنبيطور. (سيشار إلى تلك الأحداث من بعد، وبشيء من التفصيل عند الحديث عن العلاقات الخارجية لمملكة بلنسية أيام الوزير أبي بكر أحمد ابن عبد العزيز).

لكن أبا بكر هذا كان سياسياً بارعاً، استخدم حنكته السياسية وذكاؤه لتفويت الفرص على الأعداء؛ فكان نموذجاً للحاكم الحازم، واستطاع أن يبعد كل ويلات الحروب عن مملكته وذلك بفضل سياسته التي اتسمت بالتعقل والاعتدال، "لم يكن في أيامه ما يعاب عليه"[(1)]، فاستطاع " قطع غارب كل منافس"[(2)]، وذلك استناداً إلى سلاح الدهاء والديبلوماسية حيناً أو التحالف معهم بالمصاهرة حيناً آخر، أو من خلال موادعته ملوك إسبانيا وذلك بدفع الجزية لملك قشتالة لكي تبقى البلاد في مأمن من المخاطر.

توفي أبو بكر عام 478هـ/1085م، بعد أن حكم نحواً من عشر سنوات، ليتولى أمر المملكة، ابنه القاضي أبو عمرو عثمان بن عبد العزيز، عملاً بوصيته، وفي هذه المدة ثمة حدث خطير وقع في مملكة طليطلة، ألا وهو سقوط الأخيرة في يدي زعيم حركة الاسترداد، ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون سنة 478هـ/ 1085م[(3)]، ذلك الحدث الذي ترك صداه على الأندلس عامة لقرون طويلة. وقد انعكس هذا الأمر على بلنسية، (سيشار إلى ذلك لاحقاً) وأدى إلى تغييرات سياسية لم تكن في الحسبان، فكانت طليطلة أولى الممالك التي أخذت تسقط الواحدة تلو الأخرى.

8- بلنسية في عهد أبي عمرو عثمان بن عبد العزيز478هـ/1085م:

قبل الحديث عن بلنسية في عهد أبي عمرو عثمان بن عبد العزيز، جدير التوقف عند سقوط طليطلة في يد ألفونسو السادس وأثره على مملكة بلنسية والتغييرات الجذرية المترتبة على

---

(1) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص304.
(2) ابن خاقان: **مطمح الأنفس**، ص 26.
(3) إثر وفاة فردلند الأول، ملك قشتالة وليون في عام 458هـ/ 1065 م، خلفه على العرش ابنه سانشو، وكانت قشتالة من نصيبه، وكانت ليون من نصيب ألفونسو السادس (الأذفونش). وذلك استناداً لوصية والدهما. وبعد صراع على السلطة بين الأخوين، أدى إلى مقتل سانشو عام 465هـ/ 1072م، اعتلى العرش ألفونسو السادس بمساعدة أخته أوراكا وأصبح ملكاً على قشتالة وليون معاً. وكان بينه وبين باديس بن حبوس ملك غرناطة عداوة، وكان قد عزم على محاربة غرناطة وإخضاعها لسلطانه، إلا أن المأمون بن ذي النون تدخل وأزال الخلاف بينهما، إذ كان المأمون على علاقة وطيدة مع ألفونسو منذ أن التجأ الأخير إلى طليطلة إثر الصراع الذي نشب بينه وبين أخيه سانشو. نعنعي، عبد المجيد: **الإسلام في طليطلة** ، دار النهضة العربية، بيروت، ص 144-145، 156-168؛ طويل: مرجع سابق، ص146.

ذلك السقوط.

بعد وفاة المأمون بن ذي النون عام 467هـ/1074م، تولى العرش حفيده الشاب يحيى بن ذي النون الذي تلقب بالقادر. وكان القادر حدثاً لا خبرة له بأمور الحكم، يميل إلى اللهو والترف والملذات، الأمر الذي أسهم في تفكيك إمارته الواسعة[1].

ومن جهة أخرى، كان بنو هود أصحاب سرقسطة يطمعون في إمارة القادر يحيى الواسعة،إضافة إلى ذلك فقد ساد داخل طليطلة حالة من السخط والتذمر على القادر بسبب سوء تصرفاته، وقتله وزيره ابن الحديدي[2] عام 468هـ/1075م، وكان المأمون قد أوصى حفيده القادر بالعمل بنصائح ابن الحديدي.

وأمام كل هذه التحديات التي واجهت القادر يحيى في الداخل والخارج ووقوفه عاجزاً عن مواجهتها، أخذ يتودد ويتقرب من ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون، فأغدق عليه الجزيات مقابل الحصول على حمايته ومساعدته، ويذكر الأمير عبد الله الزيري، أن ألفونسو "جعل عليه (يقصد القادر يحيى) أموالاً جسيمة، أشدها ما جعل على نفسه في شراء حصن من ألفونسو على مقربة من طليطلة بمائة وخمسين ألف مثقال طيبة، وخمسمائة مدى من طعام ضيافة كل ليلة مدة قيامه عليه، أخذها من أهل بلده حتى ضعفوا"[3]. هذه الخطة واحدة من الخطط – أو التكتيك العسكري – الناجحة التي لجأ إليها ألفونسو السادس، في سبيل تسريع وتحقيق وتنفيذ عملية الاسترداد، هذه السياسة كانت مقررة في بلاط الملك الإسباني، بعد مداولات مع رجاله وهذا ما أكده الأمير عبد الله فقال: "وكنا نعلم من مذهبه، على ما كان يخبر به وزراءه" فقال أحدهم: ".. هم الآن عند التمكن، طامعون بأخذ ظلاماتهم فلا يصح ذلك إلاَّ بضعف الحال والمطاولة، حتى إذا لم يبقَ مال ولا رجال أخذناها بلا تكلف"[4].

لذلك ألغى ألفونسو السادس، الهجوم المباشر، بسبب الفقر السكاني لديه[5] لأن الهجوم المباشر يفني الرجال والأموال، فإذا احتلَّ البلاد وأبقى سكانها، فهو لا يأمن خضوعهم، وإذا طردهم لا يوجد عنده من يعمر الأرض، لذلك كان إخضاعهم للجزية واحدة من خطته العسكرية التي[6] اتبعها تجاه عملية الاسترداد.

نتيجة للعمل الذي أقدم عليه القادر، أي عملية تودد الأخير إلى ألفونسو السادس وإغداق

---

(1) ابن الأثير: مصدر سابق، ج7 ص633.
(2) هو يحيى بن سعيد بن أحمد بن يحيى بن الحديدي، من أهل طليطلة، ومن ذوي الرأي والمشورة فيها. ابن بسام: مصدر سابق، م4 ص96.
(3) ابن بلقين: مصدر سابق، ص77.
(4) المصدر السابق، ص 73.
(5) بدر، أحمد: **تاريخ الأندلس** (التجزء – السيادة المغربية – السقوط والتأثير الحضاري) 1983م، ص181، 190.
(6) المرجع السابق، ص 190.

الجزيات عليه، غضب البلنسيون من أميرهم لضعفه وجوره وسوء تصرفه بحيث أصبح ألعوبة بيد ألفونسو السادس، وقد أدى ذلك إلى ثورة أهالي طليطلة به بهدف إسقاطه ، فاضطر القادر إلى الفرار من طليطلة، والنجاة بنفسه هو وأسرته، إلى حصن وبذة، أحد حصون طليطلة الشرقية عام 472هـ/1079م، نتيجة ذلك اجتمع كبار الشخصيات في طليطلة وقرروا إرسال بعض الرؤساء إلى المتوكل بن الأفطس [1] صاحب بطليوس للمجيء إلى طليطلة لتولي الحكم فيها، فبادر الأخير بالسير إلى طليطلة، وتمكن من إحكام قبضته عليها.

أما القادر يحيى، فكان قد رحل إلى قونكة، ومن هناك أرسل إلى ألفونسو السادس يستنجد به ليعيده إلى العرش، لم يتردد الأخير في اغتنام تلك الفرصة المواتية، فأقبل على رأس قواته لينجد حليفه، فانضم إليه القادر بقواته وسارت الجيوش المتحالفة إلى طليطلة وأحكمت الحصار عليها، وانتهت الأمور بانسحاب المتوكل بن الأفطس إلى بطليوس قاعدة مملكته تاركاً طليطلة التي تولى عرشها من جديد القادر يحيى بن ذي النون رغماً عن إرادة شعبها[2].

وهكذا سهل على ألفونسو مهمته في الظاهر، وهي إرجاع القادر إلى عرشه في طليطلة رغماً عن الرعية، أما في الواقع فكان يهدف إلى السيطرة على تلك المملكة وضمها إلى ملكه نظراً لأهميتها الاستراتيجية، وسرعان ما بدأ في تنفيذ مخططه؛ فأخذ يهاجم حصونها ويتلف زروعها، وأراضيها، مستهدفاً من وراء ذلك تجريد طليطلة من حصونها وقلاعها ومواردها الاقتصادية، وما زال يتابع حملاته في نواحيها حتى اقترب من طليطلة فاحكم الحصار عليها، الأمر الذي انعكس سلباً على أهلها لطول الحصار وانعدام المؤن، وهذه السياسة أيضاً واحدة من الخطط السياسية العسكرية الناجحة، التي اعتمدها ألفونسو السادس في تسهيل عملية الاسترداد[3].

انتهى الأمر باستسلام القادر، واستيلاء ألفونسو على طليطلة بعد أن اتفق مع القادر على أن يمكنه من الاستيلاء على بلنسية، التي كانت تابعة لجده المأمون وتنصيبه ملكاً على عرشها[4]، كل كل ذلك وملوك الطوائف يلهون بمشاكلهم ومطامحهم في السلطان.

وبذلك تكون طليطلة قد أصبحت خارج نطاق السيطرة العربية في إسبانيا، فدخلتها جيوش

---

(1) هوالمتوكل عمر بن الأفطس: كان رجلاً شجاعاً عظيم القدر، قتل على يد جيش يوسف بن تاشفين، وكان أبوه الملك المظفر بالله، أبو بكر، محمد بن عبد الله بن مسلمة التجيبي، من فحول العلماء، وله تصانيف أشهرها "المظفري" في علم التاريخ. توفي عام 460هـ/1067م، ابن خلكان: مصدر سابق، ج 5 ص480، المقري: **نفح الطيب**، ج1 ص422؛ ج4 ص340.

(2) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص83.

(3) الباشا، مهجة: **سقوط الأندلس**، تاريخه وأسبابه، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 2002م، ص 156.

(4) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص84.

القشتاليين في المحرم عام 478هـ/أيار 1085م[1]، وكان لسقوطها الآثار الإيجابية لدى الجبهة الإسبانية، فجاء تتويجاً للجهود المضنية التي بذلها ملوك إسبانيا دعماً لحركة الاسترداد في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، فكان الفرح والابتهاج في نفوس الجبهة الإسبانية [2]، ومن جهة ثانية كان سقوطها نصراً وأملاً للإسبان، وذلك بإعادة أمجاد القومية الإسبانية باعتبارها القاعدة القديمة لدولة القوط[3]؛ ذلك أن حركة الاسترداد التي قامت في إسبانيا، كان الإسبان ينظرون إليها على أنها حلقات متصلة من تاريخهم القومي عبر العصور. ولكن في الواقع، لم تكن حركة الاسترداد هدفاً مثالياً، إنما هدف يحقق لهم غنى مادياً، ومن جهة ثانية كانوا يرون أن الوقت قد حان لتحقيق مطمحهم بطرد العرب من بلادهم، بعد أن زالت هالة المجد والقوة والتقدم التي كانت تحيط بالعرب [4]، ويذكر السامرائي، نقلاً عن حسين مؤنس، "إن إطلاق هذه التسمية (الاسترداد) على حركة المقاومة النصرانية منذ ميلادها وربطها بحركة الاسترداد الحقيقي التي بدأت بعد سقوط خلافة قرطبة، أمر لا يخلو من الخطأ، لأن مناطق إستريباس لم يفتحها المسلمون، فميلاد هذه الحركة لا يعتبر بدء الاسترداد، وإنما يعتبر ميلاداً لحركة المقاومة النصرانية للسيادة الإسلامية، ويبدو أن إطلاق مصطلح حركة "الاسترداد" يحمل بين طيَّاته دعوة صليبية يمكن أن يفسر: بأن المسلمين اغتصبوا الأراضي الإسبانية، وأن من حق الإسبان أن يستردوا حقوقهم وأراضيهم، في حين أن واقع المسلمين في فتوحاتهم على مرّ العصور، لا يدل على أنهم مغتصبون بل كانوا حملة رسالة إنسانية تهدف الخير للناس كافة، كما تشير إلى ذلك فتوحهم في المشرق أو المغرب"[5].

هذا بالنسبة للإسبان أما فيما يتعلق بالعرب، فقد غرس ذلك السقوط الأسى العميق في نفوسهم، وكان نذيراً لملوك الطوائف بزوال سلطانهم والإحاطة بالدول العربية في الأندلس، إضافة إلى ذلك كان من نتائج سقوط طليطلة أيضاً وتحويل مجرى التاريخ في الأندلس، ودخول المرابطين على مسرح حوادث الأندلس إنقاذاً للوضع العربي، وإتخاذ طليطلة قاعدة لمملكة قشتالة؛ فموقعها في وسط الأندلس، سيسهم في دفع عملية الاسترداد الإسباني، وانطلاقاً من هذا المبدأ

---

(1) ابن الأثير: مصدر سابق، ج 8 ص298؛ المقري: **نفح الطيب**، ج6 ص122- 123؛ بروفنسال: **الإسلام في المغرب والأندلس**، ص146؛ Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, P.259.

(2) بروفنسال: **الإسلام في المغرب والأندلس**، ص120؛ سالم: **المغرب الكبير**، ج2 ص718.

(3) ارتفع شأن ألفونسو السادس بسبب ذلك، واتخذ لقب الأمبراطور، بعد أن أعاد لإسبانيا حاضرتها القديمة. راجع: عنان: **دول الطوائف**، ص114.

(4)بدر، أحمد: **تاريخ الأندلس**، ص188-189.

(5)السامرائي، خليل إبراهيم صالح: **الثغر الأعلى الأندلسي**، مطبعة أسعد بغداد، 1976م، ص 97-98.

اتخذت حركة الاسترداد مساراً غلب عليه السمة الدينية الظاهرة في أوروبا التي كانت السبب الظاهري الأول في الحركة الصليبية.

كان ذلك عرضاً لتلك النكبة التي حلت بدولة العرب في الأندلس. ولكن ما ينبغي إبرازه هو معرفة الأثر الذي خلفته تلك الحادثة على بلنسية موضوع الدراسة.

لقد رحب القادر يحيى بالعرض الذي اقترحه عليه ألفونسو السادس، والذي يخوله السيطرة على بلنسية مقابل تنازله عن طليطلة، إذ أنه كان قد تذرع بحكم هذه الحاضرة لكراهية أهلها المتأصلة في نفوسهم للقادر يحيى ومقتهم لشخصه. وكان ملك قشتالة قد رحب بتمكن القادر يحيى من بلنسية، إذ كان يعلم أنه بتمكين الأخير من هذه المملكة، فإنها تغدو في الواقع تحت حمايته، وفي وسعه أن يسيطر عليها متى شاء[1]. ويذكر ابن بسام أن ألفونسو تعهد للقادر بأن "يعيد له صعب بلنسية ذلولاً، وأن يمتعه بنضرتها وتملك حضرتها"[2].

وبعد أن تسلم القشتاليون طليطلة وأعمالها، خرج منها ملكها بأهله وماله في رهط من أعيانها وكبار شخصياتها، فاتجه إلى قونكة[3]، فنزل بها إلى حين يمكنه ألفونسو من بلنسية، بينما تفرق معظم من خرج معه من أهلها على قواعد العرب الأخرى في الأندلس. ووصف ابن بسام خروج القادر بقوله: "وخرج ابن ذي النون خائباً مما تمناه، شَرِقاً بعقبى ما جناه، والأرض تضج من مقامه وتستأذن في انتقامه، والسماء تود لو لم تطلع نجماً إلا كدرته عليه حتفاً مبيداً، ولم تنشيء عارضاً إلا مَطَرتْه عذاباً فيه شديداً" [4]، وكان القادر قد أقام في ضيافة ألفونسو ملك قشتالة بضعة أيام قبل رحيله عن طليطلة، أكد له خلالها حرصه على مساعدته في السيطرة على بلنسية سلماً أو حرباً، ووعده بأنه إذا ما أعيته الطرق السلمية سيلجأ إلى الحرب، ويسيِّر لهذا الهدف قائده البرهانس[5] (Alvar Hanez) لأخذ المدينة عنوة[6].

ومما يذكر أيضاً أن القادر لما خرج من طليطلة أراد أن ينزل في أحد الحصون، ولكنه لم يجد أي حصن من حصونها على استعداد لاستقباله، غير قلعة قونكة التي أظهر واليها ابن

---

(1) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, P.260.

(2) ابن بسام: مصدر سابق، م3ص57؛ ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص84.

(3) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص86.

(4) ابن بسام: مصدر سابق، م4 ص103؛ المقري: **نفح الطيب**، ج1 ص421.

(5) هو ابن أخي السيد القنبيطور، وكان من كبار قواد ألفونسو، وقد وكّله ألفونسو أمر جهات غرناطة وألمرية معاً. ابن بلقين: مصدر سابق، ص123.

(6) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص86.

الفرج[1]، ترحيباً كبيراً به، وولاءه وتبعيته له[2].

وقد ذكر سابقاً أن أبا بكر بن عبد العزيز، صاحب بلنسية قد توفي 478هـ/1085م، وخلفه ابنه أبو عمرو عثمان، وكان الأخير حدثاً تعوزه الخبرة والحنكة، ويفتقد إلى حكمة أبيه وحزمه وحسن تدبيره، وكانت البلاد آنذاك تستوجب حاكماً قوياً حسن الرأي يستطيع أن ينهض بأعباء الحكم بسبب الظروف السياسية السيئة التي وصلت إليها البلاد أمام أطماع القشتاليين في القضاء على دولة العرب في الأندلس.

هنا أخذ القادر يبحث في أمر بلنسية ويتعرف على الرأي العام فيها بعد وفاة صاحبها ابن عبد العزيز[3]؛ فبادر بإرسال حليفه ابن الفرج إلى بلنسية ليروّج له، ويدعو أهالي المدينة لمبايعته باعتباره صاحب الحق الشرعي في حكم المدينة، وكان من نتائج دعوة ابن الفرج لسيده القادر، انقسام الرأي العام في بلنسية إلى فريقين:

* الفريق الأول: كان رافضاً للقادر بن ذي النون لسوء سيرته وخضوعه للقشتاليين وتسليمه بلاده إلى ألفونسو السادس، فهذا الفريق كان مؤيداً لبني هود أصحاب سرقسطة، لما كان بين بلنسية وبني هود زمن أبي بكر بن عبد العزيز من صلات قوية ومصاهرة بين المستعين وابنة أبي بكر.

* أما الفريق الثاني: فقد آثر التبعية لبني ذي النون الذين كانوا يسيطرون على بلنسية في عهد المأمون وذلك تجنباً للدخول في معارك لا طائل منها.

وكان من نتائج حملة الاستطلاع التي قام بها ابن الفرج في بلنسية داعياً لسيده القادر، معرفته بنقاط الضعف في تحصيناتها الدفاعية وعدم قدرتها للتصدي لأي هجوم من الخارج، وتضعضع أوضاعها الداخلية نظراً لضعف شخصية حاكمها أبي عمرو عثمان.

نجح ابن الفرج بجولته وأصاب ما هدف إليه من مخطته، لذا عاد إلى قونكة، وأوضح للقادر أنه قد مهد له كل الأمور في بلنسية ولم يبق أمامه سوى أن يخرج على رأس جيشه للسيطرة عليها[4].

---

(1) بنو الفرج من أعيان بلنسية، وكان أبو بكر بن عبد العزيز يستشيرهم في الأمور الخطيرة لمكانتهم في بلده، وقد لمع من هؤلاء أبوعامر بن الفرج وزير المأمون بن ذي النون ثم حفيده القادر، كذلك أبو سعيد بن الفرج الذي تولى حكم قونكة، وهو الذي استقبل القادر كما ذكر أعلاه. ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2 ص171، ترجمة رقم136؛ ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب** ج2 ص303 -304، ترجمة رقم552.

(2) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص99.

(3) تذكر بعض الروايات أن بلنسية تعرضت لعملية انقسام وتنافس على العرش إثر وفاة ملكها أبي بكر بن عبد العزيز وذلك بين ابني الوزير ، كانا قليلي الخبرة بشؤون الحكم لذا تغلب عليهما القادر بن ذي النون. ابن خاقان: **مطمح الأنفس**، ص26؛ المقري: **نفح الطيب**، ج5 ص87.

(4) ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2 ص167؛ ابن خلدون: مصدر سابق ، ج4 ص207؛
Al Turk Afif: **El Reino de zaragoza en el siglo XI de cristo (V de la Hégira) Madrid, 1978.**, pp.138-140.

وبناءً على تلك المعطيات أخذ القادر يستعد لتلك الخطوة؛ فكان من الطبيعي أن يرسل إلى حليفه ألفونسو السادس يطلب منه معونة عسكرية لاتمام السيطرة على تلك المملكة المهمّة في شرق الأندلس، فزوده ألفونسو السادس بفرقة قشتالية يقودها البرهانس أعظم قواد قشتالة آنذاك، وما إن اقتربت جيوش القادر وحلفائه القشتاليين من بلنسية حتى أرسلوا مبعوثاً يحمل رسالة إلى أهالي بلنسية يعدهم بالأمان والخير إذا ما سلموا له، عندئذٍ اجتمع رؤساء المدينة وتباحثوا الأمر فآثر كبار الشخصيات البلنسية التسليم للقادر بن ذي النون، حقناً للدماء وتجنيباً للخراب والدمار، وقد أدركوا خطورة الوضع، لهذا اتفقوا فيما بينهم على عزل حاكمهم عثمان بن أبي بكر وتسليم السلطة للقادر باعتبار أنه الممثل الشرعي، فهو حفيد المأمون بن ذي النون الذي كان يتولى أمر بلنسية[1].

وهكذا تم خلع عثمان بن أبي بكر بعد أن استمر في الحكم تسعة أشهر، وأرسلت كبار رؤساء بلنسية إلى القادر يبلغونه بموافقتهم على رئاسته وعلى تسليم المملكة إليه، فتقدم الأخير ودخل بلنسية وبصحبته قلة من أتباعه وجنده القشتاليين، ونزل بقصر الإمارة، وكان ذلك في شوال478هـ/أيلول 1086م[2]، أما البرهانس وجنده فقد نزلوا في ربض الرصافـة في حين نزل أتباع القادر وفرسانه في الساحة التي تقع بين المسجد وقصر الإمارة، بذلك يكون مُلك بني ذي النون قد انتقل من طليطلة إلى بلنسية، وتم ذلك على يدي هذا الملك الذي قبل أن يكون حاكماً، سلطانه قائم على التبعية المطلقة لملك قشتالة.

وفي هذا الصدد قام خلاف كبير فيما يتعلق بالقادر يحيى بن ذي النون، فكان هناك وجهتا نظر واحدة إسبانية والأخرى عربية، فبينما ترى المصادر الإسبانية أنه الحاكم الشرعي لبلنسية، وهذا أمر واقعي لأنه يمثل التبعية المباشرة لقشتالة[3]، نرى المصادر العربية تحمل عليه بشدة وتتهمه بالجبن والخيانة لتفريطه بحكم قاعدة من أهم قواعد العرب وتضحيته بطليطلة قلب الأندلس النابض[4].

9- بلنسية في عهد القادر يحيى بن ذي النون478-485هـ/1085-1092م:

قامت مملكة بني ذي النون، مرةأخرى في شرق الأندلس، بعد أن استولى القادر على بلنسية

---

(1) ابن خلدون: مصدر سابق، ج4 ص208؛ عنان: **دول الطوائف**، ص217-218؛
Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, p.260.

(2) ابن عذاري: مصدر سابق، ج 3 ص304؛ ابن خلدون: مصدر سابق، ج 4 ص208؛ عنان: **دول الطوائف**، ص218.

(3) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, P.261.

(4) ابن بسام: مصدر سابق، م4 ص94؛ ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص85-86.

سلماً، فتربع على كرسي الحكم وأقام بقصر الإمارة محاطاً بالخدم والحشم، وأقبل على حياة الترف واستغرق في اللهو والملذات استمراراً للحياة التي كان يعيشها في طليطلة قبل أن يسلمها لألفونسو السادس، وورث ثروة ضخمة عن جده المأمون، فضلاً عن الذخائر والجواهر الثمينة التي حملها معه إلى مملكته الجديدة.

كان يحيى بن ذي النون حسن الحوار، لين التصرف،لا خبرة له في أمور السياسة، يتصرف كما يملي عليه الآخرون[1]، واعتمد على عدد من الوزراء في تدبير شؤون مملكته، ومن أبرز هؤلاء:

- **ابن الفرج:**

أبو عامر بن الفرج تقدمت ترجمته، كان وزيراً للمأمون ثم لحفيده القادر، من بيت رياسة، وكان المأمون قد جعل تدبير الأجناد، والنظر في طبقات القواد إلى سائر الشؤون السلطانية، والأعمال الديوانية إلى هذا الوزير[2].

- **ابن الحديدي:**

أبو بكر بن الحديدي، وهو من ذوي الرأي والمشورة بها، وقد تولى منصب الوزارة أيام المأمون بن ذي النون ثم حفيده القادر أيضاً. وكان المأمون قد جعل " النظر لجماهير الناس وكوافِ البلاد والرأي والمشورة، والصغيرة والكبيرة[3]،" إلى هذا الفقيه (أبو بكر بن الحديدي)، وأوصى حفيده القادر بأن "يشد على ابن الحديدي كلتا يديه وأخذ الموثق الغليظ عليه، ليبلغن كل مبلغ في شد أزره وتثبيت أمره[4]." ولكن قتله بعض خصومه أمام القادر بعد أن وشوا به وأثاروا حقد القادر عليه[5].

سياسة القادر بن ذي النون الداخلية:

عرفت بلنسية أيام القادر أسوأ مرحلة تاريخية، مرت بها منذ قيام عصر دويلات الطوائف[6]، فقد استبد القادر، ومارس سياسة الظلم مع الرعية، فتقرب إليه الأعيان والقضاة بالهدايا والأموال، وازدادت أطماع وتدخلات القشتاليين بشؤون المملكة، فأرهقوا الرعية بمؤنهم ومغارمهم، وفرضت كذلك ضريبة خاصة على سائر الناس للإنفاق على جند القشتاليين الذين

---

(1) ابن بسام: مصدر سابق، م4 ص93.
(2) المصدر السابق، م4 ص 93.
(3) المصدر السابق، م4 ص 93.
(4) المصدر السابق، م4 ص 93.
(5) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص277.
(6) المصدر السابق، ج3 ص305.

تحكموا فيهم، وعاشوا في مملكتهم، ولم تقف الأمور عند ذلك، بل أخذ القادر يطالب الأعيان والأكابر بالمال لتأمين متطالبات القشتاليين وقبض على بعضهم من أجل ذلك، وحشد حوله كثيراً من الجند، يعيثون في المدينة، ويعتدون على الأموال والأنفس وغدت السيادة الفعلية على المملكة للبرهانس وجنده، وغادر كثير من أعيان بلنسية بلدهم فراراً من هذا الطغيان[1].

على هذا النحو كانت الأوضاع في بلنسية، فوضى واضطراباً، فكان من الطبيعي أن يتفجر الموقف، وظهرت بوادر العصيان في شاطبة، التي اتخذت موقفاً معارضاً من القادر بن ذي النون، ورفضت مبايعته والتبعية له، ورفض واليها ابن محقور المثول أمام القادر عندما استدعاه لمقابلته ولم يعترف به والياً على بلنسية، كما رفض دفع الضرائب[2]، أو إرسال الهدايا التقليدية له مثل سائر ولاة الحصون، استاء القادر من موقف شاطبة، وطلب نصيحة ومشورة ابن الفرج حليفه، فنصحه بالتزام اللين والرفق إزاء عصيان شاطبة، وتسريح القوة القشتالية بقيادة البرهانس، بعد أن أنهت مهمتها، ولم يعد لوجودها ضرورة في بلنسية، ولا سيما وأن هذه القوة كلفته الكثير من الأموال، ولكن القادر لم يعمل بنصيحة ابن الفرج، ولم يسرح القوة القشتالية بل تمسك بها اعتقاداً منه بأن سلامة عرشه كانت تتوقف على حماية هذه القوة له، وأخذ يعمل بنصيحة أبي عمرو عثمان بن عبد العزيز الأمير المخلوع، وكان الأخير يسعى بكل طاقاته إلى إثارة المشاعر ضده انتقاماً منه، لأنه سلبه حكم بلنسية، فأخذ أبوعمرو عثمان ينصحه باستخدام القوة والعنف مع أهل شاطبة[3]، لذا بادر القادر بالتوجه إلى شاطبة، فخرج على رأس جيش كبير عام 479هـ/1086م، وأحكم عليها الحصار واستولى على أرباضها، ولكن قلعتها امتنعت عليه وصمدت أمامه واستمر القادر يحاصر قلعة شاطبة نحو أربعة أشهر، فلما طال أمد الحصار على الأخيرة، وضاق أهل المدينة منه، بادر واليها بالاتصال بالحاجب المنذر بن هود[4] صاحب لاردة وطرطوشة ودانية[5]، يطلب منه المساعدة.

---

(1)عنان: **دول الطوائف**،ص218؛

Menéndez Pidal: **La España del cid**, Madrid, 1947,V.1, pp.313-316.

(2) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, P.265.

(3) Menéndez pidal: **La España del cid**, T.1, pp.313-316 ; Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**.T.1, pp.265-266.

(4) المنذر بن هود: عرف بأنه شديد البأس. ابن بلقين: مصدر سابق، ص79.

(5) تجدر الإشارة إلى أن مملكة دانية كانت قد خرجت عن نطاق مملكة بلنسية وكان مجاهد قد حكم بلنسية زهاء عامين إلى جانب دانية. أما الأخيرة فقد حكمها مجاهد من عام 406هـ/1015م، إلى عام 421هـ/1030م، إضافة إلى جزر البليار (أشير إلى ذلك سابقاً). ثم خلفه ابنه علي إقبال الدولة فملكها من عام 436هـ/1044م، إلى عام 468هـ/1075م، ولم يزل فيها إلى أن انتزعها منه المقتدر بن هود (أحمد بن سليمان بن هود) صهره، زوج ابنته عام 468هـ/1075م، ثم قسم المقتدر المملكة بين ولديه، فكانت سرقسطة وأعمالها من حصة ابنه الأكبر يوسف المؤتمن، وخرجت لاردة وطرطوشة ودانية في حصة المنذر فبقيت تحت طاعته إلى عام 483هـ /1090م، ثم تعاقب عليها الولاة من قبل المرابطين والموحدين إلى أن استرجعها الإسبان من العرب عام 642هـ/1244م. حول

لم يتردد المنذر بن هود في نجدة أهالي شاطبة وواليها، فأرسل قوة كبيرة إلى شاطبة، روعت جيوش القادر بن ذي النون، مما اضطر الأخير إلى فك الحصار والانسحاب إلى بلنسية والتحصن داخل أسوارها خوفاً من المنذر[1].

وهكذا استعصت شاطبة على القادر، وكان لذلك الفشل (أي ضم شاطبة إلى بلنسية)، أكبر الأثر في إضعاف مكانته وانتقاص هيبته. أما البرهانس قائد القوة القشتالية في بلنسية فقد أخذ يضايق القادر لتأخره دفع رواتب جنده في موعدها رغم عدم مشاركته له في حملته على شاطبة[2]، كذلك أثار موقف شاطبة حماس كثير من القلاع التابعة لبلنسية، فأعلنت التمرد والعصيان على ابن ذي النون، فازداد وضعه حرجاً.

أما أهل بلنسية فكانوا يعانون من سوء الحالة الاقتصادية، بعد أن انتزع القادر أراضي المزارعين منهم بالقوة، ليقطعها للإسبان جنود البرهانس، عوضاً لهم عن رواتبهم المتأخرة وحرصاً منه على استرضاء البرهانس، ويشير أوثي ميراندا، إلى أن تلك الطبقة من الجنود كونت ثروات طائلة، وأصبحت قوة، لها خطورتها في بلنسية[3].

ذلك هوالوضع الذي كان قائماً في مملكة بلنسية، تمرد، وعصيان القلاع التابعة لها، ومعاناة من البطش الذي حل بأهل المملكة من القادر وحلفائه القشتاليين، وبينما الأمور على هذه الحالة، كانت أحداث أخرى تجري غرب الأندلس، فقد عبر المرابطون الزقاق بدعوة من المعتمد بن عباد[4] وابن الأفطس للدفاع عن الوجود العربي في الأندلس بعد سقوط طليطلة في يد ألفونسو السادس، الملك القشتالي الذي بات يهدد بقية دويلات الطوائف[5].

وقد استجاب المرابطون لصريخ أهل الأندلس، ونجحوا بقيادة يوسف بن تاشفين أمير المرابطين في الإيقاع بقوات القشتاليين وحلفائهم من دول إسبانيا في وقعة الزلاقة التي حصلت في 12 رجب

تغلب المقتدر على دانية. راجع ابن بسام: مصدر سابق، م 4 ص159 وما بعدها؛ عنان: **دول الطوائف**، ص 271-272.

(1) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, pp.265-266.

(2) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**,T.1, pp.265-266.

(3) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**.T.1, pp.265-266.

(4) المعتمد بن عباد: هو أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله عبّاد بن محمد، صاحب إشبيلية وأقوى ملوك الطوائف. ولي الحكم عام 461هـ/1068م، وخلعه المرابطون عام 484هـ/1091م، وأدخلوه سجن أغمات، فتوفي عام 488 هـ/1097م. ابن خاقان: **قلائد العقيان**، ص4؛ ابن بسام: مصدر سابق، م 2 ص21؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج 4 ص274.

(5) كان المتوكل بن الأفطس أول من استغاث بأمير المرابطين، فقد كتب إليه يستنجد به قبل سقوط طليطلة بيد ألفونسو السادس. ابن بسام: مصدر سابق، م 2 ص 385؛ ابن الأبار: **الحلة السيراء** ، ج 2 ص 99؛ ابن سماك العاملي: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** ، تحقيق سهيل زكار، وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1979م، ص33.

479هـ/23تشرين الأول1086م[1].

والزلاقة من عمل بطليوس[2]، وتقع على ضفتي نهر (Guerrero) إلى الشمال من بطليوس[3]، وتبعد عن الأخيرة نحو 12 كلم[4]، وهي بين بطليوس وقورية [5]، وقد أسماها الأمير عبد الله موقعة بطليوس [6]، ويسميها المؤرخون الإسبان بـ (Sacralias)، ويسميها المؤرخون المعاصرون منهم بـ (Sagrajas)[7]، وهذا البحث ليس بصدد التأريخ لهذه المعركة، أماالهدف من الإشارة إلى الأخيرة هو النتائج التي انعكست على بلنسية نفسها:

1 –لما تجمعت جيوش المرابطين ومن انضم إليهم من قوات الأندلس في الزلاقة، اضطرت الفرقة القشتالية بقيادة البرهانس إلى الانسحاب من بلنسية لتلحق بجيوش القشتاليين [8] ولتشاركها في مواجهة جيوش العرب مجتمعة: جيوش المرابطين وجيوش ملوك الطوائف، وأثار انسحابها من المدينة الارتياح لدى البلنسيين. ولما انتصر العرب في الزلاقة ازداد سرورهم، إذ نتج عن ذلك الانتصار، الامتناع عن دفع الجزية لملك قشتالة.

2 –ارتفعت الروح المعنوية عند أهل بلنسية، وعادت ثقتهم بقوة الوجود العربي في الأندلس، وقد أشار إلى ذلك ابن بسام بقوله: "–..وصدم الطاغية أذفونش تلك الصدمة... فرجع – لعنه الله– وقد

---

(1) حول تفاصيل معركة الزلاقة: راجع ابن بلقين: مصدر سابق، ص 104-105؛ ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص93-95، ابن عذاري:مصدر سابق، ج 4 ص136-138؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج4 ص281 وما بعدها؛ ج5 ص473 وما بعدها؛ الحميري: مصدر سابق، ص 83 وما بعدها؛ سالم: **المغرب والأندلس**، ص 723-726؛ عنان: **دول الطوائف**، ص، 311 - 317وما بعدها؛ طويل: مرجع سابق، ص 190 وما بعدها؛ وأيضاً Lévi provençal, Garcia Gómez (Emilio), Oliver Asin (Jaime): **Novedades sobre la batalla llamada de Al- Zallaqua** – Al- Andalus, V.15, Madrid, 1950, pp.114-124; Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**,T.1, pp.283-287.

(2) ابن خلكان: مصدر سابق، ج 4 ص281؛ ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ، تحقيق كارول تورنبرغ، دار الطباعة المدرسية، بمدينة أوبسالة، 1843م، ص94؛ الذهبي: **العبر في خبر من غبر** ، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، 1960م، ج3 ص293، ابن العماد: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار المسيرة، بيروت، 1979م، ج3 ص362.

(3) ابن خلكان: مصدر سابق، ج5 ص473.

(4) Turk: **El Reino de zaragoza**, p.155.

(5) Lévi provençal, Gómez, Asin: **Novedades**, P.135.

(6) ابن بلقين: مصدر سابق، ص40.

(7) دائرة المعارف الإسلامية: نقلها إلى العربية أحمد الشنتناوي وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس، دار المعرفة، بيروت، ج10 ص370؛ **Dozy: Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie par les Almoravides,** T.3, p.126; Lévi provençal, Gomez, Asin: **Novedades**, pp.111, 135.

(8) عهد ألفونسو قيادة جناحي جيشه إلى سانشو راميرز ملك أراغوان وبنبلونة وإلى الكونت برنجار ريموند صاحب برشلونة، وتولى هو قيادة القلب بنفسه. أما البرهانس فكان يقود مقدمة قوات ألفونسو. راجع أشباخ: مرجع سابق، ص83؛ طويل: مرجع سابق، ص191.

هيض جناحه وركدت رياحه، وتنفس خناق يحيى بن ذي النون هذا فتنسم روح البقاء"[1]

3 –ما إن وصلت أنباء انتصار العرب على قوى قشتالة وحلفائها، إلى القادر بن ذي النون، حتى بادر بإرسال التهنئة إلى الأمير المرابطي، يلتمس صداقته ومودته[2]. ولكن يوسف بن تاشفين كان منشغلاً عن الرد عليه وإجابته بشؤون خطيرة، صرفته ودعته إلى العودة سريعاً إلى بلاده بعد أن بلغه نبأ استشهاد ولده وولي عهده أبي بكر وذلك في اليوم نفسه يوم انتصاره على القشتاليين فحزن لذلك، وعاد إلى المغرب، تاركاً عند المعتمد بن عباد نحو ثلاثة آلاف فارس، وقدّم عليهم القائد أبا عبد الله محمد بن الحاج، وترك أمراء الأندلس في ذروة من الاختلاف [3]، ويبدو أن الأمير المرابطي استعجل العودة إلى المغرب، حتى يظفر بالبيعة لنفسه قبل أن يظفر بها أحد من أمراء المرابطين منتهزاً فرصة انشغاله في الأندلس بمعركة الجهاد[4].

وقد يكون سبب عودته السريعة إلى المغرب ناتجاً من استيائه مما عاينه في الأندلس، وما سمعه من فقهائها عن تعرض الوجود العربي للخطر، بسبب الخيانات التي كان يقوم بها ملوك الطوائف من الاستنصار بقوات إسبانيا ليقهر أحدهم الآخر لتوسيع ملكه مع دفع الثمن غالياً من حصون العرب؛ فقد أشار الأمير عبد الله الزيري، أنه كان متألماً لما كان يحدث بين ملوك الطوائف من خلافات وما كانت تلقاه شعوبهم من مظالم ومغارم وطغيان، وكان ذلك من العوامل التي عجلت بعودته إلى المغرب[5].

4 –أتاحت عودة يوسف بن تاشفين السريعة إلى المغرب للقوى الإسبانية أن تتنفس بعد صدمة الزلاقة، وتسترد قوتها فأخذت تعيد بناء قوتها للثأر من العرب، فبادر ألفونسو السادس إلى قائده غرسية خيمينث (García Jiménez)[6] العبث في منطقة شرق الأندلس حيث يسيطر القادر يحيى على بلنسية. فبادر القائد القشتالي بشن غاراته على سرقسطة وتمادوا إلى دانية وبلنسية وشاطبة ومرسية [7]، حيث أقام القشتاليون إحكاماً لقبضتهم، حصناً منيعاً لا يرام في منطقة مرتفعة على مقدمة الطرق

---

(1) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص58.
(2) المصدر السابق، م3 ص58.
(3) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص 95-96؛ ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص 98؛ طويل: مرجع سابق، ص202.
(4) محمود ، حسن أحمد: **قيام دولة المرابطين**، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957م، ص286-287.

(5) ابن بلقين: مصدر سابق، ص107.
(6) غرسة- خيمينث García Jiménez هو أحد قواد ألفونسو السادس، ومنافس السيد القنبيطور وعدوه. وكان قد احتل حصن أليبط قبل موقعة الزلاقة، وتحديداً إثر استيلاء ألفونسو على مدينة طليطلة عام 487هـ/1085م. طويل: مرجع سابق، ص 181، 205.
(7) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص96.

المؤدية إلى مرسية وغرناطة ولورقة، وهذا الحصن هو الحصن المعروف بحصن لييط (Aledo).

من الأهمية بمكان القول: إن هذا الاسم(ألييط Aledo) قد رسم بعدة أشكال من قبل المؤرخين لكونه اسماً غير عربي، وقد تميز ابن الأبار عن غيره في كتابة الاسم، فرسمه "ألييط" [1]، وهو ما ينطبق إلى حدٍ كبير على ما يقابله باللغة الإسبانية (Aledo)، وجرى مجراه المستشرقون أمثال أشباخ وبروكلمان وغيرهما[2]. ورسمه الأمير عبد الله وابن الخطيب "لِيِّيْط" [3]. وعاد ابن الخطيب ورسمه "اليط"[4]. وهو عند ابن الأثير" لِيْط" [5]. ودونه عبد الواحد المراكشي باسم"اللييط" [6]. ورُسم ورُسم عند ابن أبي زرع "لَبِّيْط"[7]. وهو عند ابن خاقان "يلبط"[8]. وعند الأزدي "بلبيط"[9].

ويقع هذا الحصن في قلب الأندلس، على رأس جبل شاهق[10] وهو حصن منيع[11]، من أعمال لورقة[12] وقيل من كورة تدمير [13]. وهو بين لورقة ومرسية[14]. وقدّر ابن الأبار المسافة بينه وبين لورقة باثني عشر ميلاً[15]. وما تزال أطلال هذا الحصن قائمة حتى اليوم[16].

وكان هذا الحصن الذي تغلب عليه القشتاليون، يتيح لحاميته المقيمة فيه أن تتحكم في القوافل المارة بالطرق المؤدية إلى مرسية وغرناطة ولورقة، ومنه كان المقاتلون القشتاليون يغيرون على مدن الأندلس المجاورة لهذا الحصن،ولما اشتد ضرره على العرب وعَظُمَ أذاه لهم، عادوا مرة أخرى للاستنجاد بيوسف بن تاشفين [17]، فوعدهم بالجواز إلى الأندلس ثانية،

---

(1) ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2ص86، 175.
(2) أشباخ: مرجع سابق، ص 89؛ بروكلمان (كارل): **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمه إلى العربية، نبيه فارس ومنير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1965م، ص321.
(3) ابن بلقين: مصدرسابق، ص108؛ ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج1 ص46؛ **أعمال الأعلام**، ص247.
(4) ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج1 ص46.
(5) ابن الأثير: مصدر سابق، ج8 ص310.
(6) المراكشي: مصدر سابق، ص132.
(7) ابن أبي زرع : مصدر سابق، ص98-99.
(8) ابن خاقان: **قلائد العقيان**، ص232.
(9) الأزدي: **بدائع البدائة** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970، ص127.
(10) ابن بلقين: مصدر سابق، ص108؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص141.
(11) ابن الأثير: مصدر سابق، ج8 ص310؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص141.
(12) ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2 ص86.
(13) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص247.
(14) بروكلمان: مرجع سابق، ص321؛
Dozy: **Histoire des Musulmans d'Espagne**, p.132.
(15) ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2 ص175.
(16) عنان: **دول الطوائف**، ص168 حاشية رقم 3.
(17) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص96.

لاستعادته (الحصن) إلى السيطرة العربية ومعاقبة المعتدين في آنٍ معاً[1].

ولم يكن حصن أليبط هو الخطر الوحيد الذي بات يتهدد أهالي شرق الأندلس، وإنما تأزمت الأمور بظهور السيد القنبيطور الذي أخذ يعبث فساداً في المنطقة وعجز ملوك الطوائف عن التصدي لهجماته وأصبحت دانية وشاطبة ومرسية مهددة بالوقوع في يده [2]؛ فتجددت دعوة ملوك الطوائف لابن تاشفين مرة ثانية لنجدتهم ولكن هذه المرة في شرق الأندلس، لاستنزال حصن لييط (Aledo) الاستراتيجي الذي كان يعرقل خطوط الاتصال بين هذه المدن ويقطع عنها الأمدادات، فسار المعتمد بن عباد بنفسه إلى ابن تاشفين بالمغرب لهذا الغرض، فأعلم الأخير بأنه لا راحة للعرب إلا بتحرير هذا الحصن، فعاقده ابن تاشفين على أن يأتي بنفسه ورجاله[3].

وقد وفى ابن تاشفين بوعده للمعتمد، واستجاب لدعوة أهل شرق الأندلس، فعبر إلى الجزيرة الخضراء في ربيع الأول عام 481هـ/تموز 1088م، وهو جوازه الثاني إلى الأندلس في سبيل الجهاد[4]، ولما وصلت الأنباء إلى الإسبان، بأن ابن تاشفين جاز إلى الأندلس، حتى أخذوا أخذوا يشنون الغارات على سرقسطة وجهاتها، وبلنسية، ودانية، وشاطبة، ومرسية، فخربوا مزارعها، وقتلوا وسَبَوا من كان في طريقهم[5].

ليس الهدف هنا هنا تأريخ ذلك الحصار بل كل ما يهدف إليه البحث، هو أن العرب قد ضربوا الحصار حول الحصن عدة أشهر، ولكنهم فشلوا في تحريره لاستبسال حاميته في الدفاع

---

(1) ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2 ص86، 175؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص141.

(2) حسن أحمد، محمود: **مرجع سابق**، ص289-290.

(3) ابن بلقين: مصدر سابق، ص 108؛ Turk: **El Reino de zaragoza**, P.157. جدير بالذكر، بأن سفرالمعتمد إلى المغرب كان لغرضين: الأول: هولوضع حدٍ لغارات حامية حصن لييط. والثاني: هو لاسترجاع نفوذه بمرسية بعد أن تمرد عليه عبد الرحمن بن رشيق الذي انفرد بحكم مرسية (سيترجم له لاحقاً)، فأراد أن يضع بها ابنه الراضي يزيداً، عوضاً عن الجزيرة الخضراء التي كان قد تنازل عنها لابن تاشفين عند دخوله الأندلس لجهاد القشتاليين في الزلاقة. فابن أبي زرع وابن الخطيب اكتفيا بذكر الخبر المتعلق بأذى الحصن على العرب، وأغفلا ذكر الغرض المتعلق بأمر مرسية. ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص 98؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص201.

(4) ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص99، تجدر الإشارة إلى أن هناك آراء مختلفة حول تاريخ دخول ابن تاشفين مرة ثانية إلى الأندلس، فابن الأبار قال إن ابن تاشفين دخل الأندلس عام 483هـ/1090م، بهدف استخلاص حصن ألييط. ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2 ص175. أما ابن خلكان فقال: إن دخوله الأندلس كان في رجب عام 481هـ/1088م، فحاصر والمعتمد بن عباد بعض حصون الإفرنج، فلم يقدرا عليه، فرحلا عنه. ابن خلكان: مصدر سابق، ج5 ص484، وأشار ابن الخطيب إلى أن تاريخ جواز ابن تاشفين الثاني للجزيرة الخضراء كان عام 481هـ/1088م، دون أن يشير إلى الشهر من العام المذكور. ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص247. وحدد ابن خلدون عام 486هـ/1093م، تاريخ جواز ابن تاشفين الثاني إلى الأندلس، فتثاقل أمراء الطوائف عن لقائه، فوجد عليهم. ابن خلدون: مصدر سابق، ج6 ص249، وقال بروكلمان إن ابن تاشفين دخل الأندلس عام 483هـ/1090م. بروكلمان: مرجع سابق، ص321، وقال مينندث بيدال : إن حصار ألييط بدأ صيف 482هـ/1089م، وانتهى في تشرين الأول من العام نفسه.. Menéndez Pidal: **La España del cid**, V1, p.351.

(5) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص96-97.

عنه ولمناعته، بالإضافة إلى عامل آخر، وهو أن الخلافات على السلطة بين أمراء الطوائف قد اشتدت أثناء الحصار وأخذوا يتبادلون الاتهامات بعضهم ضد البعض أمام ابن تاشفين[1].

وقد عجلت تلك الخلافات في تقويض عروشهم، فرأى ابن تاشفين أن ضم الأندلس إلى المغرب بات مسألة وقت ليس إلا، وقد أشار الأمير عبد الله إلى تلك المسألة بقوله: "وطالت تلك المَحَلَّة الملعونة،... فلم يَزْدَدِ الرؤساء إلا توحُّشاً، ولا الرعيَّةُ إلا تسلطاً....مع اختلاف كلمة الرؤساء... وكانت مقدمات سُوْءٍ، وزماناًعلى السلاطين عسيراً، وسَعْداً للمرابطين مُقْتبلاً"[2].

ثم قرر ابن تاشفين الانسحاب من ميدان المعركة، وعاد إلى المغرب، عازماً العودة إلى الأندلس للمرة الثالثة لإسقاط ملوك الطوائف عن عروشهم، وإعادة الأندلس إلى سابق وحدته السياسية، وكان قد ترك فرقة مرابطية يقودها ابن عائشة[3]، اتخذت من شرق الأندلس مسرحاً لنشاطها[4].

نتيجة لضعف القادر ولرحيل القشتاليين عن بلنسية، أصبحت الأخيرة مطمعاً للطامعين من ملوك الطوائف أنفسهم؛ فلاحت الفرصة للمنذر بن هود صاحب لاردة وطرطوشة ودانية وشاطبة لكي يضم بلنسية إلى مملكته. ومن جهة ثانية نجد أن المستعين بن هود ابن أخيه صاحب سرقسطة يفكر هو أيضاً بدوره في الاستيلاء على بلنسية. عندئذٍ، اضطر القادر إلى الاستنجاد بألفونسو وكذلك بالمستعين بن هود، فبادر الأخير بالتوجه إلى بلنسية وبصحبته السيد القنبيطور وجنده.

وقد نجح السيد القنبيطور في التخلص من خطر بني هود في ضم بلنسية. (سيناقش هذا الموضوع من بعد تحتعنوان العلاقات الخارجية لمملكة بلنسية، في عهد القادر يحيى بن ذي النون مع المستعين بن هود صاحب سرقسطة والسيد القنبيطور)، لتصبح الأخيرة أمام تهديد أشد خطراً، ألا وهو السيد القنبيطور وجنده.

السيد القنبيطور صاحب السيادة الحقيقية:

ما إن وصل السيد إلى بلنسية حتى أخذ يظهر على حقيقته، ويكشف عن نواياه وعن

---

(1) سالم: **المغرب الكبير**، ص730؛ وحول الخلافات راجع: طويل: مرجع سابق ، ص211-212؛ Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**,T.2, pp.19-25

(2) ابن بلقين: مصدر سابق، ص110.

(3) هو محمد بن يوسف بن تاشفين، يكنى أبا أحمد ويعرف بابن عائشة، كان من كبار قواد المرابطين، نصبه يوسف بن تاشفين قائداً على شرق الأندلس، بعد أن عاث فيه القنبيطور فساداً. ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص 101؛ ابن القطان: **نظم الجمان في أخبار الزمان**، نشر محمود علي مكي، الرباط، 1964 م، ص8.

(4) يذكر ابن عذاري، بأن يوسف بن تاشفين قرر قبل عودته إلى المغرب ترك علي بن الحاج عاملاً له على غرناطة، وأمره بالتوجه إلى شرق الأندلس لقتال القوات الإسبانية بقيادة ألفونسو السادس، وحماية تلك المناطق من أي غارات محتملة. ابن عذاري: مصدر سابق،ج4ص44.

أطماعه بالسيطرة على الأخيرة، فنراه يراوغ الجميع، فهو من جهة ينصح القادر سراً بأن لا يسلم المدينة لأحد، ومن جهة أخرى يعد القادر والمستعين كل بمعزل عن الآخر أنه سوف يساعده على تحقيق أهدافه في الوقت الملائم، ويؤكد للمستعين أنه على أتم الاستعداد لكي يساعده على أخذ بلنسية، إذا ما حصل على موافقة ألفونسو السادس، ولم تقف سياسة المراوغة عند هذا الحد، بل كتب إلى الملك ألفونسو السادس يسترضيه[1]، ويؤكد له أنه وجنده تحت إمرته، وأن ما يعمله ويغتنمه، إنما هو تابع له، وأنه على أتم الاستعداد ليستولي على شرق الأندلس بكل سهولة، وافق ألفونسو على رسالة السيد، ونسي ما كان يحمله عليه في نفسه من حقد وأن يغفر له ما كان قد ارتكبه، فأذن له أن يجول بفرسانه حيث شاء من أراضي العرب[2].

وما كاد السيد يحصل من ملك قشتالة على هذا الرد الذي ينم عن غفران مولاه له ورضاه عنه حتى بادر بالسير شخصياً إلى قشتالة للقاء ألفونسو والتشاور معه، وتم الصلح بينهما في أواخر عام 479هـ/أواخر 1086م، أو أوائل عام 1087م[3]، واستطاع السيد أن يحصل من الملك ألفونسو على وثيقة الموافقة، وفيها يصرح للسيد ويؤكد، بأن كل الأراضي والحصون التي يستطيع السيد أن ينتزعها من العرب، تغدو ملكاً خاصاً له، ثم لأولاده وبناته وسائر عقبه من بعده، ميراثاً شرعياً.

عندئذٍ أدرك المستعين، مدى نفاق السيد وغدره، وتخليه عن مساعدته وانصرافه إلى العمل لصالحه وصالح قشتالة، فأخذ يبحث عن مصدرٍ آخر لدعمه وتأييده، فاتجه إلى محالفة

(1) إثر وفاة فرناندو الأول ملك قشتالة وليون عام 458هـ/1065م، قامت الحرب بين أبنائه واستطاع ابنه شانجة بمؤازرة السيد القنبيطور أن ينتصر على ألفونسو السادس ويأسره، ثم ما لبث أن أطلق سراحه بعد أن تعهد ألفونسو السادس بمغادرة البلاد، وبعد مقتل شانجة عام 465هـ/1072م، تسلم العرش مكانه أخوه ألفونسو. ومنذ ذلك الحين دخل السيد القنبيطور في خدمة ألفونسو، الذي كلفه بقبض مال الجزية من صاحب إشبيلية عام 472هـ/1079م، حيث وفد على بلاط المعتمد بن عباد. ثم حدث أن اشترك السيد مع قوات المعتمد صاحب إشبيلية في معركة مع قوات الأمير عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة التي كانت تساندها قوة من القشتاليين أيضاً بقيادة الكونت غرسية أوردونيث انتهت بهزيمة قوات الأمير عبد الله وأسر السيد للكونت غرسية، الذي ظل في قبضته ثلاثة أيام، ثم أطلق سراحه وشكا ما أصابه من السيد إلى ألفونسو واجتهد في إيغار نفسه عليه. ثم عاد السيد إلى بلده برغش عام 473هـ/1080م، بعد أن أكمل مهمته وجبى الأموال من صاحب إشبيلية. وفي عام 474هـ/1081م، قرر ألفونسو نفي السيد القنبيطور من بلاده بعد أن خرج لمقاتلة نفرٍ من جند طليطلة العرب عند غرماج (Gormaz) على نهر دويرة دون إذنه، إضافة إلى أنه حصل لنفسه على نصيب وافر من الأموال التي جباها من المعتمد بن عباد. راجع مؤنس، حسين: **السيد القنبيطور وعلاقته بالمسلمين** ، الجمعية الملكية المصرية للدراسات التاريخية، 1950م، ص43 وما بعدها؛ بروفنسال: **الإسلام في المغرب والأندلس** ، ص180؛ شعيب، عبد الواحد : **دور المرابطين في الجهاد في الأندلس**، دار إقرا طرابلس، 1990م، ص80.

(2) **Menéndez Pidal: la España del cid**, V.1, pp.352-354.

(3) مؤنس: **السيد القنبيطور**، ص55.

برنجار رامون الثاني(Berenguer Ramon II) كونت برشلونة[1]، وكان من ألد أعداء السيد، ونجح في عقد تحالف معه يقضي بأن يعينه بقواته على غزو بلنسية، وكان القادر قد قدم للكونت أموالاً جزيلة.

وبالفعل سار الكونت بقواته إلى المستعين وزحفا إلى بلنسية، وتمكنا من الاستيلاء على لرية (Liria) وجبالة (Gebolla) أثناء تقدمهما، ثم وصلت قواتهما إلى بلنسية فحاصرتها، ولكن ما كادت أنباء اقتراب السيد من بلنسية تصل إلى الكونت برنجار حتى أدرك عدم قدرته على مواجهته، فقرر الانسحاب من مواقعه، وعاد إلى بلاده (برشلونة)، بذلك تكون محاولة المستعين الثانية للاستيلاء على بلنسية قد فشلت[2].

وكان السيد قد عسكر بقواته أثناء توجهه نحو بلنسية، أولاً بمربيطر شمال بلنسية، وأرغم صاحبها ابن لبون[3] على دفع الجزية السنوية له وتقدر بثمانية آلاف دينار، ونزل أخيراً بجنده في "الكُدية" ضاحية بلنسية الشمالية التي يفصلها عن المدينة نهر (Turia)، وفي الحال بعث إليه القادر الأموال والتحف، وأبلغه بأنه يطلب حمايته مقابل جزية يؤديها إليه، واتفق معه على أن يدفع له كل أسبوع ألف دينار[4] وقيل إن الجزية بلغت مائة ألف دينار في العام[5] وقيل أيضاً أنها بلغت مائة وعشرين ألف دينار في العام[6]، بعد ذلك خرج السيد من مقره في "الكدية" إلى جبال ألبونت القريبة حيث كان يحكم عبد الله بن قاسم[7]، وعاث في أراضيه، وأرغمه على أن يدفع له جزية سنوية قدرها عشرة آلاف دينار، ثم اتجه جنوباً وعسكر في بلدة "ركّانة" الواقعة غربي بلنسية،

---

(1) إثر وفاة رامون برنجار الأول خلفه ولداه برنجار ورامون في حكم إمارة برشلونة معاً. ولكن خلافاً نشب بينهما انتهى باتفاق، على أن يحكم كل واحد منهما ستة أشهر بالتناوب. وفي عام 475هـ/1082م، توفي رامون وقام بالحكم منفرداً برنجار. وقد كان لهؤلاء علاقات وطيدة مع بعض الأمراء المسلمين وكان أبرز دور قام به الكونت برنجار هو مساعدة المستعين بن هود في مشروعه لافتتاح بلنسية. راجع عنان: **دول الطوائف**، ص394. وأرسلان: مرجع سابق، ج2 ص219.

(2) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.2, pp.14-15.

(3) أبو عيسى بن لبون: هو لبون بن عبدالعزيز بن لبون، وكان من جملة أصحاب القادر يحي بن ذي النون، وكان قاضياً ووزيراً ببلنسية أيام أبي بكر بن عبد العزيز، فلما توفي الأخير عام 478هـ/1085م، اضطربت الأحوال في بلنسية كما ذكر سابقاً وانقسم الأهالي ما بين موالٍ لبني هود أصحاب سرقسطة، وآخر مؤثر تسليمها لبني ذي النون أصحاب طليطلة، وفي الوقت نفسه كان السيد القنبيطور معسكراً في منطقة بلنسية مع جنوده. وفي ظل هذه الأحداث الصعبة، ترك ابن لبون بلنسية فلجأ إلى مربيطر دار أهله. ابن خاقان: **قلائد العقيان**، ص99؛ ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص65؛ ابن الأبار: **الحلة السيراء، ج2** ص168؛ ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب** ، ج2ص376؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص209، المقري: **نفح الطيب**، ج5 ص136.

(4) عنان: **دول الطوائف**، ص228؛ Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.2. p.2.

(5) عنان: **دول الطوائف**، ص228.

(6) أرسلان: مرجع سابق، ج3 ص56.

(7) تولى إمارة ألبونت بعد وفاة أخيه أحمد بن قاسم عام 440هـ/1047م، واستمر في الحكم حتى عام 485هـ/1092م. أرسلان: مرجع سابق، ج3 ص238.

وفرض على السهلة (شنتمرية الشرق) عشرة آلاف دينار، وعلى إشكرب ستة آلاف دينار، ومن المنارة ثلاثة آلاف دينار في السنة[1]. وبذلك يكون السيد قد أخضع لسيادته سائر إمارات هذه المنطقة إضافة إلى شبرب وشارقة، وأصبح صاحب السيادة في تلك المنطقة[2]، وكان السيد قد استناب عنه في بلنسية أبو عامر بن الفرج الذي كان وزيراً للقادر[3]. وعبّر ابن عذاري عن استبداد السيد بشؤون بلنسية دون القادر ابن ذي النون بقوله: "وكان الطاغية لذريق النصراني الملقب بالكنبيطور[4] وقد أخذ بمخنق بلنسية، وألقى وزره عليها، يجبي رعيتها ويستغلها حاضرة وبادية. وقد استضعف حفيد ابن ذي النون، ملكها المشؤوم، وكان اجتلبه ليحترم به، فرمى بسهمه إلى نحره، فخلعه اللعين وبقي حتى أراد الله بما أراد من حتفه"[5] ومع ذلك على الرغم من ذلك فقد ساءت العلاقة بين السيد وألفونسو السادس من جديد، وذلك بسبب عدم تلبية السيد لطلب ألفونسو السادس عندما دعاه إلى السير إلى "حصن لييط" (Aledo) ليفك حصار المرابطين لهذا الحصن عام 481هـ/1088م، فأثارت هذه الحادثة غضبه واغتنم خصوم السيد هذه الفرصة، فأوغروا صدر الملك عليه، وصوروا تصرفه بالخيانة وطالبوه بمعاقبته، وبالفعل فقد أمر ألفونسو السادس بإخلاء سائر الحصون والقلاع التابعة للسيد، والقبض على زوجه وأولاده الصغار، ذلك أن القانون ينص على اشتراك الأسرة في الأمور الجنائية ولا يسمح بالرأفة في تهمة الخيانة[6].

إزاء ذلك سارع ألفونسو وصمم على الانتقام من السيد، ونسي الاتفاق الذي تم بينهما، والذي يقضي بفتح بلنسية له، إضافة إلى المدن الشرقية؛ فلم يجد ملك قشتالة لمعاقبة السيد، خيراً من أن يفتح بلنسيةِ، التي كان السيد في الواقع حاكمها الحقيقي، وكانت من أمنع المعاقل لسيادته ونفوذه، وأخصب مصدر لموارده، فعقد تحالفاً مع جماعات من البحريين من جنوه [7] وبيزه [1]

---

(1) المرجع السابق، ج 3 ص 56.

(2) بروفنسال: مرجع سابق، ص 188؛ مؤنس: **السيد القنبيطور**، ص56.

(3) ابن سعيد: **المغرب في حلى الغرب** ، ج2 ص 303-304؛ Menéndez Pidal: **La España del cid**,V.1, p.489.

(4) يعرف السيد في الروايات العربية "بالقنبيطور". ويقول ابن عذاري: أن كلمة "القنبيطور" تعنى "الفحص" ، ابن عذاري: مصدر سابق، ج 4 ص577. وقد سماه ابن بسام "رذريق الكمبيادور" Rodrigo El campeador. راجع ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص59، وهكذا يسميه ابن الأبار بالكنبيطور. **الحلة السيراء**، ج2 ص125، ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص203، المقري: **نفح الطيب**، ج2 ص 577.

(5) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص31.

(6) Menéndez pidal: **La España del cid**. V.1, pp.367-368.

(7) جنوه (Genova, Génes)، مدينة إيطالية، بها مرسى وهي على حافة البحر، فيها أنواع مختلفة من الفواكه، نمت بفعل الأعمال التجارية منذ أيام اليونان، ودمرها القرطاجيون عام 205 ق.م، ثم عادت للظهور مع الرومان، وتحالفت مع جنوه، فكونتا أسطولاً بحرياً، لمحاربة العرب في سردينية عام413-463هـ/ 1022-1070م. وفي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي كان السيد قد عقد تحالفاً مع هاتين المدينتين لمساندته في حصار بلنسية. القلقشندي: مصدر سابق، ج5 ص 383-384؛

لحصار المدينة بحراً وبراً بغية الاستيلاء عليها، وسار (ألفونسو) إلى بلنسية وعسكر في جُبالة أو كبولا (قلعة أنيشة)[2]، وأرسل إلى أصحاب القلاع والحصون المجاورة أن يؤدوا له الجزية، وبعث إلى القادر بأن يحجز له الجزية وسائر الإيرادات التي كان يتلقاها السيد.

وكان السيد القنبيطور آنذاك غائباً في سرقسطة، بناءً لطلب المستعين، ذلك أن الأخير كان قد استغاث به بعد أن شعر بأن المرابطين بعد استيلائهم على حصن أليبط ومرسية، أضحوا على مقربة منه، ويهددون ملكه، فسار السيد إلى سرقسطة وبقي الأخير حيناً في الأخيرة ينظم شؤونها وخططها الدفاعية، وهذا ما أشار إليه ابن بسام بقوله: "ولما أحس أحمد بن يوسف بن هود المنتزي إلى وقتنا هذا على ثغر سَرَقُسْطَةَ بعساكر أمير المسلمين تُقْبِلُ من كل حَدَبٍ[3] وتطلعُ من أطرافه من كلِّ مَرْقَبْ، أسَّد كلباً من أكلُبِ الجلالقة يسمى برذريق ويدعى بالكنبيطور، وكان عقالاً وداءً عُضالاً[4]، له في الجزيرة وقائع، وعلى طوائفها بضروب المكروه اطّلاعات ومطالع"[5].

ولما علم السيد القنبيطور بنزول ألفونسو في بلنسية وحصاره لها وهو في سرقسطة، وبأن ملك قشتالة جاء لينتزعه المنطقة التي أعطاه إياها، غضب لذلك وقرر الانتقام، فسار بقواته مخترقاً أراضي قشتالة، فقتل ونهب و نشر الدمار في أراضي المملكة القشتالية، وفي ذلك قال ابن الكردبوس: "ولما نزل ألفنش على بلنسية غضب القنبيطور واحتدّ وجمع وحشد لأنه كان يعدها له طاعة والقادر بها عامله إذ لا قدرة له على الدفاع ولا استطاعة فخالفه إلى قشتالة فخرق وهدم فكان ذلك أقوى الأسباب في اختراق ذلك الجمع عن بلنسية"[6].

وأيا يكن الأمر، فقد أدرك ألفونسو أن موقفه أخذ يتحرّج، ذلك أن سفن جنوه وبيزه لم تصل في الوقت المحدد، وأن المؤن أخذت تنفد وتقل عن عسكره، وأخذ الخطر الذي يمثله المرابطون في الأندلس يتزايد لا سيما بعد أن استولوا على جنوب شرق الجزيرة، عندئذٍ قرر رفع الحصار عن بلنسية وعاد إلى قشتالة. وقد آثر ألفونسو اتباع سياسة اللين والمداراة تجاه السيد، فكتب إليه

Dictionnaire Encyclopédique d'histoire, Michel Mourre, Paris, 1983. P.1981-1982.

(1) بيزه (Pisa-Pise): مدينة إيطالية (توسكانة)، تقع على نهر (Arno)، وبها مرسى وكان لها علاقات تجارية بحرية مع المشرق في القرن العاشر الميلادي، وأصبحت فيما بعد جمهورية تجارية قوية منافسة لجنوة وغيرها، Dictionnaire Encyclopédique d'histoire, P. 3555.

(2) جبالة أو كبولا (قلعة أنيشة)، موضع على مقربة من بلنسية وبالقرب من بنشكلة. الحميري: مصدر سابق، ص32.

(3) حدب: الغليظ المرتفع من الأرض. البستاني، مرجع سابق، ص152.

(4) داء عضال: شديدٌ مُعْيٍ غالبٌ، البستاني، مرجع سابق، ص609.

(5) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص 58-59.

(6) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص99-100.

يبلغه العفو عنه وعن أملاكه، والعودة إلى قشتالة ساعة يشاء، فكتب إليه السيد يشكره ويرجوه ألا يصغي لأصحاب السوء، وكان ذلك في أوائل عام 485هـ/1092م[1].

وبعد أن اطمأن السيد إلى ذلك، خرج بعسكره إلى سرقسطة في شعبان عام 485هـ/1092م، لمساعدة المستعين بن هود لمواجهة الخطر الذي كان يتهدده هذه المرة من جهة سانشو راميز (Sancho Ramirez) ملك أراغون، واستتاب عنه ابن الفرج في بلنسية وكل الإمارات التي أخضعها لسلطانه، وبخروج السيد من بلنسية خف التوتر القائم فيها، وارتاح أهلها لغياب الأخير عنها[2]، ومع ذلك نجد أن ثورة قامت بزعامة ابن جحاف [3]، في الداخل ضد القادر وقوات السيد؛ فقد تدهورت الأوضاع، بسبب ضعف القادر واستئثار قوات حليفه بالحكم. (سيناقش هذا الموضوع من بعد)، هذه الثورة أدت إلى وضع نهاية لذلك العهد، وقتل القادر في 23 رمضان عام 485هـ/ تشرين الأول 1092م، بأمر من القاضي ابن جحاف.

10- بلنسية في عهد القاضي ابن جحاف485-487هـ/1092-1094م:

بعد قتلِ القادر يحيى بن ذي النون، آلت السلطة في بلنسية إلى حكم الجماعة، فاختاروا القاضي ابن جحاف حاكماً لبلنسية، وكان ذلك في صبيحة يوم الثلاثاء 24 رمضان عام 485هـ/29تشرين الأول 1092م، فدخل ابن جحاف قصر الإمارة ووضع يده على ما كان بداخله من أموال القادر وجواهره واستولى عليها[4].

سياسة القاضي ابن جحاف الداخلية:

بدأ ابن جحاف في تنظيم أمور الحكم، اهتم برواتب الجند، وقام بتحصين أطراف المدينة، وبالمقابل أخذ يصطنع لنفسه فخامة الأمراء والرؤساء، ويظهر أُبَّهَةَ الملك... فكان يجلس محاطاً بالوزراء والفقهاء والزعماء، والغلمة أمامه، وعند خروجه، يتقدمه العبيد ويتأخر عنه الجند، وحيث يحل يُستقبل بالدعاء والثناء [5].

وحينما علم السيد القنبيطور بالتطورات التي حدثت في بلنسية وهو بسرقسطة، اشتد غضبه

---

(1) عنان: **دول الطوائف**، ص230.

(2) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص31.

(3) هو جعفر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن جحاف المعافري، ويكنى أبا أحمد وأبا المطرف، من أهل بلنسية وقاضيها. ولي قضاء بلنسية بعد ابن عم أبيه، عبد الرحمن بن جحاف، وكان من قبل يتولى منصب صاحب الأحكام بالمدينة. ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب** ، ص419؛ الضبي: مصدر سابق، ص235، ترجمة رقم 616؛ ابن الأبار: **التكملة**، ج1 ص194، ترجمة رقم 635؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص203.

(4) ابن عذاري: مصدر سابق، ج 4 ص147؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص203، وراجع : Menéndez pidal: **la España del cid**, V. 1, p. 434, Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.2, P.53.

(5) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص32.

لما أصاب القادر على يد ابن جحاف وأعوانه، واعتبر قتل القادر إهانة لشخصه وضياعاً لسلطانه بوضع يده على بلنسية، إذ أن أهل المدينة كانوا يؤدون له الجزية كل عام[1]، فقرر الانتقام من ابن جحاف. وسرعان ما سار بقواته متجهاً نحو بلنسية، ونزل في "جبالة"، وهناك اجتمع مع أنصار القادر الذين أعلنوا ولاءهم له لأخذ الثأثر لملكهم[2].

ورأى السيد القنبيطور أن يلجأ إلى سياسة تقوم على الترغيب واللين مع ابن جحاف، فبعث إليه برسالة يهنئه على ما تهيأ له من تولي مقاليد السلطة، ثم يسخر منه فيها بأنه أنهى صومه بحسنة، وهي قتله لسيده القادر، ثم طلب منه في نهاية الرسالة بأن يعيد له أطعمته المختزنة في بلنسية، فما كان من القادر إلاَّ أن أرسل له رسالة أخرى أخبره من خلالها بأن البلاد أصبحت ليوسف بن تاشفين، وأن المؤن والأطعمة قد انتهبهما رجاله[3]. ولكن السيد أجابه برسالة ثانية ضمنها كثيراً من عبارات التهديد والوعيد، وأقسم له فيها بأنه لن يترك بلنسية حتى ينتقم منه، ويأخذ بثأر القادر[4].

وبذلك يكون السيد قد أعلن الحرب على بلنسية أواخر رمضان عام 485هـ/أواخر تشرين الثاني 1092م، بعد أن تمكن من إخضاع كل من أبي عيسى بن لبون صاحب مربيطر، وعبد الملك بن رزين[5] صاحب السهلة (شنتمرية الشرق) ،اللذين أعلنا ولاءهما له ووضعا نفسيهما تحت حمايته[6]، وفرض المغارم والأقوات على الحصون المجاورة، فأمده بها من اتقى شره[7].

ويشير ابن عذاري إلى أن السيد القنبيطور تحرك نحو بلنسية وضرب حولها الحصار، وذلك في الوقت نفسه حين كان يحاصر جبالة أي في رمضان 485هـ/تشرين الثاني1092م، وأخذ يشن الغارات عليها مرتين في اليوم الواحد، عند الصباح وعند المساء، وأتلف مزارع الضياع

---

(1) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص103.

(2) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.2, P.57.

(3) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص32؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص203.

(4) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص32، 105؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص203.

(5) هو حسام الدولة أبو مروان عبد الملك بن رزين، وتلقب بذي الرياستين الحاجب جبر الدولة. راجع: ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2 ص108-115، ترجمة رقم 129. أما بنو رزين أصحاب شنتمرية الشرق، عرفوا باسم جدهم الأعلى رَزين البرنسي، أحد أكابر رجال المغرب الداخلين إلى الأندلس في جيش طارق بن زياد، وهو ينتمي إلى هوارة أحد بطون قبيلة البرانس المغاربية الكبرى. وكان منزل بني رزين بقرطبة، ثم نزحوا إلى الثغر، ونزلوا بأراضي السهلة، واستقروا هناك حكاماً. ولما اشتعلت الفتنة بقرطبة، استقل كبيرهم أبو محمد هذيل بن عبد الملك بن خلف بن لب بن رزين المعروف بالأصلع بشنتمرية الشرق، عن قرطبة أسوة بما فعله الآخرون من ملوك الطوائف وذلك عام 403هـ/1012م، وتلقب بحاجب الدولة، وتوفي عام 436هـ/1044م، فخلفه ابنه عبد الملك بن رزين أبو مروان، وقد حكم المملكة زهاء ستين عاماً. راجع ابن بسام: مصدر سابق، م 3 ص69؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص181-183، ابن الخطيب: **أعمال الأعمال**، ص205-206.

(6) Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, pp.439-440.

(7) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص32.

وخرّب الأبراج في نواحيها، وعاث في قراها فساداً حتى إن المدينة نفسها قد أصابها ما أصاب حولها، وهلك عدد من أهلها وقعوا في قبضة عسكره[1]. عندئذٍ طلب البلنسيون النجدة من المرابطين، فلم يتردد القائد المرابطي ابن عائشة، في أن يمد ابن جحاف ببعض الامدادات من مرسية، فأرسل إليه ثلاثماية فارس، استطاع ابن جحاف أن يكوّن منهم فرقة داخل المدينة لتقاوم غارات القنبيطور واعتداءاته المتكررة على المدينة[2].

ويذكر مينندث بيدال أن صاحب جبالة، اضطر إلى التسليم للقنبيطور بعد أن انقطعت عنه الأقوات، فدخلت قوات القنبيطور إلى قلعة جبالة أواخر 485هـ/أواخر 1092م[3].

وليست السياسة التي اتبعها السيد القنبيطور في شرق الأندلس، بخطط جديدة، بل هي استمرار لتلك الخطط التي اعتمدها ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون، حيث اتباع فرض المغارم والأقوات والضرائب، وشن الغارات وممارسة سياسة إتلاف المزراع والضياع وتدمير الأبراج، وذلك بهدف إضعاف الدويلات اقتصادياً، لتسريع عملية الاسترداد، فكان لهذه السياسة أثرها العميق في اضطراب الوضع الاقتصادي للبلاد وتدهوره، وهذه السياسة من الخطط العسكرية، التي أعطته أفضل النتائج وأعظمها.

ومن الأهمية بمكان القول: إن الحصار المحكم الذي فرضه القنبيطور على بلنسية، قد انعكس سلباً على أهل المدينة حيث قاسوا مرارة الجوع والحرمان، واختلفت الآراء حول مصير المدينة. وبينما الأمور على هذه الحال، يذكر ابن عذاري، أن العلاقة بين ابن جحاف والقائد المرابطي كان قد سادها التوتر، وابن جحاف لم يكن يصغِ لنصائح القائد المرابطي، وفي غمرة هذه الأحداث، اغتنم بنو واجب- وهم من الأسر العريقة في بلنسية، وتنعم بنفوذ كبير في المدينة تنافس به أسرة بني جحاف- الفرصة، وانضموا إلى المرابطين[4].

وبذلك يمكن القول: إنه قد وجد في بلنسية ثلاثة أحزاب متعارضة: حزب يميل للقنبيطور ويمثله أنصار الأمير القادر ويتزعمهم ابن الفرج، وحزب آخر يمثله بنو واجب وكانوا يميلون إلى المرابطين ويعارضون ابن جحاف، وحزب ثالث بزعامة ابن جحاف وأتباعه.

وبناءً على تلك التطورات، بدأ السيد القنبيطور، يستغل هذا الانقسام والاختلاف في الميول والآراء الذي تفشى بين البلنسيين فانتهز فرصة الخلاف القائم بين المرابطين وابن جحاف وأخذ

---

(1) المصدر السابق، ج4 ص 32.
(2) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص32.
(3) Menéndez Pidal: **La España del cid**, V.1, p.442.
(4) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص32.

يعمل على مخادعته، فأرسل إلى القاضي سراً يطلب مصادقته ومحالفته ويعرض عليه مساعدته ضد أي اعتداءٍ، وأن يبقيه في حكم بلنسية، شرط أن يطرد القوة المرابطية من المدينة، وفي هذا الصدد يقول ابن عذاري نقلاً عن ابن علقمة: "وداخل الكنبيطور ابن جحاف في إخراجهم (المرابطين) واستبداده بالملك لنفسه، ليقيمه مقام ابن ذي النون، يحمي حوزته، ويقاتل عنه. فطمع في ذلك"[1]، وأمام هذا العرض الذي قدمه القنبيطور للقاضي، وافق الأخير على تلك الطروحات بعد أن استشار ابن الفرج الموالي للسيد، فنصحه بالأخذ بطروحات السيد حتى يخلص له حكم المدينة.

وانطلاقاً من تلك الطروحات بدأ القاضي، يضيق الخناق على القوة المرابطية، وذلك بتخفيض رواتبهم وتأخير صرفها، مسوّغاً ذلك بحاجته إلى المال لتثبيت مركزه، وأنه لم يعد لديه ما يعطيه لهم[2] هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، يبدو أن القاضي لم يكن يثق بالقنبيطور ونواياه، ولهذا السبب، بقي على علاقة مع المرابطين، فإذا به يوافق على طلب ابن عائشة بتسليمه الأموال والتحف والجواهر التي كان قد استولى عليها في أعقاب مقتل القادر، وذلك بحجة استخدامها في إعداد جيش مرابطي، مقرر إيفاده إلى الأندلس، لرد غارات واعتداءات القشتاليين على أمل تحسين العلاقة بينه وبين المرابطين، وأوفد ابن جحاف لهذا الغرض وفداً بلنسياً سار سراً إلى دانية. وكان ابن الفرج من المشاركين بذلك الوفد، ولكن الأخير أبلغ السيد بتلك العملية السرية، فإذا بالأخير يرسل فرسانه، فيدركون الوفد البلنسي في الطريق، ويستولون على ما يحملون من أموال[3].

وبعد ذلك بدأ السيد القنبيطور بتنفيذ مخططه للاستيلاء مجدداً على بلنسية، فأخذ يهاجم ربض منية ابن عبد العزيز (Villanueva) شمال بلنسية، وأنزل القتل والخراب والنهب فيه، ثم اتجه إلى ربض الكدية الواقع شمال بلنسية، منحنياً قليلاً إلى الغرب، فبادر أهل ذلك الربض إلى الاتفاق مع السيد على أن يترك لهم مزارعهم وممتلكاتهم لقاء عشر المحصول، وولى عليهم رجلاً

---

(1) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص33، 150. وراجع Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, p.443.

(2) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص204 ؛ مؤنس: **السيد القنبيطور**، ص59؛ Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, P.442.

(3) يذكر مينندث بيدال أن السيد استخدم هذه الأموال في تحصين جبالة التي اتخذها قاعدة له وحصنها بسور منيع مزود بأبراج ضخمة، وبفضل هذه التحصينات اتخذت جبالة مظهر المدينة القشتالية، وأصبحت تضم كنائس ومخازن وأسواقاً بالإضافة إلى قلعتها الحصينة. Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, P445-446.

عربياً يُدعى (ابن عُدَيْس) ينوب عنه في جباية الضرائب[1].

وبسقوط ربض الشمال في يد القنبيطور، وتقاعس المرابطين في مرسية عن نجدتهم، آثر البلنسيون عقد صلح مع القنبيطور، انتهى بالاتفاق على:

- أن يؤدي ابن جحاف الجزية السابق تقديرها من قبل، وهي ألف دينار في الأسبوع مع متأخراتها منذ أن بدأ الحصار للمدينة.
- أن يحتفظ السيد بربض الكدية على أن ينسحب مع جيشه إلى جبالة[2].

بعد هذا الاتفاق المبرم عام 486هـ/تموز 1093م، تكون بلنسية قد عادت بلداً خاضعاً للقنبيطور كما كانت الحال أيام القادر يحيى بن ذي النون .

وهكذا أجبر المرابطون على الخروج من بلنسية مكرهين، وتجدر الإشارة إلى أن تدخلهم في بلنسية كان له أعظم الأثر في تدعيم مركز القاضي ابن جحاف، والحد من اعتداءات القنبيطور على المدينة، وهذا ما أشار إليه ابن بسام بقوله: "وانتفضت عنه (ابن جحاف) تلك الجملة اليسيرة من الخيل المرابطية، التي كان تعلق بسببها وموَّه على الناس بها لضيق المذاهب، وغلظة ذلك العدو المصاقب"[3-4]، وبخروج القوة المرابطة انسحب جيش السيد القنبيطور إلى قلعة جبالة، ولم يبق بربض الكدية سوى عدد قليل من الإسبان اختارهم السيد لمساعدة ابن عُديس في جباية الضرائب[5].

أما ابن جحاف فقد اتفق مع أصحاب القلاع والقرى التابعة لبلنسية على تحصيل عشر موارد بلادهم ليتسنى له الالتزام بتعهدادته المالية للسيد، كما رتب مهمة تحصيل الخراج في بلنسية مع الجباة والكُتّاب والمحتسبة والمتخصصين في تثمين المحاصيل الزراعية في هذه الآونة من السنة وهي فترة جني المحصول[6].

هذه الأوضاع لم تكن لترضي يوسف بن تاشفين لاسيما بعد أن وصله استصراخ البلنسيين لنجدتهم، عندئذٍ أدرك يوسف بن تاشفين خطورة الوضع القائم في بلنسية وشرق الأندلس، لذا قرر إرسال حملة إلى بلنسية لنجدة أهلها، إلا أن هذه الحملة انسحبت بعد أن أصبحت على مشارف

---

(1)ابن عذاري: مصدر سابق، ج 4 ص 39، مع الإشار إلى أن المصادر الغربية تسميه عبدوس.
Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, pp.447-448; Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.2, P.62.

(2) مكي، الطاهر أحمد: **ملحمة السيد** ترجمة، الطاهر مكي، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1970م، ص127.

(3) المصاقب: القريب. البستاني، مرجع سابق، ص513.

(4) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص 60.

(5) Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, pp.449-450.

(6) Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, p.450.

المدينة (سيناقش ذلك لاحقاً تحت عنوان العلاقات الخارجية لمملكة بلنسية في عهد القاضي ابن جحاف مع المرابطين)، فكانت نتيجة ذلك الانسحاب، أن استسلم أهل المدينة للسيد القنبيطور، فأخذ يشدد حصاره على المدينة وذلك بداية عام 487هـ/أواخر 1093م، وكان ذلك هو الحصار الثاني للأخيرة على يد القنبيطور وأخذت عساكره تشدد الضغط على المدينة، وتقطع الموارد عنها، وفي ذلك يقول ابن علقمة: "أيقن من فيها بالهلكة، وغلب على الناس اليأس، وضاقت النفوس، وزاد حقد العدو، وقسا قلبه وهلك أكثر الناس جوعاً، وأكلت الجلود والدواب وغير ذلك"[1]، فعاش أهل بلنسية في ظل أوضاع اقتصادية متردية، فقاسوا الجوع والحرمان طوال فترة الحصار للمدينة واشتدت موجة الغلاء والقحط اللذين عما المدينة كلها نتيجة الحصار، و"استوى في عدم القوت الفقراء والأغنياء"[2].

ومن جديد عاد القنبيطور إلى احتلال منية ابن عبد العزيز، بعد أن تخاذل المرابطون عن نجدة أهل بلنسية، فشدد حصاره على بلنسية، وأعطى الأوامر لجنوده لنهب الأرباض التي لم تكن قد خضعت له، فعاثوا فيها فساداً وخراباً، وقد أشار إلى ذلك ابن بسام بقوله: "وقوي طمع لذريق في ملك بلنسية، فلزمها ملازمة الغريم، وتلذذ بها تلذذ العشاق بالرسوم، ينتسف أقواتها، ويقتل حماتها"[3].

وفي الوقت الذي كانت تعيش فيه بلنسية، حياة البؤس، والحرمان والجوع، كان عرب الكدية ينعمون بحياة هانئة بعد أن دخلوا في طاعة السيد. وقد ترك ذلك تأثيراً عميقاً في نفوس البلنسيين، الأمر الذي انعكس سلباًعلى بني واجب الموالين للمرابطين، حيث ازداد مقت الأهالي لهم (لبني واجب)، وتسرب إلى نفوسهم شعور اليأس والاستسلام.

هكذا وفي ظل تلك النكبة التي كانت تعيشها بلنسية، وتقاعس المرابطين عن نجدة أهلها، وانعدام الثقة ببني واجب أنصارهم، نجد أن القاضي ابن جحاف ينتهز الفرصة للعودة إلى رئاسة الجماعة والتخلص من منافسيه (بنو واجب)، فأخذ يحرِّض العامة عليهم، ويحملهم كل ما أصاب المدينة من محن ونكبات، عندئذٍ طلب منه العامة العودة إلى رئاسة الجماعة في بادئ الأمر أبدى تحفظه وتمنع ظاهرياً مسوغاً عصيانهم لتوجيهه ومخالفتهم له، ثم ربط بين قبوله لرئاسةالجماعة وبين تجريد بني واجب من سلطانهم ونفوذهم، فقبل البلنسيون بذلك، ثم بايعوه برئاسة الجماعة

---

(1) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص33.
(2) المصدر السابق، ج4 ص38؛ وراجع.. Menéndez pidal**: La España del cid,** V.1, p.463.
(3) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص60.

مرة ثانية عام 487هـ/أوائل 1094م[1].

وما إن قطف ابن جحاف ثمار سعيه حتى اجتمع بأعيان المدينة وطلب منهم الموافقة على دفع الجزية للقنبيطور ما دامت هي السبيل الوحيد لرفع الحصار وتأمين المؤن، ولكن في الوقت نفسه أوفد إلى السيد بأن يدنو من أسوار المدينة ويعلن عدم قبوله لطلبهم ما لم يتم طرد بني واجب من المدينة، وأن يبذلوا الطاعة لابن جحاف. فلم يتردد القنبيطور عن تلبية طلبه، وتعهد له بالحماية كعادته كما فعل في السابق أيام الأمير القادر يحيى بن ذي النون[2]، وذلك من أجل تثبيت عوامل الفرقة، وإذكاء عوامل الحقد والكراهية والتنافس فيما بين الأطراف المتنازعة. وهذه السياسة أيضاً واحدة من السياسات العسكرية المعتمدة من قِبل ملوك الإسبان [3] في سبيل دفع عملية الاسترداد.

وبعد أن اتخذ ابن جحاف كل الترتيبات، بدأ العمل للتخلص من خصومه ومنافسيه على الإمارة، فسيّر أحد قواده ويدعى التاكروني ليلاً على رأس مجموعة من الفرسان والمشاة إلى دار بني واجب لاعتقالهم، ولكنهم ما كادوا يتحققون من ذلك حتى تحصنوا في أحد الدور المنيعة لجيرانهم، بهدف قضاء الليل حتى الصباح فيلحق بهم من ينقذهم، غير أن فرسان ابن جحاف قاموا بإشعال النار في الأبواب، واقتحموا الدار واعتقلوا بني واجب، وأرسل هؤلاء إلى ربض الكدية حتى يتسلمهم جند القنبيطور[4]، وبعد ذلك سار ابن جحاف إلى ربض ابن عبد العزيز ليجتمع بالقنبيطور وليعقد معه اتفاق الصلح، وهناك أحسن السيد استقبالهم ثم عرض عليه شروطه لعقد الصلح، ومما جاء فيه:

1ـــ أن يتنازل ابن جحاف عن نصف دخل المدينة والمزارع المتصلة بها.

2ـــ أن يقوم بجباية الضرائب جاب يتم تعينه من قبل القنبيطور لذلك الغرض، يقيم داخل المدينة.

3ـــ أن يُقَدِّم القاضي ابن جحاف ابنه رهينة لدى القنبيطور ضماناً لتنفيذ الاتفاق[5].

إلا أن القاضي رفض الاجتماع بالقنبيطور من أجل توقيع الاتفاق، ورفض شروطه جملة[6]، عندئذٍ أخذ القنبيطور يضيق الخناق على المدينة، واشتد الجوع بأهلها، فازداد الغلاء إلى حد أن أسعار الحنطة والعسل والجبن والتين، ارتفعت أكثر من عشرة أضعاف ما كانت عليه منذ أن بدأ الحصار[7]

---

(1) ابن بشكوال: مصدر سابق، ق2 ص653.
(2) Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, p.469.
(3) الباشا: مرجع سابق، ص 154.
(4) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.2, pp.84-85.
(5) Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, pp.470-471.
(6) Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, p.471.
(7) Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, p.472.

وقد وصف ابن علقمة حالة المدينة المنكوبة وكان شاهد عيان لتلك الأحداث بقوله: "ولا يصل إلى إدراك شيء من الموجود إلا أهل الجاه، وترمق سائر الناس بالجلود والأصماغ وعروق السوس، ومن دون هؤلاء بالفئرة والقطط وجيف بني آدم، وهُجم على نصراني وقع في الحفير فأخذ باليد ووزع لحمه"[1]، ورغم الحصار المحكم الذي فرضه السيد على بلنسية، فقد كان الناس كما يذكر ابن عذاري يغامرون بالخروج منها يأساً من الحياة، فكانوا يحرقون بالنار، وتعلق جثثهم على صوامع الأرباض وبواسق الأشجار[2]. ومع كل ذلك فقد صمد أهل بلنسية، آملين بنجدة المرابطين لهم، في وقت مارس فيه السيد العنف والقسوة بحق البلنسيين وأخذ هو وأجناده ومناصروه من أشرار العرب يرتكبون الرذائل، وفي ذلك قال ابن الكردبوس: "وفي هذه المدة انقطع إلى القنبيطور وغيره من أشرار المسلمين وأرذالهم وفجارهم وفسادهم ومن يعملون بأعمالهم خلق كثير وتسموا بالدوائر. وكانوا يشنون على المسلمين الغارات ويكشفون الحرمات ويقتلون الرجال ويسبون الناس والأطفال، وكثير منهم ارتد عن الإسلام ونبذ شريعة النبي..."[3].

ولكن ماذا ترتب من نتائج ذلك الحصار؟

كان من نتائج ذلك الحصار أن هلك عدد كبير من الأهالي بسبب المجاعة، وكان ابن جحاف قد أفاد من هلاكهم باستيلائه على أموالهم وممتلكاتهم. وأدى ذلك أيضاً إلى إقدام معظم سكان المدينة على بيع دورهم وممتلكاتهم دون أن يجدوا أحداً يُقْبل على شرائها [4]، كما ارتفعت الأسعار الغذائية بحيث اضطر الناس إلى أكل المحرمات، فـ"أحلوا محرم الحيوان"[5]، وساءت الأحوال في المدينة إلى حد أن سعر الفأر ارتفع إلى دينار [6]، ومن كان يريد التسلل من المدينة، كانت تتلقفهم سيوف العدو أو يساقون أسرى، ويباعون في الكدية رقيقاً مقابل رغيف خبز أو قدح من الخمر[7]، وقد يتعرض هؤلاء للموت قبل أن يجدوا ما يسد رمقهم، أما من نجا من الموت خاصة من الفئات المؤسرة فكانوا يباعون لتجار الرقيق الذين كانوا ينزلون على ساحل بلنسية عن طريق السفن[8].

وفي غمرة هذه الظروف اضطر ابن جحاف إلى طلب النجدة من المستعين بن هود

---

(1) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص38-39.
(2) المصدر السابق، ج4 ص39.
(3) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص103.
(4) مكي: مرجع سابق، ص131.
(5) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص60.
(6) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص103
(7) المصدر السابق، ص103.
(8) Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, p.479

صاحب سرقسطة، فما كان من الأخير إلا أن قدم له النصح بالصبر والصمود ووعده بالكتابة إلى ألفونسو السادس ملك قشتالة ليعلمه بما يجري، ليرسل إليه النجدة. وعلى هذا يئس ابن جحاف من نجدة المستعين كما فقد الأمل في وصول أية نجدة لانقاذ بلنسية[1].

وفي ظل هذه الأوضاع المتردية في المدينة، عمد السيد إلى إثارة البلبلة داخل المدينة، فأخذ يتقرب من بني واجب خصوم ومنافسي ابن جحاف، ووعد ابن واجب بجعله حاكماً على مملكة بلنسية إذا ما ساعده على إسقاط ابن جحاف، وأمام هذا العرض ، لم يتردد بنو واجب في انتهاز الفرصة، فأخذوا يحرضون الأهالي على ابن جحاف، ويؤلبونهم عليه، وحاولوا الاستيلاء على قصر الإمارة، ولكنهم فشلوا لأن القاضي اكتشف المؤامرة فاعتقل زعماءها درءاً لخطرهم[2].

وهنا لاحت للقنبيطور فكرة الاستيلاء على المدينة، خوفاً من عودة المرابطين لانقاذ بلنسية، فجمع قواته وأمرهم بالهجوم على باب الحنش [3]، ولكن خطة الاستيلاء على المدينة عنوة قد فشلت[4]، ذلك أنه ما كاد السيد وجنوده يتقدمون حتى انهال عليهم الأهالي بالحجارة والسهام، فاضطر السيد إلى التراجع، وواصل سياسة تجويع البلنسيين، ونادى على الأهالي قريباً من السور يحذرهم وينذرهم بإحراق من يحاول التسلل من المدينة حياً. ثم قام بتنفيذ ما حذر منه، فأحرق عدداً من أهل بلنسية حاولوا الفرار بأنفسهم من الهلاك جوعاً داخل المدينة[5].

وأشار ابن علقمة إلى هذه الأحوال السيئة، فقال: "عدمت الأقوات بالجملة، وهلك الناس. ولم يبق من ذلك الجم إلا نزر يسير وتوالى اليبس، واستحكم الوباء، وبينما الرجل يمشي سقط ميتاً..."[6].

لقد استطاع السيد أن ينجح في تنفيذ مخططه، من خلال تجويع المدينة واستنزاف طاقتها، وفقد البلنسيون الأمل في وصول أية مساعدة خارجية، فاجتمع الناس إلى الفقيه أبي الوليد الوقشي لينوب عنهم في التكلم لابن جحاف لتسليم المدينة وعقد صلح مع القنبيطور، وبالفعل فقد نزل ابن جحاف عند رغبتهم بعد أن ترك لهم مهمة التفاوض مع السيد[7].

وعلى الفور تم تشكيل وفد من أعيان المدينة لمفاوضة السيد على التسليم، وتم الاتفاق

---

(1) مؤنس: **السيد القنبيطور**، ص63؛ Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, pp474-476.
(2) مؤنس: **السيد القنبيطور**، ص64-65.
(3) أحد أبواب بلنسية، وينفتح في سورها الغربي: العذري: مصدر سابق، ص18.
(4) Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, p.479.
(5) Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, p.480.
(6) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص39.
(7) المصدر السابق، ج3 ص39؛ Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, p.481; Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.2, p.100.

على أن يرسل أهل المدينة رسلهم إلى المستعين بن هود وابن عائشة قائد جيش المرابطين بمرسية لطلب النجدة، وذلك في مدة لا تتجاوز خمسة عشر يوماً، فإذا لم تصل قوة لإنجادهم خلال هذه الفترة الزمنية وجب على بلنسية التسليم بالشروط التالية:

1 –أن يبقى ابن جحاف قاضياً للمدينة، ويؤمن في نفسه وأهله وماله.

2 –أن يتولى ابن عبدوس (ابن عديس)مندوب القنبيطور مهمة الإشراف على تحصيل الضرائب.

3 –أن يتولى أحد أتباع القنبيطور أمر بلنسية.

4 –أن تحتل المدينة حامية من الإسبان المستعربين.

5 –أن يرابط القنبيطور وجيشه في جبالة وألا يغير شيئاً من شرائع المدينة وأحكامها وعملتها، وألا يزيد من نسبة الضرائب التي كانت مفروضة من قبل[1].

وفي اليوم التالي من توقيع الاتفاق (15جمادى الأولى عام 487هـ/أيار 1094م)، سار وفد من خمسة رجال من أعيان بلنسية إلى سرقسطة ومثلهم إلى مرسية، واشترط القنبيطور ألا يحمل كل رجل منهم أكثر من خمسين ديناراً، وأن يبحر المتجهون إلى مرسية في سفن إسبانية، تحملهم إلى دانية، ومن هناك يتابعون براً إلى مرسية، وقام السيد بتفتيش الوفد قبل أن يبحر، فوجد معهم أموالاً كثيرةً أكثر من المبلغ المحدد لكل شخص، فانتزعها، ولم يترك لهم إلا المبلغ المتفق عليه[2]؛"وفي هذا اليوم (يوم رحيل الوفد) وصل القمح ثلاثة مثاقيل للرطل، ورطل الشعير مثقالين ونصفاً، وأوقية الجبن بعشرة دراهم، وبيضة دجاجة بثمانية دراهم"[3]، ذلك أن تجار بلنسية استغلوا فترة الهدنة وباعوا ما بقي لديهم من أطعمة بأسعار مرتفعة.

استسلام بلنسية للسيد القنبيطور:

بعد أن توجّه الوفد إلى وجهاتهم، لمس البلنسيون الراحة بعد أن توقفت اعتداءات الإسبان وهبطت الأسعار، وتوافرت المواد الغذائية التي حرمت منها[4]، وانتهى الوقت المحدد دون أن يعود مبعوثو ابن جحاف، ولم يكن أمام ابن جحاف سوى الاستسلام وتسليم المدينة، عندئذٍ خرج الأخير في اليوم الموافق لـــ 28جمادى الأول487هـ/15 حزيران 1094م، خرج ابن جحاف برفقة عدد من أعيان المدينة إلى معسكر السيد، وهناك تم توقيع الاتفاق على تسليم المدينة بعد أن

---

(1) ابن عذاري: مصدر سابق،ج4ص39؛ Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, P.482.

(2) Huici Miranda: **Historia Musulmana d Valencia**, T.2, p.100.

(3) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص39.

(4) المصدر السابق، ج4 ص39.

اشترط على القنبيطور أن يؤمن سكانها في أنفسهم وأموالهم، وأن يسلم القاضي للقنبيطور سائر أموال القادر يحيى بن ذي النون[1]. وعند الظهر فتحت المدينة أبوابها للسيد القنبيطور، بعد حصارٍ دام عشرين شهراً[2].

هذا وقد اختلفت المصادر العربية حول تحديد دخول السيد القنبيطور بلنسية؛ فابن بسام يقول أن ذلك تم في عام488هـ/1095م[3]، ويوافقه على ذلك ابن عذاري[4]، أما ابن خلدون فيحدده بعام 489هـ/1095م [5]، ولكن ابن الأبار يشير إلى أن ذلك حدث عام487هـ /1094 م[6]، ويأخذ بهذا التاريخ ابن الكردبوس[7]، وابن الخطيب[8]، وياقوت الحموي[9]، وكذلك المؤرخ مينندث بيدال، وأويثي وأويثي ميراندا[10]، وهذا التاريخ عينه الذي يذكر ابن علقمة شاهد عيان لتلك الأحداث[11].

بعد أن فتحت المدينة أبوابها، دخل السيد وجنده ، وفي الحال احتلوا أبراجها مخالفين بذلك شروط الاتفاق، وبذلك تكون بلنسية قد أصبحت في ظل السيد القنبيطور، بعد أن نجح الأخير في تنفيذ مخططه بالاستيلاء على المدينة.

11- بلنسية في عهد السيد القنبيطور:

11- 1 - سياسة السيد القنبيطور مع البلنسيين في أعقاب تلسيمه المدينة:

بعد أن تم للسيد ما أراد باستيلائه على بلنسية ودخول قواته المدينة، عمد إلى اتباع سياسة اللين مع البلنسيين، وأظهر تسامحاً في بادئ الأمر؛ ففي اليوم التالي استقبل وفوداً تمثل أعيان المدينة أحسن الترحيب بهم، وتظاهر باحترامه عادات العرب، فأمر بتغطية منافذ الأبراج المطلة على دور العرب، حتى لا يهتك عساكره بأنظارهم حرمات دورهم، وأصدر أوامره إلى الإسبان بأن يبقوا على احترامهم للعرب ويسلموا عليهم إذا مروا بهم، ويفسحوا لهم الطريق إذا قابلوا

---

(1)ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص306.

(2) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص 103؛ ابن الأبار: **التكملة**، ج 1 ص 243؛ المقري: **نفح الطيب** ، ج 6 ص214.

(3) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص60.

(4) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص306.

(5) ابن خلدون: مصدر سابق، ج4ص208.

(6) ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2 ص126.

(7) ابن الكردبوس : مصدر سابق، ص103.

(8) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص204.

(9) ياقوت: **معجم البلدان**، ج1 ص581.

(10) Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, p.485; Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.2, p.105.

(11) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص39.

بعضهم[1].

فبذلك استطاع القنبيطور أن يكسب مودة أهل المدينة، وكان بالمقابل على هؤلاء أن يظهروا له ولجنده رضاهم عنهم وترحيبهم بهم وشكرهم لمسلكه نحوهم، وفي ذلك يقول ابن علقمة: "فلم يعمل هو (القنبيطور) وأصحابه – لعنهم الله– ما يسوء المدينة وأهلها بحال من الأحوال، فانتشطت الأنفس من عقال، وانبسطت الآمال، وأمن الناس" [2]. وبعد أن أحرز السيد فوزاً بكسب محبة البلنسيين له، أخذ يعمل لتنفيذ مخططه الثاني، الذي يهدف إلى التخلص من القاضي ابن جحاف الذي سبب له كثيراً من المتاعب، وذلك بتنفير الأهالي منه.

أما ابن جحاف فكان يعمل للتقرب من القنبيطور، ولم يتردد في أن يقدم له الأموال الكثيرة، ولكن القنبيطور، تظاهر بالإعراض عنها، ورفض قبولها بحجة أنها أموال الناس التي ابتزها (ابن جحاف) منهم أيام المجاعة التي تعرضوا لها [3]؛ وإن دل ذلك على شيء، فهو على مهارته وحنكته السياسية، ولم يكتفِ السيد بذلك (رفض الأموال)، بل عمد إلى استقدام ابن جحاف واستحلافه أمام أعيان من الشهود، بأنه لم يبق لديه ما يدخره من أموال القادر، على أن يدوّن ذلك في عهدٍ مكتوب اشترط فيه أمام الحاضرين أنه إذا تم العثور على هذه الأموال استحل دمه، وعبّر عن هذه الحادثة ابن بسام بقوله: "كان لذريق لأول دخوله قد سأله عنها، واستحلفه بمحضر جماعة من أهل الملّتين على البراءة منها، فأقسم بالله جهد إيمانه، غافلاً عما في الغيب من بلائه وامتحانه. وجعل لذريق بينه وبين القاضي المذكور عهداً أحضره الطائفتين، وأشهد عليه أعلام الملتين إن هو انتهى بعد إليها وعثر عنده عليها ليستحلن إخفار[4] ذِمَمِهِ وَسَفكَ دمه[5].

ثم تابع السيد سياسته البارعة بالترويج لنفسه لكسب محبة الناس؛ فعقد اجتماعاً مع أعيان بلنسية ورؤسائها في بستان يقع بربض (Vellanueva)، وفي هذا الاجتماع ألقى خطاباً أوضح من خلاله الخطوط الأساسية التي يريد أن يتبعها في المدينة، فذكر لهم أنه سَيُسيّر أمور المدينة بالعدل، وبأن من وجد حقله خالياً فليدخله، ومن وجده مزروعاً فليدفع أجر زارعه وما أنفق فيه، وليستعد ملكه إياه على ما تقضي به شريعة الإسلام، كما طلب من جباة الضرائب الالتزام بجباية العشر استناداً لمبدأ الشريعة، وقرر أن يجلس لسماع ظلاماتهم أيام الاثنين والخميس من كل

---

(1) Menéndez Pidal: **La España del cid,** V.1, p.485; Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.2, p.167.

(2) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص34.

(3) Menendez Pidal: **La España del cid**, V.1, p.485.

(4) إخفار: نقض العهد. البستاني: مرجع سابق، ص244.

(5) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص 61.

أسبوع، وأن يحميهم ويرد لكل ذي حق حقه... إلى غير ذلك من الوعود. وبعد ذلك انتقل للحديث عن ابن جحاف فاتهمه بالتعدي والظلم وسلب الأموال دون وجه حق، وعليه أن يرد الأموال التي اغتصبها من الناس، وبعد ذلك أراد أن يظهر بمظهر المؤتمن على حقوق الآخرين فعرض عليهم رد الأموال التي قد صادرها من مبعوثيهم إلى مرسية وتجاوزوا بها المبلغ المنصوص عليه في الاتفاقية، وأمر بإطلاق سراح الأسرى من أهل بلنسية، ونادى بسفك دم من خالف ذلك، ثم انهى خطابه بقوله: "ولا أريد دخول بلدكم ولا المقام فيه، وإنما سأتخذ لي عند جسر القنطرة منزلاً أستريح فيه من حين لآخر، وسوف أتخلى عنه إذا احتجتم إليه"[(1)].

جدير بالذكر أن المصادر العربية، لم تشر إلى خطبة السيد في أهل بلنسية، ولكن المصادر الإسبانية التي تنقل عن المصادر القشتالية أوردت نصها، إضافة إلى ذلك لم تورد المصادر، اللغة التي ألقيت بها الخطبة، ولكن حسين مؤنس أحد المؤرخين المعاصرين يرى أن السيد قد ألقى خطابه بعربية أهل الأندلس[(2)]، يبدو أن ذلك الخطاب لم يكن سوى تسويغ لبث النفور والكراهية تجاه ابن جحاف، ولما سيقدم عليه تجاهه[(3)]، وقع الأهالي الذين انخدعوا بأقواله.

11 – 2– نقض القنبيطور لوثيقة التسليم:

لم يكن خطاب السيد سوى تعبير عما يجول في نفسه من خداع ونوايا عدوانية تجاه أهل بلنسية، فلم يلبث أن غدر بهم، وتنصل من وعوده السابقة؛ فلما أراد المزارعون استرداد أراضيهم، منعهم عنها عساكره بحجة أنهم تلقوها منه مقابل مرتباتهم لهذا العام، وهناك من تذرع بأنهم استأجروها ودفعوا إيجارها سلفاً و أنه لم يحن موعد تخليهم عنها بعد[(4)].

واستناداً لخطاب السيد، انتظر المزارعون إلى يوم الخميس لرفع شكواهم للقنبيطور ليفصل في الخصومات القائمة بينهم وبين عساكره، فسار إليه أعيان المدينة لمقابلته ببستان (Vellanueva) ولكنه اعتذر عن مقابلتهم وأجّل لقاءه بهم إلى يوم الاثنين، فجلس واستمع لشكواهم ولكنه رد عليهم، فقال لهم: "إذا بقيت بدون رجالي كنت كمن فقد ذراعه اليمنى، أو كطائر بلا أجنحة، أو كمحارب بلا سيف، ولا يهمني إلا أن أجعل رجالي يعيشون في ثراء وشرف، حتى يكونوا قادرين على

---

(1) مؤنس: **السيد القنبيطور**، ص67، مكي: مرجع سابق، ص 137، وراجع : Menéndez Pidal: **La España del cid**, V.1, pp.488-489; Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia** T.2, pp.108-109.

(2) مؤنس: **السيد القنبيطور**، ص67.

(3) المرجع السابق، ص68.

(4) Menéndez Pidal: **La España del cid,** V.1, pp.488-489; Huici Miranda: **Historia Musulmana de valencia**,T.2, p.110.

خدمتي، وحماية شرفي، لأن الله وهبني بلنسية، ولا أريد أن يكون بها سيد غيري"[1]. عندئذٍ أدرك البلنسيون أنهم خدعوا، والوعود والعهود التي قطعها على نفسه لم تكن سوى ترويج لنفسه لكي تصبح بلنسية كلها في قبضته وتحت سيطرته[2]. وهكذا لم يجد البلنسيون أمامهم سوى الخضوع للأمر الواقع وانتظار من يصل لإنقاذهم.

أما السيد القنبيطور فقد أرسل لزوجه دونيا خيمينا (Doña Jimena) وابنتيه في مدينة (Cardeña) بقشتالة يدعوهم ليلحقوا به، ويشاركوه سلطته وثراءه في بلنسية[3].

وبسقوط بلنسية في يد السيد القنبيطور، اهتزت الأندلس، وروعت كما رُوعت من قبل بسقوط طليطلة بيد ألفونسو السادس ملك قشتالة. عندئذٍ توالت على يوسف بن تاشفين رسائل الاستغاثة، فثار بركان غضبه،لذا جهز جيشاً لإنقاذ بلنسية وشرق الأندلس، لكن هذه القوة العسكرية هُزمت أمام القوات القشتالية في معركة كوارت قرب بلنسية، (سيناقش هذا الموضوع لاحقاً تحت عنوان المرابطون وسقوط بلنسية في يد السيد القنبيطور). تلك المعركة لم تكن إلا لتزيد الطين بلة، خاصة فيما يتعلق بشؤون بلنسية، فقد تم تسليم المدينة للسيد القنبيطور، والأخير بدوره واصل سياسة الاستبداد تجاه البلنسيين، إضافة إلى ذلك فلقد أدت تلك المعركة إلى تربع القنبيطور على كرسي السلطة في قصر الإمارة في بلنسية بعد أن ترك منية ابن عبد العزيز.

11 – 3– نهاية القاضي ابن جحاف:

وهكذا وبعد أن استقر السيد في قصر الإمارة، وسيطر على تحصينات المدينة، واستقرت أموره، بدأ يفكر بطريقة وكيفية الانتقام من ابن جحاف ورفاقه؛ فقرر أن يعذبه أولاً ثم ينهي حياته بالقتل، لذا أمر بنقله إلى جبالة وتعذيبه، ثم إعادته إلى بلنسية حيث سجنه في مطبقٍ قصر (Vellanueva)[4]. وأثناء استقرار السيد في قصر الإمارة، كان الأخير دائم البحث عن أموال القادر يحيى بن ذي النون، ضمن قصر الإمارة، إلى أن تم العثور على ثروة ضخمة في جوف أرضية إحدى القاعات[5]، فكان للسيد ما تمناه وأراده، لينتقم من ابن جحاف، واختار لذلك، قتله وأهله حرقاً بالنار؛ فأخرجهم من السجن مكبلي الأيدي وأضرم النار في ولجة بلنسية [6]، وهمَّ بإحراق ابن جحاف وأهله، ولكن رفاقه الإسبان، تشفعوا لأهله، فاكتفى بإحراق ابن جحاف حياً[7].

---

(1) Menéndez Pidal: **La España del cid**, V.1, p.494.

(2) Menéndez Pidal: **La España del cid,** V.1, p.494

(3) Huici Miranda: **Historia Musulmana de valencia,** T.2, p.105.

(4) Menéndez Pidal: **La España del cid,** V.1, p.516.

(5) ابن عذاري: مصدر سابق، ج 4 ص148؛ Menéndez Pidal**: La España del cid,** V.1, P.516.

(6) منطقة سهلية ما بين باب بيطالة (أحد أبواب بلنسية) والرصافة. سيشار إلى تلك المواقع لاحقاً.

حياً[1]. ولقد صور ابن علقمة مأساة القاضي ابن جحاف وأهله على يد السيد فقال: "ولم يزل (القنبيطور) يستخرج ما عندهم حتى استصفى أموالهم، واستنفد أحوالهم، فلمّا لم يترك لهم ظاهراً ولا باطناً، أمر بإضرام النار، وسيق القاضي أبو المطرف يرسف في قيوده وأهله وبنوه حوله، وقد حشر الناس من المسلمين والروم. ثم قال لملأ من المسلمين: "ما جزاء من قتل أمير عندكم في شرعكم؟" فصمتوا، فقال لهم: "جزاؤه عندنا الإحراق بالنار!" وأمر به وبجملته إلى ذلك الضرم، وقد لفح الوجوه على المسافة البعيدة. فضج المسلمون والروم، وتضرعوا إليه في ترك الأطفال والعيال، إذ لا ذنب لهم، ولا علم بتلك الأمور عندهم، فأسعف الرعية في رغبتهم بعد جهد ومدة، وترك النساء والصبية. وحفر للقاضي حفرة، وأدخل فيها إلى حُجزته، وسُوي التراب حوله، وضمت النار إليه، فلما دنت منه ولفحت وجهه، قال "بسم الله الرحمن الرحيم" ثم ضمها إلى جسده. فاحترق رحمه الله تعالى. ولم يكفِ غضب الطاغية عليه إلا لشدة صبره على تلك الأزمة، واجتهاده في طلب النصرة، ودفعه إياه بالمطاولة، رجاء في استمساك البلدة وإبقاء الكلمة"[2]، وتم ذلك عام 488هـ / 1094م [3].

وتجدر الإشارة إلى أن الآراء حول هذه المأساة تعددت واختلفت، فالمؤرخ الإسباني مينندث بيدال، يحمل على ابن جحاف ويتهمه بالخيانة، لذا استحق هذا العقاب، وبالمقابل نراه ينصف السيد ويعتبر أن تصرفه على هذا النحو دليل عدله وانصافه ومعرفته بالقوانين وتطبيقها[4].

أما المستشرق دوزي، فيصف السيد بأنه رجل متعطش للدماء، وأنه بلغ بهذه الخيانة أبشع درجات القسوة وتحجر الفؤاد والبعد عن كل معاني الإنسانية، ويضيف بأن تلذذ السيد بتعذيب ذلك الشيخ المسكين، وإحراقه حياً يدل عما في أعماق نفسه من الوحشية الضارية[5].

أما أويثي ميراندا، فيذكر أن السيد قد تمكن من خداع هذا الشيخ المسكين واستغل ضعفه وافتقاره إلى قوة عسكرية تسنده لكي يحصل منه على ما يريد، ويشير أيضاً إلى أن دوزي كان شديد الحملة على السيد. أما مينندث بيدال، فكان شديد الإعجاب به. أما الحقيقة بنظر أويثي ميراندا فهي ليست مع هذا ولا مع ذاك، ولكنها دائماً في مثل هذه الحال وسط بين الطرفين[6].

---

(1) ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2 ص126، ترجمة رقم 130.
(2) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص37-38، 148.
(3) ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2 ص126.
(4) Menéndez Pidal: **La España del cid**, V.1, p.517.
(5) Dozy: **Recherches sur l'histoire**,T.2, p.187.
(6) ميراندا أويثي: ابن جحاف قاضي بلنسية الذي أحرقه السيد حياً، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، م 11-12، 1963م، ص425-427؛ بلنسية الإسلامية، ص 12-13.

أما ليفي بروفنسال، المستشرق الفرنسي، فيرى أن الرغبة في تسويغ الحكم الذي نطق به السيد وتسويغ ما أمر به من عقاب، يتنافى مع الإنسانية[1].

11 – 4 – القنبيطور وسياسة الاستبداد في مملكة بلنسية:

لقد أدت عملية حرق القاضي ابن جحاف إلى موجة من الاستياء عند أهل بلنسية، وكان لهذا العمل أيضاً صداه عند أهل الأندلس، فعم الغضب في نفوسهم، والنقمة على القنبيطور، وقد عبّر عن ذلك ابن بسام فقال: "وأضرم هذا المصاب الجليل يومئذٍ أقطار الجزيرة ناراً، وجلَّلَ سائرَ طبقاتها حزناً وعاراً"[2].

ولم يقف السيد عند هذا الحد من الاستبداد بقتل القاضي حرقاً بل عمد إلى الجِّلَةِ من أهل بلنسية، فامتد إليهم طغيانه[3]، وأقدم على حبس عدد كبير منهم وعلى رأسهم محمد بن أحمد بن طاهر[4]، وفي ذلك يقول ابن بسام: "ومد لأبي عبد الرحمن بن طاهر هذا في البقاء حتى تجاوز مصارع جماعة الرؤساء، وشهد محنة المسلمين ببلنسية على يدي الطاغية الكمبيطور– قصمه الله– وحصل بذلك الثغر في قبضة الأسر، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة" [5]،وممن أمر السيد بحرقهم الشاعر البلنسي أبو جعفر البتي[6].

لقد أثار يوسف بن تاشفين ما يجري في بلنسية من استبداد وطغيان القنبيطور بأهلها، وصمم على استردادها واستنقاذها من ظلمه[7].

وتشير المصادر الغربية إلى أن أهل بلنسية حاولوا القيام بثورة ضد القنبيطور عقب إحراق القاضي وبعض الزعماء، غير أنه قام بإخمادها بكل عنف وقسوة. ومما تذكره أيضاً تلك المصادر، استدعاء السيد أعيان المدينة إلى قصره حيث أذن لمن أظهر ولاءه بالبقاء في بلنسية ضمن منازلهم، شرط أن لا يملك أي منهم أكثر من بغلة وخادم، ولا يحملوا السلاح، ولا يملكوا أسلحة داخل منازلهم إلا عند الضرورة وبعد أخذ الموافقة منه. أما بقية أهالي المدينة فقد أمرهم بمغادرتها، والنزول بربض الكدية، حيث كان يسكن من قبل، وسمح لهم بأن يقيموا ما أرادوا من

---

(1) بروفنسال: مرجع سابق، ص192.
(2) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص61.
(3)ابن عذاري: مصدر سابق، ج 3 ص 38، ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص 205.
(4) ابن خاقان: **قلائد العقيان**، ص57؛ ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص13.
(5) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص56.
(6) هو أحمد بن عبد الولي بن أحمد بن عبد الولي البتي، ينسب إلى قرية بتة من أعمال بلنسية. ابن دحية: **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد، وأحمد بدوي، بيروت، 1955، ص124؛ ابن الأبار: **التكملة**، ج1 ص30، ترجمة رقم 76؛ ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب** ، ج2 ص357، ترجمة رقم 572؛ المقري: **نفح الطيب**، ج5 ص170.
(7) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص62.

مساجد في الكدية، وأن يعيشوا في الربض أحراراً في دينهم آمنين على أرواحهم، لهم قضاتهم، ووزير يختاره هو بنفسه لهم، ليطلعه على أحوالهم، ويمتلكون مزارعهم، مقابل دفع العشر مما تغله، وعلى من يقيم في الكدية عليه الخضوع لأوامره وقوانينه، وأما من أراد الرحيل فتمنى له التوفيق، وأذن له بمغادرة المدينة بشخصه فقط دون أن يحمل معه متاعاً ولا مالاً[1].

وبذلك يمكن القول: إن هذه السياسة جاءت مخالفة لجميع الاتفاقات والعهود التي أبرمها مع أهل بلنسية، ومع ذلك لم يكن أمام الأهالي سوى الخضوع لمشيئة السيد، فبدؤوا يخرجون إلى ربض الكدية بنسائهم وأطفالهم، باستثناء من قبل البقاء في بلنسية. وفي الوقت الذي كان ينزح فيه بعض الأهالي للكدية، كان البعض الآخر من أتباع السيد يلجأ إلى المدينة من الكدية، ويحتل الدور الخالية. وهذه العملية أطلق عليها اصطلاح(El Repartimiento) أي عملية إعادة توزيع السكان[2].

ولما تحقق للسيد ما أراد من قتل القاضي ابن جحاف وغيره من المناوئين له، وأخرج الوفود البلنسية غير الموالية لسياسته، أضحى سيد بلنسية المطلق شأنه شأن ملوك الطوائف العرب، وأحسّ وكأنه ملك عظيم فسكن القصر "وكان ـــ زعموا ـــ تدرس بين يديه الكتب وتُقرأ عليه سيرُ العرب"[3]. إضافة إلى ذلك فقد عمد إلى تحويل المسجد الجامع إلى كنيسة عام 490هـ/1096م، مخالفاً بذلك كل الاتفاقات والعهود مقلداً سيده ألفونسو السادس الذي حوّل وبعد استيلائه على طليطلة مسجدها إلى كنيسة، وقد أنفق السيد على تأثيث وزخرفة تلك الكنيسة أموالاً ضخمة، وعهد بإدارة أسقفيتها إلى راهب فرنسي يدعى دون خيرو نيمو (Don Jerenimo)، وما إن نال ما أراد، حتى أعلن أنه تابع لملك قشتالة، وأن بلنسية تعتبر من أملاك سيده ألفونسو السادس[4].

11 – 5 – المواجهات العسكرية بين السيد والمرابطين:

أراد المرابطون أن يضعوا حداً لطغيان السيد، والحد من نفوذه وسلطانه، ذلك أن يوسف بن تاشفين كان قلقاً لما أصاب بلنسية وشرق الأندلس. لذا سيّر الأخير قائده محمد بن عائشة نحو بلنسية على رأس جيش عدته ثلاثون ألفاً، أما السيد فقد استنجد بحليفه بدرو الأول ملك أراغون [5]

(1) Menéndez Pidal: **La España del cid**, V.1, pp.519-521.
(2) Menéndez Pidal: **La España del cid**, V.1, p.521.
(3) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص62.
(4) Menéndez Pidal: **La España del cid**, V.1, P.522.
(5) بدرو الأول= ابن ردمير= هو ابن سانشو راميرز ملك أراغون، حارب إلى جانب السيد القنبيطور ضد المرابطين. توفي عام499هـ/1105م، كان ملكاً شجاعاً ورعاً، متعصباً، فكان لا يكاد يفتح مدينة إسلامية حتى يحول مساجدها إلى كنائس، ويغدق الأموال الكثيرة على الكنائس والأديرة. عنان: **دول الطوائف** ص392.

-(ويعرف في المصادر العربية باسم ابن ردمير كان قد تم تحالف بينهما عام487هـ/1094م، هدفه مواجهة ردود فعل المرابطين التي كانت تهدد المناطق المتاخمة لمملكة بلنسية[1])- لما علم بذلك، خرجت قواتهما لمواجهة المرابطين. وأمام هذه القوة العظيمة من جيش الإسبان قرر ابن عائشة الانسحاب بقواته إلى شاطبة لتنظيم صفوفه حيث عسكر بقواته عند بلدة صغيرة تسمى بيرين (Beiren) قرب غانديا (Gandia) جنوب بلنسية في الوقت الذي كان فيه القنبيطور يعد جنده. ثم اشتبك الفريقان في معركة عنيفة وذلك عام 491هـ/1097م، فانتصر القنبيطور وحليفه على المرابطين، وغنم معسكرهم، وعاد السيد إلى بلنسية[2].

وفي هذه الأثناء كان المرابطون قد أتموا استعدادهم لخوض المعارك ضد الإسبان للحد من نفوذهم، فقد دارت عدة معارك بين الطرفين؛ فالقائد المرابطي محمد بن الحاج اشتبك مع قوات ألفونسو في معركة حدثت قرب كنسويجرا (Consuegra) عام 491هـ/آب 1097م، ويسميها ابن الكردبوس كنشرة[3] من أعمال طليطلة، انتصر ابن الحاج في هذه المعركة بعد أن أنزل هزيمة ساحقة بالقوات الإسبانية. وفي هذه المعركة قُتِلَ ابن السيد القنبيطور الوحيد ويدعى ديجو(Diego). وفي الوقت نفسه سار محمد بن عائشة في قوات ضخمة إلى قونكة (Cuenca) حيث هزم الجيوش الإسبانية بقيادة البرهانس، ثم اتجه ابن عائشة إلى جزيرة شقر وفيها التقى بقوات القنبيطور؛ فأنزل بها هزيمة ولم ينج من هذه القوة إلا عدد قليل، فر إلى بلنسية[4]. وبعد هذا الانتصار الذي حققه العرب، أراد السيد أن ينتقم منهم، فخرج بفرقة من جيشه إلى حصن المنارة، فاستولى عليه عام 491هـ/أواخر 1097م، وشدد الحصار حول مربيطر حتى تمكن من الاستيلاء عليها[5]. وفي ذلك الوقت كان السيد قد اشتد عليه مرضه، حزناً على مقتل ولده الوحيد، وبسبب إرهاقه الشديد، بسبب الحروب التي خاضها مع المرابطين، فمات هماً وحزناً عام 492هـ/يوم الأحد الواقع في العاشر من تموز عام 1098م[6]، وهو في السادسة والخمسين من

---

(1) Menéndez Pidal**: La España del cid**, V.1, p.503.

(2) Huici Miranda: **Las Luchas del cid campeador con los Almorávides**, Hespéris, 1965,V.6, p.96; Menéndez pidal. **La España del cid**, V.1, pp.530-533.

(3) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص 108، سالم: **المغرب الكبير** ، ص 734؛ Huici Miranda: **Las Luchas del cid.** P.92-93; Menéndez pidal: **La España del cid.** V.1, pp. 534-536.

(4) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص 108؛ مؤنس: **السيد القنبيطور** ، ص77؛ Menéndez pidal: **La España del cid**,V.1, p.537.

(5) Huici Miranda: **Las Luchas del cid**, P.98; Menéndez pidal: **La España del cid**,V.1, pp.539-540.

(6) **Menéndez Pidal: La España del cid**,V.1, pp. 577.

من عمره، بعد خمس سنوات من حكمه بلنسية، قضاها في صراع مستمر مع المرابطين.

وجدير بالذكر أنه على الرغم مما قيل في السيد من أنه غدار وسفاك للدماء وناكث الوعود، فقد امتدحه ابن بسام لشجاعته في الحروب فقال فيه: "وكان هذا البائقة[1] أوحد وقته في درب شهامته، واجتماع حزامته، وتناهي صرامته، وآية من آيات الله، إلى أن رماه الله سريعاً بحتفه، وأماته ببلنسية حتف أنفه، وكان ــ لعنه الله ــ منصور العلم، مظفراًعلى طوائف العجم... ففلّ حدَّ جنودهم، وقتل بعدده اليسير كثير عديدهم"[2].

11 – 6 – استرجاع مملكة بلنسية إلى السيطرة العربية:

بعد وفاة القنبيطور، تولت مكانه زوجه دونيا خيمينا (Doña Jimena) فَصَمَدت أمام هجمات المرابطين نحواً من ثلاثة أعوام، في الوقت الذي كان ألفونسو السادس ملك قشتالة يقف مكتوف اليدين رغم أنها كانت تابعة له[3]. ولم يمض عامان على وفاة السيد حتى أرسل المرابطون قوات ضخمة، بقيادة الأمير مزدلي المرابطي[4] ابن عم يوسف بن تاشفين إلى بلنسية، وذلك عام 494هـ/تشرين الثاني 1101م، وضرب حصاراً مشدداً على المدينة[5]، وظل يحاصرها مدة سبعة أشهر، بعثت خيمينا خلالها تستنجد بألفونسو السادس، الذي أرسل لها قوة قشتالية لتتمكن من الدفاع عن بلنسية، وأرغمت مزدلي على رفع الحصار والانسحاب جنوباً حيث عسكر بقواته عند قلييرة (Cullera) الواقعة بين بلنسية وشاطبة على البحر. فتبعه ألفونسو الذي خرج إلى أحواز قليرة فأتلف زروعها، وقد هالته ضخامة الجيش المرابطي، فارتد إلى المدينة وهو عازم على اخلائها تجنباً لحرب استنزاف طويلة. لذا نصح خيمينا بإخلاء المدينة [6]، أما هو فقد عاد إلى قشتالة عام 495هـ/آذار 1102م، وبذلك غادرت زوجة السيد بلنسية ومعها أتباعها الإسبان بعد أن عاثوا فيها تخريباً وتدميراً[7].

وفي عام 495هـ/1102م، خرج من بلنسية سكانها الإسبان، يحملون أمتعتهم وأموالهم، وخرجت دونيا خيمينا زوج السيد ومعها ذخائر القادر يحيى بن ذي النون، والأموال التي انتهبها

---

(1) البائقة: الداهية. ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص61.
(2) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص61.
(3) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.2, P.164.
(4) هو الأمير مزدلي بن تيولتكان (أوسلتكان) بن حمنى بن محمد بن ترقوت بن ورباطن بن منصور بن نصاله بن أمية بن واباتن الصنهاجي اللمتوني، كنيته (أبو محمد)، وهو ابن عم يوسف بن تاشفين وأحد كبار قواده، توفي عام 508هـ/1114م. ابن القطان: مصدر سابق، ص19، حاشية رقم1؛ ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج3 ص207.
(5) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص109.
(6) ابن عذاري: مصدر سابق، ج 4 ص41-42.
(7) المصدر السابق، ج4 ص42، ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص110، راجع :
Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.3, p.7.

القنبيطور أثناء غزواته، وقد استولى ألفونسو على معظمها فيما بعد، ثم خرج ألفونسو مع جنوده وجنود السيد يحملون معهم رفات سيدهم، في الرابع من أيار 495هـ/ 1102م، لتدفن في دير سان بدرو دي كاردينا (San Pedro de Cardeña) القائم على مقربة من مدينة برغش (Burgos) حاضرة مملكة قشتالة[1]، وقبل خروج ألفونسو من المدينة أمر باحراقها، ولم يغادرها إلا بعد أن غدا معظمها أطلالاً. وبخروج هؤلاء الإسبان، دخل المرابطون بلنسية، في شعبان عام 495هـ/الموافق الرابع من أيار 1102م[2]، وبذلك تكون بلنسية قد أضحت مجدداً مدينة عربية.

وقد أورد ابن بسام نصاً بعث به ابن طاهر إلى أحد أصدقائه يصف له بلنسية عند استرداد المرابطين لها فيقول: "كتبت منتصف الشهر المبارك، وقد وافى بدخول بلنسية- جبرها الله بالفتح بعد ما خامرها القُبُح، فأضرم أكثرها ناراً وتركها آية للسائلين واعتباراً، وتغشاها سواداً، كما لبست به حداداً،- فالحمد لله مالك الملك مطهرها من الشرك، وفي عودتها إلى الإسلام عز وعزاء عما نفذ به قدر وقضاء"[3].

وخلاصة القول: إن مملكة بلنسية، عرفت ذروة ازدهارها السياسي والحضاري والاقتصادي في عهد مبارك ومظفر العامريين؛ فنعمت بالأمن والاستقرار، وتجنبت الدخول في معترك الفتنة التي اندلعت في قرطبة، وشملت مناطق متعددة من الأندلس، فإليها لجأ الفارون من أهوال الفتنة.

وفي عهد المنصور عبد العزيز بلغت المملكة أقصى اتساع لها، وأصبحت تضم شاطبة وألمرية ومرسية، وفيما بعد عاشت المملكة في ظل المظفر عبد الملك 452-457هـ/ 1060-1064م، ولكن الأخير كان قليل الخبرة السياسية فسيطر عليها وزيره ابن روبش ومع سيطرة المأمون بن ذي النون على طليطلة عام 457هـ/1064م، خضعت المملكة لسيطرته، فأناب عليها وزيره أبا بكر أحمد بن عبد العزيز، وهذا الأخير كان من أقوى الحكّام الذين حكموا المملكة وأكثرهم حنكة سياسية، فاستقل بالمملكة عام 467هـ/1074م، ونعمت الأخيرة بالأمن والرخاء،

---

(1) مؤنس: **السيد القنبيطور**، ص77.

(2) اختلفت المصادر الإسلامية حول تحديد تاريخ دخول المرابطون لبلنسية، فابن بسام يحدد ذلك بشهر رمضان عام 495هـ/1101م. ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص63. أما ابن عذاري فيذكر أن ذلك تم في شهر رجب 495هـ. ابن عذاري: مصدر سابق، ج 4 ص 41، 148، وكذلك يقول ابن الخطيب، الذي يحدد منتصف شهر رجب وقتاً لدخول المرابطين إلى بلنسية، راجع ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج3 ص207. بينما يرى عنان أن الخامس من أيار عام 1102م، هو تاريخ دخولهم بلنسية وهذا ما تحدده أيضاً الرواية الغربية. راجع عنان: **دول الطوائف**،ص238، هامش رقم 1وأيضاً؛ Dozy: **Recherches sur l'histoire**, T.2, pp.121-122; Menéndez pidal: **La España del cid**,V.2,p.581.

(3) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص62-63.

بعد أن أبعد عنها شبح الحرب، ثم ما لبثت الأمور أن تدهورت بعد وفاة الوزير أحمد بن عبد العزيز واستلام القاضي أبي عمرو عثمان 478هـ/1085م مقاليد السلطة، وكذلك في عهد القادر يحيى بن ذي النون 478-485هـ/1085-1092م، الذي تسبب في سقوط طليطلة في يد الإسبان؛ وفي عهده عرفت المملكة الظلم والاستبداد، وأصبحت الأخيرة خاضعة لحكم القشتاليين، وهذا الأمر أسهم في ظهور حزب مناوئ للقادر وحلفائه الإسبان، تزعمه القاضي جعفر بن جحاف الذي قاد ثورة، انتهت بمقتل القادر وتوليه (ابن جحاف) الحكم 485-487هـ/ 1092-1094م.

أما ابن جحاف فقد انتهى أمره، بحرقه حياً، بعد أن تمكن السيد القنبيطور من خداعه والسيطرة على بلنسية؛ حيث أقام إمارة له في الأخيرة استمرت ثماني سنوات 487-495هـ/1092-1102م، وذلك بفضل شجاعته ودهائه وحنكته السياسية والحربية.

إلاَّ أن المرابطين، تمكّنوا من تحرير بلنسية عام 495هـ/1102م، وبعودة الأخيرة إلى عهدها العربي على أيدي المرابطين جعلهم سادة في شرق الأندلس، وكان لذلك أعظم الأثر في سير معركة الجهاد في شرق الأندلس بعد وفاة القنبيطور، وانهيار الجبهة الإسبانية في أعقاب وفاته، إذ إن القوات المرابطية أخذت تتوغل في مملكة بلنسية، فاستولت على مربيطر، والمنارة، والسهلة (شنتمرية الشرق)، وغيرها... من القلاع والحصون[1]. وكان لهذا الانتصار والتوسع الذي حققه المرابطون أثره في توثيق الصلات بينهم و بين بني هود في سرقسطة لمواجهة حركة الاسترداد الإسبانية التي كانت تهدد النواحي الشمالية الشرقية للأندلس.

وأخيراً يمكن القول: إن المرابطين قد استكملوا الجهاد في الأندلس خاصة بعد تعاونهم مع بني هود[2].

---

(1) عنان: **دول الطوائف**، ص368.
(2) محمود، حسن أحمد: مرجع سابق، ص 318-320.

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية في مملكة بلنسية

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية في مملكة بلنسية

1- نظام مملكة بلنسية الاقتصادي والعملة المعتمدة فيها :

حظيت مملكة بلنسية المميزة بإطلالتها الشرقية على البحر المتوسط بشهرة اقتصادية كبيرة في ميادين الزراعة والصناعة والتجارة، فعرفت برخاء أهلها، الأمر الذي أدى إلى ارتحال أعداد كبيرة من أهل الأندلس إليها، عقب اندلاع الفتنة في قرطبة، واستقرارهم في نواحيها واشتغال معظمهم بالتجارة والصناعة، أضف إلى ذلك أن توافر الأقوات والسلع في المملكة آنذاك أدى إلى هبوط في أسعارها فتمكن الناس على اختلاف قدراتهم أن يعيشوا حياة طيبة، الأمر الذي انعكس على طباعهم فعرفوا بميلهم إلى الراحة، وغلبة الهدوء، باستثناء الفترة التي تم فيها حصار المملكة من قِبل السيد القنبيطور وخضوعها لحكمه، فكان ذلك من العوامل التي أدت إلى شل الإنتاج الزراعي والصناعي بسبب هجرة عدد من الأهالي إلى مناطق أكثر أمناً في شرق الأندلس كمرسية وغيرها.

وفيما يلي عرض للحياة الاقتصادية في مملكة بلنسية في عصر ملوك الطوائف. ولكن قبل معالجة الوضع الاقتصادي، يستحسن الإشارة إلى نظام المملكة الاقتصادي والعملات المعتمدة بها، لما لهذا العامل من أهمية في تقدم أو تأخر الحياة الاقتصادية في المجتمع البلنسي.

إن المصادر التي تتحدث عن تاريخ مملكة بلنسية، لم تقدم معلومات كافية حول موارد المملكة المالية. بل إشارات عابرة لا تعطي الموضوع حقه، ولكن يمكن الاستناد على الاستنتاج من جهة، ومن جهة ثانية على الافتراضات وعلى القياس، وفيما يلي عرض لأهم موارد بلنسية المالية:

1-1- الزكاة:

وهي إحدى أركان الإسلام الخمس، ويقول ابن عبد الرؤوف في رسالته عن آداب الحسبة: "لا يمنع أحد الزكاة وهو عالم بفروضها وتجب الزكاة في أموال اليتامى والمجانين، لأن الزكاة تجب على المالك بشرطين: «الإسلام والحرية سواء كان المالك الذي هو صفته صغيراً أو كبيراً، ذكراً أو أنثى، عاقلاً أو مجنوناً، وهو قول جميع الفقهاء، إلا أبا حنيفة فإنه قال: تجب بأربعة شرائط: الإسلام، الحرية، البلوغ، العقل»[1] .

---

(1) ابن عبدون **رسالة في القضاء والحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة** ، نشر ليفي بروفنسال، مطبوعات المعهد الثقافي الفرنسي، القاهرة، 1955م ، ص 78.

والزكاة كانت تؤخذ من المسلمين لتنفق في أوجه متعددة وخاصة الفقراء والمساكين[1].

1 -2- الخـــراج:

وهي الضريبة التي تجبى من الأراضي الزراعية التي في أيدي غير المسلمين، وهذه الضريبة تحدد بواسطة مقررين يقدرون المحصول المنتظر أثناء أو بعد الحصاد، وتدفع مالاً يحدد كل سنة على الأرض ومقادير عينية من حنطة وزيت وعسل وغيرها من منتجات القرية[2].

فهذا مينندث بيدال، يذكر أن القاضي ابن جحاف، كان قد رتب مهمة تحصيل الخراج من بلنسية، مع الجباة والكتاب والمحتسبة والمتخصصين في تثمين المحاصيل الزراعية أثناء فترة جني المحصول[3] ، وذلك ليتسنى له الالتزام بتعهداته المالية للسيد القنبيطور لقاء حمايته بعد إخراج القوة المرابطية من بلنسية. وقد أشير إلى ذلك سابقاً .

1 -3- العشر أو الأعشار:

وهذه الضريبة كانت تفرض على الأرض الزراعية التي في يد المسلمين، وقد ذكر ابن سعيد بأن أحد الغلمان ممن يعملون بالزراعة قد ذهب إلى أبي الحسين بن سابق صاحب ولاية السوق في بلنسية يشكو إليه أن العمال كتبوا عليه أعشاراً لا يتحملها وأن زرعه دون ما قدروا، وقد استجاب ابن سابق لطلبه وتحملها عنه[4].

ذُكر من قبل أنَّ خراج بلنسية في عهد مبارك ومظفر كان ضخماً للغاية بلغ ماية وعشرين ألف دينار في الشهر؛ سبعون من بلنسية وخمسون من شاطبة، لذا يمكن القول: إن بلنسية كانت من أكثر الممالك ثراءً[5].

وتذكر المصادر أن مباركاً ومظفراً اللذين اشتركا في حكم المملكة البلنسية وعاشا حياة ترف وثراء على حساب بؤس الناس، كانا يجمعان تلك الضرائب بأشد أنواع العنف والقسوة، وأن المزارعين عانوا كثيراً في عهدهما من وطأة الضرائب وفداحتها، فكان لذلك الآثار السلبية على أحوال الرعية عامة[6]، والأمر عينه استمر مع القاضي ابن جحاف، حين فرض على البلنسيين، عشر موارد بلادهم[7]، لكي يتمكن من الالتزام بتعدادته المالية للسيد، لقاء حمايته وحماية عرشه.

---

(1) عبد المنعم، ماجد: **تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى** ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت، ص 38.

(2) المرجع السابق، ص 39.

(3) Menéndez Pidal: **La España del cid, V. 1, P.450.**

(4) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**،ج2 ص 313، ترجمة رقم 558.

(5) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص 8.

(6) المصدر السابق، م3 ص 10.

(7) Menéndez Pidal: **La España del cid** V.1. pp. 450.

أما السيد القنبيطور، فكان هو أيضاً بدوره، وبعد أن خضعت المملكة لحكمه، قد فرض العشر على المحاصيل الزراعية، لكل من أراد أن يخرج من بلنسية ويقطن في ربض الكدية بعد أن يمتلك مزرعة[1].

1 -4- المكوس أو المغارم:

وهي ضريبة تفرض على تجارة الصادرات والواردات، كما شملت أيضاً المصائد والمراعي والبضائع العابرة، وهذا ما يسمى اليوم ب "الترانزيت" أو "الجمارك"، وكانت تلك الضرائب مصدراً دائماً للظلم، لأنها كانت التزاماً، وكان ملتزموها في بعض الأحيان من غير المسلمين، فقد ذكر ابن عذاري أن أصحاب الرسوم وخدام البر والبحر كانوا من اليهود، الذين سلطوا على العرب في بلنسية أثناء حكم السيد القنبيطور [2] ، وأحياناً كانت تفرض على الرعية أثناء الحملات العسكرية وذلك لتأمين نفقاته الضخمة[3].

وهذا ما قام به القادر يحيى بن ذي النون، حين فرض على الرعية الضرائب، وذلك للإنفاق على الجند القشتاليين الذين تحكموا بالناس، وأرهقوهم بالمؤن والمغارم، الأمر الذي دفع بكثير من الناس إلى مغادرة البلد بسبب هذا الطغيان[4].

وتجدر الإشارة إلى أن الضرائب غير المشروعة أي المكوس لم تكن تفرض إلا بقرار من الأمير أو الحاكم وأثناء الحملات العسكرية فقط، وكان تطبيقها متساوياً في كل المناطق الأندلسية، فكل كورة ملتزمة بدفع الضرائب المترتبة عليها[5].

2- النظام المالي (السكة):

تُعد السكة من الوثائق المهمّة، التي يمكن الاعتماد عليها في استنباط الحقائق التاريخية سواء ما يتعلق بالأسماء أو العبارات الدينية المنقوشة أو ما يرتبط بتطور الحياة الاقتصادية في الدول العربية في العصور الوسطى عامة. والسكة سجل للألقاب والنعوت التي تلقي الضوء على كثير من الجوانب السياسية والاقتصادية والدينية، فالسكة تعد من الوثائق الرسمية ذات قيمة تاريخية[6].
تاريخية[6].

---

(1) Menéndez Pidal**: La España del cid** V.1. pp. 519-521.

(2) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص 41.

(3) Huici Miranda:**Historia Musulmana de Valencia**, T.1, p.50.

(4) عنان: **دول الطوائف**ص218؛ وراجع: Menéndez Pidal**: La España del cid,** V.1,N.1, pp. 313-316.

(5) Huici Miranda:**Historia Musulmana de Valencia**, T.1, p.50.

(6) فهمي، عبد الرحمن: **موسوعة النقود العربية وعلم النميات**، مطبعة دار الكتب، القاهرة 1965م، ص2.

وإذا كان الاتجاه نحو الأندلس عُرف ومن خلال المصادر أنه وفي عصر الولاة، كان يكتب على العملة نصوص لاتينية مع العربية، إسلامية الطابع منذ عام 98هـ/716م، وفيما بعد أصبحت الكتابة عربية فقط منذ عام 102هـ/720م، ومن ثم قام أمراء بني أمية 138–316هـ/755–928م، بضرب عملة ذهبية مشابهة لعملة أسلافهم في بلاد الشام، كما ضربوا أيضاً الدراهم والفلوس، فالأمير عبد الرحمن بن الحكم هو الذي أحدث بقرطبة دار السكة [1]، ويبدو أن ذلك كان استجابة لمتطلبات الوضع الاقتصادي الجيد الذي كانت عليه الأندلس في أيامه.

أما في عصر الخلافة الأموية 316–422هـ/928–1030م، فقد كان ذلك العصر هو عصر الاستقلال السياسي والديني الكامل عن الشرق، لذلك قام الخليفة عبد الرحمن الناصر بضرب عملة ذهبية كان لها تأثير كبير على اقتصاديات إسبانيا، فقد ورد اسم (Cathimi) أو (Kasimi) على إحدى العملات الذهبية، وذلك نسبة إلى الدراهم القاسمية الأندلسية [2] مما يدل على رواجها في إسبانيا في تلك الفترة.

وفي عصر ملوك الطوائف 422–484هـ/1030–1091م، كان النشاط النقدي في الأندلس امتداداً له في عصر الخلافة، وبقي النقد موحداً باسم هشام المؤيد وإن كان ملوك الطوائف قد أضافوا أسماءهم أيضاً.

وعند التوجه نحو بلنسية،أشارت الدراسات إلى أن عملاتها في عصر الخلافة الأموية وقبل استقلالها في عصر دويلات الطوائف ، كانت تتبع النظام النقدي المركزي في قرطبة [3]. ولم تكن لبلنسية في العصر الأموي دار سكة؛ فلم يضرب فيها عملات طوال عصري الإمارة والخلافة حتى في الفترة التي خضعت فيها للأمير عبدالله البلنسي.

2 -1- العملات في مملكة بلنسية في عهد مبارك ومظفر:

قام ملوك الطوائف الصقالبة الذين كونوا دويلات لهم بشرق الأندلس بسك عملة لهم، ففي بلنسية ضرب الفتيان مبارك ومظفر عملة لهما عام 407هـ/1016م، تحمل اسم الخليفة بقرطبة آنذاك وهو الناصر بن حمود، في حين نقش بالهامش عبارة "بسم الله ضرب هذا الدرهم بالأندلس

---

(1) ابن عذاري: مصدر سابق،ج2 ص 136.

(2) سُمِّيت الدراهم القاسمية نسبة إلى اسم عامل دار ضربها. راجع ياقوت: **معجم البلدان**،ط1، مصر، 1906م، ج4 ص 42.

(3) كان ينقش على وجه السكة الأموية بالأندلس "لا إله إلا الله وحده لا شريك له" وفي الهامش بسم الله =ضرب هذا الدرهم بالأندلس سنة كذا، وعلى الظهر كان ينقش "الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد"، وفي الهامش "محمد رسول الله أرسله بالهُدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون". أما في عهد الخليفة الناصر، ففي الوجه نقش " لا إله إلا الله وحده لا شريك له". وفي الهامش "بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة الزهراء عام 342هـ/953م"، ونقش على الظهر "الإمام الناصر لدين الله عبد الرحمن أمير المؤمنين"، وفي الهامش نقشاً فيه ما نقش على الدرهم في عصر الإمارة راجع،فهمي: مرجع سابق،ص 851-860.

سنة سبع وأربعمائة" كما نقش أيضاً على أحد وجهي العملة" الإمام علي الناصر لدين الله أمير المؤمنين مبارك، وعلى الوجه الآخر" بسم الله لا إله إلا الله وحده لا شريك له. مظفر" [1].

2- 2- العملات في مملكة بلنسية في عهد المنصور عبد العزيز وخلفه:

سُكت في بلنسية عملة بعد سقوط الخلافة الأموية بقرطبة عام 422هـ/1030م، ونقش عليها لقب المنصور عبد العزيز بن أبي عامر، والمعتصم، ونقش على عملات بلنسيية أخرى أسماء أشخاص، يبدو أنها لأصحاب دار السكة منها اسم لمن يدعى عامراً وآخر يدعى نجبة وابن نجبة، ونقش على عملات (دينار ودراهم) أخرى اسم "المنصور" ويرجع تاريخ سكها إلى عام 435هـ/1043م، أي إلى عهد إمارة المنصور عبد العزيز وتحمل لقبي "المنصور" و"المعتصم"، وقد أضيف إلى نقوش أخرى ابتداءً من عام 442هـ/1050م، لقب "الناصر" ويبدو أنه اسم أحد أبناء المنصور عبد العزيز[2].

وهناك عملات لا تحمل أي اسم من أسماء الحكام تعود إلى العام 442-443هـ/1050-1051م، وعملات أخرى تحمل اسم"طرفة بن قومس"، ومن العملات أيضاً عملة ترجع إلى عام 445-453هـ/1053-1061م، تحمل اسم"ابن أغلب"[3]، ويبدو أنها أسماء من تولى دار السكة.

أما عملات بلنسية في عهد المظفر عبد الملك 452-457هـ/1060-1064م، فكانت مشابهة لعملة المنصور، والد عبد الملك، ومن مميزاتها أنها تحمل اسم "ابن أغلب"، ويبدو أن الأخير كان ممن تولى دار السكة، ولقب "الظافر" الذي يبدو أنه لقب آخر للمظفر عبد الملك[4].

وجدير بالذكر أنه خلال الفترة القصيرة التي بسط فيها المنصور عبد العزيز نفوذه على مرسية وألمرية، أمر بسك عملة في ذلك القطر مشابهة لعملة بلنسية؛ فعثر على قطع فضية سكت بمرسية، وذهبية وفضية في ألمرية تحمل أسماء المظفر وأبيه، ومن ميزات الأخيرة (عملة ألمرية) أنها ذات معدن جيد وذات نقوش دقيقة وتحمل أسماء المنصور وابنه الناصر[5].

ومن الأهمية بمكان القول: إن لدار السكة في بلنسية في عصر ملوك الطوائف شهرة، بحيث أنها قامت بسك عملات لمملكة أخرى، من ذلك قيام الأمير القادر بن ذي النون ، بسك دراهم له بمدينة بلنسية عام 476هـ/1083م[6].

3- أهم وحدات الكيل والأوزان:

---

(1) Prieto y Vives: **Los Reyes de taifas**, p.119 ; Robles :**Malaga Musulmana**, pp.240-242 .
(2) Prieto y Vives:**Los Reyes de taifas**,p.120.
(3) Prieto y Vives:**Los Reyes de taifas**,pp.120-121.
(4) Prieto y Vives:**Los Reyes de taifas**,pp.120-121.
(5) Prieto y Vives:**Los Reyes de taifas**,p.121.
(6) Menéndez Pidal:**La España del cid** ,V.1, p.489.

تُعد وحدات الكيل والأوزان في الأسواق من أهم وسائل التعامل التجاري، ويبدو أن وحدات الكيل هذه كانت تختلف في مقاديرها من قطر لآخر، فقد أشار ابن حوقل إلى اختلاف الأوزان في الأندلس عن غيره من البلدان[1] ، ومن هذه الوحدات:

3–1– **المد:** وهو كيل معين، وهذه التسمية العربية بقيت في اللغة الإسبانية القديمة بشكل (Almud). ويكون الكيل بالأمداد (جمع مد)[2] . وقد ورد في المصادر العربية ما يشير إلى استعمال هذا الكيل في بلنسية؛ فابن بسام يذكر أن الوزير ابن شهيد، كان قد تولى شؤون بلنسية ومرسية في عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، وأن نفقته رأس كل شهر سبعون مداً من القمح[3].

3–**2**– **الرطل:** كان الرطل يساوي ست عشرة أوقية (أي نحو 504 غرام)، وقد حافظت اللغة الإسبانية على هذه التسمية حتى اليوم (Arrate)[4] ، وكان الرطل في بلنسية يستخدم يستخدم لوزن القمح والشعير والبقول واللحوم وغيرها[5].

3–**3**– **الأوقية:** من المكاييل التي استخدمت في بلنسية أيضاً لوزن الجبن والبصل وغيره[6].

4 – الأسعار بين الإنخفاض والارتفاع:

عاش أهالي بلنسية برخاء ويسر، وكان ذلك، من العوامل التي أدت إلى هجرة الكثير من الأندلسيين إليها في عصر الفتنة واستيطانهم في نواحيها واشتغال معظمهم بالتجارة والصناعة، ومن الملاحظ أن توافر الأقوات والسلع في مملكة بلنسية وقتذاك أدى إلى هبوط في الأسعار وتمكن الناس على اختلاف أقدارهم أن يعيشوا حياة طيبة، الأمر الذي انعكس على طباع أهل بلنسية، فعرف عنهم بميلهم إلى الهدوء والراحة[7].

واستمرت بلنسية على هذه الحال فترة من الزمن، ثم ما لبثت المدينة أن تعرضت لحصار السيد القنبيطور لفترة قصيرة، فكان لذلك الحصار آثاره السلبية على المدينة؛ فتوقف الإنتاج الزراعي والصناعي لعدة سنوات بسبب هجرة عدد من الأهالي من منازلهم بالمدينة إلى المناطق التي تنعم بالأمن والاستقرار في مرسية ولورقة وغيرها من مدن شرق الأندلس، قد رافق

---

(1) ابن حوقل: مصدر سابق،ج1 ص 112.
(2) يحيى بن عمر: **أحكام السوق**، تحقيق محمود علي مكي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، م4، عدد 1-2 ،1956م، ص 103، حاشية رقم 2.
(3) ابن بسام: مصدر سابق،م1 ص 122.
(4) يحيى بن عمر: مصدر سابق، ص 103،حاشية رقم 4.
(5) ابن عذاري: مصدر سابق،ج4 ص 38.
(6) المصدر السابق،ج4 ص 38.
(7) الحميري: مصدر سابق، ص 47.

انخفاض نسبة الانتاج في بلنسية، ارتفاع في أسعار السلع الغذائية.

ولقد أورد ابن علقمة مؤرخ بلنسية لائحة تبين ارتفاع الأسعار في بلنسية أثناء فترة حصار القنبيطور للمدينة فكانت على الشكل التالي، في ربيع الأول عام 487هـ/1094م:

رطل القمح= مثقال ونصف

رطل الشعير = مثقال

رطل زريعة الكتان = ستة أثمان مثقال

أوقية الجبن = ثلاثة دراهم

أوقية البصل = درهم

بيضة الدجاجة = ثلاثة دراهم

رطل البقل = خمسة دراهم

رطل اللحم البغلي = ستة دنانير

رطل الجلد البقري = خمسة دراهم[1].

جدير بالذكر أن ابن علقمة أورد اسم عملة بالمدينة تسمى "المثقال" وقد أوضح أنستاس الكرملي أن المثقال من الفضة كان يسمى درهماً ومن الذهب ديناراً[2].

وأخيراً يمكن القول: إن الأسعار قبل الحصار كانت أقل بكثير مما وصلت إليه، وكانت في متناول جميع الفئات، أما أثناء الحصار، «فكان لا يصل إلى إدراك شيء من الوجود إلا أهل الجاه»[3].

5 - الزراعة: (النشاط الزراعي والثروة الحيوانية):

5- 1- العوامل المؤثرة في الزراعة:

تُعد الفلاحة التي هي أساس التحضر والعمران من أقدم الصنائع، فهي توفر القوت الضروري لحياة الإنسان، ويُعرِّفها ابن خلدون بقوله: «هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب، بالقيام على إثارة الأرض وازدراعها، وعلاج نباتها، وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته، ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه وإحكام الأعمال لذلك، وتحصيل أسبابه ودواعيه»[4].

---

(1) ابن عذاري: مصدر سابق،ج4 ص 38.
(2) الكرملي، أنستاس ماري: **النقود العربية وعلم النميات**، المطبعة العصرية، القاهرة،1939م، ص 25.
(3) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص 38.
(4) ابن خلدون: مصدر سابق، ج1 ص 59.

والمطلع على كتب الحسبة يجدها وقد حثت على الاهتمام بالحرث والزراعة، وفي ذلك يقول ابن عبدون: "ويأمر الرئيس بالحرث وبالمحافظة عليه وبالرفق بأهله والحماية لهم في أعمالهم.. ومنها (الفلاحة) العيش كله والصلاح جلّه، وفي الحنطة تذهب النفوس والأموال، وبها تملك المدائن والرجال، وببطالتها تفسد الأحوال وينحل كل نظام"[1].

وتُعد الزراعة من الدعائم الرئيسية التي ارتكز عليها الاقتصاد في مملكة بلنسية، ولاسيما أن أرض المملكة كانت تمتاز بالمقومات اللازمة للزراعة، من وفرة في المياه، وخصوبة في التربة، وتنوع في المناخ؛ فترتب على ذلك كله غزارة في الإنتاج الزراعي وتنوع في المحاصيل الزراعية.

وقد استفاد أهل المملكة كثيراً من هذه الميزات الطبيعية في مملكتهم فأضافوا إليها خلاصة أفكارهم وإبداعهم في أعمال الزراعة حتى غدت كورة بلنسية بلداً زراعياً منتجاً.

وعلى الجملة، فهناك مجموعة من العوامل الإيجابية التي أثرت في تقدم الزراعة في مملكة بلنسية ونذكر منها:

5-1-1- توافر المياه:

تتوافر في مملكة بلنسية مياه الري التي تُعد من أهم المقومات لقيام الزراعة وازدهارها عن طريقين: الأول مياه الوادي الأبيض والثاني مياه الأمطار؛ فبلنسية تقع على نهر جار (Turia)، الذي ينتفع منه في ري البساتين والمزارع[2]، إضافةً إلى ذلك تتعرض مملكة بلنسية للأمطار في فصل الشتاء، وذلك بحكم وقوعها على الساحل الشرقي للأندلس. والأمر عينه بالنسبة لدانية فهي مطلة على البحر شرقاً، لذلك فهي تتعرض للأمطار، وكذلك الحال بالنسبة لشاطبة، فهي أيضاً كانت تتعرض للأمطار، التي تسقط في فصل الشتاء. أما المناطق الداخلية للمملكة التي تقل فيها الأمطار، فتعتمد في الري على مياه نهر(Turia)، و (Mijares)، و (Serpis)، و(Júcar)، و(Palencia)، و(Segura)، و(Vinalopó).

ولقد أتاح توافر المياه، وانبساط، وخصوبة التربة، إضافة إلى المناخ المعتدل لسكان المملكة أن يستفيدوا من ذلك فاستلزم الأمر شق القنوات وإقامة الجسور ونصب الدواليب، ولا سيما أن مياه الأنهار كانت تسقي لمسافات طويلة تصل إلى العشرين ميلاً، وتصل إلى الأربعين

---

(1) ابن عبدون: مصدر سابق، ص5.

(2) الإدريسي: مصدر سابق، م2 ص 556؛ ياقوت: **معجم البلدان**،ج1 ص 581؛ ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**،ج2 ص 297؛ الحميري: مصدر سابق، ص 47.

ميلاً[1].

ويذكر مؤرخو العرب أنه وجدت في بلنسية سواقٍ، مفردها ساقية (Acequia)[2] ، بمعنى جدول، والأرحاء[3]، والناعورة (Noria)[4]، والبقاع (Vega)[5] . وهذه كان لها مشرفون لرعايتها، ومنهم الفتيان مبارك ومظفر العامريان اللذان توليا وكالة السقاية في بلنسية[6]، وكذلك كان يوجد دواليب[7] تدور على حافة الوادي لرفع المياه من بين تجاويفها. ويشير العذري إلى أن شاطبة كان " يخترق بطاحها وادٍ قد اتخذ عليه نواعير[8]. ويذكر ابن خاقان: أن منتزه " باب الحنش[9] ، الذي يضم منية الوزير أبي بكر كانت له ساقية كبيرة عليها دولاب يسقي المنتزه ويضفي عليه جمالاً[10].

ومن الظريف أن مدينة "بلنسية" ما تزال تحتفظ إلى اليوم ببعض مظاهر ما تبقى من نظم العرب المتعلقة بسقاية البساتين ألا وهي محكمة المياه (ديوان المياه) (Tribunal de las Aguas)، التي تعقد عند باب الكاتدرائية في الساعة العاشرة ظهراً من كل يوم خميس. وتتألف هيئة المحكمة من خبراء بشؤون الري يمثلون نواحي كورة "بلنسية" ، ويرأسها مندوب من الحكومة. وعند الساعة الثانية عشرة تفتتح الجلسة، فينادي الحاجب أصحاب الظلامات. وبعد

---

(1) العذري: مصدر سابق،ص 24.

(2) Enciclopedia, universal Ilustrada, Madrid,1993,T.2, p.94

(3) الأرحاء: هي النواعير ومفردها ناعورة، وهي التي يستقي بها، يديرها الماء ولها صوت. الزبيدي: تاج **العروس من جواهر القاموس** ،منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت، ج 3 ص 576، وقد أشار الخوارزمي إلى الآلات التي تسقى بها الأرض المرتفعة، ومنها الناعورة والدالية. راجع الخوارزمي: **مفاتيح العلوم**، القاهرة، إدارة الطباعة المنيرية، 1342هـ، ص 46.

(4) آلة ميكانيكية تتألف من دولابين دائريين، أفقي دائري مع أسنان والآخر عامودي مع أسنان متداخلة مع الأولى، تستعمل لاستخراج المياه.Enciclopedia, universal Ilustrada, Madrid,1991,T.38, p.1088.

(5) قنوات تتشعب إلى جداول، صغيرة عديدة تؤلف شبكة متصلة من القنوات المائية، لا يعرف بدايتها ولا نهايتها إلا أصحاب البساتين. والبقاع أيضاً هي أرض سهلية خصبة Enciclopedia, universal Ilustrada, Madrid,1992, T.67,p.458.

(6) ابن بسام: مصدر سابق،م3 ص 7؛ ابن عذاري: مصدر سابق،ج3 ص 158.

(7) ابن خاقان: **قلائد العقيان**،ص 64؛ وقد ذكر ابن سعيد الدولاب ووصفه في أحد اشعاره ومن قوله: (الكامل)

تَقْتَاتُنَا أقْدَامُنَــا وجيَــادُنَـا	**لجنَـابِهِ و هو النّضيرُ المُعْجَبُ**
كَـلـفَـا بــدولابٍ يــدورٌ كـأنّــه	**فَلَـكٌ وَلَـكن ما ارتَقـاه كـوكـبُ**
نَصبَـتْـه فـوق النهر أيدٍ قدّرتْ	**تَرويْحَهُ الأرواح ساعة يُنصَبُ**

ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب** ،ج2 ص 312. عند المقري جاء " لله دولاب" المقري: **نفح الطيب**، ج3 ص 53.

(8) العذري: مصدر سابق، ص 18.

(9) ابن خاقان: **قلائد العقيان**، ص 64.

(10) المصدر السابق، ص 64؛ المقري: **نفح الطيب**،ج2 ص 201.

المناقشة والمداولة يصدر الرئيس الحكم وهو حكم قاطع لا يقبل المناقشة أو الاستئناف. وذلك من أجل تنظيم أعمال الري، وكل من لا يخضع لأحكامه يحرم من ري أراضيه، وهو بذلك يشبه إلى حد كبير وكالة السقاية في بلنسية في عصر ملوك الطوائف[1].

ويذكر ليفي بروفنسال أن عرب إسبانيا عامة استخدموا وسائل الري المختلفة ونظموها، وعرفوا بعض الطرق لقياس منسوب المياه أو ما يعرف حالياً بهندسة الري، كذلك استخدموا السواقي النهرية التي كان لهم الفضل الأكبر في ابتكارها[2].

وجدير بالذكر أن كثيراً من المؤرخين أثنوا على نظام الري الذي اتبعته بلنسية، لا سيما نظام المصارف والقنوات الذي استخدم لري البساتين والجنان وتزويد السكان بمياه الشرب[3].

وجدير بالذكر أيضاً أن التشريع الخاص بتنظيم الري، كان يشتمل على مجموعة من القوانين الدقيقة، وأن هناك قاعدة أساسية شرعية واحدة متفق عليها وهي أن الماء لا يجوز أن يُباع أو يُشرى، وعلى هذا الأساس لا يجوز للدولة أو الأفراد أن يجعلوا مسألة الري سبيلاً للتكسب أو التجارة[4].

أمَّا ما يتعلق بالمنشآت المائية، فقد اهتم حكام بلنسية بشق القنوات المائية والسواقي تسهيلاً لري الأراضي الزراعية البعيدة عن مصادر المياه، كما أقاموا المخازن والأبراج لخزن الحبوب، فكان هناك وكيل أو حارس لمخازن الحب، كذلك حرصوا على ربط المدينة بظاهرها فشيدوا القناطر (الجسور) على الوادي لتسهيل أمور المزارعين وغيرهم، مثال ذلك قنطرة بلنسية[5].

وعلى هذا النحو كانت بساتين بلنسية التي تحف بها وتحيط نواحيها، تستمد مياهها من نهر (Turia) عن طريق قنوات متعددة أجريت لهذا الغرض، فمن جهة الشمال أقيمت قناة تُعرف اليوم بساقية (Acequia de Moncada)، كما أقيمت في هذه الناحية أيضاً قناة (Tormos)، و(Mastalla)، و(Rascana) . أما جنوباً فأقيمت قناة (Cuarte) ، و(Mislata)، و(Fabara)... وغيرها، وكل هذه القنوات كانت تتشعب إلى جداول عديدة تشكل شبكة من القنوات المائية متصلة لا يَعْرِف بدايتها ونهايتها إلا أصحاب البساتين والمزارعون، وقد تم تنفيذ هذه الشبكة المالية بدقة منذ أيام العرب[6]

---

(1) أرسلان: مرجع سابق، ج 3 ص 213؛ متز، آدم: **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري** ، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1941م، ص 282.

(2) Lévi provençal: **Histoire de l'Espagne Musulmane**,T.3, p.280.

(3) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1,p.155.

(4) متز: مرجع سابق، ص 281.

(5) حول قنطرة بلنسية راجع العذري: مصدر سابق، ص 18؛ ابن بسام: مصدر سابق ،م 1 ص 11؛ ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص 99.

(6) أرسلان: مرجع سابق،ج3 ص 213-214.

وعند الحديث عن المياه ، لا يغرب عن البال ذكر الآبار، فهذه تشكل مصدراً رئيسياً من مصادر المياه، والسقي منها يكون بواسطة السواني[1]. وقد أدرك البلنسيون عامة أهمية الآبار في حياتهم، فكانوا يدخرون المياه لأجل زراعتهم، وذلك في السنين التي يكون فيها الجفاف شديداً[2] وهذه الوسيلة هي عبارة عن حفر عدة آبار في مواضع متقاربة ثم التوصيل بين قيعانها بمجموعة من السروب الأرضية. وقد جسدوا أهمية مياه الآبار في أمثالهم، فقالوا " الرزق في البير" [3]، لهذا نجدهم يكثرون من حفر الآبار واستنباط المياه، ووصلوا في ذلك إلى درجة المهارة والإتقان[4].

5-1-2- جودة التربة وخصوبتها:

من العوامل الإيجابية المؤثرة في الزراعة، خصوبة التربة، فقد امتازت مملكة بلنسية بخصوبة التربة التي تكونت بفعل الرواسب النهرية، لهذا عرفت بلنسية "بمدينة التراب"[5]، وكانت وكانت أرضها منبسطة سهلية [6]، تصلح للزراعة، وأكثر أراضيها المزروعة كانت تمتد على ضفاف جداولها وقنواتها ونهرها الأبيض، كما قامت الزراعة على ضفاف البحيرة جنوب بلنسية[7]، وكذلك على ضفاف نهر شقر، وشقر **(الجزيرة)**، "عروس الأندلس المقلّدة من نهرها بسلك المتلفِّعة من جنانها بسندس، روض بسام، ونهر كالحسام، وبلبل وحمام ومنظر يحثّ على حَسْو المُدام[8]". وفيها قال الشاعر ابن خفاجة : **(المنسرح)**

سُقياً لها من بِطاحِ خزّ ودَوْحِ نَهْرٍ بِهَا مُطِـلِّ [9]

إذ لا ترى غَيْرَ وَجْهَ شَمْسٍ أطـلَّ فيـه عِـذارُ ظِـلِّ [10]

---

(1) السانية: البعير أو الثور أو الحمار يربط به الرِّشاد يجره فيخرج الغرب. والسقي عليها يسمى السناوة. راجع ابن سيدة: **المخصص**، بيروت، المكتب التجاري، د.ت، م2، السفر التاسع، ص 161.

(2) أرسلان: مرجع سابق،ج3 ص 215.

(3) الزجالي: **أمثال العوام في الأندلس** ، المعروفة باسم أمثال أبي يحيى الزجالي تحقيق محمد بن شريفة: رسالة ماجستير، غير منشورة كلية الآداب،جامعة القاهرة،1968م، ص 118، رقم المثل 526.

(4) المقري: **نفح الطيب**،ج4 ص 134-135.

(5) العذري: مصدر سابق، ص17؛ ابن غالب: مصدر سابق، ص285؛ ياقوت:**معجم البلدان** ج1 ص581؛ Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**,T.1, p.20.

(6) الإدريسي: مصدر سابق، م2 ص 556؛ الحميري: مصدر سابق، ص 47.

(7) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب** ، ج2 ص 297؛ المقري: **نفح الطيب**،ج4 ص 195. أرسلان: يقول" إن هذه البحيرة بقية من البحر المتوسط انفصلت عنه بلسان من الأرض، وتحولت مياهها إلى العذوبة بمرور الزمن: أرسلان: مرجع سابق،ج3 ص 212-213.

(8) الإدريسي، مصدر سابق،م2 ص556؛ ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**،ج2 ص 363.

(9) ابن خفاجة: الديوان، مصدر سابق، ص 202؛ المقري: **نفح الطيب**،ج4 ص177-178؛ مع الإشارة إلى أن هناك بعض الاختلافات عند ابن سعيد:" بطاح أنس ودوح حسن..". ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب** ،ج2 ص 363.

(10) ابن خفاجة: الديوان، مصدر سابق، ص 202؛ ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2 ص 363؛ المقري : **نفح الطيب** ، ج4 ص177 - 178. مع بعض الاختلاف عند ابن سعيد:" فما ترى غير وجه نهر...".

وكذلك قامت الزراعة في شاطبة فهي أزلية " ذات بطاح زاكية وخيرات وفيرة"[1].

ومما يذكر أن المزارعين كانوا يعملون على زيادة خصوبة التربة، فاستخدموا روث الحيوانات والفضلات الإنسانية، ويؤكد ذلك ياقوت فيقول: "وكانت كنفهم ظاهرة على وجه الأرض لا يحفرون له تحت التراب، وهو عندهم عزيز لأجل البساتين" [2]، وقد ذكر ياقوت في ذلك أبيات من الشعر: (المتقارب)

بلنســيةٌ بلــدةٌ جنّةٌ	فــيهــا عيــوبٌ متــى تــختــبرْ
فخارِجَــها زَهَرٌ كُلُّهُ	وداخِلَــها بِرَكٌ من قذرْ [3]

5-1-3 اعتدال المناخ:

تقع مملكة بلنسية داخل الإقليم الرابع المطل على البحر المتوسط، وهي لذلك تتمتع بمناخ معتدل شتاءً، نوه به الجغرافيون العرب وذكروه في كتاباتهم، وصيف حار [4]. أما المناطق الداخلية من مملكة بلنسية فمناخها قاري، أي أن الشتاء أشد برودة، والصيف أشد حرارة مما هو على الساحل[5].

وفي ذلك يقول ابن سعيد: "وجوُّها صقيل أبداً، لا ترى فيه ما يكدر خاطراً ولا بصراً، لأن الجنات والأنهار أحدقت بها، فلم يثر بأرجائها من سير الأرجل وهبوب الرياح فيكدر جوها، وهواؤها حسن لتمكنها من الإقليم الرابع.."[6].

وقد ساعد هذا المناخ المعتدل الذي تمتعت به منطقة شرق الأندلس لاسيما بلنسية على ازدهار الزراعة ووفرة المحاصيل الزراعية بذلك القطر.

5-1-4- توافر الأيدي العاملة:

يُعد توافر الأيدي العاملة من أهم مقومات الزراعة، وهي التي تقوم بالحرث والغرس والري والتسميد والحصاد وجميع الأعمال المرتبطة بالفلاحة.

وجدير بالذكر أن قيام الفتنة في قرطبة، كان عاملاً في هجرة أعداد كبيرة من مزارعي

---

(1) مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**، تحقيق لويس ولينا،مدريد،1983م،ص 74.

(2) ياقوت: **معجم البلدان**،ج1 ص 582؛ Elias Teres: **Textos poéticos arabes sobre Valencia- Andalus** ,Madrid ,1965 ,V.30,p.301.

(3) ياقوت: **معجم البلدان**،ج1 ص 582.

(4) المقري: **نفح الطيب** ،ج1 ص 137؛ مؤنس: **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين** ، ص 104؛ جودة ، حسين : **جغرافية أوروبا الإقليمية**، ص 537.

(5) José Ibanez Martin:**Geografia de España**, p.71.

(6) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2 ص 297-298.

الأندلس إلى أراضٍ حيث يسود الاستقرار وأدت الكثرة العددية في ممكلة بلنسية إلى التفوق في مجال الزراعة[1].

5-1-5- وجود الأدوات الزراعية:

حين يكون الحديث عن العوامل الإيجابية للزراعة، ينبغي ذكر الأدوات الزراعية التي في أيدي الفلاحين ودورها الرئيسيّ في تقدم الإنتاج الزراعي. فقد استعمل المزارعون آلة تسمى السكة لفلاحة الأرض[2]، كما استخدموا المنجل في حصاد زروعهم[3].

غير أن هناك عوامل سلبية عملت على تعطيل قوى الإنتاج وشل الحركة الاقتصادية عموماً بما فيها الزراعة ونذكر منها:

5-1-6 جباية الضرائب:

لجأ الملوك إلى فرض الضرائب على الرعية، في سبيل أن يعيشوا حياة رغدة وآمنة، فهذا مبارك ومظفر العامريان حاكما بلنسية قد عاشا في النعيم، وذلك على حساب الرعية؛ ففي ذلك يقول ابن عذاري بأنهما: كانا "يستزيدان عليها (الرعية) في الوظائف الثقال... حتى غدا كثير منهم يلبسون الجلود والحصر ويأكلون البقول والحشيش وفرّ أكثرهم عن قرارهم"[4]. وبلغت جباية جباية المملكة في عهدهما مائة وعشرين ألف دينار في الشهر، سبعون منها من بلنسية وخمسون من شاطبة، وكانا يعملان على تحصيل الضرائب دون رحمة، الأمر الذي أرهق الناس. إضافة إلى ذلك فقد ذكر ابن الكردبوس بأن هناك نوعاً آخر من الجباية كان يفرض على الرعية، ومنها الجزية يؤدونها كل عام[5].

هذا وقد استمر البلنسيون بدفع الجزية، حتى في عهد السيد القنبيطور؛ فإذا بالأخير قد فرض جزى على المملكة، فكان يأخذ من القادر يحيى بن ذي النون مائة وعشرين ألف دينار في السنة، ومن ألبونت عشرة آلاف دينار، وعلى كل من مربيطر وأشكرب ستة آلاف دينار، ومن المنارة ثلاثة آلاف دينار في السنة[6].

وأحياناً أخرى فقد كان البلنسيون يدفعون عشر محصولهم مقابل ترك المزارع والممتلكات دون إلحاق التلف بها، كما فعل أصحاب ربض الكدية عام 486 هـ/1093م، وقد جمعها "ابن

---

(1) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص 8؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص 158-160.
(2) الزبيدي: **لحن العامة**، تحقيق عبد العزيز مطر ، دار المعارف ، القاهرة ، 1981م، ص123.
(3) ابن بصال: **كتاب الفلاحة**، نشر خوسيه ماريه مياسي بيكروسا ومحمد عزيمان، تطوان، معهد مولاي الحسن، 1955م، ص 97.
(4) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص 162.
(5) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص 103.
(6) أرسلان: مرجع سابق، ج3 ص 56.

عُديس" للسيد القنبيطور [1] ، إضافة إلى المغارم التي فرضت على الأهالي، حتى الحجاج لم ينجُ من دفع المغارم في موسم الحج، إلى أن أبطل ذلك يوسف بن تاشفين بعد دخوله الأندلس وقضائه على ملوك الطوائف[2].

وقد كان الموظفون الذين أوكلوا بجمع الضرائب ومراقبة الناس، لا يعرفون الرحمة، ولا الشفقة على الناس، همهم أن يزدادوا ثروة، فابن عبدون يصف أعوان صاحب المدينة بأنهم شر الناس، ولا يجب أن يصدق كلامهم إلا إذا شهد على ذلك الجيران وفي ذلك يقول: "لأن الشر أحب إليهم من الخير، فمنه يأكلون ويلبسون السحت، ومنه يعيشون، وليس للخير إليهم طريق، يجب ألا يخرج منهم في رسالة في المدينة أكثر من واحد لئلا يكثر الجعل والهرج والأذى"[3].

5-1-7- الحروب والكوارث:

وكان للحروب التي انتابت مملكة بلنسية بين الحين والآخر والحصار الذي كان يفرض عليها من وقت لآخر، الأثر الكبير في تدهور الحالة الزراعية والثروة الحيوانية؛ فبلنسية تعرضت لحصارين من قبل السيد القنبيطور، الحصار الأول عام 485هـ/ 1092م، وفي هذا الحصار أتلفت المزارع وخربت الأبراج في نواحيها وهلك عدد من أهلها ، وقعوا في قبضة عسكره[4].

أما الحصار الثاني فكان عام487هـ/ أواخر1094 م ، حيث ضرب القنبيطور حصاراً شديداً على بلنسية، وبالغت عساكره في تشديد الضغط عليها، وقطع الموارد عنها حتى ضاق الأهالي بسبب هذا الحصار الثاني، وفي ذلك يقول ابن علقمه:" أيقن من فيها بالهلكة، وغلب على الناس اليأس جوعاً، وأكلت الجلود والدواب وغير ذلك"[5].

وفي هذا الحصار عانى البلنسيون الجوع والحرمان واشتدت موجة الغلاء والقحط التي عمَّت المدينة كلها نتيجة للحصار[6] ؛ فارتفعت أسعار الأطعمة ارتفاعاً فاحشاً بحيث اضطر الناس الناس إلى أكل المحرمات. وفي ذلك يقول ابن بسام:" وبلغ من الجهد بأهلها أن أحلوا محرم الحيوان"[7]. في حين يذكر ابن الكردبوس أن الأحوال ساءت في المدينة إلى حد أن سعر الفأر ارتفع إلى دينار"[8].

---

(1) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص 39.
(2) ابن خلدون : مصدر سابق، ج1 ص346.
(3) ابن عبدون: مصدر سابق، ص 16.
(4) ابن عذاري: مصدر سابق،ج4 ص 32.
(5) المصدر السابق، ج4 ص 33.
(6) المصدر السابق، ج4 ص 38.
(7) ابن بسام: مصدر سابق،م3 ص 60.
(8) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص 103.

ومع ذلك وإن كانوا قد تعرضوا أثناء الحصار القشتالي الذي فرضه القنبيطور على بلنسية وجور الجباة قباض الضرائب لضغوط كثيرة حملت بعضهم على التماس لقمة العيش في مناطق أخرى من شرق الأندلس [1]؛ فإن فترة المحنة كانت قصيرة ولم تؤثر كثيراً في الأوضاع الاقتصادية في مملكة بلنسية.

5-2- المحاصيل الزراعية:

كان لخصب أراضي مملكة بلنسية واعتدال مناخها وتوافر مياهها أثره الكبير في وفرة إنتاجها الزراعي وتنوعه.

5-2-1- الإنتاج الزراعي في مملكة بلنسية:

ساعدت وفرة المياه في بلنسية في زراعة الأرز، وكان يحمل إلى جميع بلاد الأندلس[2].وجدير الأندلس[2].وجدير بالذكر أن بلنسية ما تزال حتى اليوم تشتهر بزراعة الأرز. وكذلك الزعفران الذي يضاف إلى طبق الأرز المعروف بالبائيّا (Paella) ويُقال: إنه طبق عربي الأصل اشتق اسمه من كلمة بقية، لأنه يتشكل من بقايا أطعمة متعددة[3] ، غير أن الباحث أويثي ميراندا يذكر أن هذا الطبق ليس عربي الأصل[4] .

ومن المحاصيل الزراعية أيضاً الكتان، وقد أدى توافر محصوله إلى شهرة بلنسية بالنسيج الكتاني[5]، ووجود معاصر للزيوت بها[6] .

وتشتهر بلنسية بنبات القرمز [7]، وهذا الأخير كان يستخدم في صبغ الصوف باللون الأحمر[8].

أما الفواكه فهي متعددة ومنها القراسيا [9]، والكروم[10] ، والبرتقال، الذي يعد اليوم من أهم مقومات ثروتها الزراعية وإن كان لا يُذكر في المصادر العربية. وجدير بالذكر أن العرب هم الذين أدخلوا زراعته إلى إسبانيا [11] . كذلك زُرِع في بلنسية الكمثري، وما تزال بلنسية حتى

---

(1) أشير سابقاً إلى أن الزراع في بلنسية قد تعرضوا للظلم في عهد مبارك ومظفر. راجع ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص 8،10؛ ابن عذاري: مصدر سابق،ج3 ص 162.

(2) العذري: مصدر سابق،ص 17.

(3) مؤنس: **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين**، م 11-12، ص 212.

(4) ميراندا : **بلنسية الإسلامية**، ص11.

(5) ابن غالب: مصدر سابق، ص 285.

(6) Oliver Asin (Jaime):**Las dos Almuzaras -al-Andalus**,Fas1 ,Madrid,1962,p.182.

(7) البكري: **جغرافية الأندلس وأوروبا**، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ط1،بيروت،1968م،ص 127.

(8) متز: مرجع سابق، ص 265.

(9) ياقوت: **معجم البلدان**،ج1 ص 581.

(10) ابن غالب: مصدر سابق،ص 285.

(11) ميراندا: **بلنسية الإسلامية**،ص 11.

اليوم تشتهر بزراعته وتسمى بالإسبانية(Perás de San júan)، وكانت تسمى الأرزة وتجمع بين حلاوة الطعم وذكاء الرائحة[1].

ومن المزروعات الأخرى القنب والذرة، والمشمش، والرمان، والخروب والكرنب[2].

وقد اشتهرت بلنسية أيضاً بأنواع مختلفة من الرياحين والزهور مثل الياسمين[3]، والنرجس، والنرجس، والآس وغيرها. وقد أشير سابقاً إلى أن بلنسية قد أطلق عليها : اسم"مُطيّب الأندلس" [4] الأندلس"[4] ، وليس هذا الأمر بالغريب نظراً لاشتهارها بتلك الأنواع من الرياحين والزهور[5].

ومن الزراعات أيضاً النخيل، وهذا الأخير، لم يكن الأندلس موطناً أصلياً لزراعته. ويبدو أن زراعته في ذلك القطر قد ارتبط بمجيء عبد الرحمن بن معاوية، الذي أبدى اهتماماً واضحاً بجلب شتى أنواع الغروس والبذور من بلاد المشرق إلى الأندلس. فابن الأبار [6] يروي أن الأمير الأمير عبد الرحمن الداخل كان أول من اتخذ أصل النخيل بالأندلس ومن هذه النخلة توالدت كل نخلة في الأندلس، بينما يروي بعض الباحثين أن شجر النخيل قد أدخله الفينيقيون إلى إسبانيا أول الأمر [7].

هذا وقد أشار ابن الفقيه الهمذاني إلى أن النخل كان قليلاً وقد جسد هذه الحقيقة بقوله: "بالأندلس نخل قليل"[8]. ومع مرور الزمن انتشرت هذه الزراعة في بعض جهات الأندلس ومنها شقر [9].

ويبدو أن الظروف المناخية قد ساعدت كثيراً في نجاح زراعة النخيل في الأندلس ولا سيما في شرقه، لأنها منطقة حارة في أشهر الصيف وتربتها تحوي على نسبة كبيرة من الأملاح، كما تتوافر فيها المياه. وكل ذلك من الشروط الملائمة لزراعة النخيل.[10]

وجدير بالذكر أن بلنسية تشتهر اليوم بمنتزه يعرف بمنتزه النخيل ويقع هذا المنتزه ضمن

---

(1) المقري:**نفح الطيب**،ج1 ص 175؛ مؤنس: **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين**، ص 212.
(2) أرسلان: مرجع سابق،ج3 ص 214-215.
(3) ابن بصال: مصدر سابق،ص 14.
(4) مُطيّب الأندلس: المطيب عند الأندلسيين: حزمة يعملونها من أنواع الرياحين ويجعلون فيها النرجس والآس وغير ذلك من أنواع المشمومات؛ سمّوا بلنسية بهذا الاسم لكثرة أشجارها وطيب ريحها. راجع، المراكشي: **المعجب**، ص 370.
(5) المصدر السابق، ص 37؛ المقري: **نفح الطيب**، ج4 ص 194.
(6) ابن الأبار: **الحلة السيراء**،ج1 ص 37-39.
(7) حتي ، فيليب: **تاريخ العرب مطول** ، ط1، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، 1965م،ج2 ص 605، هامش رقم 2.
(8) ابن الفقيه الهمذاني : **مختصر كتاب البلدان** ، ليدن، مطبعة بريل ، 1203هـ، ص88.
(9) أرسلان: مرجع سابق، ج3 ص 229.
(10) ابن بصال: مصدر سابق، ص 59-60-61.

بلدية (Palmera) [1] ،إحدى مقاطعات ولاية بلنسية وهي منطقة خصبة تشتهر بزراعة الحبوب، الحبوب، والفواكه وغيرها.

5-2-2- محاصيل أعمال مملكة بلنسية الزراعية:

كان لمملكة بلنسية مدن وقرى يتصل بعضها ببعض، وقد اشتهرت هذه أيضاً بمنتوجات زراعية متنوعة.

ففي جزيرة شقر مثلاً، كانت زراعة الأرز[2] ،البرتقال والنخيل، وهي أنزه بلاد الله وأكثرها وأكثرها روضاً وشجراً[3].

أما القمح والشعير فقد تردد ذكرهما كثيراً في الروايات العربية التي تشير إلى ارتفاع أسعار الأطعمة أثناء فترة حصار السيد القنبيطور للمدينة[4]ويذكر ابن غالب أن القمح كان يزرع في شبرب[5] شبرب[5]، وهذه الأخيرة أيضاً اشتهرت بزراعة الكتان[6].

أما مربيطر فقد اشتهرت بزراعة الزيتون [7] ، ولم تقتصر زراعته على شرق الأندلس بل في معظم بقاع الأندلس[8].

وفي أندة، انتشرت زراعة التين [9]، والأخيرمتعدد الأنواع [10]، وقد أوصى ابن بصال بضرورة انتقاء الأرض الحرشة اليابسة لزراعته[11] .

أما في ألبونت، فكان أكثر غرسها الكروم[12].

أما دانية فهي كثيرة العنب ويخرج منها زبيب عظيم، وتكثر بها أيضاً زراعة التين واللوز[13].

ومن أعمال مملكة بلنسية نذكر شاطبة التي اشتهرت بثروتها الزراعية، فهي مدينة أزلية

---

(1) Enciclopedia universal Ilustrada,Madrid ,1991,T.41, p.417.
(2) أرسلان: مرجع سابق، ج3 ص 229.
(3) ياقوت: **معجم البلدان**،ج3 ص 401.
(4) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص 38.
(5) ابن غالب: مصدر سابق، ص 285.
(6) المصدر السابق، ص 285.
(7) الإدريسي: مصدر سابق، م2 ص 556؛ ابن غالب: مصدر سابق، ص 285؛ الحميري: مصدر سابق، ص 181.
(8) Joaquin Vallvé:**La Agricultura en Al-Andalus**,Al Quantara,Madrid,1982,V. 3, p.285.
(9) ياقوت: **معجم البلدان**، ج1 ص 314.
(10) ابن غالب: مصدر سابق، ص 66.
(11) ابن بصال: مصدر سابق،ج1 ص 434.
(12) ياقوت: **معجم البلدان**، ج1 ص 606.
(13) المصدر السابق،ج2 ص 434.

ذات بطاح زاكية وخيرات وفيرة" [1] ، وقد اتخذ على واديها النواعير، وكان لها بساتين جميلة وأراض فسيحة تزخر "بالزرع والضرع والثمار" [2] ، ويستنتج مما أورده العذري أن شاطبة زخرت بالحقول التي قام أصحابها بتربية الحيوانات اللازمة للأعمال الزراعية كالأبقار والثيران والأغنام والدواجن؛ فالعذري أورد كلمة "الضرع" (3)، وهذا يعني وفرة الثروة الحيوانية في المدينة.

6- الصناعة:

6-1- عوامل ازدهار الصناعة:

اشتهرت بلنسية إلى جانب انتاجها الزراعي الوفير، بصناعاتها المتنوعة التي ذاعت شهرتها في العالم أجمع حتى اليوم، كصناعة الخزف والنسيج، ويعود سبب قيام الصناعة في مملكة بلنسية إلى عدة عوامل نذكر منها:

6 1 1 - وفرة المواد الأولية:

توافرت في مملكة بلنسية المواد الخام اللازمة لقيام الصناعة، وأهمها معدن الحديد، الذي اشتهرت به أندة[4]، ومعدن التوتيا بقرية بطرنة[5]، وهي أزكى توتيا وأقواها في صبغ النحاس.

وتوافرت في المملكة أيضاً الأشجار التي كانت تقطع من غاباتها، واستخدمت في أعمال التجارة والأثاث وصناعة السفن، والتشييد، والبناء.

وتوافر أيضاً الكتان، الذي استخدم في صناعة الثياب واستخراج الزيوت [6]، وكذلك التراب الجيد لصناعة الخزف الذي اشتهرت به بطرنة وبلنسية نفسها.

6 1 2 - الأسواق:

ولتصريف الإنتاج لا بد من وجود أسواق لها، والأخيرة تُعد من أهم عوامل قيام الصناعة، كما أن الحرف والصناعات غالباً ما كانت تقام في أسواق المدينة. فبلنسية كانت عامرة بالأسواق وأشهرها القيسارية[7].

ووجدت الأسواق أيضاً في الأرباض وفي المدن كمدينة شقر [8]، وفي بعض القرى

---

(1) مجهول :**ذكر بلاد الأندلس**، ص 74.
(2) العذري: مصدر سابق، ص 18.
(3) المصدر السابق، ص 18.
(4) ابن غالب: مصدر سابق، ص 285؛ المقري: **نفح الطيب**، ج1 ص 178.
(5) المقري : **نفح الطيب**، ج1 ص 143.
(6) ابن غالب: مصدر سابق، ص 285؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص 38.
(7) العذري: مصدر سابق، ص 18.
(8) الحميري: مصدر سابق، ص 103.

والحصون المجاورة مثل حصن بكيران، الذي كان له سوق مشهور(1).

6 1 3 – الأيدي العاملة:

إن توافر الأيدي العاملة في بلنسية من أهم مقومات الصناعة، وقد ساعد التعايش القائم بين العناصر السكانية المختلفة، وامتزاج الثقافات، على ظهور مهارات برعت في مختلف ميادين الحياة الأدبية والعلمية والفنيّة والمادية.

وجدير بالذكر أن الفتنة التي قامت في قرطبة، كانت عاملاً رئيسياً في هجرة الحرفيين من أهل قرطبة إلى شرق الأندلس لا سيما بلنسية حيث يسود الاستقرار والهدوء، فكان لذلك أثره في ازدهار الصناعة بها(2) .

6 1 4 – سهولة المواصلات البرية والنهرية والبحرية:

بلنسية برية بحرية ، تتوسط سواحل شرق الأندلس، بها تكثر المراسي (3)، لذا امتازت بسهولة المواصلات، الأمر الذي يسّر اتصالها بمدن البحر المتوسط المختلفة، والجزر الشرقية، وبلاد المغرب الكبير، وسواحل البلاد الإفرنجية، كذلك ساعدت أنهارها على ربطها بمعظم المدن الداخلية التابعة لمملكتها وللممالك الأندلسية المجاورة لها.

6 1 5 – الأمين أو العريف:

ومما يدل على ازدهار الصناعة في بلنسية وجود منصب الأمين أو العريف؛ فبعد أن ازدهرت الصناعة، تكونت معها طوائف حرفية عرفت باسم الأصناف وأرباب الصناع، وصار لكل صنف وحرفة، رئيس منتخب من أصحابها عرف باسم الأمين أو العريف، وكان هذا الأمين مسؤولاً ومدافعاً عن طائفته وأهل حرفته أمام المحتسب؛ فكان يبلغه رأي طائفته حول تكاليف السلعة التي يصنعونها وتحديد ثمنها، كما كان يقوم بدور الخبير الفني في الخلافات التي تقع بين أهل حرفته وعملائهم حول سلعة من السلع، ورأيه كان مقبولاً لدى القاضي أو المحتسب. وقد انتقل هذا اللفظ "الأمين" إلى اللغة الإسبانية على شكل (Al-Amin)(4).

6 2 –أهم الصناعات:

اشتهرت بلنسية بصناعات متعددة مستندة، في ذلك إلى إنتاجها الزراعي كالنسيج الكتاني ، والصباغة بالزعفران والقرمز، وصناعة الورق، وعلى توافر المواد الأولية في أراضيها واللازمة

---

(1) الإدريسي: مصدر سابق، م2 ص 557.
(2) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص 8.
(3) الإدريسي: مصدر سابق، م2 ص 556؛ ياقوت: **معجم البلدان** ، ج 1 ص 581؛ الحميري: مصدر سابق، ص47.
(4) مؤنس: **فجر الأندلس** ، ص 463 .

لصناعة التحف الخشبية والخزفية والصناعات المعدنية المختلفة [1] ، ولا يتسع المجال لحصر الصناعات البلنسية فهي كثيرة ومتنوعة، لذا نكتفي بذكر أهمها:

6 2 1 – صناعة المنسوجات:

كانت المنسوجات تصنع في دور الطرز، أي في أماكن حياكتها التي كانت تؤسسها المملكة أو تشرف عليها ، لكي ينسج فيها ما تحتاج إليه من أقمشة ، وما يحتاج إليه الحاكم وأفراد حاشيته[2].

وطارت شهرة بلنسية في صباغة نوع معين من النسيج، انفردت به دون غيرها من حيث الجودة، عرف بالنسيج البلنسي، الذي كان يُصَدّر إلى أقطار المغرب [3]، كما اشتهرت بنسج الثياب الغالية من الكتان [4]، ويشير الإدريسي إلى أن حُصن بُكيران، من أعمال بلنسية اختص بصناعة ثياب بيض غالية الثمن، فالثوب منها يعمر سنين عديدة، وعرفت بأنها من أبدع الثياب عتاقة ورقة[5].

وعند الحديث عن المنسوجات، يمكن الإشارة إلى توافر مواد الصباغة في بلنسية؛ فكان لذلك أثره في ازدهار صباغة النسيج بها، فإذا بنبات القرمز يستخدم لصبغ النسيج باللون الأحمر، ونبات الزعفران يستخدم لصبغ النسيج باللون الأصفر[6].

6 2 2 – صناعة الورق:

أسهمت الأندلس بدور فعّال في صناعة الورق الجيد (الكاغد) منذ وقت مبكر سبقت به أوروبا قروناً عديدة. واشتهرت بصناعته كل من بلنسية وشاطبة، وقد حاز مصنع شاطبة شهرة واسعة في صناعة الورق الجيد، حتى امتدحه الإدريسي بقوله:" ويعمل بها الكاغد ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض ويعم المشارق والمغارب"[7].

وقد استخدم الورق في الصين عام 105م، وفي مكة عام 89هـ/ 707م، وفي مصر عام 184هـ/ 800م، وفي الأندلس عام 287هـ/ 900م.

هذا وقد عثر في مكتبة الأسكوريال على مخطوطة مكتوبة عام 400هـ/1009م ، على ورق

---

(1) سالم: **الفنون والصناعات بالأندلس**،دائرة معارف الشعب، العدد 64، 1959م، ص 178.
(2) ابن خلدون : مصدر سابق، ج1، ص329-330 .
(3) المقري: **نفح الطيب**، ج4 ص 195.
(4) ابن سعيد: **بسط الأرض في الطول والعرض المعروف بكتاب الجغرافيا**، ص 205.
(5) الإدريسي: مصدر سابق، م2 ص 557.
(6) ابن حوقل: مصدر سابق، ج1 ص 114، متز: مرجع سابق، ص 265؛
Levi Provençal: **La descriptione de L'Espagne, P.71.**
(7) الإدريسي: مصدر سابق، م2 ص 556.

مصنوع من القطن، وهي تدل على أن العرب كانوا قد أحلوا الورق مكان الرق[1].

وسارع الأوروبيون إلى اقتباس صناعة الورق من شاطبة، فنقلوا طرق صناعته إلى قطالونيا وغيرها[2] .

وقد أخذت قشتالة صناعة الورق عن الأندلسيين في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي، ومن ثم انتقلت إلى فرنسا وانكلترا وإيطاليا، وألمانيا، إلا أن الورق الأندلسي ظل يحتل الصدارة بمكانته الفنية، بل كان يفوق الورق الأوروبي رونقاً وبهاءً[3].

6-2-3 – صناعة الوراقة (النسخ، الخط، التجليد):

كان لصناعة الورق آثاره المهمّة على فن الكِتابِ والوراقة، والمقصود بالكتاب، التصنيف في مختلف العلوم وما يرتبط به من انتشار الأفكار وترويجها وارتفاع مستوى الثقافة وما يترتب على ذلك من نتائج. أما الوراقة فالمقصود بها ما يتصل بالخط الذي يكتب به على المصاحف والكتب، والزخارف التي تزين صفحاتها وكذلك جلودها[4].

وما يتصل بالنسخ والخط، فقد كان للأندلسيين خط متميز، ويشير المقدسي إلى أن خطوط أهل الأندلس مدورة[5]، فتفنن الأندلسيون في عصور الازدهار في الخط وتأنقوا بتجويده، يقول ابن ابن خلدون:" ولهذا نجد الدواوين المنتسخة لذلك العهد في أقطارهم على غاية من الإتقان والإحكام والصحة. ومنها لهذا العهد بأيدي الناس في العلم أصول عتيقة تشهد ببلوغ الغاية في ذلك. وأهل الآفاق يتناقلونها إلى الآن ويشدون عليها بيد الضنانة"[6].

أما التجليد، فكان من شأنه أن يحفظ الكتاب ويصونه من التلف لمدة أكبر، ويضفي عليه جمالاً وسهولة في الاستعمال والنقل. لذلك نال تجليد الكتاب عناية خاصة من الأندلسيين.

وقد أشارت كتب التراجم إلى اشتغال بعض سكان بلنسية بالوراقة وفنونها من تأليف، وتصنيف، وخط، وتذهيب، ومن أمثلة هؤلاء، خلف بن عمر البلنسي،460هـ /1067م، أصله من جزيرة شقر، كان حسن الخط، محترف الوراقة، حتى دفع كثير من الناس الأثمان الباهظة فيما يكتب وينسخ من الكتب،

---

(1) لوبون، غوستاف: **حضارة العرب**، ترجمة عادل زعيتر، طبع بمطبعة عيسى الباني الحلبي وشركاءه، بيروت، ت. د ص 482.

(2) بريفالت، روبرت: **أثر الثقافة الإسلامية في تكوين الإنسانية**، ترجمة أبو النصر الحسيني، دار الكتب الحديثة، شارع الجمهورية، عابدين، ص 173.

(3) البشري، سعد عبد الله: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، ط1،مركز فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، 1414هـ/1993م، ص 198.

(4) مرزوق، محمد عبد العزيز: **الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس**، بيروت، د.ت، ص213.

(5) المقدسي: مصدر سابق، ص 239.

(6) ابن خلدون: مصدر سابق، ج1ص 553.

لنفاستها وجمال خطوطها وصحتها[1].

ومن الوراقين، عبد الله بن الفضيل بن عمر بن فتح اللخمي، يُعرف بالبُونتي نسبة إلى ألبونت (من أعمال بلنسية)، قضى شطراً من حياته في بلنسية وكان ماهراً في الخط، بديع الوراقة[2].

ويبدو أن باب الوراق[3]، أحد أبواب بلنسية، يؤكد شيوع فن الوراقة في بلنسية.

6 - 2 - 4 - صناعة الأواني الفخارية والخزفية:

الفخار هو ما يُصنع من الطين، أم الخزف فهو ما يُصنع من الطين أيضاً مكسواً بطبقة زجاجية[4] .

6 - 2 - 4 - 1 - صناعة الفخار:

ازدهرت هذه الصناعة في مملكة بلنسية،خاصة في بطرنة التي اشتهرت بصناعة الأواني الفخارية، وفخار بطرنة يعرف في الإسبانية بـ(Al Fareras de Paterna)[5]،وقد أظهرت الحفائر الأثرية التي أجريت في بلنسية عن وجود كميات كبيرة من قطع الفخار العربي، فقد عثر عام 1357هـ/1938م، في ساحة الموويانا (La plaza de Almoyana)، وتقع على مقربة من أحد أبواب الكاتدرائية (المسجد الجامع) على بعض قطع من الفخار على عمق مترين من سطح الأرض، وقنديل وأوان فخارية كتب عليها كلمات عربية[6] .

ومن القطع التي عُثر عليها أيضاً في ساحة الموويانا قطع فخارية تتميز بقاعها الأبيض وزخارفها ذات اللون الأخضر، إضافة إلى قطع من القصعات مصنوعة في بلنسية، يعود تاريخ صناعتها إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[7].

هذا وقد عُثر على قطع فخارية من جرة، نقش عليها كتابات عربية، بالخط الكوفي بين زخارف نباتية.

والجدير قوله: إن عجينة معظم القطع الفخارية التي عُثر عليها كانت من الطين الأبيض،

---

(1) ابن الأبار: **التكملة**، ج1 ص 243، ترجمة رقم 831.
(2) المصدر السابق، ج2، ص246، ترجمة رقم 701.
(3) العذري: مصدر سابق، ص 18.
(4) مرزوق: مرجع سابق، ص 100.
(5) يوجد في أرشيف الفن الإسلامي (Archivo de Arte Valenciano) نماذج متعددة من فخار بطرنة، راجع: Felipe Mateu:**Hallazgos Ceramicos en Valencia Musulmana**, al-AndalusFas, I, Madrid, 1951,V. 16, p.165.
(6) Felipe Mateu: **Hallazgos Ceramicos en Valencia**, p.165.
(7) Felipe Mateu: **Hallazgos Ceramicos en Valencia**, p.166.

وتزين بزخارف خطية سوداء بدون تزجيج (غير مغطاة بطبقة زجاجية)، ومن مميزاتها أيضاً أنها قطع خشنة غير مصقولة. وقد عُثر حديثاً في بلنسية على جرة كاملة وجزء من إبريق له شكل مميز[1].

6 2 4 2 – صناعة الخزف:

إلى جانب صناعة الفخار، ازدهرت صناعة الخزف في الأندلس لا سيما في بلنسية، وقد ذاعت شهرة خزف بلنسية في العصر الوسيط، وبعد سقوطها في أيدي الأرغوانيين. واستناداً إلى المصادر التاريخية والحفائر الأثرية، فقد ازدهرت هذه الصناعة ازدهاراً عظيماً في العصر الوسيط؛ فالباحث الفرنسي ميجون (Migeon) وفي كتابه (Manuel d'art Musulmane) أشار إلى أنه ورد في سجلات أحد ملوك فرنسا أن قصره كان يزدان بعدد من التحف الخزفية من صناعة بلنسية. وفي ذلك إشارة إلى ما كان يتمتع به خزف ذلك القطر من مكانة سامية. ومن جهة أخرى يذكر أحد الباحثين الإسبان أن خايمي الأول ملك أراغون أصدر قانوناً عام 646هـ/1248م، القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي، بعد استيلائه على بلنسية يمنع فيه صناع الخزف من العرب في شاطبة، حق الاستمرار في مزاولة أعمالهم، الأمر الذي يدل على أهمية تلك الصناعة. مما دفع بهذا الملك إلى رعايتها، وفي ذلك أيضاً إشارة إلى أن تلك الصناعة ازدهرت في بلنسية في ظل الحكم العربي في فترة هذا البحث[2].

هذا وقد طارت شهرة بلنسية بإنتاج القراميد الخزفية (الزليج) (ما برح الإسبان يسمونه في لغتهم Azulejos) وكان الزليج يستخدم في تزيين جدران الحمامات والقصور، وقد اختصت بلنسية بهذا النوع من القراميد الخزفية المعروف بالزليج، ففرنسا مثلاً كانت تستعين بخزافين من بلنسية للعمل في بلادها. ويكفي للدلالة على ذلك، أن في مدينة بواتية بناءً أثرياً مزخرفاً بقراميد خزفية من صنع خزاف بلنسي يدعى جيهان البلنسي (Jehan de Valence)[3].

ويفتخر متحف برشلونة اليوم بحيازته روائع من التحف الخزفية، إضافة إلى ذلك فقد اشتهرت (Manises)[4] بإنتاج الغضار المذهب، في ظل الحكم العربي حتى ما بعد خروج العرب من بلنسية[5].

---

(1) Felipe Mateu: **Hallazgos Ceramicos en Valencia**, p.166.
(2) مرزوق: مرجع سابق، ص 107-108.
(3) المرجع السابق ، ص 95-96.
(4) مانيسيس (Manises): قرية إلى الغرب من بلنسية، وفي هذه القرية اليوم نحو عشرين معملاً للزليج، والتراب اللازم لهذه الصناعة، يؤخذ من المناطق المجاورة لها. راجع: أرسلان: مرجع سابق، ج3، ص 216.
(5) مرزوق: مرجع سابق، ص 108؛ ويماند: **الفنون الإسلامية**، ترجمة أحمد عيسى،ط 2،القاهرة،1958م، ص 227.

أما متحف اللوفر بفرنسا، فيحتفظ بصحن مصنوع في بطرنة يزدان برسم سيدتين واقفتين بينهما شجرة يحرسها ثعبانان قد امتد جسم كل منهما على طول الشجرة[1]

وثَمَّة صلة بين زخارف بلنسية (خاصة خزف بطرنة) والخزف الأندلسي في عصر الخلافة الأموية بقرطبة، وهذا ما أكدته الحفائر الأثرية في مدينة الزهراء [2] وألمرية؛ فالزخارف الهندسية والحيوانية، والنباتية تشير إلى هذه الصلة، حتى ليخيل للإنسان أن خزف بلنسية ما هو إلا استمرار للخزف السابق[3].

6 2 5 – صناعة التحف المعدنية:

لقد عُثر على بعض التحف المعدنية في مواضع متعددة من مملكة بلنسية، منها تمثال أسد برونزي عُثر عليه في مدينة مونتون دي كامبوس(Montón de Campos) من إقليم بلنسية يمثل فوارة، محفوظ بمتحف اللوفر بفرنسا، وذيل هذا الأسد على شكل ساق نباتية تنتهي بورقتين إحداهما ملتفة إلى أسفل والأخرى إلى أعلى، وجسم الأسد مغطى كله بالتوريقات. وهذا النوع من الفن العربي هوالفن التجريدي، والهدف منه تحوير الصور والتماثيل وتجريدها من معاني الحياة[4].

ويحتفظ متحف بلنسية(Museo de Valencia)، بكرة سماوية من النحاس قاعدتها تحمل نقشاً كوفياً كتب عليه "صنع هذه الكرة ذات الكرسي لذي الوزارتين القائد الأعلى أبو عيسى بن لبون أدام الله عزه وتأييده عبده إبراهيم بن سعيد السهلي الوزان في بلنسية مع ابنه محمد فوضع الكواكب الثابتة فيها على حسب أعظامها وأقطارها". ويؤخذ من هذا النقش أن الأبناء كانوا يعملون غالباً في المهنة نفسها التي يعمل بها الآباء فهنا نجد أن محمداً، قد أسهم مع والده إبراهيم ابن السهلي في عمل هذه الكرة السماوية التي تعود إلى عام 473هـ/1080م.

وفي المتحف (متحف بلنسية) اسطرلاب من صناعة إبراهيم بن السهلي أيضاً، صنعه في بلنسية في أواخر عام 478هـ/1085م، وهذه النقوش الكتابية تؤكد أن بلنسية اشتهرت بصناعة هذه الآلات الفلكية[5].

---

(1) مرزوق: مرجع سابق، ص 111.

(2) الزهراء: مدينة بالأندلس، من إنشاء أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب بالناصر، 300-350هـ/912-961م، وكان بناؤها عام 325هـ/936م، بينها وبين قرطبة ثلاثة أميال، وقد أنفق في سبيل بنائها أموالاً كثيرة، فأحكم صنعتها وأتقن بناءها. المقري: **نفح الطيب**، ج2 ص 64-65-66.

(3) مرزوق: مرجع سابق ، ص 109-110؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح: **المدينة الإسلامية**، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963م، ص 189.

(4) سالم: **الفنون والصناعات في الأندلس**، ص 186.

(5) مرزوق: مرجع سابق، ص 174-175.

6 2 6 – صناعة السفن:

اهتم أمراء بني أمية وخلفاؤهم بشؤون البحرية وإنشاء دور لصناعة السفن تمهيداً لاصطناع سياسة بحرية تستهدف حماية الأندلس من الأخطار الخارجية وتنشيط حركة الجهاد البحري، خاصة بعد الغارات التي تعرضت لها الأندلس في عصري الإمارة والخلافة، وغزو سواحل الفرنجية، وخير دليل على ذلك قيام عبد الرحمن الأوسط بحشد أساطيله على طول الساحل الشرقي للأندلس لا سيما في طرطوشة وبلنسية، وشن غارات منتظمة ضد الكارولنجيين. [1].. وبعد غزو النورمان أو المجوس [2] للشواطئ الأندلسية عام 245هـ/859م، أي في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط – الغزوة الثانية[3] – أنشئت دور أخرى للصناعة في لقنت وبلنسية ودانية[4] في عهد عبد الرحمن الناصر 300–350هـ/912–936م.

وقد ساعد توافر المواد الأولية لصناعة السفن في شرقي الأندلس ومنها الأخشاب كأخشاب الصنوبر والحديد والقطران على قيام تلك الصناعة، فاستغلت تلك الأخشاب التي امتازت بمتانتها وجودتها وبمناعتها ضد التسوس في صناعة السفن، واشتهر حصن قلصة [5]، قرب قونكة بأشجار الصنوبر الكثيرة التي كانت تقطع وتلقى، في الماء، وتحمل إلى بلنسية ودانية في البحر ففي دانية، كانت تنشأ السفن الكبيرة والمراكب الصغيرة إضافة إلى السفن الحربية؛ فالسفن ترد إليها، وتصدر عنها، ومنها كان يخرج الأسطول للغزو، أما الألواح الخشبية العريضة فتحمل إلى بلنسية

---

(1) لويس، أرشيبالد: **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط،** ترجمة أحمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960م، ص 229.

(2) النورمان أو المجوس، عرف هؤلاء في العصور الوسطى باسم Vikingos، بمعنى لصوص البحر، أصلهم من البلاد الإسكندينافية. وفي أواخر القرن الثامن، استطاع هؤلاء أن يتمركزوا على شواطئ جزيرة إيرلندة، وشبه جزيرة بريطانيا "بلاد الأنقليش". وذكرهم ابن الخطيب في كتابه، أعمال الأعلام، وقد سماهم "المجوس هم الذين يسمونهم اليوم نصارى قشتالة بأنقليش وأهل المشرق بالفرنج وبالإنكليز". ابن الخطيب: **أعمال الأعلام،** ص 20، وحول توسع هؤلاء القراصنة: Philpe Gosse: Los Piratas del Norte, Mexico ,1928, PP. 107- 111

(3) الغزوة الأولى: هاجم هؤلاء القراصنة لشبونة عام 229هـ/844م، واحتلوا إشبيلية، وأنزلوا الخراب والدمار والقتل بالمدينة، ودارت بين هؤلاء القراصنة وبين جند الأمير عبد الرحمن الأوسط، أمير قرطبة آنذاك موقعة في 25صفر 230هـ/11 تشرين الثاني844م، وانتهت بذلك أولى غزواتهم الإشبيلية التي دامت 42 يوماً. حول هذا الموضوع راجع: بدر، أحمد: **دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها،** ط2، مكتبة أطلس، دمشق 1969م، ج1 ص 150.

(4) مؤنس : **غارات النورمانيين على الأندلس** ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثاني ، العدد الأول ، 1949م، ص42.

(5) حصن قلصة: حصن منيع وبه يقطع الخشب ويلقي في الماء ويحمل إلى دانية وإلى بلنسية في البحر؛ وذلك أنها تسير في النهر من قلصة إلى جزيرة شقر، ومن جزيرة شقر إلى حصن قليبرة وتتفرع هناك على البحر فتملأ منها المراكب وتحمل إلى دانية فُتَنشأُ منها السفن الكبيرة والمراكب الصغيرة ويحمل إلى بلنسية منه ما كان عريضاً فيصرف في الأبنية والديار. الإدريسي: مصدر سابق،م2 ص 560.

لبناء الديار[1].

6-2-7 – صناعة العطور:

اشتهرت مملكة بلنسية بكثرة بساتينها ورياضها ، وتعددت فيها أنواع الورود، والرياحين والأزهار، كالآس، والنرجس، والياسمين ونبات الزعفران؛ فكان لذلك أعظم الأثر في قيام صناعة ترتبط بالكيمياء، وهي صناعة العطور التي كان يشتغل بها الصيادلة وتباع في أسواق العطارة[2]، أما أماكن صناعتها فهي أقرب ما يكون إلى المعامل في يومنا هذا، وكانت تقام داخل الدور ويغلب عليها الطابع الأسري[3].

6-2-8 – الصياغة:

على الرغم من وجود الذهب والفضة في مناطق متفرقة من أنحاء الأندلس، إلا أن المصادر لا تمد الباحث بمعلومات وافية حول صياغة الحلي أو غيرها من الصناعات المشتقة من الذهب والفضة ، وإن هذه الندرة في المعلومات حول هذا الجانب لتوحي، أن صياغة الحلي لم تكن متطورة كثيراً في الأندلس. ويبدو أن قصة عقد الشّبا الذي اشتراه الأمير عبد الرحمن بن الحكم لإحدى محظياته يعزز هذا الكلام؛ فهذا العقد كان لزبيدة زوجة هارون الرشيد؛ قدم به التجار من المشرق إلى الأندلس ، بعد أحداث الفتنة التي وقعت في بغداد بين الأمين والمأمون بسبب النزاع على ولاية العهد بين الطرفين، فاشتراه منه الأمير عبد الرحمن بن الحكم[4].

جدير بالذكر أن هذا النزاع قد مرّ بمرحلتين، مرحلة المفاوضات السلمية التي انتهت عام 195هـ/810م، واتخذت شكل السفارات والمراسلات المتبادلة بين الأخوين حول قضية ولاية العهد، وقد انتهت تلك المفاوضات بتوتير العلاقة بين الأخوين، الأمر الذي أدى إلى صدام مسلّح، انتهى بانتصار المأمون، الذي بويع له بالخلافة وذلك بعد مقتل الأمين عام 198هـ/813م[5].

وظل هذا العقد في خزائن ملوك بني أمية بقرطبة حتى سقوط الخلافة. ثم انتقل مع ما نهب من تلك الخزائن إلى بني ذي النون ملوك طليطلة. وكان فيما حمله القادر يحيى بن ذي النون آخر ملوك بني ذي النون من ذخائره إلى بلنسية، فصادره قاضي المدينة ابن جحاف. ولما

---

(1) الإدريسي: مصدر سابق،م2 ص 560.

(2) Chalmeta (Pedro): **El Señor del Zoco en España,instituto Hispano-Arabe de cultura**, Madrid, 1973, p.193

(3) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**,T.1, p.67.

(4) ابن عذاري: مصدر سابق، ج2 ص136.

(5) الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر 1960م، ج8، ص 374 وما بعدها، وحول مراحل النزاع بين الطرفين، راجع طقوش، محمد سهيل: **تاريخ الدولة العباسية**، ط3، دار النفائس، دمشق، 2001م، ص 113 وما بعدها.

استولى السيد القنبيطور على بلنسية عام 487 هـ/ 1904م ، ظفر بهذا العقد فأهداه لزوجه "شمانة" (Jimena) ، وانتهى بعد ذلك إلى إيزابيل ملكة قشتالة وزوج فردلند الذي انتزع غرناطة من أيدي العرب عام 897 هـ/ 1491م، ولم يعرف مصير ذلك العقد [1].

وتبيّن بعض المصادر شيئاً من أصناف الحلى بالأندلس، فمنها صنف يُقال له: يارق أو يارقان، وتسميه العامة في الأندلس، أراق وهو يتخذ في المعاصم [2]، ومنها صنف يُقال له الوشاح: وهما نظمان من اللؤلؤ يخالف بينهما، ويعطف أحدهما على الآخر وتتوشح به المرأة [3]. إلى جانب صناعة الحلى هناك صناعات مشتقة من الذهب كالأواني الذهبية والفضية، وكان مما استنه زرياب لأهل الأندلس أنه حملهم على تفضيل آنية الزجاج على آنية الذهب والفضة[4].

6 2 9 – صناعة الأدوية :

عرفت بلنسية صناعة الأدوية، ومما يدل على ذلك توافر بعض المواد في المملكة التي تدخل في صناعة وتركيب الأدوية، ففي ناحية حصن ألبونت، شمال غربي بلنسية، يوجد حجر اليهودي وهو علاج نافع لحصاة الكلى[5].

زد على ذلك وفرة الأزهار والرياحين والورود، وكان يصنع من هذه ماء الورد، وهو علاج نافع لبعض أمراض العين؛ فابن وافد كان يداوي بعض أمراض العين بواسطة ماء الورد، مع مراعاة المقادير في تركيبها، فهو يقول مثلاً: "صفه لمن يجد وجعاً في عينيه وصدغيه، يفصد الشريانات ثم يكمد موضع الوجع بشيء من ماء الورد"، وفي مكان آخر يقول: "ثم يقطر في العين ماء ورد بارد إن شاء الله"[6].

أما وفرة الزيتون، فكان زهره يضاف إلى زهر الشبث [7] والسمن، وهذا الخليط كان علاجاً لتفتيت حصاة الكلى[8].

7 – التجارة الداخلية والخارجية:

عرّف ابن خلدون التجارة بأنها "محاولة الكسب بتنمية المال أي بشراء السلع بالرخص

---

(1) محمد بن أبي العلاء بن سماك العاملي: **الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة** ، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1984م، ص 97-98.
(2) الزبيدي: **لحن العامة،** ص 81.
(3) المصدر السابق، ص 165.
(4) المقري: **نفح الطيب،**ج4 ص 112.
(5) المصدر السابق ، ج1ص 142-143.
(6) ابن وافد: **"الوساد"** في الطب مخطوط بمكتبة الأسكوريال بمدريد تحت رقم 833، ورقة 15 أ.
(7) الشبث: نوع من النبات، **لسان العرب،** م2 ص 158.
(8) البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف،** ص 466.

وبيعها بالغلاء أياً كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش، وذلك القدر النامي يسمى ربحاً"[1].

شاركت التجارة الداخلية والخارجية في ازدهار الحياة الاقتصادية في المجتمع الأندلسي، وانعكس هذا الازدهار على فئة التجار الذين ازدحمت بهم المدن الأندلسية، فكان لهم مكانة اجتماعية راقية، وكان قرار عزل قاضي الجماعة أو تثبيته يتم عن طريقهم.

ولقد تمتع التجار بالثراء والحياة الرغدة فامتلكوا البيوت والضياع والخدم واهتموا بما يهتم به الملوك من اللهو والطرب فاقتنوا المغنين والمغنيات، وكان يشار إلى التاجر بما لديه من مغنيات؛ فالعذري يبين حال التجار في بلنسية فيقول: "وقد استعمل أكثر تجارها لأنفسهم أسباب الراحات والفُرَج وتكاد لا تجد فيها من يستطيع على شيء من دنياه إلا وقد اتخذ عند نفسه مغنية وأكثر من ذلك"[2].

كان لموقع بلنسية في منتصف الساحل الشرقي للأندلس، المطل على البحر المتوسط، أعظم الأثر في تألقها مركزاً تجارياً رئيسياً في شرق الأندلس، واشتغل أهلها بالتجارة في الداخل والخارج على السواء؛ فقد هيأ لها هذا الموقع المميز، الارتباط مع كور الأندلس الأخرى في يسر، كما هيأ لها وقوعها على النهر سبل الاتصال النهري مع المناطق البعيدة، وعلى ساحل البحر، الارتباط مع الثغور البحرية المغربية، والقطلانية [3]، بالإضافة إلى جزر البليار، هكذا نشطت الحركة التجارية في مملكة بلنسية بحيث أصبحت بلنسية نفسها سوقاً من أهم الأسواق التجارية العالمية وغدت ميناءً مهماً في عصر ملوك الطوائف، وأصبحت المملكة مركزاً لتجارة ساحل الأندلس، ومنفذ للزراعة المحلية الغنية.

7 – 1 التجارة الداخلية:

نشطت الحركة التجارية في بلنسية داخل الأسواق المحيطة بالجامع وفي القيسارية[4]، وكانت تلك القيسارية، تقع قريباً من المسجد الجامع أي في وسط المدينة. ويبدو أنه لم يقتصر الأمر على وجود الأسواق[5] قرب المسجد الجامع وفي القيسارية، بل كانت توجد بالإضافة إلى قيسارية بلنسية، أسواق أخرى كانت تقام بالقرب من أبواب بلنسية، منها سوق باب بيطالة، وسوق ربض الكدية، وأسواق أخرى كانت قائمة في الأرباض، بدليل أنه بعد أن استسلمت المدينة للسيد القنبيطور وفتحت أبوابها، كان

---

(1) ابن خلدون: مصدر سابق ، ج1 ص 494.
(2) العذري: مصدر سابق، ص 18.
(3) الثغور القطلانية، نسبة إلى قطلونيا، والأخيرة في قاعدة إمارة برشلونة، وتقع شمال شرق إسبانيا، وتضم حالياً أربع مقاطعات، Tarragone, Lerida, Barcelone, Gérone؛ عنان: **دول الطوائف**، ص 343-344؛ وأيضاً:.Dictionnaire Encyclopédique d'histoire, P.807
(4) العذري: مصدر سابق، ص 18. سترد ترجمة ضافية للقيسارية، عند الحديث عن القيسارية والأسواق.
(5) الحميري: مصدر سابق ،ص47.

الأغنياء يذهبون بأنفسهم لشراء احتياجاتهم من أسواق الأرباض.

كذلك اشتهرت أعمال بلنسية بأسواقها التجارية مثل شقورشاطبة[1] التي كانت تُعد محطة، يتجهز فيها التجار بالأمتعة إلى غانة[2] وغرب إفريقيا وجميع بلاد المغرب[3] ودانية التي كانت ميناء جزر البليار وواحدة من مراكز الاتصال مع المشرق[4].

وتزخر كُتب التراجم الأندلسية بأسماء عدد كبير من أصحاب ولاية السوق ، أو رجال الحسبة، والأخيرة عمل يلحق بالقضاء، وكان من واجب المحتسب مراقبة الأسواق ومنع الغش والتدليس والكشف عن صحة الموازين والمكاييل وغير ذلك [5]. وكان ممن تولى ولاية السوق أبو الحسين بن سابق الذي ترقى إلى ولاية السوق في بلنسية وأظهر نبوغاً في عمله[6]، وكذلك محمد محمد ابن سفيان الواعظ [7]. ومن الأهمية بمكان القول: إن كلمة المحتسب العربية ظلت متداولة في اللغة الإسبانية القديمة بعد حركة الاسترداد الإسبانية، فكانوا يطلقون عليهااسم(Almotacen)[8].

وفي المحتسب (صاحب الأحكام)، يقول المقري : "أما خطة الاحتساب فإنها عندهم موضوعة في أهل العلم والفطنة وكان صاحبها قاضياً، والعادة فيه أنه يمشي بالسوق بنفسه راكباً وأعوانه معه"[9].

أما الحسبة عند فقهاء المسلمين، فهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [10]. وكان على المحتسب أن يدعو الناس إلى قمع الظلم والجور والسعي إلى العدل، وكان عليه أن يأمر الناس بإقامة الصلاة بفروضها الخمسة وصلاة الجمعة [11]، إضافة إلى ذلك، فقد كان ينظر في مراعاة

---

(1)الحميري: مصدر سابق ،ص 103.

(2) مملكة غانة:كانت تحكم القسم الغربي من إفريقيا ،وقد أعادالمؤرخون تاريخ نشأتها إلى القرن الثالث الميلادي وأنها كانت تسمى بإمبراطورية بافور ثم أطلق عليها بعد ذلك اسم "غانا" وهو اسم لقب كان يحمله ملوكها. العبادي : في تاريخ المغرب و الأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ،الإسكندرية ،د.ت.ص 235.هذا وقد ذُكر أن مدينة غانة مؤلفة من قسمين ،قسم يسكنه الملك،والآخر يقيم فيه الرعية و التجار و السوقة. مجهول: **الاستبصارفي غرائب الأمصار**، نشر وتعليق سعد زغلول،عبد الحميد ،مطبعة الإسكندرية،1958م ،ص219-220.

(3) العذري: مصدر سابق ،ص18.

(4) زيادة ، نقولا: **الأعمال الكاملة** ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ،2002م ،ج21 ص 163.

(5) ابن عبدون: مصدر سابق ص 20 ؛ المقري : **نفح الطيب** ، ج1 ص 209 - 210 .

(6) ابن سعيد : **المغرب في حلى المغرب**، ج 2 ص 313 ، ترجمة رقم 558.

(7) هو محمد بن سفيان بن أبي إسحاق الواعظ في أهل بلنسية ،كان يعظ في مسجد الغلبة في بلنسية. ابن الأبار : **التكملة**،ج1ص337، ترجمة رقم 1195.

(8) Chalmeta:El Señor del Zoco, p.397.

(9) المقري :**نفح الطيب** ، ج1 ص 209-210 .

(10) الماوردي :**الأحكام السطانية و الولايات الدينية** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1978 م ، ص240 .

(11) ابن تيمية:**الحسبة في الإسلام** :دمشق،1967م، ص9-10-11 .

الأحكام الشرعية ويسهر على إقامة الحدود وتمتد سلطته إلى الإشراف على الأسواق[1].

هذا وقد اشتهر المحتسب بالشدة على الأسواق، وذكر بعضهم أنه كان يضرب الباعة ضرباً شديداً مبرحاً[2].

وكان من أبرز علماء الفقه والحديث في الأندلس في عصر ملوك الطوائف، وكان صاحباً للأحكام[3] في بلنسية هو القاضي جعفر بن جحاف، وهو الذي أسندت إليه خطة القضاء، ومن ثم تولى حكم بلنسية عقب مقتل القادر عام485هـ/1092م[4]. وظل في الحكم إلى أن أقدم القنبيطور على حرقة عام 488هـ/1905م.

وكان ممن تولى هذا المنصب أيضاً، الفقيه أبو حفص عمر بن محمد بن واجب وكان من أهل العلم، وتخصص في القراءات والحديث، وتوفي فيما يقرب 470هـ/1077م[5].

هذا وقد وجدت في بلنسية منشآت عمرانية أخرى ذات طابع اقتصادي تجاري، ألا وهي الفنادق، وكانت الأخيرة تقوم بتخزين البضاعة بل توزيعها على التجار، إضافة إلى إيواء التجار الغرباء[6]، كما وجدت مخازن للغلال وخاصة الحنطة. فهذا السيد القنبيطور كانت له مؤن وأطعمة يختزنها في بلنسية أثناء فترة حكم القادر يحيى بن ذي النون بها[7].

وجدير بالذكر أن أسواق بلنسية كانت عامرة وأسعار سلعها كانت رخصة ومتوفرة [8]، والسبب في هذا الرخاء يعود إلى توافر منتجاتها الزراعية منها والصناعية على السواء، وكانت أسواقها تعج بالحرفيين والتجار والباعة المتجولين أهمهم:الفاخرون، والنساجون، والعطارون، والكتانون، وباعة الحنطة، والقطن، والعسل، والزيت وغيرهم[9].

ويبدو أنه كان لدى البلنسيين تنظيم معروف في ترتيب الحرفيين والصناع، وهذا ما أشار إليه ابن بسام بقوله: "ولحق بهم (مبارك ومظفر) كل عريف، ورئيس كل صناعة معروف" [10]، وفي قول ابن بسام دليل على أنه كان في بلنسية طوائف حرفية عرفت باسم الأصناف، وأرباب

---

(1) السقطي: **آداب الحسبة** ، نشره ليفي بروفنسال، باريس ،1331هـ، ص2 ، 12 وما بعدها .
(2) المقري : **نفح الطيب** ، ج 1 ص 210 .
(3) موسى، إقبال: **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي**، ط1، الجزائر، 1971م، ص 34.
(4)الضبي :مصدر سابق ،ص 235، ترجمة رقم 616.
(5)ابن بشكوال: **مصدر سابق** ، ق 2 ص 403 ، ترجمة رقم 867.
(6) سالم: **التخطيط ومظاهر العمران**،ص 57 ؛ وراجع :
Dozy: **Supplement aux dictionnaires arabes,** Beyrout, 1968, T. 2, p.440.
(7) ابن عذاري: مصدر سابق،ج4 ص 31.
(8) الحميري: مصدر سابق، ص 47 .
(9) Chalmeta:**El Señor del Zoco**, pp.155-189.
(10) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص 8.

الصناع، وصار لكل صنف أو حرفة رئيس أو شيخ منتخب من أصحابها عرف باسم الأمين أو العريف. وكان هذا الأمين مسؤولاً ومدافعاً عن طائفته وأهل حرفته أمام ممثل المملكة في سوق المدينة وهو المحتسب، وقد أشير إليه سابقاً.

وبذلك يمكن القول: إن بلنسية قد تمتعت بازدهار تجاري كبير في عصر دويلات الطوائف، إذ توافر فيها الأمن والاستقرار، كما تجنبت الحروب، والفتن التي شملت جنوب الأندلس وقتذاك، وكان لهذا أثره في ازدياد ثروات التجار وتمتعهم بالترف[1].

غير أن هذا النشاط التجاري لم يستمر طويلاً إذ ما لبثت المدينة أن تعرضت لعدوان القنبيطور؛ فكان لذلك أثره في تدهور الحالة التجارية، لذا اختل ميزان الأمن "وصار أهل تلك الجهات في أضيق من العزق"[2].

وإذا كان الحديث عن موضوع التجارة الداخلية ينبغي التطرق إلى وسائل النقل وإلى الطرق التجارية؛ فقد استخدمت عدة وسائل لنقل السلع في الداخل إلى ثغور بلنسية منها: مجاري الأنهار، فبلنسية تتميز بشبكة مائية صالحة لانتقال السفن والمراكب والزوارق، وقد أشار الحميري إلى أن السفن كانت تدخل نهر بلنسية (3)، كما كانت الزوارق تصل بين ضفتي نهر شقر [4]. أما الإدريسي فأشار إلى أن المراكب كانت تنقل الأخشاب عبر مصب نهر شقر وتحمل على المراكب وتؤخذ إلى دانية حيث تستعمل لبناء المراكب [5]، وكذلك لبناء الأبنية والديار خاصة ما كان منه عريضاً.

ومن الطبيعي أيضاً أن يكون للدواب مثل البغال والحمير دورٌ رئيسيٌّ في نقل البضاعة بين بلنسية وأعمالها الداخلية. أما الجسور والقناطر المقامة على الوادي الأبيض (النهر الأبيض) فقد كان لها دور كبير في تسهيل عملية التجارة ما بين بلنسية وأرباضها الشمالية. كذلك ساعدت أبواب بلنسية على سهولة الاتصال ما بين بلنسية والمدن الأخرى المجاورة لها، فالأخيرة تضم عدة أبواب، منها: باب يؤدي إلى سرقسطة، وطرطوشة، وطليطلة، وباب يؤدي إلى شاطبة، ودانية، وشقر[6]، ومربيطر[7]. وقد أشار ابن حوقل إلى وجود طريق رئيسية للتجارة الداخلية،

---

(1)العذري: مصدر سابق، ص18.
(2)ابن عذاري: مصدر سابق،ج4 ص 34.
(3)الحميري: مصدر سابق،ص 47.
(4) المصدر السابق، ص 103.
(5) الإدريسي: مصدر سابق، م2 ص 560؛ أوليفيا ريمي كونستل: **التجارة والتجار في الأندلس** ، ترجمة فيصل عبدالله، الرياض، ط1، مكتبة العبيكان، 2002م،ص 294-295.
(6) العذري: مصدر سابق،ص 18.
(7) المصدر السابق ، ص19.

كانت تربط قرطبة بغرناطة، ومرسية، وبلنسية، وطرطوشة، ولاردة، الأمر الذي سهل على قواعد الأندلس الداخلية تصريف منتوجاتها عن طريق ثغر بلنسية وطرطوشة[1].

7 -2 -التجارة الخارجية:

لقد تميزت بلنسية بموقعها على البحر المتوسط، وبامتلاكها فرضة، ومصنع لصناعة السفن، الأمر الذي كان له أثر كبير في ازدهار تجارتها الخارجية مع الأقطار الغربية، وثغور برشلونة عاصمة إمارة قطلونيا. وقد عبّر الحميري عن نشاط التجارة الخارجية في بلنسية بقوله: "هي مدينة سهلية... عامرة القطر، كثيرة الخيرات، وبها أسواق وحط وإقلاع...."[2].

وقد ازدهرت حركة التجارة الخارجية في بلنسية بفضل مرساها جراو(Grao)[3]، وهذا ما أشار إليه ول ديورانت، حيث قال: "إن أسطولاً تجارياً يزيد على ألف سفينة يحمل غلات الأندلس ومصنوعاتها إلى إفريقيا وآسيا، وكانت السفائن القادمة من مائة ثغر وثغر تزدحم بها مرافئ بلنسية وغيرها... وأنشأت الحكومة نظاماً للبريد ينقل رسائلها بانتظام، واحتفظت العملة الرسمية بأجزائها الدينار الذهبي والدرهم الفضي والفلس النحاسي بثباتها واستقرارها النسبي، ولكن هذه النقود أخذ ينقص وزنها ونقاؤها وقوتها الشرائية"[4]. وفي ذلك إشارة إلى أن مملكة بلنسية شهدت حركة تجارية ناشطة.

هذا وقد أدى توافر المنتوجات الزراعية والصناعية المتنوعة إلى تصدير الكثير منها إلى أنحاء أخرى من الأندلس والعالم الإسلامي؛ فكان مرساها جراو نشطاً بحركة السفن التجارية [5]، فمن صادراتها الزراعية الأرز الذي كان يُحمل إلى كل بلاد الأندلس [6]، وكذلك نبات الزعفران والقرمز، الذي يجود في أرضها ويُحمل إلى الآفاق[7].

ومن الصادرات أيضاً النسيج البلنسي الذي اشتهرت به بلنسية، وكان يُحمل إلى أقطار المغرب[8].

وقد عرفت المملكة تجارة الرقيق، فأثناء حصار السيد القنبيطور للمدينة كان يفد إلى بلنسية

---

(1) ابن حوقل: مصدر سابق، ج1 ص 109.
(2) الحميري: مصدر سابق، ص 47.
(3) أرسلان : مرجع سابق، ج3 ص 212.
(4) ول ديورانت: **قصة الحضارة**، ترجمة محمد بدران، عصر الإيمان، دار الجيل، بيروت،رقم 13،ج2 م3 ص 295.
(5) الحميري: مصدر سابق، ص 47؛ مؤنس: **فجر الأندلس**، ص 592.
(6) العذري: مصدر سابق، ص17.
(7) المصدر السابق، ص 17؛ ياقوت: **معجم البلدان**،ج1 ص 581.
(8) المقري: **نفح الطيب**،ج4 ص 195.

بحراً، الكثير من تجار الرقيق لشراء أسرى العرب الذين يقعون أسرى لدى السيد القنبيطور [1].

والباحث في تاريخ الأندلس، يجد أن الأندلس عامة قد اشتهرت بتجارة الرقيق؛ فكانت تجلب الصقالبة الخصيان من أواسط أوروبا [2]، ويلاحظ الدارس أيضاً أنه حتى أوائل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، أن التجارة في حوض المتوسط ظلت حكراً على التجار الأوروبيين في الأقطار الشمالية من الحوض المتوسط، فيما كان الجزء الجنوبي منه مجالاً للتجار العرب. أما اليهود، الذين اندمجوا في جميع طبقات المجتمع، فإنهم لم يغيبوا عن ميدان التجارة، وكانوا أغنياء، حتى إن عملهم كاد أن ينحصر في التجارة [3]، وقد أتقنوا اللغة العربية إلى جانب لغتهم العبرية، واللغتين الرومنثية واللاتينية، اللتين تعلموهما منذ أيام الرومان والقوط، فساعدهم ذلك في عملهم الذي انحصر إلى حدٍ كبير في تجارة العبيد، والجواري، والخصيان، والحرير، والفرو[4]. وكان استقرارهم في الممالك العربية، لا بل في العديد من الإمارات والممالك الإسبانية، الإسبانية، عقب اندلاع الفتنة في قرطبة، فرصة للكسب، إذ أن تلك الإمارات والممالك الإسبانية كانت تفتقر إلى الحرفيين الماهرين والتجار القادرين على استيراد المنتجات المصنعة من الأندلس وغيرها من الدول العربية[5].

ولما كان هؤلاء (اليهود) قد تحولوا عن العرب، بعد رجحان كفة الميزان لصالح الإسبان خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وذلك لتحقيق مصالحهم العامة راحوا يعملون عند الإسبان في شتى أنواع الخدمة، في الكتابة والوزارة وتحصيل الضرائب، والرسوم على تجارة الصادرات والواردات براً وبحراً، فعلى سبيل المثال، هذا السيد القنبيطور، وبعد أن تمكن من السيطرة على مملكة بلنسية عام 487هـ/1092م، وضع على رأس إدارتها رجلاً من اليهود كما ذكر ابن علقمة في رواية له نقلها ابن عذاري، فقال: "وبلغ اليهودي – لعنه الله– من المسلمين مبلغ الغاية في العذاب، وسلط اليهود على الإسلام فبلغوا النهاية في النكال والنكاية، ومنهم الأمناء الموكلون والمتصرفون وأصحاب الرسوم، وخدام البر والبحر، وجلس اليهودي للقبض بصاحب المدينة من الضرب بالعصا والسوط"[6].

---

(1) Menéndez Pidal:**La España del cid**,V.1, p.478.

(2) ابن حوقل: مصدر سابق،ج1 ص 109-110؛ العبادي: **الصقالبة في إسبانيا**، ص 8-10.

(3) Pérès, (Henri): **La poésie Andalouse en arabe classique au XI siècle, Paris, 1953, P. 265**

(4) طويل: مرجع سابق، ص 252. Pérès: **La poésie Andalouse, p. 266.**

(5) راجع؛ أحمد، علي: **اليهود في الأندلس والمغرب**، خلال العصور الوسطى، مقالة في مجلة آفاق الثقافة والتراث، دولة الإمارات العربية، السنة الخامسة، ع17، محرم، 1997م، ص 72.

(6) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص 41.

أما الموضعان اللذان كانا ملتقى للتجار هما، الموانئ الأندلسية من ناحية، والموانئ التي تقع بين صقلية وشمال إفريقيا من جهة ثانية.

ومن بين الموانئ التي كان لها مثل هذه الأهمية، بلنسية، ودانية، شرقي الأندلس، وقد حافظت على دورها كمراكز رئيسية للتجارة العالمية وقتذاك رغم الخصومات التي كانت تقع بين حكام الملوك ملوك الطوائف؛ فبلنسية كانت تقوم بدور مأوى للسفن من جهة، ومن جهة ثانية كانت مركزاً لتجميع الغلات الزراعية التي كانت تنتجها المناطق الداخلية وتتاجر بها.

أما دانية، فقد كانت ميناء جزر البليار، وواحداً من مراكز الاتصال مع الشرق [1]. هذا وقد صدّرت دانية التين الذي اشتهرت به فكان يحمل إلى الآفاق.

وشاطبة، هي أيضاً كانت إحدى المراكز التجارية الرئيسية في مملكة بلنسية، فرغم موقعها الداخلي وبعدها نسبياً عن ساحل البحر إلا أن ارتباطها بالمدن المطلة على البحر مثل بلنسية ودانية وطرطوشة ولقنت[2]، أوجد نوعاً من التبادل التجاري المباشر بينها وبين مدن المغرب لا سيما تونس[3]، وتنس وتاهرت.. فقد ذكر اليعقوبي أن خطاً ملاحياً مباشراً كان يربط بين تنس وتاهرت، وشرق الأندلس [4]،وغرب إفريقيا [5]؛ فبذلك اعتبرت شاطبة إحدى المحطات التجارية الرئيسية في تجارة الأندلس [6]، وقد ذكر العذري أن شاطبة كان يتجهز فيها التجار بالأمتعة إلى غرب إفريقية وجميع بلاد المغرب[7].

ومن أشهر صادراتها الورق الذي لا نظير له، فكان يصدر إلى معظم الأقطار العربية والأوروبية [8].

وهكذا ترتب على حركة التصدير والاستيراد انتعاش للحياة الاقتصادية في مملكة بلنسية، فكانت تجني من التجارة الخارجية أرباحاً طائلة[9] أسهمت في إحداث تغيرات اجتماعية وحضارية في المجتمع البلنسي ولاسيما في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي حيث زاد عدد السكان ونما اقتصادها وعمرانها، وقد أشار إلى ذلك العذري بقوله: ولها خطة فسيحة وهي بلدة منيعة جمعت البر والبحر

---

(1) زيادة: مرجع سابق، ص 163.

(2) Maria Jesus, Rubiera: **La taifa de Denia**,Alicante,1985, pp.10-12.

(3) Rubiera: **La taifa de Denia**, p.12.

(4) اليعقوبي: مصدر سابق، ص 354.

(5) العذري: مصدر سابق،ص 18؛

.Huici Miranda:**Historia Musulmana de Valencia**,T.1, p.62

(6) Huici Miranda:**Historia Musulmana de Valencia**,T.1, p.62.

(7) العذري: مصدر سابق، ص 18.

(8) الإدريسي: مصدر سابق، م2 ص 556.

(9) عنان: **دول الطوائف**، ص 420.

والزرع والضرع والفواكه "ولها سهل وجبل ومدن كثيرة وحصون"[1]

وكان ديوانها يفرض على السلع مكوساً يتلقاها قباض متخصصون، وقد استأثر السيد القنبيطور في فترة حكمه بلنسية بهذه الموارد، فعين بمرسى بلنسية، وعند مداخلها، والطرق المؤدية إليها، رجالاً معظمهم من اليهود كانوا يعرفون بخدام البر والبحر، مهمتهم فرض الضرائب أو الرسوم على الصادر والوارد، وقد عبّر ابن عذاري عن الذل الذي تعرض له البلنسيون عند حديثه عن أحوال بلنسية في عهد السيد القنبيطور فقال: " وسلط اليهود على الإسلام، فبلغوا النهاية في النكال والنكاية، ومنهم الأمناء الموكلون، والمتصرفون، وأصحاب الرسوم، وخدام البر والبحر".[2]

وخلاصة هذا البحث أن ممكلة بلنسية عرفت نشاطاً اقتصادياً مزدهراً، إذ كان لعامل الاستقرار، والأمن، وتجنب الحروب، والفتن الداخلية، أثره الكبير في رخاء المدينة اقتصادياً، ولاسيما قبل ظهور السيد القنبيطور على مسرح الأحداث السياسية في منطقة شرق الأندلس، فنظامها الاقتصادي كان يقوم على الزكاة، والخراج، والأعشار، والمكوس أو المغارم، وشهدت سكاً للعملات المالية. أما الأسعار فكانت قبل الحصار في متناول جميع طبقات المجتمع، وأثناء الحصار، كانت مرتفعة، هذا على صعيد نظامها الاقتصادي.

ومن جهة ثانية، كانت الزراعة ناشطة ومزدهرة في معظم أرجاء المملكة، ومرد ذلك إلى أرضها الخصبة، ووفرة المياه، ومناخها المعتدل، ووجود الآلات الخاصة بالزراعة، والأخيرة كانت تعاني في بعض الأحيان من شلل في حركتها الإنتاجية، وذلك عندما تكون الضرائب مرتفعة، أو عند وقوع حرب أو حصار ما، وهذا ما حدث للمملكة حين تعرضت لحصار السيد القنبيطور.

أما محاصيلها فكانت متنوعة كالأرز والقرمز والزعفران والكروم والقراسيا وغيرها...

وصناعياً، توافرت في المملكة المواد الأولية الخاصة بالصناعة، كالكتان، والتوتيا، والقرمز، والحديد، والورق، والأشجار، وتو افرت كذلك الأيدي العاملة، إضافة إلى سهولة المواصلات البرية والمائية.

وصناعاتها كانت متعددة ومنها: صناعة النسيج، والورق، والأواني الفخارية، والخزفية، وصناعة السفن، والعطور، والأدوية وغير ذلك.

أما التجارة، الداخلية والخارجية، فقد أسهمت هي أيضاً في تقدم وازدهار الحياة الاقتصادية

---

(1) العذري : مصدر سابق، ص 18.
(2) ابن عذاري: مصدر سابق،ج4 ص 41.

في المجتمع البلنسي، حيث كان لموقعها في منتصف الساحل الشرقي للأندلس على البحر المتوسط، أعظم الأثر في تألقها كمركز تجاري رئيسي في شرق الأندلس، فهذا الموقع قد هيأ لها الارتباط مع كور الأندلس الداخلية، كما هيأ لها وقوعها المميز على نهر(Turia) ، الاتصال مع الثغور البحرية المغربية، والقطلانية، وجزر البليار، والدول الأوروبية؛ فترتب على حركة التصدير والاستيراد، انتعاش للحياة الاقتصادية باستثناء فترة حصار السيد القنبيطور للمملكة.

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية في مملكة بلنسية

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية في مملكة بلنسية

في هذا الفصل محاولة لدرس بعض المظاهر الاجتماعية في مملكة بلنسية في عصر ملوك الطوائف، بهدف إلقاء الضوء على حياة الناس فيها، ولكن المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع قليلة؛ إذ ليس هناك من المصادر المتصلة بمملكة بلنسية في عصر ملوك الطوائف، ما يرسم صورة واضحة للحياة الاجتماعية في المملكة، باستثناء إشارات وردت في بطون بعض المصادر. وعلى الرغم من ذلك ذُلِّلَ الكثير الصعوبات، وتكوّن بذلك فكرة عامة عن طبقات المجتمع في المملكة البلنسية والعناصر التي تكّون منها.

1- سكان مجتمع مملكة بلنسية :

يتكون مجتمع مملكة بلنسية من عناصر مسلمة وأخرى غير مسلمة؛ فالمسلمة تنحصر في العرب والمغاربة والمولّدين، وتنحصر العناصر غير المسلمة في المُسْتَعرَبِيْن (Los Mozárabes) واليهود.

1-1- العرب:

كان العرب من أبرز العناصر التي تكوّن منها مجتمع بلنسية؛ فنزلت بالأخيرة منذ الفتح العربي بطون من القبائل العربية لسهولة أراضيها وخصوبة تربتها ودفء مناخها شتاءً، وكان العنصر العربي يمثل الطبقة العليا في المجتمع البلنسي[1]. ومن أهم القبائل العربية التي استقرت في بلنسية، قبيلة معافر اليمنية التي استوطنت بلنسية نفسها، ومنهم بنو جحاف الذين تمتعوا بنفوذ كبير بهذه المنطقة واستأثروا بخطة القضاء[2]، كما سكن بلنسية بطون من القيسية أبرزهم بنو واجب، وكانوا من ذوي المشورة والرأي فيها [3] .ومن العناصر العربية أيضاً من هم من هوزان المضرية، "ولهم منزل بجوفي بلنسية على ثلاثة أميال منها"[4]، كذلك كان يوجد في بلنسية بنو عبد الله البلنسي من أعقاب هشام بن عبد الملك الذين يرتفع النسب بهم إلى أمية بن عبد شمس القرشيين[5].

وقد عدّ عرب بلنسية أنفسهم أصحاب سابقة وفضل، يحق لهم الحكم والاستئثار؛ فهم سادة

---

(1) Huici Miranda:**Historia Musulmana de Valencia**,T.1, p.71

(2)ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب** ، ص419؛ ابن بشكوال: مصدرسابق،ق 2،ص 340، ترجمة رقم 727؛ ابن الأبار:**التكملة**،ج2 ص246 ترجمة رقم 699.

(3)ابن بشكوال: مصدر سابق، ق2 ص 403 ترجمة رقم 867.

(4) المقري: **نفح الطيب**، ج1 ص 280.

(5)ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**،ص 94-95.

الكورة ورؤساؤها، خلدوا إلى الراحة، ونعموا بحياة مترفة، واستغلوا سهولة الأرض وخصوبتها، فاعتنوا بفلاحة البساتين والجنات، كما استغلوا موقعها البحري وكثرة مالها من "أسواق وحطّ وقلاع "[1]، فعملوا بالتجارة فكان لذلك آثار على أنفسهم، فلأهلها على حد تعبير الحميري " كرم طباع، والغالب عليهم طيب النفوس والميلُ إلى الراحات"[2].

ونتيجة ذلك استغرق عرب بلنسية في حياة اللهو والترف والراحة، فأقبلوا على الاستمتاع بحياتهم بإقامة المنشآت العمرانية والقصور، وغرس البساتين والجنان، واقتناء الجواري والقيان، والعكوف على مجالس الطرب والألحان والأنس [3] ، "إنما يتفاخر أهلها بكثرة الأغاني فيقولون عند فلان عودان وثلاثة وأربعة وأكثر من ذلك"[4].

أما جزيرة شقر فقد سكنها جماعة من بني مخزوم بن يقظة بن مرة ومنهم بنو ميمون[5] وفي أُندة نزلت بطون من قضاعة، وكانت الأخيرة دار القضاعيين بالأندلس[6].

وقد أثر عرب بلنسية في حياة الإسبان تأثيراً كبيراً، لأن تعايش العرب والإسبان من شأنه أن يدفع هؤلاء الإسبان إلى تقليد الآخرين وأن تشيع الثقافة العربية في أوساطهم[7] .وقد مارس الإسبان عادات العرب وتقاليدهم كختن صغارهم والامتناع عن أكل لحم الخنزير، وتعلّموا لغتهم وأتقنوها[8]، وما احتواء اللغة الإسبانية اليوم على ما يزيد على الأربعة آلاف كلمة عربية وعلى كثير من تركيبات وتعابير لغوية عربية، إضافة إلى انفرادها بين لغات أوروبا اللاتينية بامتلاكها أداة التعريف العربية وحرفي الخاء **(j,ge,j)** والتاء **(z,ce,ci)**، إلا دليلٌ على مدى هذا التأثير[9].

1-2- المغاربة:

وهم على حد قول ابن حزم، بقايا ولد حام بن نوح، أخي سام بن نوح، وقد اختلطوا منذ القِدَم بأصول سامية من بيوتاتهم مصمودة وزناتة وصنهاجة[10].

ولقد تدفق المغاربة من المغرب الكبير إلى الأندلس منذ بداية الفتح العربي حتى ازداد عددهم،

---

(1) الحميري: مصدر سابق، ص 47.
(2) المصدر السابق، ص 47.
(3) العذري: مصدر سابق، ص 18؛ ياقوت: **معجم البلدان،** ج1 ص 581.
(4) العذري: مصدر سابق، ص 18.
(5) ابن الأبار: **التكملة،** ج1 ص 196، ترجمة رقم 640.
(6) المصدر السابق، ج2 ص 249، ترجمة رقم 716.
(7) الأوسي ، حكمت علي : **فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة** ، مكتبة النهضة، بغداد، 1971، ص152.
(8) العبادي: **في التاريخ العباسي والأندلسي** ، دار النهضة العربية، بيروت، 1971م، ص 374؛ الحجي، عبد الرحمن: **أندلسيات،** دار الإرشاد، بيروت، 1969م، ص 160؛ مؤنس: **فجر الأندلس،** ص 425 وما بعدها.
(9) الأوسي: مرجع سابق،ص147-149.
(10) ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب،** ص 495،499،501.

وانتشروا في جميع المدن الأندلسية، وبرزوا في جميع حقول العمل والمعرفة. وكان معظمهم صُنّاعاً وعُمالاً وفلاّحين، وانصهروا في المجتمع الأندلسي عن طريق الزواج، وأتقنوا اللغة العربية إتقاناً كاملاً إلى جانب تعلمهم اللغة الرومنثية[1]؛ ذلك أن لغتهم الأمازيغية لم تكن مكتوبة[2]، وبرز من الشخصيات المغربية من هم من ذوي العلم والمعرفة، من هؤلاء نذكر أبو العباس أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان، وقد تولى منصب قاضي الجماعة ما بين 392–400 هـ/1001–1009م، وهو أول من اتخذ منصب قاضي القضاة بالأندلس[3]. وكان " صارماً في حكمه، محمود الطريقة، عاقلاً، عالماً بمذهب المالكية، ذا عفاف ونزاهة وبراءة من الريبة، وبعد همة، وفرط هيبة، فلقد كان هذا في مرتبة الخليفة... وهو أعلى الناس محلاً[4]. وقربه المنصورمحمد بن أبي عامر – المتوفى عام 392هــ/1001م– بحيث كان يستشيره في كل الأمور وجعله فوق رتبة الوزراء، وكان أبو العباس من شيوخ العلم يشتهر بالعلم والرياسة والقضاء[5].

كان المغاربة يشكلون جزءاً كبيراً من أهل بلنسية . وعلى الرغم من العداء المتأصل بين الطائفتين الأندلسية والمغربية منذ قيام الفتنة حتى دخول المرابطين على مسرح الأحداث، فإن بلاد شرق الأندلس ظلت بمنأى عن الفتنة التي اجتاحت الأندلس، ونعمت بفترة من الهدوء والاستقرار ولم تنظم إلى أي من الطائفتين المتنازعتين [6].

وقد تركز وجود مغاربة بلنسية في أعمال الكورة ولا سيما في شاطبة التي سكنها بنو عميرة، وهم من الهاصة (ينسبون إلى نَفَزَةَ) [7] ،وسكن بنو قاسم (من كتامة) ألبونت وتولوا حكمها[8]، وفي السهلة نزل بنو رزين وإليهم تنسب بلدة(Albarracín) المشتقة من بني رزين النفزيين [9].

---

(1) الرومانثية: هي اللغة الإسبانية القديمة، المتولدة من اللاتينية التي تطورت منها الإسبانية المكتوبة والمحكية اليوم في إسبانيا ودول أمريكا اللاتينية، وقد عرفت عند المؤلفين الأندلسيين باسم العجميّة أو اللطينية، وعاشت بين العرب بحيث أصبحت قبائل عربية تجيدها. العبادي: **في التاريخ العباسي والأندلسي** ص 371؛ عبد الحميد ، سعد زغلول: **علوم العرب القديمة**، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الأول، 1977م، ص 169-170.

(2) الكعاك، عثمان: **البربر**، مطبعة الترقي، القاهرة – تونس، 1956م، ص 46،52،92،94؛ وراجع :
Bousquet G.H: **Les Berbères**, paris,1974, pp.13-34,45-59,73-80.

(3)عياض: **ترتيب المدارك**،ج7 ص 171.

(4) المصدر السابق، ج7 ص 167.

(5) الحميدي: مصدر سابق، ص 129.

(6) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, P.71

(7) ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ص 499. أما قبيلة نفزة فهي واحدة من القبائل المغاربية الكثيرة، وأبرز هذه القبائل هي: هوارة، زنانة، مغلية، زيحوحة، كتامة، لواتة، غمارة، مصمودة، صدينة، يزدران، دنجين، صنهاجة، مجكسة، واركلان، نفزة وغيرهم. ابن خلدون: مصدر سابق، ج6 ص 122.

(8) ابن حزم:**جمهرة أنساب العرب**، ص 501.

(9) عبد البديع، لطفي: **الإسلام في إسبانيا**، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1969م، ص 32.

وما زالت كورة بلنسية تحمل أسماء مواضع لها أصول مغربية ومنها (Alumusafes) على مقربة من شقر، ويذكر الباحث خايمي، أوليفر آسين، أن الاسم مشتق من لفظ مسوفة[1]، وهي قبيلة مغربية (أحد فروع صنهاجة الجنوب)، دخلت الأندلس مع قبائل صنهاجة واستقرت في شرق الأندلس وإليها ينتمي المرابطون.

وتجدر الإشارة إلى أن المصادر قد أشارت إلى وجود المغاربة في بلنسية بعدة مناسبات؛ فأثناء الثورة التي قام بها عبد الرحمن بن حبيب الفهري، خلال عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، لإسقاطه والقضاء على الإمارة الأموية الناشئة، التجأ الثائر (عبد الرحمن بن حبيب الفهري) إلى بلنسية وتحصن بجبالها، حتى قُتِل. وكان قاتله مغربياً أيضاً يدعى مشكار عام 163هــ/780م[2]، 163هــ/780م[2]، ومن بين أقاليم بلنسية التي ذكرها العذري، جزء مصموده[3].

1-3- المولدون (Los Muladies):

هم أبناء المسالمة أو الأسالمة ، والمُسَالَمَةُ هم النصارى الإسبان الذين أسلموا ودانوا بالإسلام. بدأ هؤلاء يقدمون على اعتناق الإسلام منذ الفتح العربي للأندلس؛ وذلك بدافع التخلص من دفع الجزية التي كانوا يؤدونها لكونهم من أهل الكتاب، أو بدافع الاقتناع بأن الإسلام هو حامي المظلوم، أو بدافع التخلص من البؤس الذي كان يعُمُّهم في أواخر الحكم القوطي [4].

وقد شكل هؤلاء نواة أساسية من مجموع أهالي البلاد، لهم دورهم البارز في الزراعة والصناعة والإدارة[5]، وقد اختلطوا بالعرب عن طريق الزواج والولاء واتخذ بعضهم الأنساب العربية، ومنهم من ظل على نسبه القديم، متعصباً لأصله العجمي [6] ،مثل بني مرتين (Martin)، (Martin)، وبني بشكوال (Pascual)، وبني غرسية(Gómez). كما أتقنوا اللغة العربية، وتمكنوا من الكتابة، حتى كان دورهم كبير في نقل الحضارة العربية إلى إسبانيا ، إذ عملوا على تطور التداخل بين لغتهم العربية التي اكتسبوها وبين الرومنثية لغة أمهاتهم وأجدادهم.

1-4- المُسْتَعْرَبون (Los Mozárabes):

---

(1) خايمي، أوليفر آسين: **ملاحظات حول أسماء المواضع في إقليم بلنسية** ، تقرير معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، كانون الأول، 1960م، ص 5-6.

(2) العذري: مصدر سابق، ص 11؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج2ص83؛ سالم: **تاريخ المسلمين وآثارهم،** ص 201-203؛ العبادي: **في تاريخ المغرب والأندلس،** ص 106-107.

(3) العذري: مصدر سابق، ص20.

(4) الأوسي: مرجع سابق، ص 29.

(5) Gonzalo Palencia (Angel):**Historia de la literatura arábigo Española** ,Madrid,1945,p.20.

(6) العبادي: **من التراث العربي الإسباني،** مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر،العدد الثاني،1979م،ص65-66.

هم أولئك الإسبان الذين عاشوا في بلنسية وغيرها في مدن الأندلس. وقد سُمُّوا بالمستعْرَبين، بفتح الراء، لأنهم استعربوا لغةً وزيّاً، أي أنهم ارْتَدَوْا بإرادتهم الزيّ العربيّ، واتخذوا بإرادتهم العربية لغةً، فأقبلوا على قراءة شعر العرب وأدبهم، وقد أطلق عليهم العرب في بادئ الأمر اسم"عجم الأندلس"[1].

وقد أتقن هؤلاء اللغة العربية إلى جانب لغتهم الرومنثية، وبحكم ذلك فإنهم شغلوا دوراً رئيسياً في نقل الحضارة العربية إلى الممالك الإسبانية حيث انتشرت ثقافة العرب وعاداتهم [2].

ولقد عاش المستعربة ببلنسية في هدوء وسلام، وتمتعوا بحرية في العقيدة وتسامح شامل من جانب العرب مقابل دفع الجزية للمسلمين تمشّياً مع الشريعة الإسلامية لكونهم أهل الكتاب. وأبقوا لهم أماكن العبادة يقرعون فيها نواقيسهم بحرية[3] ،وقد تجلى ذلك في قول ابن حزم[4] (البسيط):

أتَيــْتَــنَي و هلالُ الجَوِّ مــُطَّلِــعٌ قُبــَيــْلُ قــَرْع النصارى للنواقيسِ

وكانت لهم أسقفية ترعي مصالحهم وتنظم شؤونهم[5]. وهكذا كانت العلاقة بين العرب والإسبان طبيعية، فشاعت المصاهرة بين الطرفين، مثال ذلك، المنصور بن أبي عامر، تزوج بفتاة نافارية كانت ابنة لشانجة الثاني ملك نبرة، وأنجبت له ابنه عبد الرحمن الذي كانت أمه تسميه شنجول نسبة إلى جده شنجول، الذي كان يشبهه. ومن ملوك الطوائف مجاهد العامري الذي تزوج من الأميرة "جود" الإسبانية [6].

وينبغي ألا ننسى أن التأثيرات كانت متبادلة بين الإسبان والعرب، فعلى الرغم من رجحان كفة ميزان العرب الكبير في التأثير، فإن الإسبان استطاعوا إلى حد ما أن يؤثروا في الثقافة العربية وفي حياة الشعب البلنسي الاجتماعية، ومن تلك التأثيرات التزام العرب يوم الأحد من كل أسبوع عطلة رسمية، مشاركين في ذلك الإسبان من جهة، ومخالفين العرب من جهة ثانية. وقد تم ذلك في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني238–273هـ/852–886م، وظل معمولاً به على الأقل حتى أواخر القرن الخامس الهجري/أوائل الثاني عشر الميلادي، استناداً إلى نص ابن حيان القرطبي المتوفى عام469هـ/1076م، وهذا ما أشار إليه ابن حيان، حيث قال:

(1) مؤنس: **فجر الأندلس**، ص425-429؛ الحجي: **أندلسيات**،ص 160.
(2) العبادي: **في التاريخ العباسي والأندلسي**، ص 374؛ الجراري،عباس: **أثر الأندلس على أوروبا في مجال النغم والإيقاع**، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني عشر، 1981م، ص17.
(3) العبادي: **الإسلام في أرض الأندلس**، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الثاني، 1979م،ص60.
(4) ابن حزم: **رسائل ابن حزم**،ج1 ص282؛ **طوق الحمامة** ص 209.
(5) Huici Miranda:**Historia Musulmana de Valencia,** T.1, p76-77.
(6) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص 219-221.

"وكان أول من سنّ لكُتّاب السلطان وأهل الخدمة تعطيل الخدمة في يوم الأحد من الأسبوع والتخلّف عن حضور قصره (أي قصر الأمير محمد) قومس بن أنتنيان، كاتب الرسائل للأمير محمد، وكان نصرانياً، دعا إلى ذلك لنسكه فيه، فتبعه جميع الكُتّاب طلب الاستراحة مِنْ تعبهم والنظر في أمورهم، فانتحوا ذلك."[1]، وأيده في ذلك المقري، فقال عند حديثه عن المنصور العامري:" أصبح المنصور صبيحة أحدٍ، وكان يومَ راحةِ للخَدَمَةِ، الذي أعفوا فيه من قصد الخدمة"[2].

كذلك شارك عرب بلنسية المُسْتَعربين في أعيادهم مثل عيد ميلاد السيد المسيح، وعيد رأس السنة الميلادية، وعيد العنصرة وهو عيد "سان خوان" الواقع في الرابع والعشرين من شهر حزيران، وخميس العهد الذي يسبق عيد الفصح بثلاثة أيام. وفي هذه الأعياد كانوا يبتاعون الحلوى والفواكه كما كان يفعل الإسبان[3].

1-5- اليهود:

يعود تاريخ دخولهم بلاد الأندلس إلى ما قبل الفتح العربي لها بمئات السنين. ويبدو أنهم قدموا الأندلس في عهد الرومان عام 70م.. وتكاثروا مع مرور الزمن، وبُعيد الفتح دخل عدد كبير من يهود المغرب إلى الأندلس[4]. ويبدو أنه سكن بلنسية أقلية من اليهود. وكان هناك حي لليهود (La Judería) في بلنسية جنوب باب الشريعة. وقد اشتغل هؤلاء بالصياغة والصناعات، وكانوا أغنياء، كاد عملهم ينحصر في التجارة، فقد تحكموا في الشؤون المتعلقة بالاقتصاد والمال[5].

وأتقنوا اللغة العربية إلى جانب لغتهم العبرية، واللغتين الرومنثية واللاتينية اللتين تعلموها منذ أيام الرومان والقوط، فساعدهم ذلك في عملهم الذي انحصر إلى حد كبير في تجارة الحرير، والفرو، والعبيد، والجواري والخصيان[6].

1-6- الصقالبة:

المقصود بالصقالبة في الكتب العربية سكان البلاد المختلفة الذين جُلبوا صغاراً من الشعوب

---

(1) ابن حيان: **المقتبس**، تحقيق محمود علي مكي،ص138.

(2) المقري: **نفح الطيب**،ج1ص400.

(3) العبادي: **الإسلام في أرض الأندلس**، ص 107.

(4) Gonzalo Maeso (David): **Garnáta–al yahud (Granada en la Historia del judaismo español)**, universidad de Granada, 1963, pp.18-20,27,40-41.

(5) Pérès (Henri): **La poésie Andalouse** p.265; Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**,T.1, PP.76-77.

(6) Pérès:**La poésie Andalouse**, p.266.

الأوروبية التي امتدت أراضيها من بحر قزوين إلى البحر الأدرياتي [(1)]، أما كلمة صقلب "Esclave" فرنسية قديمة ومعناها عبد أو رقيق وهي التسمية التي أطلقها الجغرافيون العرب في العصور الوسطى على الشعوب السلافية عامة.

وكان الصقالبة أشهر أنواع الرقيق الأبيض في المجتمع العربي، إلا أن الصقالبة والأتراك كانوا الأفضل[(2)]، وكان الرقيق الأبيض من الصقالبة يتخذ طريقه الرئيس من شرق ألمانيا إلى إيطاليا وفرنسا ومنها إلى الأندلس عن طريق نهر الرون وقطلونيا حتى ثغر بجانة[(3)].

وقد استخدم الأمويون في الأندلس نوعاً من الرقيق الصقلبي هم الخصيان، على أن عملية الخصي لم تكن حكراً على اليهود فقط، بل نرى أن العرب أنفسهم قد شاركوا في هذا المجال لا سيما في مناطق الثغور المتاخمة لفرنسا، وقد تعلم قوم من العرب هناك عملية الخصي فصاروا يخصون[(4)]، وهؤلاء الصقالبة استخدموا للخدمة داخل قصورهم، ولا سيما خدمة الحريم [(5)]. وقد أطلق عليهم اسم العلوج، كما تردد تسميتهم بالخرس والمماليك لعجميتهم[(6)] .

هذا وقد جاء أكثر الصقالبة أطفالاً إلى الأندلس، حيث ربوا تربية إسلامية ودربوا على أعمال القصر، ثم تولوا وظائف رئيسية بعد ذلك [(7)].

ومن المهمّ القول: إن الصقالبة شأنهم شأن العرب والمغاربة حاولوا تحقيق أطماعهم على حساب أمن الخلافة واستقرارها؛ ذلك أنه لما سقطت الإمارة الأموية انقسمت الأندلس إلى دويلات صغيرة متنازعة عرفت باسم دويلات الطوائف، استأثر الصقالبة بشرق الأندلس وأنشؤوا فيه ممالك، فكان في بلنسية الصقلبيان مبارك ومظفر، ولبيب في طرطوشة، وفي دانية مجاهد، وفي ألمرية خيران وزهير (وقد أشير إلى ذلك سابقاً).

وقد قدم الشعر العربي معلومات عن الصقالبة، ضئيلة ولكنها دقيقة، فابن دراج القسطلي أعطى تفصيلات مميزة عن عادة أميري بلنسية مبارك ومظفر العامرين في تزينهم بالحلقان

---

(1) ابن حوقل: مصدر سابق،ج1ص116.
(2) العبادي: **الصقالبة في إسبانيا**، ص 7؛ متز: مرجع سابق ، ص300.
(3) ثغر بجانة (Pechina): بفتح الباء، بعدها جيم مفتوحة مشددة بعدها ألف وبعد الألف نون، مدينة بالأندلس من أعمال كورة ألبيرة ، و" كانت بجانة مركزاً لتجارة العبيد الواردين من أوروبا، حيث يستخدمون بحارة، كما يتم تأهيلهم، أو إجراء عملية الخصاء لهم، وكان يقوم بتلك المهمة جماعات من اليهود". عن بجانة راجع ياقوت: **معجم البلدان،** ج1ص403؛ الحميري: مصدر سابق ص 37-39.
(4) المقري: **نفح الطيب،** ج1 ص145.
(5) ابن الأبار: **الحلة السيراء،** ج1 ص252-253.
(6) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص162؛ المقري : **نفح الطيب** ، ج1 ص380.
(7)عنان: **دولة الإسلام في الأندلس** ، ق2، العصر الأول،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1960م، ص450.

كالسيدات وفي ذلك يقول : (الطويل)

فلِلصُّبْح فيــما بين قَرْطَيكِ مطلعٌ   وقد سَكَــنَ الليلُ البهيمُ خمارَكِ

وهو الملكُ لا بلقيسُ أدْرَكَ شأوُها   مَداكِ ولا الزَّبَّاءُ شقتْ غُبــارَكِ [1]

ويقول أيضاً: (الطويل)

وَأُظِفرْتُ آمَــالِي بِــقَصْدِ مُظَفَّرٍ   وَبُورِكَ لِي في حُسْنِ رَأْيِ مَبَارَكِ [2]

وفي هذه الأشعار من المدح ما يظهر الطريقة النسائية لهذين الخصيين [3]، هذا وقد عرف الصقالبة بالخشونة والجفاء والفظاظة[4]، وميلهم إلى الدعة والراحة ويؤكد ذلك ابن الخطيب، فيذكر أن المنصور بن أبي عامر هلك وهو "يسوء بثقل كلفتهم الباهظة"[5].

هذا فيما يتعلق بالرقيق الأبيض، أما الرقيق الأسود فكان يجلب من بلاد غرب إفريقيا عبر بلاد المغرب. وفيما يتعلق بالجواري من النساء، يذكر ابن حزم أن خلفاء بني أمية كانوا مجبولين على تفضيل الشقرة وكانوا هم أنفسهم شقراً [6].

وكانت العلاقة بين رجل أبيض وجارية سوداء ينظر إليها باحتقار، وفي هذا المجال يمكن الإشارة إلى ما ذكره المقري عن ابن غير شرعي في أسرة بني ذي النون، أمراء طليطلة، حيث ألقى ضوءاً على فكر مغاربة الأندلس فيما يتصل بالإنسان؛ فقد كان للمأمون بن ذي النون أخ غير شرعي يدعى أرقم، كان الأخير ابن لأمة سوداء واقعها أبوه الظافر في حالة سكر، وقد تسامح المأمون مع أخيه غير الشرعي، ولكن القادر يحيى بن ذي النون جاء على نقيض المأمون، فنقم على الأرقم، فما كان من الأخير إلا أن فر من المملكة، وارتجل أبياتاً تظهر رد فعل الإنسان الذي يشعر بأنه إنسان صالح مهما جاء من علاقة غير شرعية وأنه أفضل من أي أمير آخر مغربيّ أو أوروبي معروف النسب[7] يقول : (الطويل)

لَئِنْ طِبْتُم نَفْساً بِتَرْكِي دِيَارَكُمْ   فَنَفْسِي عِنْدَكُمْ بالتَفَرُّقِ أطيبُ

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي جَانِبٌ فِي دِيَارِكُمْ   فَمَا العُذْر لي أَنْ لا يَكُونُ تجنُّبُ

---

(1) ابن دراج: الديوان، مصدر سابق، ص85.

(2) المصدر السابق، ص89؛ ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب،** ج2 ص 299.

(3) بيرس، هنري: **الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف** ، ترجمة أحمد مكي، دار المعارف،مصر، 1988م، ص 234.

(4) ابن حيان: **المقتبس،** تحقيق محمود مكي، ج2 ص 149.

(5) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**،ص103.

(6) ابن حزم: **طوق الحمامة**، منشورات دار صادر،بيروت،د.ت.ص44.

(7) المقري: **نفح الطيب،** ج5ص275.

زَعَمْتُم بأنـــي لَسْــتُ فرعاً لأَصْلِكُم فـــهلاّ عَلِمْــتُم أنَّـــني عَــنْهُ أَرْغَبُ

وَحَسْبِي إذا ما البِيْضُ لَمْ تَرْعَ نَسْبَه بأنّـــه إلى سيــفي ورُمُحيَ أُنْسَبُ

وإن مَدَّتِ الأيـــامُ في عُمْرِيَ للعُلا يُشَرِّقُ ذِكْــري في الوَرَى و يُغرِّبُ [1]

وقد أشار ابن حزم في طوق الحمامة إلى فئتين من الجواري فئة تتخذ للذة والنسل والحال الحسنة وأخرى تتخذ للخدمة [2].

أما ابن عذاري، فأشار إلى آباق[3] العبيد وسجنهم بسبب ذلك؛ فيذكر أنه لما قامت إمارة مبارك ومظفر العامريين شرق الأندلس " انفتح على المسلمين ببلاد الأندلس أمر شديد في إباقة العبيد إذا نزع إليهم كل شريد وطريد وكل عاق مشاق"[4].

وكان الآباق أكبر أمنية لدى العبيد حيث يقول المثل:" أقل للأسود أشكتعمل لو كنت سلطان، قال نأخذ ألف مثقال ونهرب"[5].

أمَّا ما يتعلق بالسكان يمكن استنتاج ما يلي:

- إن عناصر السكان لم تختلط فيما بينها، فالمغاربة لم يمتزجوا بالعرب أو المولدين والصقالبة في بلنسية على خلاف ما حدث بقرطبة وغرناطة وإشبيلية وسط الأندلس، ومع ذلك فقد طلب أهل شرق الأندلس المساعدة من المرابطين وهم مغاربة تحت وطأة وتهديد السيد القنبيطور وجنده الإسبان[6].
- إن حالة الاستقرار والأمن التي عمت بلاد شرق الأندلس إبان الفتنة القرطبية، وفي عصر ملوك الطوائف، كان لها أثرها في ازدياد عدد السكان بتلك المنطقة على نحو واضح، إذ وفد على بلنسية العديد من التجار والصناع والحرفيين هرباً من الحروب الداخلية التي شملت منطقة جنوب الأندلس، كما ساعدت حالة الاستقرار أهل شرق الأندلس على التفرغ لأعمالهم الزراعية والتجارية والصناعية، فانعكس ذلك على تعايش تلك الجهة، إضافة إلى هذا فقد ساعد ذلك على تعايش قائم بين العرب والمولدين ويظهر ذلك من خلال

---

(1)المقري: **نفح الطيب**، ج5 ص 275.
(2) ابن حزم: **طوق الحمامة**،ص123.
(3) الآبق: العبد الهارب، وشرعاً مملوك فر من مالكه تمرداً أو عناداً لسوء خلقه. جمع أُبَّق وأُبّاق. البستاني، مرجع سابق، ص 33.
(4) ابن عذاري: مصدر سابق،ج3ص160.
(5) الزجالي: مرجع سابق، ص190 رقم 19.
(6) Huici Miranda:**Historia Musulmana de Valencia**,T.1, p.73.

ظاهرة الازدواج اللغوي: العجمية أو الإسبانية القديمة (الرومنثية) والعربية، ونتيجة لذلك وجُدت كلمات كثيرة في اللغة الإسبانية القديمة من أصول عربية[1].

2- فئات مجتمع مملكة بلنسية:

من الطبيعي أن يزخر المجتمع البلنسي في عصر ملوك الطوائف بكثير من الفئات والطوائف الاجتماعية؛ فالثروة لم تكن توزع فيه توزيعاً عادلاً مما أتاح وجود ثلاث فئات؛ فئة أرستقراطية تعيش حياة ترف ونعيم وأخرى فقيرة تعيش في بؤس دائم، وثالثة تعيش وسطاً بين الاثنين.

وقبل الشروع في الحديث عن هذه الفئات الثلاث يُستحسن سرد التقسيم الاجتماعي الذي قدمه ابن الخطيب الذي ينطبق على المجتمع الأندلسي في جميع مدن الأندلس وفي كل العصور الأندلسية ومما قاله في هذا المجال:" وكان الناس يومئذٍ(أي في عهد هشام المؤيد آخر خلفاء بني أمية) -لا بل وفي كل زمان- أربعة فَصنْفٌ [2] هَمّهُ الدُّنيا التي ينالُها بسبب الولد، هَبْهُ بالغاً، أو مراهقاً، أو طِفلاً في المهد، أو جنيناً في المَشْيَمة، وهم صنائع الحَكَم (أي الحاكم)، وخُدامُهُ، وعُمّاله، وفِتيانه، ورجاله... وصنفٌ[3] مُرْتَقٍ من الديوان، مشهور العناية والمكان، أو مجهول الشأن، راضٍ بحظّه من الزمان، لا يتشوّق إلى المزيد ولا يَحذِرُ من النقصان، قد تساوت في الدّول أحواله، وسكنت إلى الرِّزق والمفروض آمالهُ... فهو هادنٌ ساكنٌ، وإلى فئة العافية راكن. وصِنْفٌ[4] يُؤمِّلُ أمراً، ويُشبُّ إن قَدَرَ جمراً... مستوحشٌ ببخس حقّه، وجحْد سَبقِهُ... وهذا الصنف الصنف المُنَازِعُ المُنافِس بَيْنَ أن يَصمُتَ فيموتَ بدائه، أو يَجْهَرَ بالمنازعةِ فينتهي إلى قدر الله وقضائه. وكان في ذلك الوقت أضعف الأصناف... وصِنْفٌ [5] من أهل الدنيا والآخرة، قلّدوا أهل الحلِّ والعَقْد، والقَبُول والرّدُّ اجتهادهم، وسألوا الله توفيقهم وسَدَادَهم... وهم أشرف أوطاناً، وأعظم سلطاناً... وهُمْ جُمْهورُ الناس من الفقهاء والعلماء، والخاصة والدّهْماءَ... وصِنِفٌ [6] غارمٌ، لا هَمَّ له إلا فيمن يُخَفِّف أَصْرَه[7]، أو يُديْل باليسر عسره. وأما هؤلاء، فأوباش أسواق وحمقى ما لهم من أخلاق.. وصِنْفٌ[8] همّه الآخرة، بعيد من تعريج على شيء من الدنيا... إنما هو مشغولٌ بربّه

---

(1) العبادي: **في تاريخ المغرب والأندلس،** ص172.
(2) هذا الصنف هو الطبقة الحاكمة وما ألحق بها.
(3) هذا الصنف هو الطبقة الوسطى الراضية بوضعها الاجتماعي.
(4) هذا الصنف هو الطبقة الدنيا، وهو أضعف الأصناف واتعسها والمهيئة دائماً للثورة.
(5) هذا الصنف هو طبقة العلماء والفقهاء ورجال الدين.
(6) هذا الصنف هو ما عليه من ديون وضرائب وعليه تأديتها.
(7) الأصْرُ: بفتح الهمزة وكسرها وضمها. هو العبء الثقيل.
(8) هذا الصنف هو طبقة الزّهاد والنُّساك.

بربّه خاصة. وهذا جيلٌ قليلٌ، إنما ذُكِرَ مراعاةً للتقسيم ولا تخلو الأقطار منهم. فهم بركات الله بين عباده، وأولياؤهُ منهم"[1].

2-1- الفئة الأرستقراطية أو الخاصة:

تُعد هذه الفئة أغنى الفئات، وتتكون من أفراد الأسرة الحاكمة وعلى رأسها الملك وفي هذا المجال يذكر ابن سعيد، أن إظهار الهيبة كان من قواعد الحكم في عهد أمويي الأندلس فقال:" وكان خلفاء بني أمية يظهرون للناس في الأحيان على أُبَّهَة الخلافة، وقانون لهمْ في ذلك معروف إلى أن كانت الفتنة، فازدرت العيون ذلك الناموس واستخفّت به"[2].

أما في عصر ملوك الطوائف فقد تغيرت الأحوال وفي ذلك يقول ابن سعيد:" ولما جاء ملوك الطوائف صاروا يتبسّطون للخاصة وكثير من العامة، ويُظهرون مداراة الجند وعوام البلاد، وكان أكثرهم يحاضر العلماء والأدباء، ويحب أن يشهر عنه ذلك عند مُباديه في الرياسة"[3].

هذا وقد شغف ملوك الطوائف بالشعر، فأحاطوا أنفسهم بالشعراء يمدحونهم فيغدقون عليهم الأموال والهدايا، وحين لا ينال الشعراء ما كانوا يتوقعون في مديحهم لأي كان من ملوك الطوائف، فكانوا يتجرؤون ويهاجمونه، فقد تجرأ أبو مروان بن الغصن على توجيهه هجاء لاذع إلى المأمون قائلاً : (الطويل)

تَلَقّــبْتَ بالمــأْمُوْنِ ظُلْــماً وإنَّــني ... لآمَــنُ كَلْــباً حَيــْثُ لَسْتَ مُؤَمِّنهْ

حَــرَامٌ عَلَيْــهِ أَنْ يَجُــوْدَ بِبشــرهِ ... وَأَمَّــا النــَّدْى فانْدُبْ هُنَالِكَ مَدْفَنَهْ

سُطُوْرُ المَخَازِي دُوْنَ أبوابِ قَصْرِهِ ... بحُــجَّابِهِ للقــاصدين مُعَــنْونَهْ [4]

وكان عامة الناس يلقبون ملوكهم بالألقاب؛ فقد لقبوا المنصور محمد بن أبي عامر بالأحدب. وقد نَظَم إبراهيم بن إدريس الحسني أبياتاً يصف فيها المنصور بن أبي عامر بالأحدب ويعيب عليه تغلبه على هشام المؤيد واستبداده بالأمر دونه:(الكامل)

فيــمَا أَرَى عَجَبٌ لِمَنْ يتَعَجَّبُ ... جَلَــتْ مُصيبَتُنَا وضَــاقَ المذهبُ

إِنـــي لأكــذبُ فِــيْــمَا أَرَى ... حَــتَى أَقُــولَ غَلطتُ فِيْمَا أَحْسبُ

أيكون حيــاً مــن أُمَيَّــةَ واحدٌ ... ويسوسُ ضَخم الملكِ هذا الأَحْدَبُ

---

(1) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**،ص44-48.
(2) المقري:**نفح الطيب**،ج1 ص206.
(3) المصدر السابق، ج1 ص 206.
(4) المصدر السابق، ج4 ص 325.

تَمْشِي عَسَاكِرُهُم حَوالي هَوْدَجٍ   أَعْــوادُهُ فِيـــهِنَّ قـــرد أشهب [1]

ومن عناصر هذه الفئة الأرستقراطية أيضاً القضاة، وكبار الكُتاب والفقهاء، والعلماء، والموسورون من التجار، وكبار الملاك، وقد نعمت هذه الطبقة بدخل مرتفع وبوضع اقتصادي واجتماعي متميز، فمال أصحاب هذه الفئة إلى الترف والاسترخاء والعبث، والانغماس في حياة اللهو والغناء خاصة منذ قيام دويلات الطوائف، التي لم تكن في حقيقة الأمر سوى حركة انتزاء للعصبيات المحلية في مختلف مدن الأندلس وشعورها بقدرتها على الاستئثار بالحكم في مناطقها واستغلالها لمصالحها الخاصة، كما فعل بنو جحاف في بلنسية [2] .

ويذكر ابن بسام أنه ظهر في بلنسية أثناء فترة حكم مبارك ومظفر العامريين طبقة ثرية تشكلت من الوزراء والفتيان الصقالبة العامريين الذي نعموا في عهدهما برخاء وترف اجتماعي واقتصادي لا مثيل لهما[3]، بالإضافة إلى القضاة وكبار العلماء الذين آلت إليهم الرئاسة في أوقات المحن، كالشأن في القاضي ابن جحاف وفي بعض فقهاء بني واجب.

2-2- الفئة الوسطى:

وتتكون من التجار وكبار المزارعين وأصحاب الحرف والموظفين التابعين للمملكة والملاكين الصغار وبمن فيهم المزارعون الكبار والمتوسطون. وقد عاش معظم أفرادها في بلنسية لأنها مقرّ الحكم وعاصمة المملكة آنذاك، مما زاد من عدد سكانها وجعلها مركزاً للتقدم والتطور في جميع الميادين، وكان أهل تلك الطبقة يعيشون مستوى يتراوح ارتفاعاً وانخفاضاً بحسب الأشخاص ووظيفتهم المهنية[4].

وجدير بالملاحظة أن معظم الملاك المزارعين كانوا من المستعربين الذين تمرسوا في أعمال الزراعة، واشتهرت أراضيهم بوفرة إنتاجها[5]. كذلك وُجد في بلنسية في بداية عصر الطوائف طبقة من كبار التجار والصنّاع، الوافدون الذين نزلوها هرباً من الفتنة القرطبية، وتمكنوا من تكوين ثروات ضخمة في بلد يتمتع بنشاط تجاري وصناعي مثل بلنسية [6].

2-3- الفئة الدنيا:

رغم المعلومات القليلة المتعلقة بالفئة الدنيا والمتناثرة في صفحات المصادر هنا وهنالك، فقد رُسم صورة مقبولة عنها؛ فهي تضم السواد الأعظم من السكان، وينضوي إليها العامل والحرفي،

---

(1) بيرس: مرجع سابق،ص387.
(2) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**,T.1, pp.74-75.
(3) ابن بسام: مصدر سابق،م3ص8-9.
(4) خالص، صلاح: **إشبيلية في القرن الخامس الهجري**، دار الثقافة، بيروت،1965م،ص39.
(5) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**,T.1, p.75
(6) ابن بسام: مصدر سابق،م3 ص8.

والتاجر الصغير، والأجير، والمزارع الصغير والقصّاب، حتى العاطل عن العمل؛ فأصحاب هذه الطبقة كانوا يعانون من الظلم يتحملون وزر سوء الأوضاع والاضطرابات فضلاً عن جور الملاك وجباة الضرائب. وقدم ابن عذاري صورة عكست حياة أناسٍ ينتمون إلى هذه الطبقة، كانوا يَلْبَسُون الجلود والحُصر، ويأكلون البَقْلَ والحشيش، وذلك في أيام مبارك ومظفر في بلنسية[1].

هذا وبسبب فداحة الضرائب، اضطر العديد من المزارعين إلى ترك أراضيهم، فاستولى عليها هذان الصقلبيان[2](مبارك ومظفر).

إضافة إلى ذلك، فقد تعرضت الأراضي البلنسية للنهب والتخريب أثناء حصار السيد القنبيطور لبلنسية، الأمر الذي ساعد على ازدياد حالة البؤس والشقاء لاسيما زراع بلنسية [3].

2-4- الإسبان المرتزقة:

وهذه العناصر تشكل إحدى طبقات المجتمع البلنسي، فقد استعان بعض أمراء بلنسية بالجند المرتزقة، فالمنصور عبد العزيز بن أبي عامر كان يستخدم في جيشه، قوات مرتزقة من الإسبان، زوده بها بعض الحكام الإسبان في الشمال الإسباني نظراً لصلة القربى التي تربطهم به، وكذلك استعان القادر يحيى بن ذي النون بفرقة من الجنود الإسبان بقيادة البرهانس (Alvar Hanez) عند استيلائه على بلنسية، وظل هؤلاء فترة في بلنسية لحماية القادر [4].

3- أهم مظاهر الحياة الاجتماعية في مملكة بلنسية:

3-1- الصفات الغالبة على أهل مملكة بلنسية:

قبل الشروع في الحديث عن صفات أهل بلنسية يُستحسن الإشارة إلى ما أجمله المقري عن ابن غالب في كتابه " فرحة الأنفس" من صفات أهل الأندلس فقال:" لأهل الأندلس حُسْنُ الهمة في الملبس والمطعم، والنظافة والطهارة، والحب للهو والغناء، والحرص على طلب العلم. إنهم عرب في الأنفة وعلوّ الهمم وفصاحة الألسن وقلة احتمال الذلّ، هنديون في إفراط عنايتهم بالعلوم، بغداديون في ظرفهم ونظافتهم ورقة أخلاقهم، يونانيون في استنباطهم للمياه واختيارهم لأجناس الفواكه وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر وصنوف الزهر، صينيون في إتقان الصنائع العملية، تركيون في معاناة الحروب"[5] . وكون أهل مملكة بلنسية جزءاً من شعب الأندلس، فإن ما يُقال

(1) ابن عذاري: مصدر سابق،ج3 ص162.
(2) ابن بسام: مصدر سابق،م3 ص10.
(3) ابن عذاري: مصدر سابق،ج4 ص32-33.
(4) المصدر السابق،ج3 ص 304.
(5) المقري: **نفح الطيب**،ج4 ص 133-134.

عن الأندلسيين عامة، يمكن أن يقال عن أهل بلنسية.

وفي الإمكان تسلط الضوء على الحياة الاجتماعية في مملكة بلنسية في عصر ملوك الطوائف على الرغم من أن المصادر لم تعطِ معلومات كافية حول الموضوع؛ فكل ما ذكرته هذه المصادر لا يعدو إشارات قليلة، ولكن يمكن استنباط مادة يمكن الإفادة منها في رسم صورة واضحة المعالم عن هذا المجتمع، وأهم هذه الإشارات ما أورده العذري بقوله:" وقد أطبعت مدينة بلنسية بقلة الهم، لا تكاد ترى فيهم أحداً من جميع الفئات إلا وهو قليل الهم مليئاً كان أو فقيراً؛ فقد استعمل أكثر تجارها لأنفسهم أسباب الراحات والفرج".[1]

فمن خلال هذا النص يمكن استنتاج بعض ملامح الحياة الاجتماعية في مملكة بلنسية في عصر ملوك الطوائف وقبيل هجوم السيد القنبيطور عليها، ومن أبرز هذه المظاهر، أن الحياة تتميز بالسهولة واليسر، فلم يكن أهل المملكة يعانون أية مشكلة اقتصادية سواء بالنسبة للفقراء أو الأغنياء.

ويبدو أن موقع البلاد، والطبيعة الجغرافية، والبيئة، قد أثرت على طباع البشر؛ ذلك أن وقوع بلنسية على البحر وانبساط أراضيها واتساع بساتينها وجناتها قد ساعد على انبساط وانشراح نفسيتهم، وليس أدل على صحة هذا القول من الإطلاع على شعر الروضيات الذي ينسب إلى شعراء بلنسية وعلى رأسهم ابن خفاجة، وابن الزقاق، وابن غالب الرصافي، وهي أشعار تتسم بالرقة، وتعبر عن سحر الطبيعة، وجمالها. والشعر صورة صادقة يعكس واقع أي مجتمع من المجتمعات ولا بد من الإشارة إلى أن بساتين بلنسية ووفرة مياهها ورياضها كان حافزاً على مجالس الطرب والأنس التي اشتهرت بها ولاسيما في عصر دويلات الطوائف.

وكان التجار ينعمون بترف اجتماعي، ساعدهم فيه ذلك النشاط التجاري الكبير الذي اتسمت به المدينة بحكم صلاتها التجارية بالدويلات العربية في المغرب والأندلس أو بالممالك الأوروبية المجاورة، أو بالأقطار العربية المطلة على الحوض الشرقي من البحر المتوسط[2].

ويشير الحميري، إلى أن أهل بلنسية كانوا يمتازون بكرم الطباع، وطيب النفوس، والميل إلى الراحات[3]، أما المقري فيشيد بفضائل أهل بلنسية فيقول:"وأهلها أصلح الناس مذهباً، وأمتنهم ديناً وأحسنهم صحبة، وأرفقهم للغريب"[4]. أما ياقوت فقد مدحهم وسماهم "بعرب الأندلس"[5].

---

(1) العذري: مصدر سابق، ص18.

(2) Huici Miranda : **Historia Musulmana de Valencia**,T.1, p.62.

(3) الحميري: مصدر سابق،ص47.

(4) المقري: **نفح الطيب**،ج4 ص195.

(5) ياقوت، **معجم البلدان**،ج1 ص 582.

2-3- الأسرة:

كان أهل الأندلس يقدسون الحياة الأسرية، لذلك كان الزواج من المناسبات السعيدة التي يحتفل بها الأندلسيون احتفاءً شديداً، وقد أشارت كتب النوازل إلى وجود الخاطبة في بلاد الأندلس والمغرب، فهذه الأخيرة (الخاطبة) كانت تقوم بالتمهيد للاتفاق بين الطرفين وعقب ذلك يرسل الخاطب والده وإخوته إلى دار العروس للاتفاق النهائي. ويذكر ألونشريسي أن الخطبة كانت تتم بالتواعد على الإيجاب والانعقاد بتوقيت زمان يحضره الشهود وينبرم فيه الأمر[1].

وبعد انتهاء الخطبة يتم عقد القران بكتابة وثيقة الزواج (النكاح) لدى صاحب خطة المناكح[2]. هذا ويفضل الكثيرون عقد الزواج في أحد المساجد جلباً للبركة [3]. وفي ذلك يقول التادلي:" وكانت عامة أهل البلدان يعقدون أنكحتهم بالمسجد"[4]. وكان الزواج يمر بكثير من الإجراءات حتى يتم، من ذلك موجبات صحة النكاح، وفي كيفية العقد وشروطه وفي الأولياء وفيمن تؤول إليه الولاية في غياب الولي الشرعي ثم الصداق وحكمه وقدره وجنسه وتأجيله إلى غير ذلك[5].

وكانت معظم عقود الزواج مشروطة بشروط خاصة على الزوج إذا أخل بأحدها، كان الطلاق حقاً للمرأة ، كأن يشترط الزوج على نفسه إن غاب مدة عن زوجته يتفقان عليها، فلها أن تطلق نفسها، وأحياناً كانت المرأة تشترط على زوجها أن لا يتزوج عليها ، وأن لا يتسرى معها، فإن فعل شيئاً من ذلك فأمرها بيدها، وكان هناك هدية يقدمها الأزواج إلى الزوجات، وذلك جلباً لسرورها[6].

كما كان ينص العقد أحياناً على ألاّ يرحل الزوج زوجته عن دارها إلا بإذنها ورضاها، وإن رحلها، فأمرها بيدها، وألا يمنعها عن زيارة جميع أهلها.. وأن يعاملها بالمعروف[7].

أما فترة الخطوبة، وكما يشير ليفي بروفنسال ،فكانت مصحوبة بكثير من المصاريف،

---

(1) ألونشريسي: **المعيار الم عرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس** ، مطبعة الشافعية، د.ت،ج3ص 121،190،248.
(2) ابن عبدون: مصدر سابق، ص13.
(3) المصدر السابق، ص 13.
(4) التادلي: **التشوف إلى رجال التصوف**، نشره وصححه أدولف فور،الرباط،1958م،ص75.
(5) ابن رشد القرطبي الأندلسي: **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** ، تحقيق عبد الحليم محمد عبد الحليم، دار الكتب الإسلامية، 1983م،ج2 ص 3، 25.
(6) ابن سهل: **مخطوط الأعلام بنوازل الأحكام** ، السفر الأول والثاني، تحقيق نورا محمد عبد العزيز التويجري، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، الرياض، 1401هـ، ص48، مخطوط رقم 316.
(7) ألونشريسي، مصدر سابق، ج3 ص 108-109.

منها، تجهيز العروس[1]، ويبدو أن الأب في بعض الأحيان يسعى إلى الاقتراض حتى يجهز ابنته للزواج[2]، كما يبحث لها عن دار تتزوج فيها إن لم يكن لدى الزوج بيت أعدّه للزواج [3]، وكانت فترة الخطوبة والزواج تتطلب الكثير من النفقات، وكان الزوج هو الذي يتكفل بنفقات حفل الزفاف، فهو الذي يتولى شراء جهاز العروس وملابسها، ثم يحدد موعد حفل الزفاف، وتستمر الاحتفالات أسبوعاً كاملاً في منزل العروس لتلقي التهاني[4]، ويتم إحضار الطباخين لتجهيز الطعام اللازم لحفل العرس[5].

كان حفل الزفاف يقدر بحسب طبقة العروسين الاجتماعية؛ فهناك أعراس تدل على التواضع، وأخرى تدل على سعة الحال، كحفل زفاف ابنة أبي بكر صاحب بلنسية من الأمير أبي جعفر أحمد بني المؤتمن بن هود، والملقب بالمستعين بالله، الذي تم في سرقسطة، وكان (الحفل) مضرب الأمثال في البذخ والبهاء، وذلك في رمضان عام 477هـ/1084م[6].

وأعطى ألونشريسي معلومات قيمة حول موضوع الزفاف، حيث يحضر الراقصون والمغنون وضاربو الدفوف[7].

وكان يختلط الرجال بالنساء في هذه الحفلات. وقد أشارت كتب الحسبة إلى ضرورة أخذ السلاح من الشبان لدى إقبالهم إلى العرس قبل أن يشربوا، وذلك مخافة حدوث مشاجرات وحوادث لا تحمد عقباها[8]، وبعد مرور عدة أيام على الاحتفالات، تزف العروس إلى زوجها وتُرسل إلى بيته في موكب من الأصحاب والموسيقيين فيستقبلها الزوج [9]. هذا وقد صور الشعر الأندلسي حفلات الزواج، فوصف زفاف العروس وخروجها من بيت أهلها إلى بيت زوجها كقول ابن خفاجة: (الكامل)

زُفَّ الزُّجَاجُ بها عَرُوسَ مُدَامَةٍ تُجْلَى ونُوّارُ الغُصُونِ نِثارُ [10]

ومما يجدر ذكره أن الزوجة قلما كانت تبرح دارها، وكانت تقضي معظم وقتها في أرجائه،

---

(1) Lévi provençal: **Histoire de l´Espagne Musulmane**,T. 3, p. 403.

(2) ابن صاحب الصلاة: **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين** ، السفر الثاني، تحقيق عبد الهادي التازي، ط1 ، دار الأندلس، بيروت، 1964م، ص 297.

(3) ابن الأبار: **التكملة**، ج1 ص 33.

(4) Lévi provençal: **Histoire de l´Espagne Musulmane**, T.3,P.403.

(5) ابن عبدون: مصدر سابق، ص 52.

(6) ابن خاقان: **قلائد العقيان**، ص 67؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص 304؛ المقري: **نفح الطيب**، ج2 ص 173.

(7) ألونشريسي: مصدر سابق،ج3 ص25.

(8) ابن عبدون: مصدر سابق، ص 51-54.

(9) لوبون: مرجع سابق، ص 367.

(10) ابن خفاجة:الديوان، مصدر سابق، ص119.

ولهذا كان صحن الدار يتوسط التخطيط العام للدار الأندلسية، حتى تستشعر المرأة داخل بيتها قدراً من الحرية. وكان يعلو الدار مصارى لها نوافذ بارزة عن جدران الدار تسمح للمرأة أن ترى من خلالها ما يجري في الخارج دون أن يراها أحد، ودور بلنسية كانت من هذا النوع، لذلك أمر السيد القنبيطور جنده بتغطية نوافذ الأبراج المطلة على المدينة ،عندما استولى عليها، حتى لا يقدم أحد من الجند الإسبان، على كشف عورات البيوت والاطلاع على ما يجري داخل بيوت العرب[(1)].

وبذلك كانت الزوجة تتمتع بحرية ضيقة، هذه الحرية تتسع داخل المجتمع الحضري حيث تشارك المرأة في بعض الأحيان في مجالس الأدب والطرب. وأحياناً تخرج مع أفراد أسرتها إلى المناطق الخلوية والمنتزهات، والحمامات العامة المخصصة للنساء أو لزيارة المقابر [(2)].

وكان الأغنياء من الرجال يستطيعون الزواج بأكثر من واحدة، أما بالنسبة للفقراء، فلا يستطيع الرجل الزواج بأكثر من واحدة، ولاسيما أن الإسلام يبيح الزواج بأربع بشرط العدل بينهن.

وقد شغف أهل بلنسية بالغناء؛ فكان ذلك مدعاة لاقتنائهم المغنيات، وفي ذلك يقول العذري:" ولا تكاد تجد فيها من يستطيع على شيء من دنياه إلا وقد اتخذ عند نفسه مغنية وأكثر من ذلك"[(3)].

وإذا كان هناك من يقبل على الزواج بواحدة أو أكثر، فإن البعض الآخر كان يُعرض عن الزواج، وفاءً لمحبوبه والاكتفاء بما في يده من صنعة أو ضياع مثل: أبي إسحاق إبراهيم بن خفاجة[(4)].

وضمن هذا النطاق (الأسرة) يمكن الحديث عن الطفل إذ كان يُسمى في اليوم السابع ويُكنى، ويقوم والده بإعداد وليمة فخمة تسمى "العقيقة"، تدعو فيها الأسرة الأهل والأقارب والأصدقاء ليشاركوهم فرحتهم بالمولود الجديد[(5)]، وكان ختان الطفل يتم في العام السابع من عمره وكان الهدف من الختان هو الحفاظ على حياة المسلم.

ويبدو أن الأندلسيين تأثروا بمظاهر الاحتفال هذه بشعائر التعميد المسيحية، وذلك باحتفال

---

(1) Menéndez pidal: **La España del cid,** V.1, P.485.

(2) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**,T.1, pp.64-65.

(3) العذري: مصدر سابق، ص18.

(4) ابن الأبار: **التكملة،** ج1 ص 124-125، سيَرد له ترجمة ضافية لاحقاً.

(5) التادلي: **التشوف إلى رجال التصوف** ، ص 389، حسن، حسن علي: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين،** ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م، ص 409.

كبير تشترك به كل طبقات المجتمع، وهذه الحفلات كانت تحمل اسم"الإعذار" أو "الصنيع" [1].

ومن أشهر حفلات " الإعذار" التي احتفل بها الأمراء تلك التي أقامها المأمون بن ذي النون بمناسبة ختان حفيده يحيى[2].

وكما وُجد الزواج وُجد الطلاق، الذي كان يقع من الرجل على زوجته، لأسباب متعددة ومنها سوء أخلاق الزوجة، أو بسبب تدخل المفسدين، أو بدافع الانتقام إلى غير ذلك من الأسباب... لذلك رأى ابن عبد الرؤوف أن يؤدب من يحلف بالطلاق، كما أوصى بعقاب الرجل الذي يستخدم محللاً لغيره[3].

3- 3- الأعياد والاحتفالات الدينية والمواكب:

كان لعرب بلنسية أعياد ومواسم دينية على نسق ما كان يعرفه المشرق، ومن هذه الاحتفالات حلول شهر رمضان ،حيث يخرج القضاة وأئمة المساجد لاستطلاع هلال رمضان؛ ففي هذا الشهر تقام الحلقات الدينية والصلوات بالمساجد والإكثار من قراءة القرآن[4]، وتزداد العناية بإنارة المساجد بالمصابيح ذات الألوان[5].

ويصف ليفي بروفنسال مشهد الشوارع بُعيد الإفطار خلال شهر رمضان، فيقول: إنها كانت تضج بالحيوية، فالمتاجر تبقى مفتوحة لوقت متأخر من الليل والباعة الجائلون والحلوانية وبائعو المشروبات يجتهدون في إرضاء زبائنهم [6].

كذلك احتفلوا في ليلة السابع والعشرين في رمضان بليلة القدر [7] ، وفيها تضاء الشموع وتباع الحلوى ويقدمونها[8].

وفي نهاية شهر رمضان كان يتم الاحتفال بختم القرآن ويسميها المقري"الختمة" [9]، وفي هذه الليلة تكثر إضاءة المساجد والجوامع بالشموع وبالقناديل ويطلق البخور احتفالاً بهذه المناسبة، ومن الليالي العظيمة كما يسميها ابن عبدون الإشبيلي ليلة النصف من شعبان، وفيها يُفرج عن

---

(1) المقري: **نفح الطيب**،ج1 ص 421.
(2) نصوص من كتاب **" المتين"**، لابن حيان، ص 183، وما بعدها، وقد أشير إلى ذلك سابقاً.
(3) ابن عبد الرؤوف: **رسالة في آداب الحسبة والمحتسب**، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي ، القاهرة، 1955م، ص 83.
(4) التادلي: **كتاب المغري في أخبار مناقب الشيخ سيدي أبي يعزي**، دار الكتب المصرية،رقم 1249،مخطوط رقم 7.
(5) لوبون: مرجع سابق،ص510.
(6) Lévi pronveçal: **Histoire de l’Espagne Musulmane**,T.3, p.436.
(7) العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق أحمد زكي باشا،القاهرة،1924م،ج1 ص 214.
(8) الطرطوشي: **الحوادث والبدع**،تحقيق الطالبي،تونس،1959م،ص140.
(9) المقري: **نفح الطيب**،ج2 ص88.

المسجونين في الأندلس[1].

أما عيد الفطر فيقع في الأول من شوال، وتحديده من اختصاص قضاة كور الأندلس وأهل الشورى كما يذكر ابن حيان [2]، مع العلم أنه كان يحدث أحياناً اختلاف حول رؤية الهلال بين قضاة الكور والأقاليم [3].

وفي يوم عيد الفطر يستيقظ الناس باكراً، فيتوجهون إلى المصلى خارج المملكة من كل باب من أبوابها لأداء صلاة العيد، ويذكر الطرطوشي أنهم كانوا يصحبون معهم نساءهم وأطفالهم، حيث ينصبون الخيام على مقربة من المصلى لمشاهدة فرحة العيد[4].

وفي العيد كان الناس يهنئ بعضهم البعض ويقبلون على شراء الحلوى، ولذلك يرى الطرطوشي أنه من البدع اجتماع الناس بأرض الأندلس في هذا اليوم على ابتياع الحلوى[5]، كذلك كذلك يرى الطرطوشي أنه من البدع أيضاً خروج الرجال جميعاً أو أشتاتاً مع النساء مختلطين للتفرج في أيام العيد، ويخرجون للمصلى، ويقمْنَ فيه الخيم للتفرج لا للصلاة[6].

وكان الأندلسيون يحرصون على ارتداء الثياب الجديدة ، وكانت المرأة تستخدم العطور، والتخضيب بالحناء، إضافة إلى تكحيل العيون، وكنّ يرتدين أفضل الثياب وأغلاها، وتتزين بالذهب والحلى، وعقب الصلاة يتجهون إلى المقابر لزيارة موتاهم والترحم عليهم. وفي هذا المجال شدد ابن عبد الرؤوف، على منع اختلاط النساء مع الرجال في الأعياد وفي المحافل [7]، أما ابن عبدون فقد حثَّ على عدم ترك الشبان في الطرقات أيام العيد لاعتراض النساء في المقابر[8].

وفي هذه المناسبة يقول ألونشريسي: إنه من البدع المستحسنة في بلاد الأندلس والمغرب قول الرجل للآخر في العيد: «يتقبل الله منا ومنك وغفر لي ولك» [9]. وفي هذا العيد كان الأندلسيون يتصدقون على الفقراء، ويخرجون زكاتهم، ويذهبون إلى المنارة متفرجين[10].

---

(1) ابن عبدون: مصدر سابق،ص180.
(2) ابن حيان: **المقتبس**،تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص 23.
(3) المصدر السابق،ص28.
(4) الطرطوشي: مصدر سابق، ص 141.
(5) المصدر السابق، ص 140.
(6) المصدر السابق، ص 141.
(7) ابن عبد الرؤوف: مصدر سابق، ص 74.
(8) ابن عبدون: مصدر سابق، ص 127.
(9) ألونشريسي: مصدر سابق، ج2 ص461.
(10) لوبون: مرجع سابق، ص421.

وفي الاحتفالات بعيد الفطر يقول أبو الحسن بن الزقّاقَ: [1] (الطويل)

وشَهْرٍ أَدَرْنَـــا لارتِقَــابِ هِلالِــهِ عيوناً إلى جوِّ السَّــمَاءِ مَــوَائلاً

إلى أنْ بَدَا أَحْوَى المَدامِعِ أَحْــوَرٌ يَــجُــرُّ لأبرادِ الشــباب ذَلاذِلاً [2][3]

أما عيد الأضحى فيصادف في العاشر من ذي الحجة، وهذه المناسبة كانت فرصة للاحتفال والتأنق سواء في الطعام أو الشراب أو الملبس. وقد جرى التقليد على تقديم أضحية، وشراء الأخيرة يكون قبل يوم أو يومين من النحر. ويذكر الطرطوشي أن النحر كان مادة للتفاخر بين الأسر الأندلسية فيقول:"إن الناس يتنافسون في الأضحية للافتخار لا للسنة ولا لطلب الأجر بل لإقامة الدنيا" [4].

وفي العاشر من المحرم، كان الاحتفال بيوم عاشوراء، ذكر مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب عام 61هـ/680م، بكربلاء على يد جيش يزيد بن معاوية، فجعل الشيعة من هذا اليوم مناسبة حزينة[5]، وفيه كانوا يعدون طعاماً معلوماً[6] ، ويتوسعون في العطاء والنفقة.

أما في الثاني عشر من ربيع الأول، فكان الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، ومن مظاهر الاحتفال بهذه الذكرى، إعداد الأطعمة واختلاط الرجال بالنساء واستعمال آلات اللهو والطرب عند الاحتفال في تلك الليلة، وتفرق الصدقات على الفقراء[7]ويذكر ألونشريسي أن بعض الناس كانوا يوصون بجزء من أملاكهم لإقامة ليلة المولد النبوي [8].أما صلاة الاستسقاء، فكانت تقام في الهواء الطلق[9].وكانت الآيات القرآنية تتلى في العيد كما تتلى في كل المناسبات الدينية، وتقام

---

(1) أبو الحسن، علي بن عطية بن مطرف بن سلمة المعروف بابن الزقاق البلنسي، المتوفي عام 528هـ/1133م أو عام 530هـ/1135م. ولد في بلنسية أثناء فترة وقوع المملكة تحت حكم السيد القنبيطور، ولهذا سمي بالبلنسي، وقد عاصر تحرير بلنسية على أيدي المرابطين. ويسمى ابن الزقاق باللخمي لأنه عربيب النسب من ناحية الأب، مغاربي الأم التي تنسب إلى قبيلة هوارة المغاربية.(سترد له ترجمة ضافية من بعد).

(2) الذلاذل: أهداب الثوب.

(3) ابن الزقاق: الديوان ، مصدر سابق، ص238؛ ابن الأبار: **الحلة السيراء** ج2 ص20، ولكن باختلاف يسير عما جاء في الديوان حيث قال: "يجر لأذيال الشباب ذلاذلا

(4) الطرطوشي: مصدر سابق، ص142.

(5) أحمد شلبي: **الحياة الاجتماعية في الفكر الإسلامي** ، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1986م، ص 170-172.

(6) ألونشريسي: مصدر سابق ج 2 ص 280؛ محمود علي مكي: **التشيع في الأندلس** ، مجلة المعهد المصري، مدريد، العدد الثاني،1954م،ص 177-178.

(7) ألونشريسي: مصدر سابق، ج11ص278-279.

(8) المصدر السابق، ج11 ص 279.

(9) المقري: **نفح الطيب**، ج2 ص 109.

الصلوات، وتضاء المساجد[1]،ويميل الناس إلى الاسترخاء والتوقف قليلاً عن العمل، في العيد، وكان بعض الفقهاء يتوقفون عن الدرس والتعليم ويحتفلون بالعيد مع تلاميذهم بتناول الطعام[2].

ومن الأعياد الخاصة بالإسبان، عيد القديس سان خوان (Sun Juan) الذي يسميه العرب عيد العنصرة[3]، ويقع هذا العيد في الرابع والعشرين من حزيران من كل عام، وكانوا يحتفلون به به في المدن والريف، فيجرون النيل وتقوم النساء برش بيوتهنّ، ويخرجنّ ثيابهنّ إلى الندى بالليل ويغتسلْنَ في ذلك اليوم، ويتركنّ العمل(4)،و يفيد الجرسفي أن الصبيان، اعتادوا في هذا اليوم على على رش الماء في الأسواق والشوارع وتزليق الطرق واللعب بالمقارع والعصي في الشوارع. وقد شدد الجرسفي على منع الصبيان والسفلة من القيام بذلك[5].وقد شارك عرب الأندلس، الإسبان الإسبان بهذا العيد، إضافة إلى عيد الشعانين [6]،وعيد الفصح، وخميس العهد [7] ، وعيد رأس السنة.

ومن الاحتفالات غير الدينية، كان الاحتفال بعيد العصير(Alacir)، وكان يقام عند جني محصول العنب وعصره، فكان الأهالي يغادرون بيوتهم إلى كروم العنب حيث يقومون أياماً يجمعون خلالها محصول الكروم ثم يحتفلون بذلك في جو يسوده المرح والغناء والرقص ،وجدير بالذكر أن هذا العيد ما زال قائماً حتى اليوم في إسبانيا[8].

ومن بين الاحتفالات أيضاً، الاحتفال بخروج موكب الأمير إلى المسجد الجامع لصلاة الجمعة، حيث يحيط به الحراس والحاشية والغلمان، وقد ذكر ابن بسام أن مباركاً ومظفراً أميري

---

(1) النباهي: **تاريخ قضاة الأندلس المسمى «كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا** »، نشر ليفي بروفنسال، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1948م، ص 115.

(2) ابن صاحب الصلاة: مصدر سابق، ص 511.

(3) عيد العنصرة: كملة "عنصرة" كلمة عبرية أصلها "عصريت" ومعناها "تمام الخمسين" ثم حرفت فصارت "عنصريت"، ومن ثم "عنصرة"، وعيد العنصرة يعني "عيد الخمسين"، أو حلول الروح القدس يوم الخمسين على تلاميذ السيد المسيح ،أي بعد انقضاء خمسين يوماً على عيد قيامة السيد المسيح من الموت، راجع بالنثيا: مرجع سابق، ص 21؛ أبو زيد، سعيد سيد أحمد: **الحياة الاجتماعية في الأندلس في عصر دولتي المرابطين والموحدين** 484-620هـ/1091-1223م، ط1، كلية الآداب، جامعة المنوفية، 1996م، ص185.

(1) العبادي: **الإسلام في أرض الأندلس**،ص106.

(5) الجرسفي: **رسالة في الحسبة**، تحقيق ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة، 1955م، ص 124.

(6) عيد الشعانين: هو ما يسمى بأحد السعف، وهو عيد دخول المسيح إلى أورشليم ملك اً في يوم الأحد الموافق العاشر من نيسان، بحسب التقويم اليهودي، حيث استقبله الناس بالفرح والتهليل، وهم يصيحون «أوصنا» أي خلصنا. راجع الشكعة ، مصطفى: **المغرب والأندلس** ، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة، بيروت، 1987م، ص 97؛ وكذلك أبو زيد: مرجع سابق، ص 185.

(7) خميس العهد: يقع قبل عيد الفصح بثلاثة أيام، وفيه يملأ إناء بالماء ثم يُرتل عليه وبعد ذلك يغسل البطريرك أرجل سائر الناس كما فعل السيد المسيح بتلاميذه في هذا اليوم،ويعلمهم التواضع، وأن لا يتفرقوا ويتواضعوا لبعضهم البعض. راجع أبو زيد: مرجع سابق، ص 185.

(8) العبادي : **الإسلام في أرض الأندلس**، ص 106.

بلنسية كانا يخرجان لصلاة الجمعة في المسجد الجامع في موكب ضخم يشبه في فخامته موكب مولاهما الحاجب المظفر عبد الملك بن أبي عامر، وكانا يلبسان أفخر الثياب، ويحيط بهما الأعوان والخدم[1].

هذا ويشير ابن عذاري إلى أن القاضي ابن جحاف عند خروجه في موكب كان يتقدمه العبيد ويتأخر عنه الجند وتستقبله المصانعة بالدعاء والثناء[2].

3-4- الموسيقى والغناء:

نشطت حركة الموسيقى والغناء في عصر ملوك الطوائف، وكان النخاسون يقومون بتعليم الجواري الروميات الغناء ليكسبوا في بيعهن الأموال، فاقتنى أمراء الطوائف منهن المغنيات المشهورات وأقبل أهل الأندلس من مختلف طبقاتهم على الفن الغنائي. وأصبحت الموسيقى العربية المنقولة من المشرق إلى الأندلس ذات أثر في أذواق غير العرب في شمال إسبانيا وجنوب فرنسا [3].

وكان أهل بلنسية كغيرهم من شعوب الأندلس، مشغوفين بسماع الموسقى والغناء، وكانت بلنسية، كغيرها من مدن الأندلس، تعتمد إلى حدٍ كبير على حركة الموسيقى والغناء التي شاعت في الأندلس منذ قدوم زرياب من المشرق إلى قرطبة، فالأصول التلحينية التي وضعها زرياب ظلت أساساً للغناء الأندلسي، يؤكد ذلك ابن خلدون في قوله أن زرياب قد أورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه حتى عصر الطوائف[4]. وذكر المستشرق الإسباني إميلو غرسية غوس " أنّ الفيض من الأنغام المشرقية، التي حملها معه زرياب إلى إسبانيا العربية والتي ترجع في مناشئها البعيدة إلى أصول يونانية وفارسية، أصبح الأصل النغمي للموسيقى الإسبانية"[5]

وذكر إحسان عباس أن الغناء كان وسيلة من وسائل نقل التلاحين العربية إلى ما وراء الحدود العربية بالأندلس وطريقاً إلى التأثير العربي عامة [6]. أما المستشرقة الألمانية هونكة زيغريد، فأشارت إلى أن النظريات الموسيقية العربية بدأت تظهر في الموسيقى اللاتينية في القرن السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين عن طريق المغنيين الدائمي

---

(1) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص 9-10.
(2) ابن عذاري: مصدر سابق،ج4 ص 32.
(3) ابن دحية: مصدر سابق ، ص 147؛ زيغريد، هونكة: **شمس العرب تسطع على الغرب**، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، ط6، دار الآفاق الجديدة، 1981م، ص490.
(4) ابن خلدون: مصدر سابق، ج1ص540؛ الحجي، عبد الرحمن: **تاريخ الموسيقى العربية الأندلسية**،ط1، دار الإرشاد، بيروت،1969م،ص 29-30.
(5) García Gómez (Emilio): **Poemas Arábigo andaluces**,Madrid,1959, p.27.
(6) عباس، إحسان: **تاريخ الأدب الأندلسي،عصر الطوائف والمرابطين**، دار الثقافة، بيروت،1974م،ص53.

الترحال، والسبايا من نساء الأندلس. وظلّت أوروبا مَدِيْنَةٌ لعرب الأندلس بالكثير من الآلات الموسيقية[1] .

ولم تقتصر الموسيقى في الأندلس على طبقة خاصة كما في المشرق، وإنما عمّت الشعب كله[2].

وهكذا اهتم مجتمع بلنسية بالغناء والموسيقى، وكانت مملكة بلنسية في عصر ملوك الطوائف من أهم مراكز الغناء والموسيقى في الأندلس، فقد عُرف أهل المملكة بميلهم إلى المرح وإقبالهم على الملاهي والغناء. وقد أشار إلى ذلك العذري: " ولا تكاد تجد فيها من يستطيع على شيء من دنياه إلا وقد اتخذ عند نفسه مغنية وأكثر من ذلك، وإنما يتفاخر أهلها بكثرة الأغاني فيقولون: عند فلان عودان[3] وثلاثة وأربعة وأكثر من ذلك، وقد أخبرت أن مغنية بلغت في بلنسية أكثر من مثقال طيبة، وأما دون الألف فكثيرات"[4].

ومما يذكر أيضاً أن المأمون بن ذي النون قد وصل أحد المغنين " بمائتي دينار ذهباً" [5]. وذلك أثناء حفلة الإعذار التي أقامها لحفيده يحيى [6].

3-5- وسائل اللهو والتسلية:

إن طبيعة بلنسية الخلابة التي كثيراً ما ألهمت شعراءها، وما اشتهرت به من كثرة البساتين والجنان الممتدة على ضفتي نهرها الأبيض، ووفرة مياهها التي تشق المنتزهات وتخترق الجنات كان لكل ذلك أعظم الأثر في تقدم فن الغناء والطرب. فضمن هذه البساتين والرياض والمنيات كانت تعقد الندوات ومجالس الأدب والطرب في عصر الدولة العامرية وعصر ملوك الطوائف حيث يجتمع الإخوان والأصدقاء بين أحضان الطبيعة لسماع النغمات المثاني والمثالث[7] ، وكان الحاضرون يفترشون الوسائد ويأكلون ويشربون ويطربون ويرقصون على إيقاع الدفوف والمزامير[8]. ويصف الشاعر ابن خفاجة مجلساً من تلك المجالس في بلنسية فيقول: **(مخلع البسيط)**

فكم يَومٍ لَهْوٍ قد أدَرْنَا بأُفْقِهِ نُجُومَ كؤوسٍ بين أقمارِ نُدْمانِ

---

(1) هونكة زيغريد: مرجع سابق، ص 492.

(2) فارمر، هنري جورج: **تاريخ الموسيقى العربية**، ترجمة حسين نصار، القاهرة، 1956م،ص221.

(3) العود :يسمى بالإسبانية (Alaud)، وهو من آلات الطرب. سالم، السيد عبد العزيز: **الغناء والموسيقى بالأندلس**، دائرة معارف الشعب، العدد 61، 1959م، ص104

(4) العذري: مصدر سابق، ص 18.

(5) ابن حيان: **نصوص من كتاب المتين**، ص 187.

(6) حول تفاصيل حفلة الإعذار، راجع المصدر السابق، ص 183 وما بعدها.

(7) سالم: **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**،ج2 ص 109-110.

(8) سالم ،السيد عبد العزيز: **صور من المجتمع الأندلسي** ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد،المجلد 19، 1976-1978م،ص64.

وللقُضْـــبِ[1] والأطيارِ مَلْهىً بجَرْعِهِ فما شِـئْتَ من رقصٍ على رَجْعِ ألحانِ[2]

والجدير قوله: إن مجالس الأنس والطرب والشراب تعددت خاصة في عهد الأمير المنصور عبد العزيز الذي كان يقيمها غالباً في منيته المعروفة باسم منية المنصور أو منية ابن أبي عامر.

إضافة إلى ذلك فقد كان الخروج للنزهة والتريض أحد وسائل اللهو والتسلية، وذلك بالخروج إلى ظاهر المملكة ونواحيها الخلابة طلباً للراحة والاستمتاع بالحياة بعيداً عن صخب الحياة داخل النطاق العمراني، فقد ذكر ابن بسام أن الفتى مباركاً صاحب بلنسية كان يخرج إلى ظاهر المملكة للتريض والنزهة[3].

والجدير بالذكر، أن هناك العديد من شعراء بلنسية الذين نظموا في الزهريات والروضيات، فصوروا جانباً من الحياة الاجتماعية في بلنسية كقول ابن الزقاق: **(المنسرح)**

وأغــيــدٍ طــافَ بالــكــؤوسِ ضُحى فحـــثَّــها والصَّـــباحُ قــد وَضَحَــا

والـــروضُ يُبدى لنا شــقــائــقَــهُ وآســُـهُ العــنبــريُّ قــد نَــفَحـَــــا[4]

ويقول ابن خفاجة: (الطويل)

سقاها و قد لاح الهلالُ عشـــيةً كما اعْوَجَّ في دِرْعِ الكَمَيِّ[5] سِنانُ

عقـــاراً نَمــــاها الكَـــــرمُ فهي كريمـــةٌ ولم تزنِ بابن المُزنِ[6] فَهي حَصَـــانُ

وضَمَّخَ رَدعُ[7] الشمسِ نَحـــــرَ حَديقــــةٍ عليـــه من الطَّـــلّ السّقيـــطِ جُمـــانُ[8]

ونمّـــت بأســـرار الـــريـــاض خـــمـــيلَةٌ لها النّـــورُ ثَغرٌ والنسيمُ لِسَان[9]

---

(1) القُضب: قضبان الأشجار، أغصانها.البستاني: مرجع سابق، ص 741.
(2) ابن خفاجة: الديوان، مصدر سابق، ص265؛المقري: **نفح الطيب**،ج2 ص219 .
(3) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص10-11؛ ابن الخطيب: **الإحاطة**،ج3ص221.
(4) ابن الزقاق: الديوان، مصدر سابق،ص 53،124؛ ابن سعيد:**المغرب في حلى المغرب**، ج2ص 371,324،.
(5) الكمي: الذي يكمي للعدو. البستاني: مرجع سابق ، ص 793.
(6)المزن: السحاب ذو المطر. المرجع السابق ، ص 849.
(7)الردع: الطيب. البستاني: مرجع سابق، ص 330.
(8) جمان: جمع جمانة وهي اللؤلؤة. المرجع السابق، ص 126.
(9) ابن خفاجة: الديوان، مصدر سابق، ص 263.

أما الصيد والقنص فمن وسائل التسلية الرئيسية في المدن الأندلسية؛ فقد كان الأمراء هواة للصيد بالباز (نوع من الصقور) يدربون صقورهم وجوارحهم على الصيد في نواحي أشبونة وجبال شرق الأندلس وجزر البليار، لذا نجد في كتب الأدب الأندلسي العديد من الأمثلة التي تشير إلى ولع بعض الأمراء بهواية الصيد، فهذا أمير مرسية ابن طاهر يبعث إلى صاحب بلنسية المنصور عبد العزيز أحد أنواع الطيور ليستخدمها في رحلات صيده في غابات وجبال بلنسية التي تكثر في نواحيها الشمالية [1].

ولم تقتصر هواية الصيد على الأمراء فقط، فقد كان العامة من الأندلسيين يجدون في الصيد متعة لهم ووسيلة من وسائل اللهو؛ فكانوا يخرجون في نزهات لصيد طيور الباز فاهتموا به وقاموا بإعداده وتربيته خاصة حول أشبونة وفي جبال الشرق[2]، ومن بين الجوارح أيضاً التي كان يستخدمها الناس في ذلك الشواهين (نوع من الصقور البيضاء)، والعقبان وغير ذلك، وكانت تصيد الحمائم وطيور المائي. أما الكلاب فتصيد الأرانب والثعالب والغزلان والظباء والبقر الوحشي[3].

ومن المناسبات مصارعة الثيران، وهذه المصارعة تكون ما بين الإنسان والثور أو الثور والكلب، أو الثور والأسد.

أما الفروسية فهي من الألعاب التي استهوت أفئدة الأندلسيين، وكان لانتشارها بالأندلس أثر عظيم في تكريم المرأة وتبجيلها، فالأندلسيون كانوا يقبلون على مشاهدة ألعاب الفروسية، وغالباً ما كان الشبان يستغلون تلك المناسبة لمراودة النساء اللاتي كنّ يخرجن مزينات للفرحة والاستمتاع[4]، ومن ألعاب الفروسية سباق الخيل والحمام[5].

وكانت لعبة الشطرنج[6] منتشرة بين الأندلسين، إضافة إلى ذلك فقد كان هناك ألعاب أخرى قد نهى عنها ابن عبدون، فقال: "يجب أن ينهى الشبان والصبيان عن لعبة اللطمة والمقرع، فإن ذلك ينذر بالنفاق والهرج"[7].كذلك قد نهى عن لعب الشطرنج والنرد والأزلام على سبيل القمار،

---

(1) ابن خاقان: **قلائد العقيان**،ص63.

(2) بيرس: مرجع سابق، ص 307-308.

(3) عبد المنعم: مرجع سابق،ص 142.

(4) ابن عبدون: **رسائل ابن عبدون**، تحقيق ليفي بروفنسال، باريس، 1947م، ص 27.

(5) العبادي:**الإسلام في أرض الأندلس**، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الثاني، 1979م، ص108.

(6) الشطرنج: لعبة هندية الأصل انتقلت إلى العرب عن طريق الفرس ، وأول من لعبها هارون الرشيد، ودخلت قرطبة عن طريق زرياب في القرن التاسع الميلادي أو بعض المهاجرين العراقيين. زيدان، جرجي: **تاريخ التمدن الإسلامي**، مطبعة الهلال، القاهرة، 1931م، ج 5 ص 159؛ Lévi Provençal: **Histoire de l'Espagne Musulmane**, T. 3, P. 443.

(7) ابن عبدون: مصدر سابق، ص 52.

فإنها حرام وتشغل عن الفرائض[1].

6-3- الزي البلنسي:

يقول المقري نقلاً عن ابن سعيد:" وأما زي أهل الأندلس فالغالب عليهم ترك العمائم، لا سيما في شرق الأندلس، فإن أهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضياً ولا فقهياً مشاراً إليه إلا وهو بعمامة [2]".

ومما يستوقف النظر قول ابن الخطيب : "... ولباسهم الغالب على طرقاتهم، الفاشي بينهم المِلَفٌ المصبوغ شتاءً"[3]، ويضيف كذلك"... فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة"[4].

ويبدو من وصف كل من ابن سعيد وابن الخطيب أن الأندلسيين لم يلبسوا العمامة ولا البرانس قبل مجيء المرابطين ويؤكد ذلك ما رواه ابن الأبار في الحلة السيراء فقد كتب المعتمد ابن عباد مُعَرِّضاً بابن صمادح(5) بأبيات منها: (الكامل)

ولقد ذَكَرْتُ فَزَادَ عَيْنَيَّ قُرَّةً   هُونُ السِّبَالِ وَخَزْيُ ربِّ البُرْنُسِ [6]

وكان معظم عوامهم يستعملون الطَيْلَسَان[7]وهو ثوب أخضر موصول به غطاء الرأس، ولكن دون أن يُغطّوا به رؤوسهم، والذين كانوا يضعونه على رؤوسهم هم الأشياخ وكثيراً ما كانوا يَلبسون غفائر الصوف الحمر والخضر، والصفر مخصوصة لليهود، والغفيرة لباس يغطي العنق والقفا. وكان العالم يرخي ذؤابته ويُسْدِلها من تحت الأذن اليسرى [8].

كذلك استخدموا الجلود والفراء [9] في ملابسهم، ولاسيما فرو الأرنب وفرو الفنك (10) اللذين ذكرهما الشعراء في قصائهم، كقول ابن صارة[11]: (الكامل)

---

(1) المصدر السابق، ص 53.
(2) المقري: **نفح الطيب**، ج 1ص 212-213.
(3) ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج1ص36.
(4) المصدر السابق، ج1 ص 36.
(12) ابن صمادح: هو أبو يحيى محمد بن معن.
(6)المعتمد بن عباد: ديوان المعتمد بن عباد، تحقيق أحمد أحمد بدوي وحام عبد المجيد، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1951م، ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2 ص 85، 87.
(7) Dozy, Rinhart: **Dictionnaire detaillé des Noms des Vêtements chez les arabes**, Librairie du Liban-Beirout, 1945, pp.278-280.
(8) المقري: **نفح الطيب**،ج1 ص 213.
(9) لقد استعمل الأندلسيون نوعاً آخر من الفراء لحيوان يدعونه فراء القنيلة، وهو حيوان أرق من الأرنب وأطيب في اللحم وأحسن وبراً. المصدر السابق،ج1 ص 192.
(10) الفنك: حيوان فروته أحسن الفراء. البستاني: مرجع سابق ، ص 703.
(11) هوالشاعر أبو محمد عبدالله بن محمد بن صارة الشنتريني،كان يعمل بالوراقة.المقري: **نفح الطيب**،ج2ص43 .

أَوْدَتْ بـــذاتِ يدي فُرَيَّةُ أرنبٍ كفـــؤادِ عُـــرْوَةَ في الضّنى والرِّقّةِ

يَتَجَـــشّمُ الفَـــرَّاءُ مِنْ ترقيعِها بُعْـــدَ المَشَـــقَّةِ فـــي قـــريبِ الشَّقَّةِ

إن قلـــت باسم الله عندَ لباسِها قَـــرأَتْ علـــيّ إذا السّماء انْشَقَّتِ [1]

كذلك كان لباس البياض عادتهم في الحزن على موتاهم، مخالفين في ذلك أهل المشرق، الذين كانوا يلبسون فيه السواد، كقول أحد الشعراء: (الوافر)

ألا يا أهل أُنـــدلس فَطِنْتم بِلُطْفـــكم إلى أمْـــرٍ عـــجيبِ

لَبِسْـــتم في مآتِمِـــكم بياضاً فَجئتُـــمْ منه في زيٍّ غـــريبِ

صَدَقْتُم فالبياضُ لباسُ حُزْنٍ و لا حُزنٌ أشَـــدُّ من المَشِيْبِ [2]

أما فيما يتعلق بأحذيتهم، فقد كانوا ينتعلون الخف، والطماق، (جمع طماقات)، وقد حرفها عرب إسبانيا عن الكلمة التركية "طوماق"، "يسمون أحذيتهم توماك وتكون هذه الأحذية صفراء أو برتقالية أو ذوات ألوان أخرى وكان القليل منهم يلبس أحذية سوداء أو بيضاء" [3]. كما أنهم كانوا ينتعلون الصنادل المصنوعة من الحبال التي تُسمى (بارْوَة) جمع بَارْوَات[4]، والأخيرة مصنوعة من القنب أو الحَلْفاء كما يقول دوزي، وهي مشتقة من الكلمة العربية (قرق) الموجودة في اللغة الإسبانية (Alcorque)[5].

أما زي جندهم ، فكان شبيهاً بزي جيرانهم الإسبان، وهو إسباغ الدروع أي توسيعها وتعليق الأتراس، وحَفَاءُ البيضات أي استعمال الخُوَذ الغليظة لوقاية الرأس، واتخاذ الأسنّة العريضة،والقرابيس البشعة (جمع قَرَبوس، هوحِنْو السَّرْج واستركاب حَمَلَة الرايات خلفه) [6].

ومن لباس الحرب عندهم الغنباز والأخير عند أهل المغرب صنف من الملبوس غليظ يستر

---

(1) ابن الأبار :**الحلة السيراء** ،ج2ص39 وما بعدها ؛ المقري :**نفح الطيب**،ج 4 ص392 - 393 .

(2) المقري: **نفح الطيب**،ج4 ص 395.

(3) Dozy: **Dictionnaire detaillé des Noms des Vêtements chez les arabes**, p.49.

(4) Dozy: **Dictionnaire detaillé des Noms des Vêtements chez les arabes**,p.53.

(5) Dozy: **Dictionnaire detaillé des Noms des Vêtements chez les arabes**,p.53; et **Glossaire des mots Espagnols et Portugais derivés de l'Arabe**,Librairie du Liban-Beirut,1974,p.93.

(6) ابن الخطيب: **الإحاطة** ،ج1ص37؛ **اللحمة البدرية في الدولة النصرية** ، دار الآفاق الجديدة، بيروت،1980م،ص39.

العنق وإن أفضل ما يمكن أن يستعمله الرجل لمنع حملة السيوف من الأذى هو أن يلبس غنبازاً. والغنباز عند الغربيين هو نوع من اللباس الخشن الذي يغطي العنق(1).

أما فيما يتعلق بنوعية الملابس فقد أشيرسابقاً إلى الملف المصبوغ ،وهو نوع من الجوخ المنسوج من الصوف. أما في الصيف فكانوا يرتدون الكتّان، أوالحرير، أوالقطن، أوالأردية الإفريقية، أوالمقاطع التونسية، أوالمآزر، أوالمِرعِزّى، وهو كالصوف يخلص من بين شعر العنز(2).

وهنا لا يُنسى أثر أبي الحسن علي بن نافع، الملقب بزرياب(3) في الزي الأندلسي؛ فقد سن لهم كيفية ارتداء الملابس في أوقاتها المناسبة، بحيث جعل لكل فصل من فصول السنة ملابس خاصة به، فرأى أن يكون ابتداء الناس للباس البياض وخلعهم للملون من يوم مهرجان أهل البلد، المُسمّى عندهم بالعنصرة (أي عيد سان خوان San Juan عند الإسبان)(4)، والواقع في ست بَقِيْنَ في شهر حزيران من شهورهم الرومية، وذلك مدة ثلاثة أشهر متتالية حتى أول شهر تشرين الأول، ورأى أن يلبسوا في فصل الربيع جبات الخز، وأن يلبسوا في آخر الصيف وعند أول الخريف الثياب الملونة ذوات البطائن الكثيفة. كما علّمهم طريقة تصفيف الشعر، وضرورة ترتيب الأطعمة، وسنّ لهم أكل الهليون، ولم يكونوا يعرفونها قبله، كذلك علّمهم تفضيل آنية الزجاج الرفيع على آنية الذهب والفضة، محدثاً بذلك تغييراً في حياة الأندلسيين الاجتماعية(5).

3-7- الاهتمام بالعمران والبنيان والتشييد:

ازداد الإقبال على فن البناء والتعمير ولاسيما في عصر ملوك الطوائف، ولا أدل على ذلك من الإشارة إلى الاهتمام الكبير الذي أبداه مبارك ومظفر بالعمارة، وقد قلدهما في ذلك الوزراء والكُتّاب؛ فاقتدوا بهما في تفخيم البناء وإقامة المنتزهات والجنان، وأنفقوا في ذلك أموالاً طائلة، حتى إن بعضهم كان ينفق على داره مائة ألف دينار، وأقل منها وما فوقها. وكانوا يستخدمون في عملية البناء أجود أنواع الخشب ورفيع العمد ونفيس المرمر مجلوباً من مناطقه المشهورة بذلك(6)، ويذكر ابن بسام أن دار أحد الأشخاص ويدعى مؤمل القشتيلي كانت له دار تفوق في

---

(1) Dozy: **Dictionnaire detaillé des Noms des Vêtements chez les arabes**, p.325.

(2) ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج1ص36؛ **اللمحة البدرية**،ص38-39.

(3) راجع الحفني، محمود أحمد: **زرياب، أبو الحسن علي بن نافع موسيقار الأندلس** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.

(4) العبادي: **الإسلام في أرض الأندلس**، ص107.

(5) المقري: **نفح الطيب**،ج4 ص112-113؛ هونكة زيغريد: مرجع سابق، ص49.

(6) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص 9.

سرورها واكتمال النعمة فيها قصر الإمارة بقرطبة(1). مما يدل بوضوح على مدى الترف الاجتماعي الذي بلغته بلنسية في ذلك الوقت.

ومن المنشآت العمرانية التي أقيمت في بلنسية منية الرصافة جنوب شرق بلنسية التي ذاعت شهرتها بحيث أصبحت تؤلف ربضاً مهماً من أرباض المدينة(2) إضافة إلى منية المنصور بن أبي عامر(3)، ومنية الوزير أبي بكر بن عبد العزيز قرب باب الحنش(4).

3-8- أحوال أهل مملكة بلنسية في ميدان الدين:

كان البلنسيون يدينون بمذهب الإمام مالك بن أنس(5). وقد انتقل هذا المذهب إلى الأندلس بسبب رحلة العلماء إلى المدينة وأخذهم الكثير من فضائل مالك، وذلك أيام الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل المعروف بالحكم الربضي 180-206هـ/ 796-821م، إذ كانوا قبل ذلك على مذهب الإمام الأوزاعي لتأثرهم آنذاك بالشاميين الداخلين مع الجُند أيام الفتح (6).

ومن الأهمية بمكان القول: إن عبد الملك بن حبيب ،ت 179هـ/795م، هو الذي درس الفقه على مذهب مالك في المدينة المنورة، وكان من أكبر العاملين على تحويل الأندلس إلى المالكية(7). وما يُقال عن الأندلس ينطبق إلى حدٍ بعيد على بلنسية، لذا يستحسن الإشارة إلى ما قاله المقري عن أحوال الأندلس في الدِّين:" الأغلب عند الأندلسيين إقامة الحدود وإنكار التهاون بتعطيلها؛ فالرجم بالحجر كان يجري كل يوم حتى بات المنفلتون في الأندلس قِلّة. وكان عالم الدين كثير الجلال والتقدير، وكانت قراءة القرآن ورواية الحديث عندهم رفيعة. وكان للفقه رونق ووجاهة، وكانت سمة الفقه عندهم جليلة، وكانوا يقولون للكاتب والنّحوي واللغوي " فقيه"؛ لأنها كانت عندهم من السمات الرفيعة، وكان علم الأصول عندهم متوسط الحال"(8) .

ولقد تميز هؤلاء العرب بابتعادهم عن التعصب الديني، وتجلى ذلك في تسامحهم لأهل الكتاب، مُسْتَعرَبينَ ويهوداً، في أن يمارسوا شعائرهم الدينية بحرية تامة.

3-9- نساء مملكة بلنسية:

---

(1) المصدر السابق، م3 ص9.
(2) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب** ، ج2 ص 298؛ القلقشندي: مصدر سابق،ج 5 ص 223؛ المقري: **نفح الطيب**، ج2 ص 12.
(3) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2 ص 298؛ المقري: **نفح الطيب**،ج2 ص 188.
(4) ابن خاقان: **مطمح الأنفس** ، ص 202؛ المقري: **نفح الطيب**،ج5 ص 201.
(5) ابن الخطيب: **الإحاطة** ،ج1 ص 36؛ **اللحمة البدرية**، ص 38.
(6) المقري: **نفح الطيب**،ج4 ص 202.
(7) محمد، سوادي عبد: **تأثر الفكر الأندلسي بالحركة العلمية في المشرق الإسلامي**، مجلة عالم الفكر ، المجلد الثالث عشر، العدد الثاني،1982م،ص292.
(8) المقري: **نفح الطيب**،ج1 ص 212.

ذكر لوبون أن النِّسوة الأندلسيات اشتهرن بالمعرفة العلمية والأدبية، وأنهنَّ كُنَّ مُحبات للدرس[1]. وذكر ابن حزم أن الفرق بين النساء والرجال هو في العمل وأنواع النشاط ؛ فالنساء متفرغات البال من كل شيء إلا من الحب. والرجال مُقْتسمون في صحبة السلطان، وطلب العلم، وحياطة العيال، وكسب المال، ومكابدة الأسفار والصّيد، وضروب الصناعات، ومباشرة الحروب[2]. وعدد وظائف النساء بقوله منهن الطبيبة، والحجّامَة، والماشطة، والنائحة، والمغنية، والكاهنة، والمعلمة، والمستخدمة، والعاملة في المغزل، والنسيج، وما أشبه ذلك[3].

والحديث عن المرأة الأندلسية يجب أن يكون حديثاً عن زوجة، وربّة بيت، وصاحبة نفوذ سياسي واجتماعي لكونها تمثل صورة عن حياة المجتمع البلنسي.

هذا ولم يكن بين نساء العامة نساء مملوكات، فقد كان يتعذر على الرجل العامي اقتناء النساء المملوكات، لأن أسعارهن كانت مرتفعة جداً، بحيث لم يكن باستطاعته شراء جارية أو أمة، وليس باستطاعته تحمل مثل هذا العبء المادي. وهذا الوضع قد أضفى داخل بيوت العامة جواً من السعادة؛ فكانت المرأة العامة لا تجد من يشاركها عواطف زوجها ومشاعره؛ فالعلاقة بينهما كانت قائمة على التعاون الذي فرضته الحياة[4]، فإذا بها تقوم بتدبير المنزل من تربية الأطفال، إلى التنظيف، وطهي الطعام، ولم يقتصر دور المرأة العامية على ذلك، فقد عملت في مجالات عديدة؛ فابن بسام يذكر أن الشاعر ابن اللبانة كانت أمه امرأة عاملة تستعين على تربية أبنائها ببيع اللبن[5].

كذلك تذكر كتب الحسبة أن العديد من النساء الأندلسيات كُنَّ يشتغلن في غزل الصوف وبيعه في سوق الغزل[6].

وفيما يتعلق بالمرأة الأرستقراطية، فهي ذات مكانة اجتماعية عالية، وعلاقتها بزوجها الأرستقراطي بغير المستوى الذي كانت عليه المرأة المنتمية إلى طبقة العامية؛ فهي غير مضطرة للقيام بأي عمل داخل بيتها، حتى إن أطفالها، كان يقوم بتربيتهم الجواري والأَمَوات الحاضنات، همها محصورٌ في أن تحظى بحب زوجها رغم معرفتها بعلاقاته مع غيرها لأن الأخير كان يحق له أن يتزوج بأربع نساء من الحرائر، وما شاء من الإماء وله أن يُطلِّق زوجته،

---

(1) لوبون: مرجع سابق، ص 489.
(2) ابن حزم: **رسائل ابن حزم**، ج1 ص 165.
(3) المصدر السابق،ج1 ص142.
(4) الخشني: **قضاة قرطبة**، نشر عزت العطار الحسيني، القاهرة، 1952م، ص 139.
(5) ابن بسام: مصدر سابق،م3 ص 429.
(6) الخشني: مصدر سابق،ص 25.

ولكن مقابل أن يصنع ما يكفل به مصيرها[1].

وكانت نساء الحكام أول من حظي بهذه المكانة الأرستقراطية العالية، فكان منهن من أدى دوراً مهماً في الحياة السياسية، فهذه الزلفاء أم عبد الملك المظفر بن أبي عامر، كان لها دور في سقوط الخلافة في الأندلس، فقد قامت ضد أخيه عبد الرحمن شنجول، بكل الوسائل لخلعه وقتله ظناً منها أنه اغتال ابنها المظفر، فداخلت الصقالبة، وأعطتهم الأموال للإفساد على عبد الرحمن والاتصال بالأمويين لاستعادة ملكهم، حتى كان ذلك على يد محمد بن هشام بن عبد الجبار الأموي الذي قاد الثورة وقتل شنجول، وكان على يده إسقاط الخليفة هشام المؤيد عام 399هـ/1008م [2].

والحقيقة أن نساء الأندلس كن أكثر تحرراً من نساء المشرق. وفي ذلك يقول ابن الخطيب: "وحريمهم، حريم جميل، موصوف بالسحر، وتنعم الجُسوم، واسترسال الشعور، ونقاء الثغور، وطيب النشر[3]، وخفة الحركات، ونبل الكلام، وحسن المحاورة، إلا أن الطول يندر فيهن. وقد بلغن في التفنن في الزينة لهذا العهد، والمظاهرة بين المُصبْغات، والتنفيس بالذهبيات والديباجيات، والتماجن في أشكال الحلى، إلى غاية نسأل الله أن يُغضّ عينهن فيها، عين الدهر، ويكفكف الخطب ولا يجعل من قبيل الابتلاء والفتنة"[4].

ومما يذكر أن المرأة الأندلسية ظهرت في العصور المتأخرة ترتدي قبعة مستديرة، أشبه بالقلانيس، ينسدل من تحتها الشعر على الكتفين، وفي نقوش أخرى ظهرت حاسرة الرأس [5].

وثمة شواهد تؤكد ما تمتعت به المرأة الأندلسية من حرية، وذلك من خلال أحاسيس الشعراء القوية التي ظهرت في أشعارهم؛ فابن حزم مثلاً ، أعجب بجارية سلبت لبه، حتى تمنى أن يكون عمله يوم القيامة، في حسن صورتها، فهو أسعد عباد الله، وأوفرهم حظاً، وفي ذلك قال: **(البسيط)**

خَرِيْدَةٌ صَاغَهَـا الرحمـــنُ في نـــورِ	جَلَّــتْ ملاحتـــها كــل تقديــرِ
لو جاءَني في عملي في حُسنِ صُورتِها	يوم الحساب ويومَ النَّفخ في الصورِ
لكنتُ أَحْظَــى عبـــادِ الله كلهـــم	بالجنتينِ وقُــرْبِ الخُرّدِ الحُـــورِ [6]

---

(1) لوبون: مرجع سابق،ص 495.
(2) التواتي،عبد الكريم: **مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس**، الدار البيضاء،1967م،ص538-539.
(3) النشر: الريح الطيبة، البستاني، مرجع سابق، ص893.
(4) ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج1 ص39-40.
(5) مرزوق : مرجع سابق، ص 115، شكل رقم 61، ص117 شكل رقم 68.
(6) ابن حزم: **رسائل ابن حزم**، ج1 ص 274.

ومع أن المرأة العادية شاركت زوجها أعباء الحياة، والغنية عاشت حياتها على ما تريد من لهو وطرب[1]، ورغد عيش، فإن هناك مجموعة من النساء خدمن المجتمع البلنسي من اللاتي اشتغلن بالعلم والثقافة[2]، وأسهمن في إثراء الأدب الأندلسي، فإذا بكتب الأدب العربي تحفل بالحديث عن كثير من النساء الأدبيات والشاعرات والبليغات اللاتي كن نظيرات للرجال المعاصرين لها؛ فكان منهن إشراق السويداء [3] ، مولاة أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون 443هـ/1051م، الكاتب في إمارة بلنسية، غلب عليها لقب العروض حتى نُسي اسمها، سكنت بلنسية، وقد أخذت النحو واللغة عن مولاها المذكور، وما زالت عاكفة على طلب العلم والقراءة حتى فاقته. ومنهن أيضاً العبادية جارية المعتضد، وقد أهداها إليه مجاهد العامري من دانية وعُرفت بالأدب والمهارة في الكتابة والعناية في اللغة[4]. سيشار إليهن فيما بعد عند الحديث عن العلوم النحوية واللغوية.

هذا ولم تكن نساء الأندلس كلهن متحررات سافرات، فقد كان هناك النساء الملتزمات بلبس الحجاب حتى الجواري كن يتخذن الحجاب والنقاب [5] ، وظل الحجاب شائعاً حتى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي[6].

والجدير بالذكر أن المرأة الأندلسية ومكانتها في قلب الرجل قد أخذت حيزاً كبيراً من حياته، ويُصَوّر الشعر الأندلسي نماذج لا حصر لها من القصائد التي تغنى بها الشعراء في حب المرأة ومن أشهر ما وصل من نماذج شعرية كتاب "طوق الحمامة" لابن حزم.

وذكر ابن حزم في كتابه هذا أنه أحب جارية في صباه، شقراء الشعر، فتغزل فيها وقال: (الطويل)

يَعِيبُونها عندي بشُقْرةِ شَعرها	فقلتُ لهم هذا الذي زَانَهَا عِنْدي
يَعبون لون النَّورِ والتِّبر ضِلَّةً	لرأي جهولٍ في الغوايةِ ممتدِ

(1) عويس، عبد الحليم: **ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري** ، دار الاعتصام، القاهرة،د.ت. ص46.
(2) رابيرا ، خوليان: **المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية**،ترجمة جمال محرز،ص93-94.
(3) المقري: **نفح الطيب**، ج5 ص 308؛ أرسلان: مرجع سابق، ج3 ص 203؛ كحالة،عمر رضا: **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ط3، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1985م،ص 260-261 ؛ البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، ص 276.
(4) المقري: **نفح الطيب**،ج6 ص 58.
(5) الركابي، جودة: **في الأدب الأندلسي**، القاهرة، 1975م، ص 48.
(6) عبد البديع: مرجع سابق،ص94.

وهل عاب لون النَّرجس الغَض عائبٌ   ولونَ النجوم الزاهرات على البُعد. [1]

10-3- الوفاة

تُعد الوفاة أحد المظاهر الاجتماعية أيضاً، وهي من المناسبات التي يغلب عليها البساطة، ويذكر ابن سهل، أنه عند وقوع وفاة في منزل ما كان أحد أفراد أسرته يخرج مرتدياً الحداد الأبيض منذراً لجنازته والاستعداد للصلاة عليه[2].

وفي ذلك يقول أبو الحسن الحُصري[3]، (وفي رواية ابن بسام أن الحلواني، تلميذ أبي علي بن رشيق): (الوافر)

إذا كَـــانَ البَيَـــاضُ لِبَاسَ حُزْنٍ   بِأَنْـــدُلُسٍ فَـــذَاكَ مِنْ الصَّوَابِ

أَلَـــمْ تَـــرَنِي لَبِـــسْتُ بياضَ شَيْبِي   لأنِي قَدْ حَزِنْتُ على الشَّبَابِ [4]

ويشير ابن بشكوال إلى أنه بعد غسل جثمان الميت كان يتم تكفينه ببعض الأردية، ويوضع فوقها قطن يبخر بالبخور، والبعض الآخر كان يوصي بعدم وضع القطن[5] على غير عادة الأندلسيين. وكان المتوفى يوصي أحياناً قبل وفاته بنحت شاهد من الحجر يُنصب فوق قبرة ويُنقش عليه بعض الآيات القرآنية، أو بعض الأشعار للموعظة أودعوة للترحم على صاحب القبر.

وذكر المقري شعراً، كُتب على قبر المنصور بن أبي عامر يعج زهواً وتعالياً وكبراً، فقال: (الكامل)

آثَـــارُهُ تُنْبِيْكَ عن أخبَـــارهِ   حَتّـــى كَأَنَّـــكَ بالعيـــانِ تَرَاهُ

تاللهِ لا يأتِي الـــزَّمَانُ بمثلِهِ   أبداً ولا يَحْمِي الثغورَ سِواهُ [6]

ويذكر ألونشريسي أن من بدع أهل الأندلس والمغرب البكاء على الميت بالصراخ واللطم على الخدود واجتماع النساء لذلك ومعهن النوادب والنوائح[7].

---

(1) ابن حزم: طوق الحمامة، تحقيق صلاح الدين القاسمي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 1979م، ص 63.

(2) ابن سهل: **وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس** ، مستخرجة من الأحكام الكبرى، تحقيق عبد الوهاب خلاف، ص 93.

(3) أبو الحسن الحصري: هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الحصري" كان يؤدب بمصر القرآن".ابن بسام: مصدر سابق، م4 ص 321؛ابن خلكان: مصدر سابق،ج3 ص 291 .

(4) المقري: **نفح الطيب**،ج5 ص 253.

(5) ابن بشكوال: مصدر سابق، ق2 ص 396 ترجمة رقم 849.

(6) المقري: **نفح الطيب**،ج1 ص 381؛ج4 ص 166.

(7) ألونشريسي: مصدر سابق،ج6، ص 419؛ السقطي: مصدر سابق، ص 68، هامش 68.

ويرى ابن عبدون أن يوضع الميت بطريقة مريحة في قبره، وذلك بأن يزاد في طول توابيت القبور وفي سعتها، كما أنه يرى أن يقوم المحتسب بهدم الدور الموجودة بالمقابر [1]، وقد نهى ابن عبد الرؤوف عن المشي أمام الجنازة بالاستغفار والتكبير، وأن يُعْلن عن الجنازة، وأن لا تخرج النساء في الجنازة، وأنه لا بأس من إرسال الطعام إلى أهل الميت[2].

أما خاصة الحكّام من أمراء المسلمين والخلفاء، وذوي المكانة الاجتماعية، إذا ما وافتهم المنية، أعلن عن موت المتوفى ويجهز للدفن، وتأتي الوفود معزية، ويقول الشعراء قصائد الرثاء فيهم ومن أمثلة ذلك نذكر الرثاء الذي قاله ابن اللبانة [3] في رثاء أخت عبد الرحمن بن محمد الملقب بالمرتضى[4]، الذي صنع لأخته جنازة حين وفاتها شُكِرَ فيه فعله، ومما قاله ابن اللبانة : **(الطويل)**

أَبَنْتَ الهُدى حَدَّدْت معنىً على معنى   مَضَى المُرتضَى أصلاً وأتبعته فرعا

جرى الموتُ جَــرْيَ الرّيحِ في منــبتَيْكُما   فأَذْواكِ ريحاناً وقَصّفه نبعا [5]

أما ابن الزقاق البلنسي، فقد رثى شقيقه حسناً الذي توفي شاباً فقال : (الطويل)

على حَسَنٍ أُفْنى دُموعيَ حَسْرَةً   وَمِنْ بعضِ ما أُفنيَى العزا والتَّجلُّدُ [6]

3-11- النظافة:

اشتهر الأندلسيون بحبهم النظافة، والظهور بمظهر حسن يستريح إليه النظر، سواء في المظهر أو الهيئة في الملبس، وفي ما يفرشون وغير ذلك؛ فهم "أشد خلق الله اعتناءً بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق بهم، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه فيطويه صائماً ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها" [7]؛ فالأندلسي يهتم بثيابه وشكله، حيث يهذب لحيته وشعره بالذهاب إلى الحلاق أو يأتي الأخير إليه[8]، ويتطيب وقد يستخدم الحناء والخضاب[1]، من أجل الظهور بأجمل مظهر.

---

(1) ابن عبدون: مصدر سابق، ص 48.
(2) ابن عبد الرؤوف: مصدر سابق، ص 76-77.
(3) هو أبو بكر، محمد بن عيسى الداني، ت 507هـ/113م، سيترجم له لاحقاً.
(4) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، تولى حكم دانية، وقتل عام 409هـ/1018م. ابن عذاري: مصدر سابق، ج2 ص 466.
(5) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص 456.
(6)ابن الزقاق: الديوان ، مصدر سابق، ص 152.
(7) المقري: **نفح الطيب**، ج1 ص 214.
(8) Lévi Provençal**: Histoire de l´Espagne Musulmane**, T. 3, P. 133.

أما الحَمَّام فكان موضعاً للنظافة والاستحمام، وكذلك مكاناً للقاء الأصدقاء، وقد عرف الأندلسيون أنسب الأوقات لدخوله(2)؛ فكانوا يسيرون إلى الحمامات العامة التي كان بعضها خاصاً بالنساء والبعض الآخر خاصاً بالرجال(3) ، فإن لم يوجد كان الحمام الواحد يقسم إلى فترتين، فترة للرجال وأخرى للنساء(4)، وبعد أن يدخل الأندلسي الحمام يشد وسطه بمئزر (5)، وترك نفسه للعاملين بالحمام مثل الطيّاب والحكّاك ليقوموا بتنظيفه وتطيبه (6) ، وكان يراعى ألا تترك على الأرض أجزاء من الشعر أو الأظافر(7).

وكان أهل الأرباض في المدن الأندلسية يؤمرون بحمايتها من إلقاء الأقذار فيها وإصلاح المواضع المختلفة منها حفاظاً على نظافتها(8)، ومنعاً من انتشار الأوبئة والأمراض، فهذه بلنسية لا ترى فيها ما يكدر خاطراً ولا بصراً، ولم يَثُرْ بأرجائها تراب من سير الأرجل وهبوب الرياح ، فيكدِّر جوها(9)، ونسيمها يبعث على الانتعاش ويريح الأبدان والنفوس، كما يقول ابن زيدون (10):

(مجزوء الكامل)

رَاحَتْ فَصَحَّ بِهَا السّقِيمْ	رِيحٌ مُعطَّرَةُ النِّسِيمْ
مَقْبُولَةٌ هَبَّتْ قَبُوْلا	فَهْيَ تَعْبَقُ في الشَّمِيمْ

3-12- الطعام والأشربة:

كان الطعام من الاهتمامات اليومية التي يهتم بها الأندلسي ، ومن أجله كان يُصرِفُ جزءاً كبيراً من وقته في سبيل تحسين مستوى معيشته، وقد عُرف الطعام الأندلسي بأنه من أغنى الأطعمة وأكثرها صنفاً وتعدداً، ويعود سبب ذلك إلى أن الأندلس ،خاصة مملكة بلنسية، بلد زراعي، حيث "جمعت البر والبحر والزرع والضرع والفواكه(11)، وكذلك في أعمالها مثل شاطبة ودانية وغيرها.. حيث تكثر بها المناطق

---

(1) مجهول **:كتاب في الحمام ومنافعه وآدابه** ، دار الكتب المصرية، ميكروفيلم رقم 18107، مجامع تيمور، مخطوط ورقة رقم 17.

(2) المصدر السابق، مخطوط ورقة رقم 18؛ أبو زيد :مرجع سابق ،ص216.

(3) ابن بطوطة: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** ، تحقيق أحمد العوامري بك ومحمد أحمد جاد المولى بك، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1934م، ج2 ص 292 ؛ أبو زيد: مرجع سابق ص 216.

(4) Lévi Provençal: **Histoire de l'Espagne Musulmane**, T. 3, P 430.

(5) مجهول**: كتاب في الحمام**، مخطوط، ورقة رقم 22.

(6) ابن عبدون: مصدر سابق، ص 48.

(7) مجهول: **كتاب في الحمام، مخطوط**، ورقة رقم 33.

(8) ابن عبدون: مصدر سابق، ص 48.

(9) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2 ص 297-298.

(10) ابن زيدون: الديوان، مصدر سابق، ص 110.

(11) العذري: مصدر سابق، ص 18.

الرعوية، فتوافرت المنتجات الزراعية من غلات الغذاء واللحوم والفواكه في جميع أنحاء المملكة، فقد توافر في الأخيرة زراعة الأرز، والقمح، والشعير،، والذرة، والزعفران، والزيتون، والقنب، والمشمش، والخروب، والكرنب، والقراسيا، والبرتقال، والتين وغيره. وقد أشير إلى هذه المنتجات وغيرها، وإلى أماكن زراعتها سابقاً.

وقد شاع الترف[1] بين طبقة الخاصة في المأكل فقد تفنن الأغنياء في طهو نوع واحد من الطيور بطرق مختلفة فمثلاً كانت الدجاجة تطهى بطرق متعددة، بحسب ما يضاف إليها، فكانت مثلاً تحمر بالجزر والزعفران، أو اللوز المدقوق، أو تطهى بماء الكزبر الأخضر، أو تحمر بالصنوبر والفستق[2].

وكان الملوك والخاصة أيضاً يأكلون ما يطهى من أمخاخ الحيوانات، إضافة إلى أنواع الأكل التي تحتوي على اللحوم بأنواعها مثل الطواجن المحشية باللحوم [3] ، والأطعمة من الأسماك أو السلاحف البحرية[4]، ولحم الحوت[5]، فضلاً عن اللحوم المشوية على نار الفحم، سواء من لحوم البقر أو الكباش والخراف أو الأرانب والدجاج[6].

وعرفت بعض الأطعمة الخاصة مثل "شواء الملوك" المُكوّن من لحم الخراف مع البيض والتوابل[7]، وكذلك "المركاس"[8] الذي يتكون من اللحم والحشو والتوابل، إلى غير ذلك من الأطعمة التي تتكون من اللحوم.

وعُرفت أطباق نسب بعضها لليهود مثل "الحجلة اليهودية" و"الفروج اليهودي"، وهذان الصنفان يعتمدان على الحشو والتوابل والبيض[9]، كما نسبت أنواع طعام للمصريين مثل "الفروج المصري"[10]، ونسبت أكلة إلى زرياب باسم "تقلية زرياب" وتصنع من اللحم والتوابل وتحمر[11].

ومن الأطباق نذكر أيضاً طبق "الجاسباتشو" (Gazpacho)، من الأطباق المستحبة في

---

(1) ميراندا: **المطبخ الإسباني المغربي خلال عصر الموحدين** ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1957م، ص 137-155.
(2) مجهول: **كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين** ، تحقيق أويثي ميراندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد، 9 ، 10، 1961م-1962م، ص 36-37.
(3) المصدر السابق، ص 132.
(4) المصدر السابق، ص 136-137.
(5) المصدر السابق، ص 173.
(6)مجهول: **كتاب الطبيخ** ، ص 28-33.
(7) المصدر السابق، ص 63.
(8) المصدر السابق، ص 26.
(9) المصدر السابق، ص 67-68.
(10) المصدر السابق، ص 72.
(11) المصدر السابق، ص 160.

جميع أنحاء البلاد، وهو عبارة عن سلطة يدخل فيها الطماطم والفلفل والخيار والخل وزيت الزيتون.

أما طبق البائيا (Paella) فكانت تختص به بلنسية، وهو عبارة عن الأرز مطهواً بزيت الزيتون، ويضاف إليه الزعفران ليكسبه اللون الأصفر، ويحتوي على الثوم والفلفل ولحم الخنزير المملح ليعطيه نكهة خاصة ويملأ بقطع من الدجاج والمحار والسجق[1].

وكانت الأجبان مستهلكة كثيراً عند الأندلسيين، فكانوا يصنعونها من لبن البقر والغنم والماعز والجاموس، وكانوا يصنعون فطائر محشوة بالجبن وقد أطلق عليها اسم المجبنات ومفردها مجبنة وهي عبارة عن عجينة خاصة تحشى بالجبنة وتقلى بالزيت[2]، وهي أنواع عديدة قد تؤكل بالسكر أو بالعسل أو بشراب الورد[3].

أما التوابل فكانت تستعمل بكثرة في مختلف أنواع الأطعمة وخاصة اللحوم المطهية أو المشوية أو المقلية، من التوابل نذكر الفلفل والزعفران [4]، والقرفة، والكمون، والكزبر، والزنجبيل، واللوز، والكراوية إضافة إلى الخل[5].

وكان الأندلسيون لا يستعملون السمن إلا نادراً، وإذا ما استعملوه فإنهم يضيفون إليه الزيت لتخفيف حدته، لذلك كانوا يفضلون الزيت، والأخير كان يدخل في معظم الأطعمة المقلية أو المطهية[6].

لكن هذا الإسراف لم يكن موجوداً في مطابخ العامة من الناس، وخاصة الفئات الفقيرة التي وصل الحد ببعضهم إلى أنه كان يلتقط بقايا مطبخ الحكّام ويتخذ منه طعاماً لهم يسد به رمقه [7]، والبعض الآخر من العامة والفقراء، كانوا يعتمدون في طعامهم على الذرة والحبوب [8]، وأحياناً كان البعض يأكل البقل والحشيش كما حدث للبلنسيين في عهد مبارك ومظفر العامريين، وأحياناً أخرى كان البعض يلجأ إلى أكل لحم الدواب والميتة والفئران وهذا ما حدث للبلنسيين أيضاً حين

---

(1) دوروثي، لودر: **إسبانيا شعبها وأرضها** ، ترجمة طارق فودة، مكتبة النهضة المصرية، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، 1965م، ص 219.
(2) مجهول: **كتاب الطبيخ**، ص 199، 202.
(3) المصدر السابق، ص 199-200.
(4) العذري: مصدر سابق، ص 17.
(5) مجهول: **الطبيخ في المغرب والأندلس**، نشره أويثي ميراندا، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مجلد 5، 1965م، ص 40، 79، 80-82.
(6) المصدر السابق، ص 42.
(7) المصدر السابق، ص 81.
(8) ابن الخطيب: **اللحمة البدرية في الدولة النصرية** ، الطبعة الثانية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978م، ص40.

تعرضت المدينة لحصار السيد القنبيطور، (سيشار إلى ذلك لاحقاً).

أما المائدة الأندلسية فكان لها آدابها الخاصة، متأثرة في ذلك بـــ"زرياب" الذي استبدل مفارش المائدة المصنوعة من الكتان بأخرى من الجلد الرقيق، واستخدموا الكؤوس المصنوعة من الزجاج بدلاً من الأكواب الذهبية والفضية [1]، وروعيت آداب المائدة عند الطعام ، وروعي في صنعة الطبيخ حفظه من الأوساخ والعفونات، وتنظيف الأواني المستعملة لذلك مع نظافة الطبّاخ[2]، ومعرفته بأنواع التوابل والخلول[3]، وروعيت تقاليد في تقديم الطعام ؛ فلا تقدم أصناف أصناف سهلة الهضم مع أخرى ثقيلة ،حتى لا تؤدي إلى التخمة وإلى آلام في المعدة [4]، كما عُرف تزيين الطعام بالبندق واللوز والفستق وغيرها[5].

ويبدو أن المائدة عند طبقة خاصة كانت تزين بمجموعة من الورود خاصة وأن الأندلس ولا سيما بلنسيةاشتهرت بكثرتها، فهي التي أطلق عليها اسم "مُطِّيب الأندلس".

وقد وصف ابن بصال، عمل مجموعة من الورد، توضع في آنية فخارية مغطاة بالشمع تغرس فيها أجناس من النرجس والياسمين وغيرها فتبدو في شكل حسن يستمتع النظرإليها[6].

كما عرفت المائدة الأندلسية أنواعاً عديدة من الفاكهة منها العنب، والتين، والزبيب، واللوز وغيرها، وعرفت أنواع الحلوى المختلفة منها أنواع بالتمر، والعسل، وحلاوة سكرية، وحلاوة شامية[7].

كذلك كانت هناك معاجين (مربيات) مثل معجون الجزر، ومعجون الجوز الأخضر ومعجون السفرجل ومعجون الكراويا ومعجون النارنج وغيرها[8].

أما أدوات الطعام، فكانت الأواني النحاسية أو الفخارية للطبخ، والمهراس كان من الخشب أو الرخام، والمغارف والملاعق من الخشب، والعود يقطع عليه اللحم، واللوح الذي يمد عليه الكعك وأطعمة الخبز، وكان يخشى استعمال النحاس لأنه يتزنجر[9].

أما الأشربة، فكانت منتشرة بين الخاصة والعامة، فالخمور تباع بالأسواق، وكان يقوم

---

(1) المقري: **نفح الطيب**، ج4 ص 112-113.
(2) مجهول: **كتاب الطبيخ**، ص 79.
(3) المصدر السابق، ص 79-80.
(4) المصدر السابق، ص 76.
(5) المصدر السابق، ص 101.
(6) ابن بصال: مصدر سابق، ص 181.
(7) مجهول: **كتاب الطبيخ**، ص 224-226.
(8) المصدر السابق، ص 248-252.
(9) المصدر السابق ، ص 83-84.

ببيعها اليهود، وفي هذا المجال يقول ابن عبد الرؤوف: "ويمنع من جلس عند بابه من اليهود المتهمين ببيع الخمر لأنه تعريض لأنفسهم بذلك" [1]، وكان الإسبان يملكون حانات للخمور [2]، واشتهرت مدن بصنعة الخمور مثل مالقة[3] ولقنت[4].

ومع انتشار الخمر، كثرت قصائد الخمريات، وتعددت أوصاف مجالس الأنس ولياليه [5]، وقد جاهر الخاصة بشرب الخمر، من هؤلاء نذكر عبد الرحمن بن شنجول بن المنصور بن أبي عامر، فلما سمع المؤذن ينادي ذات يوم من فوق المئذنة "حي على الصلاة" فقال: "لو قلت حي على الكأس لكان خيراً لك"[6].

إلى جانب الخمور وجُدت أشربة ذات فوائد طبيّة، وقد عدد المؤلف المجهول، الكثير منها مثل شراب ورق الأترج[7]، وشراب العسل، وشراب الصندل، وشراب النعنع، وشراب الورد الأخضر، وشراب البنفسج، وشراب الريحان [8]، وشراب العناب، وشراب التمر هندي، وشراب التفاح[9].

3-13- الخلع والهدايا:

كانت الخلع والهدايا تتبادل في مناسبات مختلفة، بين الملوك والخلفاء، كذلك بين الأمراء وبقية الناس، حيث تقتصر الهدية على، كسوة من الملابس، أومبلغ من المال، أوتحف، أوجوارٍ، أوكتب وغير ذلك... .

وهذه العادة كانت متداولة في مملكة بلنسية في عصر ملوك الطوائف ،حيث تُمنح الهدية أو تُهدى عن طيب خاطر، إما تقرباً للصلات السياسية أو إظهاراً لأبهة الملك. و في هذا الميدان يمكن الحديث عن المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر، الذي بالغ في إكرام أهله وقرابته من الأسرة العامرية، فأغدق عليهم الأرزاق، وتناهى في صلاتهم [10]، ونعش فقيرهم[11].

---

(1) ابن عبد الرؤوف: مصدر سابق، ص 112.
(2) Levi Provençal: **Histoire de l'Espagne Musulmane**, T.3, P. 447.
(3) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج1 ص 424.
(4) المصدر السابق، ج2 ص 274.
(5)ابن خفاجة: الديوان، مصدر سابق ، ص 25.
(6) بيرس: مرجع سابق، ص 330.
(7) مجهول: **كتاب الطبيخ**، ص 235-237.
(8) المصدر السابق ، ص 238-243.
(9) المصدر السابق، ص 246-248.
(10) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص 159.
(11) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص 195.

كما أن بعض الخلع والهدايا، كانت وسيلة لاستجداء الرضا السياسي وإصباغ الشرعية على الحكم، مما يرفع من قدر صاحبها؛ فحين وقعت المملكة تحت حكم القادر يحيى بن ذي النون مارس هذا الأخير سياسية الظلم والإرهاب مع الناس، لذا تقرب إليه الأعيان والقضاة بالهدايا والأموال[1].

وإذا كان هناك هدايا وخلع تمنح عن تراضٍ ولأغراض كثيرة، كانت هناك هدايا و تحف، أصبحت ثروات وذخائر لأصحابها تؤخذ عنوة بالاستيلاء عليها وطمعاً فيها، فقد استولى القاضي أبو أحمد جعفر بن جحاف على أموال وأثاث وذخائر ملك بلنسية القادر يحيى بن ذي النون [2]، ولما وقعت المملكة البلنسية تحت حكم السيد القنبيطور، أراد هو الآخر الاستيلاء على هذه التحف والهدايا، وحين وقعت هذه الذخائر في يد السيد القنبيطور، وبعد أن أنكرها ابن جحاف، قام السيد القنبيطور بتعذيب ابن جحاف وأحرقه حياً[3].

أما هدايا الملوك إلى بعضهم، فكان منها إهداء الجواري، فهذا مجاهد العامري كان قد أهدى المعتضد بن عباد ،الجارية العبادية، والأخيرة عرفت بالأدب والمهارة في الكتابة وكانت ترتجل الشعر والأمثال[4]، وكان لها إلمام بضروب الغناء.

ومن الهدايا الملوكية، تلك الهدية التي أرسلها أمير مرسية ابن طاهر إلى صاحب بلنسية المنصور عبد العزيز وهي عبارة عن أحد أنواع الصقور، ليستخدمها المنصور في رحلات صيده في غابات وجبال المملكة[5].

ومن الهدايا أيضاً الكتب؛ ففي كثير من الأحيان كان العلماء يؤلفون كتباً قيمة باسم أحد الحكّام أو الخلفاء أو الوزراء أو نحو ذلك، وكان هدف المؤلفين من وراء ذلك رغبتهم في رواج أعمالهم وحماية لأنفسهم وظهور أسمائهم وتسليط الأضواء عليهم، والتماساً لعطف الحكام، إضافة إلى تأمين معيشتهم بصورة أفضل، وتحسين وضعهم المادي، والأمثلة على ذلك كثيرة.

فقد ألَّف ابن سيده[6] كتابيه "المخصص" و"المحكم" وأهداهما إلى مجاهد العامري[7]، أما المؤرخ ابن

---

(1) ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص 305.
(2) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص 147.
(3) المصدر السابق، ج3 ص 305-306.
(4) ابن الأبار: **التكملة**، ج4 ص 252 ؛ بنت علي فواز، زينب: **الدُّرُّ المنثور في طبقات ربَّات الخدور**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م، ج2 ص 113-114.
(5) ابن خاقان: **قلائد العقيان**، ص 63.
(6) هو علي بن أحمد إسماعيل، المعروف بابن سيده، أبو الحسن إمام في اللغة وآدابها ومفرداتها، ولد بمرسية عام 398هـ/1007م، وتوفى في دانية عام 458هـ/1066م، كان ضريراً وكذلك والده، (وسترد له ترجمة ضافية من بعد).
(7) الحميدي: مصدر سابق، ص 183.

حيان فقد أهدى كتابه "المتين" إلى المأمون بن ذي النون[1]

3-14- الآفات الاجتماعية:

عرفت الأندلس منذ عهد الخلافة حتى خروج المسلمين منها قمة الازدهار الحضاري، وعاش أهلها حياة ترف فعمدوا إلى الاستمتاع بالحياة وملذاتها فاستغرقوا في الترف واللهو، وهذا من العوامل التي ساعدت على الانقسام السياسي الذي مُنيت به الأندلس منذ عصر ملوك الطوائف حتى سقوط غرناطة عام 898 هـ/ 1492م.

هذا وقد وجد في الأندلس –عامةً– الكثير من الأمراض الاجتماعية ومنها:

3-14-1- شرب الخمرة:

كانت منتشرة بين جميع طبقات المجتمع ولم تخلُ مجالس اللهو والطرب من شرب الخمر حيث كان الفتيان الصغار يطوفون بأكواب الخمر على الحاضرين؛ فكان هذا مدعاة لقول الشعر والتغزل بالغلمان[2].

وكان أمراء الأندلس وملوكها يعقدون مجالس الطرب في ظاهر المدن أو في البساتين والمنيات وأبهاء القصور والمنتزهات، يفترشون الوسائد يأكلون ويشربون على إيقاع الدفوف والمزامير. وفي هذا المجال يصف ابن بسام حفلاً أقامه المأمون بن ذي النون في مجلس خلوته بقصر الناعورة ، وأحضر فيه عدداً من المغنين وجميع آلات الطرب وبالغ في تأنيس الحاضرين بالنبيذ [3].

ولم يكن شرب الخمر حكراً على الخاصة بل انتشرت هذه الآفة بين العامة من الأندلسيين، يشربونها في المنتزهات والأماكن العامة، وكان يتردد على الحانات المستعربون من الإسبان.

3-14-2- انتشار بيوت الحظوة:

انتشرت بيوت الحظوة في الأندلس، خاصة في قرطبة التي كان يتردد عليها العامة والريفيون[4]، وكذلك في أبذة[5].

هذا وقد فرض على العاهرات من النساء ضريبة نقدية، وكان يطلق عليهن الخراجيات أي الدافعات الخراج، وكان يطلق على بيوت الحظوة نفسها " دار الخراج"[6]

---

(1) ابن بسام: مصدر سابق، م1 ص 359.
(2) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**،ج1 ص 99، 267.
(3) ابن بسام: مصدر سابق، م4 ص 85.
(4) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**،ج1 ص 171-172.
(5) المقري: **نفح الطيب**،ج4 ص 191.
(6) مكي، الطاهر: **دراسات عن ابن حزم وكتاب طوق الحمامة**، دار المعارف،القاهرة،ص49.

وبعد فقد وصلت الدراسة من خلال هذا المبحث إلى أن المجتمع البلنسي تكون من عناصر مسلمة (مغاربة، عرب، مولدين)، وعناصر غير مسلمة (المستعربين واليهود)، وهذا الخليط عرف العيش المشترك بحيث كل عنصر يتأثر بالآخر. ومع ذلك فإن سكان المملكة لم ينجروا وراء الأطراف المتنازعة خارج قطر المملكة، أندلسية كانت أم مغربية لذا ظلت المملكة البلنسية بمنأى عن الفتنة التي اجتاحت الأندلس ونعمت بفترة من الهدوء والاستقرار، الأمر الذي انعكس إيجاباً على المملكة، بحيث ازداد عدد السكان فيها، إذ وفد إليها العديد من التجار والصناع والعلماء هرباً من الفتنة التي اجتاحت جنوب الأندلس. وكان هذا المجتمع يعاني من تناقض في المستوى الاجتماعي، فعرف ثلاث طبقات، طبقة أرستقراطية، وطبقة فقيرة، وثالثة تعيش وسطاً بين الاثنين. وقد تميز هذا المجتمع بالكثير من المظاهر الاجتماعية، كالاهتمام بالأسرة ومناسبات الأعياد، والموسيقى ووسائل اللهو والتسلية والأزياء والعمران إضافة إلى تسامح العرب مع أهل الكتاب، المستعربين واليهود.

أما نساء بلنسية، فمنهنّ المرأة العامية، ومنهنّ الأرستقراطية، ومنهنّ من اشتغلت بالعلم والثقافة.

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية في هذا الفصل اهتمام البلنسيين بالنظافة، والطعام والأشربة، وكذلك الخلع والهدايا إضافة إلى موضوع الوفاة وبعض الآفات الاجتماعية كشرب الخمر وانتشار بيوت الحظوة.

الفصل الخامس

الحياة الثقافية في مملكة بلنسية

الفصل الخامس

الحياة الثقافية في مملكة بلنسية

على الرغم من الانحلال السياسي العام الذي عرفته الأندلس في عصر ملوك الطوائف، فإن نهضة علمية وثقافية نشطة سادت البلاد، وذلك بفضل تنافس هؤلاء الملوك في اجتذاب فحول الشعراء والكتاب والعلماء إلى حواضرهم التي حولوها إلى "بغدادات صغيرة [1]"، فهؤلاء الملوك كانوا يتنافسون في فخامة الشأن، حتى عُرف عهدهم بالرخاء، وغدت بلاطاتهم أماكن لاجتماعات فكرية يتحلق فيها الشعراء والأدباء والعلماء والفنانون[2].

ولما كان التوجه نحو شرقي الأندلس، إلى مملكة بلنسية، عرف الباحث أن الأخيرة قد عاشت جواً سياسياً هادئاً– في العموم– حتى عام 478هـ/1085م، أسهم في إيجاد نهضة حضارية نشطة في شتى الميادين لاسيما الحياة العلمية.

ومن المعروف أن الرحلة في طلب العلم ولقاء شيوخ العصر كانت دائماً من أقوى الأسباب التي ساعدت على خلق البيئة الثقافية [3]، فبفضلها يحدث تواصل وتفاعل في الأفكار التي ينقلها شيوخ العلم والمعرفة أينما وجدوا.

ولقد أمدت كتب التراجم الأندلسية الباحث بأمثلة عديدة توضح ذلك التواصل العلمي الذي نشأ بين مملكة بلنسية ومراكز الثقافة في الأندلس والمغرب والمشرق العربي. وستتطرق الدراسة إلى بعض الأسماء عند الحديث عن أبرز علوم العصر في مملكة بلنسية من بعد التي توضح ذلك التواصل.

كان سكان مملكة بلنسية، كغيرهم من سكان الأندلس، شديدي الإقبال على العلم سباقين في ميدان العلوم الدينية، والأدبية واللغوية، والعلوم الإنسانية والعلوم العقلية البحتة ــ أو التطبيقية، وهذا ما يؤكده المقري حيث يقول نقلاً عن ابن سعيد: إن أهل الأندلس كانوا كثيري الرغبة في العلم، وكان العالم عندهم معظماً من الخاصة والعامة[4]، وفيما يلي عرض لأبرز ميادين العلوم:

1 – العلوم الدينية:

كانت العلوم الدينية امتداداً لجهود علماء الأندلس منذ عصر الإمارة، وقد حظيت هذه العلوم في عصر الخلافة بكثير من الاهتمام، وتقدمت تقدماً كبيراً وازدهرت في عصر ملوك الطوائف

---

(1) García Gómez: **Poemas Arábigo andaluces**, p.32.

(2) بروفنسال: **حضارة العرب في الأندلس**، ترجمة ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص30.

(3) عبد البديع: **الإسلام في إسبانيا**، ص39.

(4) المقري: **نفح الطيب**، ج1 ص211.

وتنوعت إلى دراسة، قراءات القرآن الكريم وتفسيره، ونشطت دراسة الحديث والفقه نشاطاً كبيراً.

ولما كانت العلوم الدينية من فقه وحديث وتفسير وقراءات هي العلوم الأكثر التصاقاً بعقيدة المسلمين في الأندلس، فقد توافد على دراستها أعداد هائلة من العلماء، فكان للكثير من العلماء اهتمام وعناية بعلوم الدين واستطاعوا أن يبرهنوا على قدراتهم الواسعة في تناول هذه العلوم بالدراسة والبحث وقدموا في ذلك روائع من إنتاجهم العلمي الغزير.

1 1 الفقه:

الفقه لغة: هو الفهم مطلقاً، وقيل هو الفهم العميق الذي يتطلب بذل الجهد العقلي[1].

والفقه اصطلاحاً: هو الاجتهاد، لأنه استنباط للأحكام الشرعية من دلائلها التفصيلية الخاصة بها، نصاً أو دلالة، ولا يتمكن من ذلك إلاَّ المجتهد[2].

أما الفقه من الناحية الشرعية[3]، فهو الفهم العميق للنصوص المقدسة التي يتضمنها القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكذلك الاجتهاد في إدراك معانيها وعللها ومراميها، أو هو الأحكام المستنبطة من نصوص القرآن اجتهاداً، أو من معقول النصوص الجزئية، فيما لا نص فيه، أو من معقول جملة نصوص، تؤدي إلى معنى عام، فتُبنى عليه الأحكام فيما لا نص فيه أيضاً[4].

كان علم الفقه من أول ما اشتغل به الأندلسيون، وقد احتل عندهم مكانة عالية، وكان عالم الفقه يحظى منهم بكل تقدير وإجلال، فقد كان للفقهاء منزلتهم، فبلغ من سمو منزلة الفقيه وتألق مكانته أن صفته كانت تطلق على النحوي واللغوي، لأنها أرفع السمات وأرقى الصفات العلمية لدى الناس[5].

هذا وقد أقبل الكثير من الطلاب على دراسة الفقه وتعلم مسائله طمعاً بما كانوا يأملونه من تولي الوظائف العامة الدينية والمدنية، فقد كانت وظائف المشاورين والقضاة والمحتسبين وخطباء المساجد وغيرها وقفاً على الفقهاء تقريباً[6]، لذا كانت الجوامع المنتشرة في الأندلس تحفل بحلقات

---

(1) الفقه: هو العلم في الدين، فَقُهَ الرَّجُلُ يفقهه فقهاً وفَقِهَ يفقَهَهُ فقهاً: عَلِمَ. وأَفْقَهْتُهُ: أي بَيَّنت له. والتَّفَقُّه: تعلم الفقه. كافي الكفاة، الصاحب، إسماعيل بن عَبَّاد؛ **المحيط في اللغة العربية**، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط 1، دار عالم الكتب، بيروت، 1994م، ج3 ص 347؛ وراجع الدُّرَيني، محمد فتحي: **بحوث مقارنة في الفقه الإسلامي وأصوله**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت1994م، ج1 ص 13.

(2) الدُّريني: مرجع سابق، ج1 ص 15.

(3) الشريعة: هي ما أنزل الله تعالى على النبي محمد(ص)، من كتاب أو سنة إذن فهي النصوص المقدسة في القرآن الكريم والسنة. وحول موضوع الفقه، من ناحية الشريعة راجع: ابن التلمساني: **شرح المعالم في أصول الفقه**، تحقيق عبد الموجود وعادل أحمد ومعوض، علي محمد، ط 1، دار عالم الكتب، بيروت، 1999م، ج1 ص 5.

(4) الدُّريني: مرجع سابق، ج1 ص 16.

(5) المقري: **نفح الطيب**،ج1 ص 211-212.

(6) البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، ص235.

العلم والمناظرات العلمية في هذا الميدان[1].

ويلاحظ الدارس أن الأندلسيين، اعتمدوا في بداية دراستهم الفقهية على المصادر الرئيسية في الفقه وخاصة موطأ مالك، ومدونة سحنون بن سعيد[2].

ومن أبرز الفقهاء:

1-1-1- محمد بن عبد الله بن حزب الله : تفقه في الفقه المالكي وتولى الإفتاء في بلنسية، توفي بعد عام 403هـ/1012م، وقيل عام 440هـ/1048م[3].

1-1-2- أبو القاسم خلف، المعروف بالبرياني: نسبة إلى قرية بريانة من عمل بلنسية، ت 443هـ /1051م، وتمكن خلف بسعة علمه ومعرفته في الفقه من تولي منصب مفتي بلنسية في عهد أميرها عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور العامري 411-452هـ/1020-1060م، وهذا المنصب لا يتولاه إلا الراسخون في الفقه ومن استوعب مسائله وأحكامه، ولا غرو في ذلك فقد كان خلف فقيهاً حافظاً للمسائل، وصنف مختصراً للمدونة، جمع فيه أقوال وآراء أصحاب الإمام مالك بن أنس فكان عظيم الفائدة كبير القيمة[4].

وبلغ من أهمية كتاب البرياني أن وصلت نسخة منه إلى صقلية فتنافس الفقهاء على اقتنائها وشرائها، ولما شاهدها العلامة عبد الحق بن محمد بن هارون الصقلي، ت 466هـ/ 1073م، هاله ما حواه ذلك الكتاب من العلم الغزير فسعى إلى شرائه فلم يتيسر له ثمنه مما اضطره إلى بيع بعض أثاث بيته واشترى ذلك الكتاب[5].

1-1-3- ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، 384-456هـ/994-1063م، تلقى علومه في قرطبة[6]. ولما اشتعلت نار الفتنة في الأخيرة، خرج منها إلى ألمرية ثم سار إلى بلنسية [7]، بلنسية[7]، وارتحل إلى ألبونت وميورقة، وخرج إلى إشبيلية واتجه إلى لبلة[8].

وهكذا يلاحظ الباحث أن ابن حزم لم يستقر في عصر ملوك الطوائف في أية مملكة من

---

(1)البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس** ، ص156.

(2) صاحب المدونة هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي، أصله من مدينة حِمْصَ، ت240هـ/854م، تولى القضاء بالقيروان.**ابن كثير: البداية والنهاية** تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط2، الرياض، دار عالم الكتب،2003م، ج14 ص374.

(3) ابن بشكوال: مصدر سابق، ق2 ص524، ترجمة رقم1147.

(4) المصدر السابق، ق1 ص169؛ عياض: **ترتيب المدارك**، ج4 ص829؛ عجيل، حسين كريم:**الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية** 92-494هـ/711-1100م، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت1976م، ص365.

(5) ابن فرحون: مصدر سابق، ص113-114.

(6) المقري: **نفح الطيب**، ج2 ص292 وما بعدها.

(7) الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، دار إحياء التراث العربي، مكتبة الحرم المكي بمكة، 1374هـ ، ج3 ص1146.

(8) لبلة: بلدة صغيرة في الجنوب الغربي للأندلس، شرقي إشبيلية. الحميري: مصدر سابق، ص507-508

الممالك التي تشكلت في ذلك العصر، بل كانت حياته – وما التزمه من مذهب فقهي ألا وهو المذهب الظاهري[1] المعارض للمذهب المالكي[2] – تضطره إلى التنقل والترحال، فلم يجد ترحيباً من ملوك الطوائف، لا بل أكثر من ذلك فقد عمد الفقهاء إلى تشويه فكره لدى الملوك، فكان إحراق عددٍ من كتبه[3].

إضافة إلى ذلك فقد جوبه ابن حزم من قبل فقهاء المالكية، وذلك بسبب خروجه على المذهب الفقهي السائد في الأندلس أي المذهب المالكي، فتألبوا عليه وتصدى له عدد منهم بالمناظرات والنقاش وبالمقابل نجد ابن حزم شديد الوطأة في جدله ونقاشه، حاد اللسان في مناظراته العلمية، حتى وصف لسانه بأنه وسيف الحجاج بن يوسف شقيقان[4].

ولابن حزم في الفقه مؤلفات ومنها: "كتاب الإيصال إلى فهم كتاب الخصال، الجامعة لجمل شرائع الإسلام، في الواجب والحلال والحرام، وسائر الأحكام، على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع"، وفي هذا الكتاب أورد أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين في مسائل الفقه والحجة لكل طائفة، والأحاديث الواردة ووضّح الصحيح والسقيم منها بالأسانيد.

---

(1) يعتمد ابن حزم في مذهبه الظاهري على قبول ما نص عليه القرآن الكريم أو أورد فيه حديث موثوق على ظاهر معناه، إلا أن يكون هناك ضرورة من عقل أو حس تدعو إلى صرف المعنى عن ظاهره وإلى الأخذ بالتأويل. راجع فروخ ، **عمر: تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ط 3، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م، ص596.**

(2)يشير ابن حزم إلى منهجه الظاهري المعارض للمذهب المالكي بقوله: **"**واعلموا أن دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه وجهر لا سر تحته، كله برهان لا مسامحة فيه واتهموا كل من يدعو أن يتبع بلا برهان وكل من ادعى للديانة سراً وباطناً فهي دعاوى ومخارق، واعلموا أن رسول الله (ص) لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها ولا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ابنة أو ابن عم أو صاحب، على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم، ولا كان عنده عليه السلام سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه**".** **ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل وبهامشه كتاب النحل للشهرستاني** ، مطبعة محمد علي صبح وأولاده ، القاهرة، 1964م،ج2 ص109، **شرارة، عبداللطيف: ابن حزم رائد الفكر العلمي، منشورات المكتب التجاري** للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص72 وما بعدها.

(3) عبّر عن ذلك بقوله: (الطويل)

فإنْ تُحرقوا القرطاسَ لا تَحْرقوا الذي ... تضَمّنَه القرطاسُ بَلْ هُو في صَدْري

يَسيرُ مَعي حيثُ استقلَّتْ ركائبي ... وينزلُ إنْ أنزلْ ويُدْفنُ في قبري

دَعُونِي من إحْرَاق رَقٍّ وكاغدٍ ... قولوا بعلمٍ كي يرى الناسَ مَنْ يَدْري

راجع ابن بسام: مصدر سابق، م 1 ص105. أما الرَّقُ فهو الجلد ويستعمل للكتابة، والكاغد هو القرطاس. انظر البستاني: مرجع سابق، (رق) و(كغد) ص 346 و ص 782.

(4) هو الحجاج بن يوسف الثقفي، والي العراق لبني أمية، وقد اشتهر بسفكه للدماء، اعتل فتوفي في شوال عام 95هـ/713م، وعمره ثلاث أو أربع وخمسون سنة.
ابن خلكان: مصدر سابق، ج 2 ص41.

وأشار السلفي أن كتاب الإيصال يقع في أربعين مجلداً [1]، وهذا يدل على عظم علوم ابن حزم، وثقافته الواسعة.

وله كتاب "الإحكام لأصول الأحكام"، وكتاب "الإجماع ومسائله على أبواب الفقه" [2]، وكتاب "منتقى الإجماع وبيانه من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف"، وكتاب "كشف الالتباس ما بين أصحاب العناصر وأصحاب القياس"[3]، وكتاب "المحلى" ويقع في ثمانية مجلدات[4]، وكتاب "إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما يحتمل التأويل"، وله "التقريب لحد المنطق والمدخل إليه، بالألفاظ العامية والأمثلة الشعبية"[5].

1-1-4- أحمد بن حزب الله، أبو الحسن: ت 459هـ/ أواخر1066م[6]، تولى الإفتاء في بلنسية، وكان عالماً بالشروط،وبنو حزب الله هم أهل علم ونباهة في بلنسية وإليهم ينسب المسجد الجامع الذي أقاموه بداخل بلنسية.[7]

1-1-5- يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ، أبو عمر: من أهل قرطبة 362ــ 460هـ/972-1067م، كانت نشأته في قرطبة حيث أخذ علمه عن كثير من العلماء والفقهاء أمثال خلف بن القاسم، ليس له نظير في فقه الحديث[8].

استقر في بلنسية أثناء الفتنة[9] وتوفي بشاطبة[10]، من أهم مؤلفاته كتاب " التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد".

كما صنف كتاب "الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار في شرح ما تضمنه الموطأ في معاني الرأي والآثار" وهذا الكتاب اختصار لكتابه الأول [11]، وكتاب "التقصي لحديث الموطأ"، وكذلك "جامع بيان العلم" وغيرها.

1-1-6- عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن جحاف المعافري: أبو عبد الله،

---

(1) السلفي: **أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي** ، تحقيق إحسان عباس، ط 1، دار الثقافة، بيروت، 1963م، ص 53.
(2) الحميدي: مصدر سابق، ص 308-309؛ الضبي: مصدر سابق، ص386، ترجمة رقم 1207؛ ابن بشكوال: مصدر سابق، ق2 ص 415-416.
(3) ابن بسام: مصدر سابق، م1 ص 105.
(4) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج3 ص 1147.
(5) الحميدي: مصدر سابق، ص 308-309.
(6) ابن بشكوال: مصدر سابق، ق1 ص60، ترجمة رقم 125.
(7) ابن الأبار: **التكملة**،ج2 ص 234.
(8) الحميدي: مصدر سابق، ص367- 368 - 369.
(9) عياض: **ترتيب المدارك**، ج2 ص808.
(10) المصدر السابق، ج 2، ص 808؛ابن العماد الحنبلي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 1408هـ، م5 ص226-227.
(11) المقري: **نفح الطيب**، ج4 ص149.

ت 487هـ/1094م، كان فقيهاً، ومن بيت علم [1].

1-1-7- أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري : ت 500ه/1106م[2]، يعرف بالشارقي، ألف كتاباً في أحكام الصلاة، رحل إلى المشرق وأدى فريضة الحج، تتلمذ على علماء العراق وفارس ومصر.

1-1-8- أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحجري: أبو العباس، المعروف بابن نمارة، كان حياًعام 503ه/1109م، له مجموع صغير في الفقه[3].

1-1-9- جعفر بن يحيى بن ميمون: ت 553ه/1158م[4]، من أهل شقر، رحل إلى بلنسية، واستقر بها، وعمل على تدريس الفقه والحديث بهذه المملكة.

1-2- الحديث:

هذا العلم عائد إلى مصدره الشريف وهو رسول الله (ص)، عني به علماء المسلمين المشارقة لمعرفة صحيحه من زائفه، ووضعوا القواعد والأسس في سبيل ذلك فاستعانوا بالتاريخ والتراجم في دراسة أحوال الرواة ومدى توافر عوامل الثقة والأمانة فيهم. وقد انتقل هذا العلم إلى الأندلس من خلال الرحلات العلمية التي قام بها الأندلسيون إلى المشرق، وهناك في الأندلس توسعت دائرة البحث والدراسة في هذا العلم، فتناولوا كتب الصحاح والسنن المشهورة وأولوها عناية واهتماماً فدرسوها وشرحوها وعلقوا عليها. وهناك يجد الباحث من العلماء من يحفظ صحيح البخاري(5) عن ظهر قلب مع فهمه الواسع بأحاديثه. ولم يكن صحيح مسلم[6] بأقل أهمية من حيث العناية والاهتمام من قبل أولئك العلماء بل كثرت عنايتهم به وأكبوا عليه، واهتموا به.

ومن أبرز علماء الحديث في مملكة بلنسية:

1-2-1- ابن حزم: تقدمت ترجمته، له مشاركة عظيمة في ازدهار علم الحديث، فقد صنف كتاب "الجامع في صحيح الحديث"، وكتاب "شرح حديث الموطأ والكلام على مسائله"، وكتاب

---

(1) ابن الأبار: **التكملة**، ج2 ص 246، ترجمة رقم 699.

(2) المصدر السابق، ج1 ص31، ترجمة رقم 84.

(3) المصدر السابق، ج1 ص32، ترجمة رقم 88.

(4) المصدر السابق، ج1 ص196، ترجمة رقم 640.

(5) البخاري: هو محمد بن إسماعيل الجعفي، ت 256هـ/869م، الحافظ الكبير صاحب الجامع الصحيح. رحل في طلب الحديث إلى كثير من البلاد وألف كتابه العظيم الذي قال فيه: " ما وضعت في كتاب الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين".ابن خلكان: مصدر سابق، ج 4ص 42، ترجمة رقم 569.

(6) مسلم: هو مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري، ت 461ه/1068م، أحد أعلام الحديث ارتحل إلى عدد من الأقطار في طلب العلم وكان يقول عن كتابه: "صنفت هذا المستند من ثلاثماية ألف حديث مسموعة". ابن خلكان: مصدر سابق،ج4 ص417-418، ترجمة رقم 717.

"أجوبة من صحيح البخاري"، وكتاب "مهم السنن" وغيرها[1].

1-2-2- ابن عبد البر النمري: تقدمت ترجمته أيضاً، كان ماهراً في الحديث بارعاً في علومه عارفاً بأحواله متناً وسنداً حتى قال فيه أبو الوليد الباجي [2]: "لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر في الحديث"[3]. وله في هذا المجال دراسات قيمة، فقد صنّف في الحديث كتاب "التقصي لحديث الموطأ"، وكتاب "الكنى في رجال الحديث"، وكتاب "الشواهد في إثبات الخبر الواحد"، وكتاب "الإنباه على قبائل الرواة في أسماء رجال الحديث"[4] وغير ذلك.

1-2-3 عبد الله بن عيسى بن إبراهيم المعروف بابن الأسير الشافعي: أبو محمد، أصله من شاطبة، وفيها تلقى علومه، وكان أحد أعلامها في الحديث، وكانت له رحلة إلى المشرق لأداء فريضة الحج عام 480هـ/1087م، ولكنه لم يسمع بالمشرق من أحد، ثم عاد إلى الأندلس، واهتمّ برواية الحديث[5].

1-3- علوم التفسير: التفسير هو الإيضاح والتبين، ومنه قوله تعالى في سورة الفرقان آية 33 "ولا يأتونك بمثلٍ إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً"، أي بياناً وتفصيلاً، وهو مأخوذ من الفسر وهو الإبانة والكشف[6].

وفي لسان العرب "الفسر" البيان، فَسَّرَ الشيء يُفسّره بالكسرة، ويُفسره بالضم فسراً أبانه. والتفسير مثله.. ثم قال: الفسر كشف المُغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل"[7].

أما أبو حيان في البحر المحيط فقال: أن التفسير:"علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك".

أما شرح النص فهو على الشكل التالي بحسب تعريف أبي حيان؛ فقوله:" علم"، وهو جنس يشمل سائر العلوم، وقوله:" يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن"، وهذا هو علم القراءات، وقوله:"ومدلولاتها"، أي مدلولات تلك الألفاظ وهذا هو علم اللغة، الذي يحتاج إليه في هذا العلم،

---

(1) البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**، ص256.

(2) أبو الوليد الباجي: هو سليمان الباجي 403-474هـ/1012-1081م. من مملكة بني هود بسرقسطة، لمع في علم الحديث. ابن بشكوال: مصدر سابق، ق1 ص200-201.

(3) الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ج3 ص1128-1129.

(4) المصدر السابق، ج3 ص1129-1130.

(5) ابن الأبار: **التكملة**، ج2 ص 248، ترجمة رقم 711.

(6) **الذهبي: التفسير والمفسرون**، بحث تفصيلي عن نشأة التفسير وتطوره وألوانه، ط 4، مكتبة وهبه، القاهرة، 1989م، ج 1 ص 15؛ محمد عمر الحاجي: **موسوعة التفسير قبل عهد التدوين** ، ط1، دار المكتبي، دمشق، 2007م، ص15.

(7) ابن منظور: مصدر سابق، م 6 ص 361؛ الذهبي: **التفسير والمفسرون**، ج 1 ص 15.

وقوله: "وأحكامها الإفرادية والتركيبية"، هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع، وقوله: "ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب"، يشمل بظاهره شيئاً ويصد عن الحمل على الظاهر المراد، فيحتاج لأجل ذلك أن يُحمل على الظاهر وهو المجاز، وقوله: "وتتمات لذلك"، هو معرفة النسخ وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما أنبهم في القرآن، ونحو ذلك[1].

وترجع نشأة التفسير إلى عهد الرسول(ص)، ولم يكن يُدَوّن كعلم مستقل، ومن بعد وضع علماء العرب قواعد وأصول لتفسير القرآن الكريم، وتم فصل العلوم بعضها عن بعض، فأصبح للحديث، وللتفسير، وللقراءات، وللفقه، علماؤه ومصنفاته، وتم وضع علم أصول الفقه للفقه، وأصول مصطلح الحديث للحديث الشريف، وقواعد النحو للغة العربية، وقواعد علم التفسير للتفسير[2].

وفي الأندلس، نالت هذه العلوم الكثير من الاهتمام والعناية، فأخرجت تلك البلاد عدداً من العلماء في مختلف ميادين العلوم الدينية، وقد زخرت مملكة بلنسية في عهد ملوك الطوائف بجملة من خيرة علماء الأندلس ومن هؤلاء نذكر:

1-3-1- محمد بن حسين المعروف بابن لارن: كان حياً عام 460هـ/1067م، وكان من أهل المعرفة بإعراب القرآن وغريبه، وكان لا يقرىء شيئاً لا يتحققه[3].

1-3-2- محمد بن علي بن محمد البلنسي: صنف تفسيراً قيماً للقرآن الكريم[4].

1-4- علوم القرآن (القراءات): علوم القراءات هي تلك الطرق السبع أو القراءات السبع المعتمدة للقراءة بين المسلمين التي ذاعت بينهم[5].والقراء السبعة الذين اشتهرت قراءاتهم بين المسلمين، والتي تنسب إليهم القراءات السبع هم نافع المدني[6]، وعاصم بن أبي النجود[7]، وأبو عمرو بن العلاء[8]، وعبد الله بن كثير[9]، وعبد الله بن عامر[1]، وحمزة بن حبيب[2]، وعلي بن

---

(1) أبو حيان: **البحر المحيط**، مطبعة السعادة، القاهرة، ج1 ص 13-14.
(2) عبد العك، خالد: **أصول التفسير وقواعده**، ط2، دار النفائس، دمشق، 1986م، ص34.
(3) ابن الأبار: **التكملة**، ج1 ص318، ترجمة رقم 1125.
(4) السيوطي: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، نشر دار المعرفة، بيروت. د.ت. ص81.
(5) ابن خلدون: مصدر سابق، ج1 ص552.
(6) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، ت 169هـ/ 785م. إمام أهل المدينة وعليه استندوا في قراءاتهم. ابن الباذش: **الإقناع في القراءات السبع** ، تحقيق عبد المجيد قطامش، ط 2، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة، السعودية، 2001م، ج5 ص55.
(7) كان ضريراً من أهل الكوفة، ت 73هـ/692م. تصدر للقراء بعد وفاة أبي عبد الرحمن السلمي. المصدر السابق، ج1 ص115.
(8) أبو عمرو بن العلاء بن عمار كان أعلم الناس بالعربية والقرآن. المصدر السابق ج1 ص92-93.
(9)عبد الله بن كثير المكي الداري، والداري بطن من لخم، ولد بمكة عام 45هـ/665م، وتوفي عام 120هـ/737م. المصدر السابق، ج1 ص77-78.

بن حمزة الكسائي[3].

ولأهل الأندلس مشاركة عظيمة في ازدهار هذا اللون من العلوم. وما ذكره المقدسي من أن قراءة نافع هي القراءة المنتشرة في الأندلس، ينم عن غلبتها على ما سواها من القراءات[4].

وقد شهد هذا اللون من الدراسات الدينية نشاطاً باهراً في عصر ملوك الطوائف؛ ففي مملكة بلنسية نبغ جلة من المقرئين نذكر منهم:

1-4-1- سليمان بن أبي القاسم نجاح: أبو داود، 413-496هـ/1022-1102م، ولد بقرطبة، ولكنه عاش وتنقل بين دانية وبلنسية، وكان من تلاميذ المقرئ أبي عمرو الداني[5] ودرس على يد الحافظ ابن عبد البر النمري. كان عالماً بالقراءات وطرقها، حسن الضبط لها، كما امتاز بالثقة فيما يرويه، وقد أفاد الناس كثيراً، فأخذوا عنه القراءات والتفسير[6]، وصنف أبو داود من الكتب "البيان الجامع لعلوم القرآن" في ثلاثماية جزء، وكتاب "التبين لهجاء التنزيل" في ستة مجلدات، وكتاب "الرجز المسمى بالاعتماد" في عشرة أجزاء، وله كتاب عن قول الله تعالى "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى" في مجلد وغير ذلك من المصنفات[7]، توفي في بلنسية عام 496هـ/ أواخر 1102م[8].

1-4-2- جعفر بن الحسين: أبو بكر، ت 540هـ/1145م، كان من أهل أندة، وولي الصلاة والخطبة في بلده، ثم تولى القضاء به وأقرأ القرآن[9].

---

(1) عبد الله بن عامر اليحصبي قاضي دمشق أيام الوليد بن عبد الملك، ومعاوية بن أبي سفيان. ابن الباذش: مصدر سابق، ج1 ص103.

(2) حمزة بن حبيب بن عمارة الكوفي الزيات، ت 156هـ/773م، أتقن القراءة في سن مبكرة وذاع صيته في القراءات والفرائض. المصدر السابق ج1 ص125-126.

(3) علي بن حمزة بن عبد الله الكوفي، كان واسع العلم بالقرآن والعربية، كان شيخ أهل الكوفة في النحو. توفي في عهد هارون الرشيد. المصدر السابق، ج1 ص138-139.

(4) المقدسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ليدن، بمطبعة بريل، 1906م، ص236.

(5) هو عثمان بن سعيد بن عثمان القرطبي الداني، ت 444هـ/1052م، عاش في بلاط مجاهد حاكم دانية، رحل إلى المشرق عام 397هـ/1006م، طلب علم القراءات فلمع فيه، وعاد إلى الأندلس فتصدّر القراءات وألف فيها. وكان حريصاً على أن يكون علم القراءات وقواعده ميسور المأخذ، سهل المنال ليتسنى فهمه وتعلمه. فنظم في علم القراءات أرجوزة ليحفظها الطلبة وطالِبُ هذا العلم. الضبي: مصدر سابق، ص 538، ترجمة رقم 1189؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ص188؛ عبد البديع: مرجع سابق، ص 45. وقال الداودي: إنّ العلماء من بعده كانوا عالة على كتبه ومصنفاته. ومن مؤلفاته: "جامع البيان في القراءات السبع وطرقها المشهورة والغريبة"، وكتاب "التحديد في معرفة التجويد" و"التمهيد" و"التيسير في القراءات" وغير ذلك... راجع الداودي: **طبقات المفسيرين**، تحقيق علي محمد عمر، ط1، مكتبة وهبة، مصر، 1972م، ج3 ص375.

(6) الضبي: مصدر سابق، ص 281، ترجمة رقم 779؛ الذهبي: **معرفة القراء الكبار**، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار التأليف، القاهرة، ج1 ص364-365؛ الداودي: مصدر سابق، ج1 ص207-208.

(7) الذهبي: **معرفة القراء الكبار**، ج1 ص364-365؛ الداودي: مصدر سابق، ج1 ص207-208.

(8) ابن بشكوال: مصدر سابق، ق1 ص203، ترجمة رقم 458.

(9) ابن عبد الملك: **الذيل والتكملة**، السفر الأول، ق1 ، تحقيق محمد ين شريفة، بيروت، د. ت.، ص241، ترجمة رقم 636.

1-4-3- عبد العزيز بن أبي البقا: من ساكني شقر، كان حافظاً للمسائل، قارئاً للقرآن، ويذكر ابن الفرضي أنه كان يختم القرآن في كل أربع ليالٍ[1].

1-4-3- ابن عبد البر النمري: وللعلامة الحافظ يوسف بن عبد البر النمري الآنف الذكر في ميدان العلوم القرآنية سهم وافر، فقد كان بارعاً في القراءات ماهراً في علومها حتى إنه صنّف فيها كتباً قيّمة منها "البيان عن تلاوة القرآن" وكتاب "الاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو بن العلاء بتوجيه ما اختلفا فيه" جزء واحد[2].

1-5- علم الكلام: قال التهانوي: إن هذا العلم يُسمى بأصول الدين. وسماه أبو حنيفة الفقه الأكبر، ويُسمى علم النظر والاستدلال ، ويُسمى علم التوحيد والصفات... "وهو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه"[3].

وإن علم الكلام، علم يقوم على الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على الخارجين على معتقد أهل السنة والجماعة بدلائل وأقيسة عقلية[4]. وقد سماه فقهاء المسلمين "أصول الدين"[5].

وقد ظهر علم الكلام في الأندلس، ولكن كان من الصعب توافر المناخ الملائم لظهور هذا العلم والمشتغلين فيه، نظراً لما تمتعت به الأندلس في سيادة المذهب المالكي وموقفه الحازم من أصحاب الجدل وأرباب النحل والفرق المختلفة، ومع ذلك فقد كان في الأندلس قوم ذهبوا إلى الاعتدال ولهم فيه تآليف[6]. ومن أبرز علماء الكلام نذكر:

1-5-1- ابن حزم: كان واسع العلم، وكان له مشاركة واسعة في علم الكلام ونفس طويل في الجدل. فقد ألف كتابه الشهير "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، فناقش أهل المذاهب والنحل والديانات المختلفة[7]، وحاول أن يوفق بين العقل والعقيدة، كما اجتهد أن يطبق على الإلهيات أصول المذهب الظاهري الذي اعتقده، متبعاً قواعد عامة، من ذلك: الأخذ بالمعنى الحرفي للقرآن

---

(1) ابن الفرضي: مصدر سابق ، ج1 ص321، ترجمة رقم 832.
(2) الحميدي: مصدر سابق، ص 368.
(3) التهانوي: **كشاف اصطلاحات الفنون**، تحقيق لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1963م، ص31.
(4) ابن خلدون: مصدر سابق، ج1 ص580.
(5) فروخ ، عمر: **عبقرية العرب في العلم والفلسفة**، ط2، المكتبةالعلمية، بيروت، 1952م، ص32.
(6) المقري: **نفح الطيب**، ج4، ص155-156.
(7) من هؤلاء: المعتزلة، والمرجئة، ولم يقلد طائفة معينة، بل كان يعتمد منهجاً خاصاً به نتيجة اجتهاده. ومن خالفه كان يرد عليه بحزم وصرامة، هاجم المنجمين والمتصوفين وأهل الأهواء والبدع. راجع ابن حزم: **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج 2 ص 106 وما بعدها؛ حسن إبراهيم، حسن: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1967م، ج4 ص470.

الكريم، والاجتهاد في تفسير آيات القرآن الكريم تفسيراً عقلياً معتمداً على اللغة ومعاني مفرداتها المعتمدة في المعاجم، وعدم تقليد مذهب سنده عن الصحابة أو ما قرره إجماع المسلمين(1).

وفي كتابه هذا "أي كتاب الفِصل في الملل والأهواء والنحل" عرض ابن حزم، عرضاً لم يُسْبَقْ إليه، فتناول الفرق الإسلامية المختلفة وآراءها واعتقادتها، كما بحث في الديانتين اليهودية والنصرانية، ورأى أن التوارة والإنجيل حرِّفا عن أصلهما، وحاول بكل ما في إمكانه أن يجد تناقضاً في كتبهم، ليبرز اتهامهم في تحريف النصوص، فهو ينبه لبعض المشاكل فيهما، لم ينتبه لها العلماء من(2).قبل

ومن الأهمية بمكان القول: أن كتاب "الفِصل في الملل والأهواء والنحل"، يعتبر تاريخاً نقدياً للأديان والفرق والمذاهب.

وأخيراً، يمكن القول: إن علم الكلام لم يجد له أرضاً خصبة في الأندلس، ولم يلق ما لقيه في المشرق من كثرة الأنصار والتشجيع، حيث انتشرت في الأخير (المشرق) الملل والنحل والفرق. زد على ذلك أن سيادة المذهب المالكي، كان له دور كبير في فرض نفوذه ومحاربة أي مذهب أو فكر ديني آخر في الأندلس.

2 -العلوم الأدبية واللغوية:

يقصد بهذه العلوم كل ما له علاقة باللغة العربية، من شعر ونثر ونحو وعلم العروض، وقد لقيت اهتماماً من الأندلسيين، وهذه العلوم كانت من العلوم المزدهرة المتطورة في الأندلس، وقد وصلت إلى درجة عالية من النضوج، يمكن أن يضاهي فيها ما أنتجه علماء المشرق، وفي مملكة بلنسية، نجد أن هذه العلوم قد حظيت بالكثير من الاهتمام وبرز عدد من علماء اللغة العربية.

وفيما يلي عرض لأبرز هذه العلوم وأهم من برع فيها:

2-1- الشعر: إن فن الشعر من أرقى الفنون الأدبية، وقد نالت الأندلس منه حظاً وافراً (3)، وقد حظي باهتمام الناس على مختلف طبقاتهم، وتطور تطوراً عظيماً، حتى أتى بإنتاج لم يأتِ به الأوائل، وكان الشعر هو القاسم المشترك بين أفراد المجتمع، وكان الشعراء يلقون من الملوك والأفراد كل تشجيع وتكريم.

والشعر العربي الأندلسي، شرقي المنشأ مع الدخول العربي لذلك القطر، لم يكن فيه شيء من

---

(1) الطباع، عبد الله أنيس: **القطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الإسلامي الدانية**، ط1، دار ابن زيدون، بيروت، 1986م، ص181.

(2) أمين، أحمد: **ظهر الإسلام**، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969م، ج3 ص 57.

(3) الشعر العربي الأندلسي شرقي المنشأ من حيث الشكل والموضوع دون المضمون. فمن جهة الشكل هو تقليد للقصيدة العربية القديمة، وأما المضمون فهو نتاج تجارب الشعراء الذاتية وما تختزنه أذهانهم من معان وأفكار بيئتهم الطبيعية والاجتماعية، فهو مضمون يغلب عليه سمة الإبداع والتجديد. راجع عتيق، عبد العزيز: **الأدب العربي في الأندلس**، ط2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1976م، ص164-165.

طابع البلاد، ثم تقدم مع الزمن، وما إن جاء القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، عصر الاضطرابات السياسية، حتى نما هذا اللون من الفنون الأدبية كغيره من العلوم التي شهدت تقدماً وازدهاراً. فعرفت الأندلس أكبر نهضة شعرية، وكان الشعر مكرماً في كل المدن التي أصبحت عواصم لممالك الطوائف مثل طليطلة وسرقسطة، ومرسية، وألمرية، وبلنسية وغيرها[1]. وما يميز ذلك القطر: الحروب المتكررة من جهة، وطبيعته الساحرة التي تزدهي بالأنهار والأشجار والمروج الخضراء، من جهة أخرى، وهذه الأمور تجسدت في الكثير من أشعارهم.

أما الحروب فهي بين الإسبان والأوروبيين والعرب، لم تنقطع، والغالب على عصر ملوك الطوائف هو تغلب الإسبان على العرب؛ فإذا بالإسبان يحتلون بلاد الأندلس بلداً بلداً، وعند احتلال بلد ما، نجد في الأندلس ما لا نجده في المشرق من رثاء البلاد[2].

ومن مراثي المدن الأندلسية ما كتبه الشعراء في رثاء مملكة بلنسية، والأخيرة تضم عدداً من الشعراء المرموقين[3]، من هؤلاء:

2-1-1- ابن دراج القسطلي: 347 – 421هـ / 958- 1030م، أبو عمر، أحمد بن محمد بن درَّاج المعروف بالقسطلي[4]، نسبة إلى موضع يعرف بقسطلة دَرّاج [5] **(في البرتغال حالياً)**، وهذا الشاعر كان قد مدح أميري بلنسية مبارك ومظفر العامريين في قصيدة طويلة **(الطويل):**

أَنــُورُكِ أَمْ أَوْقَــدْتِ بالَلّيلِ نارَكِ	لِبــَاغٍ قِــرَاك أو لـــباغٍ جِوَارَكِ
وَرَيَّاكِ أَمْ عَرفَ المَجَامِرِ أَشْعَلَتْ	بِعَــوْدِ الــكباءِ و الأَلُــوَّةِ نَارَكِ
وَمَبسِمُكِ الوَّضاحُ أَمْ ضَوْءُ بارِقٍ	حـَـدَاهُ دُعَـــائِي أَنْ يَجُودَ دَيَارَكِ
وطُــرّةُ صُـــبحٍ أم جَبِيْنُكَ سافِراً	أَعَرْتِ الصَّبَاحَ نُورَهُ أم أَعَارَكِ [6]

2-1-2- ابن زيدون: أبو الوليد، أحمد بن عبد الله بن زيدون، ذو الوزارتين [7]، نزل بلنسية عام عام 440هـ/1048م، ومدح وزيرها ابن عبد العزيز (ابن روبش). ومن شعره: **(مجزوء الكامل)**

---

(1) الفيومي، محمد إبراهيم: **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس** ، ط1، دار الجيل، بيروت، 1997م، ص 152.
(2) أمين : مرجع سابق، ج3 ص157.
(3) الشكعة ، مصطفى: **الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه**، دار العلم للملايين، بيروت، 1974م، ص520.
(4) الحميدي: مصدر سابق، ص110، ترجمة رقم 186.
(5) الحميري: مصدر سابق، ص160.
(6)ابن دراج: الديوان ، مصدر سابق، ص84؛ ابن الخطيب: **الإحاطة** ، ج3 ص221.
(7) راجع **مقدمة ديوان ابن زيدون.**

بَـــلَدٌ حَبِيْـــبٌ أُفْــقُهُ لِفَـــتىً يَحُـــلَّ بِـــهِ كَرِيمْ

أيْهَا (1) أَبَا عَـــبْدَ اللإلِـــهَ دُعَاءُ مَغْلُوبِ العَرِيمْ (2)

إنْ عِيلَ صَبْرِي مِنْ فِرَا قِـــكَ فَالعَذَابُ بِهِ أَليمْ (3)

2-1-3- ابن حزم: قال الحميدي: "كان له في الأدب والشعر نفس واسع وباع طويل، وما رأيت من يقول على البديهة أسرع منه وشعره كثير وقد جمعناه على حروف المعجم" [4]. وتقع معظم أشعاره في كتابه الأدبي الاجتماعي النفسي "طوق الحمامة". ولما كان يتحدث عن ظاهرة الحب، فقد زوّد ابن حزم القارئ بنماذج عديدة من شعره في الغزل، ولكنه كان يلتزم العفة والنزاهة في شعره.

2-1-4- الطرسوني: أبو إسحاق، إبراهيم بن مُعَلِّي الطَّرَسُوني، ولقبه الطرسوني نسبة إلى طَرَسُونة[5] إحدى مدن الثغر الأعلى بالأندلس. وقد صور لنا خروج أهل بلده بلنسية للقاء العدو في غير ثياب الحرب، وهزيمتهم أمام العدو القشتالي في وقعة بطرنة عام 455هـ/1063م، وفي هذا المجال قال: (الكامل)

لَبسوا الحَديدَ إلى الوَغَى ولَبِسْتُم حُلَلَ الحـــرير عَلَيْكُمُ أَلْوَانَا

ما كـــان أَقْبَـــحَهُمْ وأحْسَنَكمْ بها لو لم يكن ببطرنةٍ ما كانَا (6)

2-1-5- أحمد بن الدوين البلنسي: أبو جعفر[7]، كان حياًعام 477هـ/1084م، ومن شعره: (البسيط المخلع)

علَّمـــني فـــي الهوى عليٌّ كيف التَّصـــابي على وَقاري

أطّـــلَعَ لي من دُجـــاهُ بَدْرا لـــم يَـــدْرِ ما ليـــلةُ السَّـــرارِ (8)

---

(1) أيها: هنا للتبعيد بمعنى هيهات.
(2) العريم: الداهية، البستاني: مرجع سابق، ص596.
(3) ابن زيدون:الديوان،مصدر سابق، ص110؛ ابن خاقان:**قلائد العقيان** ص74.
(4) الحميدي: مصدر سابق، ص309-310.
(5) طرسونة (Tarazona)، كانت مستقر العمّال والقواد بالثغر الأعلى، وتتبع تطيلة. الحميري: مصدر سابق، ص123. المقري: **نفح الطيب**، ج1 ص 164؛ ج6 ص 213.
(6) المقري: **نفح الطيب**، ج1 ص178.
(7) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص456.
(8) السّرَار: آخر ليلة من الشهر يستتر فيها القمر بنور الشمس، ابن منظور: مصدر سابق، م4 ص357.

فحاد بي عن طريق نُسْكِي وظلّــتُ مُسْتــأهلاً لــنارِ [(1)]

2-1-6- أحمد بن عبد الولي البتي: يُنسب إلى قرية بتة من أعمال بلنسية كما ذُكر سابقاً، ويذكر ابن دحية بأنه كان "كثير التصرف مليح التظرف... خبيث اللسان..." [(2)] مات حرقاً على يد يد السيد القنبيطور عام 488هـ/1095م[(3)].

2-1-7- ابن اللبانة: أبو بكر، محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة، ت507هـ/1113م،أديب شاعر أثنى عليه الأدباء والشعراء، فوصف بأنه شاعر بارع التصرف ماهر غير متكلف قوي البناء والسبك بديع الألفاظ والمعاني[(4)].

أشار إليه الأصفهاني بقوله: "كنت أعتقد أن في طبع المغاربة يباسة يأبى لشعرهم سلاسة، حتى أنشدت شعر ابن اللبانة، فحصلت من رقته ورونقه باللبانة، وهو أصفى من اللبن وأحلى من الضرب وأنقى للكُرَب وأجلى للطرب"[(5)].

وشعر ابن اللبانة نبيل المأخذ، جمع سهولة الألفاظ ورشاقتها وجودة المعاني... وكان اعتماده على قوة قريحته وملكته[(6)].

من تصانيفه: "مناقل الفتنة"، و"نظم السلوك في وعظ الملوك، و"سقيط الدرر ولقيط الزهر"، و"ديوان شعر"[(7)].

أما الطبيعة فقد كان لها نصيب في الشعر الأندلسي، ولقد تفنن الأندلسيون في وصف الطبيعة، فوصفوا فيها الجنان والأشجار والأزهار والأنهار والمياه.. وأبرز من أبدع في هذا المجال في مملكة بلنسية:

2-1-8- **ابن خفاجة:** أبو إسحاق، إبراهيم بن أبي الفتح بن عبيد الله، المشهور بابن خفاجة الهواري الأندلسي، ولد عام 451هـ/1059م، في جزيرة شقر، وتوفي فيها عام 533هـ/ 1138م، كان من الكُتّاب البلغاء، نَظَمَ الشعر وكتب الرسائل الإخوانية. عُرف بعزته، فلم يُعرف أنه طرق باب ملك من ملوك الطوائف لينال صلاته [(8)]، ووصف بأنه شاعر الأندلس بلا منازع وأنه لا

---

(1) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب،** ج2 ص322-323، ترجمة رقم 566.
(2) ابن دحية: مصدر سابق، ص124، 195.
(3) ابن الأبار: **التكملة،** ج1 ص30، ترجمة رقم 76؛ المقري: **نفح الطيب،** ج5 ص166.
(4) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص429.
(5) الأصفهاني: **خريدة القصر وجريدة القصر ـ قسم شعراء المغرب والأندلس** ، تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1969م، ج2 ص123.
(6) حول شعره راجع المراكشي: مصدر سابق، ص 156- 158، 160 -161.
(7) الزركلي، خير الدين: **الأعلام،** ط5، دار العلم للملايين،بيروت، 1980م، ج6 ص322.
(8) ابن خاقان: **قلائد العقيان** ، ص 241؛ ابن بسام: مصدر سابق، م 3 ص 334؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج1 ص80، ترجمة 17.

يعرف له نظير في علو مكانته وقدراته الواسعة في الشعر لا سيما الوصف[1].

وفيه قال ابن الأبار: "كان عالماً بالآداب، صدراً في البلغاء، متقدماً في الكُتاب والشعراء يتصرّف كيف يريد فيبدع ويجيد، ناظماً وناثراً، ومادحاً وراثياً"[2].

وقال الضبي "شاعر مشهور متقدم مبرز، حسن الشعر، خبيث الهجاء، وشعره كثير مجموع، وكانت له همة رفيعة"[3].

وهو شاعر الطبيعة بلا منازع، وأوحد الناس فيها[4]، ولُقِّبَ بصنوبري الأندلس [5]، وهو القائل: (البسيط):

يَا أَهْلَ أَنْدَلُسٍ للهِ دَرُّكُمُ	ماءٌ وظلٌ وأنهارٌ وأشجارُ
ما جَنَّةُ الخُلدِ إلاَّ في دِيَارِكُمُ	لو تخيّرتُ هذا كنت أختارُ
لا تختشوا بعد ذا أَنْ تَدْخُلُوا سَقْرَاً	ولَيْسَ تُدْخَلُ بعد الجنّةِ النَّارُ [6]

أما براعة ابن خفاجة في وصف الطبيعة وغزارة أوصافه في ذلك فتعود إلى البيئة التي نشأ بها؛ فمدينة شقر كانت تمتاز بطبيعتها الجميلة الساحرة، فاستمتع بها واستشعر الارتياح بين رياضها وحدائقها، وكان دقيق النظر في الطبيعة، متأملاً لألوانها شارد الفكر في محاسنها وباهي جمالها، الأمر الذي سمح له بوصف الطبيعة بتعابير دقيقة ووصف رائع، وفي شعره عن الطبيعة يجسد عنصر الجدة والحداثة ويعكس بيئته وما حفلت به من مفاتن الطبيعة [7]. وعمل ابن خفاجة على تشخيص الطبيعة، فوقف عند المنظر الطبيعي، ووصفه كله جزءاً جزءاً، ولم يكتفِ بذلك بل وثّق الرابطة العاطفية بينه وبين الطبيعة فربطها بكل موضوع يطرقه، وجعلها المرتكز الذي يعول نظمه عامة، فربطها بالزهد والفناء والرثاء والمدح، وأمدها بالمعاني الحزينة وبادلها بالحديث في صمتها وحركتها[8].

هذا ويُعد ابن خفاجة من الشعراء الذين تفاعلوا مع حوادث عصرهم، بحيث جاء شعرهم

---

(1) الضبي: مصدر سابق، ص198-199، ترجمة رقم 503.
(2) ابن الأبار: **التكملة**، ج1 ص124-125، ترجمة رقم 373.
(3) الضبي: مصدر سابق، ص198.
(4) المقري: **نفح الطيب**، ج2 ص 211.
(5) المصدر السابق، ج5 ص 37.
(6) ابن خفاجة: الديوان، مصدر سابق، ص 117؛ المقري: **نفح الطيب** ، ج2 ص 210. ولكن باختلاف يسير عما جاء في الديوان، فقد جاء عند المقري "ألا يا أهل أندلس....."، وكذلك "ولا تحسبوا في غدٍ أن..."، وأيضاً "فليس تدخل....".
(7) الركابي: مرجع سابق، ص 105-106.
(8) عباس: مرجع سابق، ص 204.

صورة صادقة للحوادث التي ألمت ببلنسية، وتعد قصيدته التي يرثي فيها بلنسية بعد أن عاث السيد القنبيطور بساحتها ويأسف على ما أصابها من عيث وتخريب، من روائع الشعر العربي، وفيها يقول: (الكامل)

عَاثَــتْ بساحتِــكِ العدا يا دارُ ومَحَا مَحَــاسِنَكِ البِلَى و النارُ

فإذا تَــرَدَّدَ فــي جَنَــابكِ ناظرٌ طَالَ اعْتِبَــارٌ فِيْــكِ واستعْبَارُ

أرضٌ تقاذَفَتِ الخــطوبُ بأهلها وتمخَّــضَتْ بِخَــرابِها الأقدارُ

كَتَــبَتْ يدُ الحَدَثَانِ في عَرَصاتها لا أنــتِ أنتِ و لا الدِيَارُ دِيَارُ [1]

وفي موقع آخر، في استرداد بلنسية وعودتها إلى العرب يقول (البسيط):

الآن سحّ غَمَــــام النَّصــرِ فانهمَــــلا وقــام صَغْــوُ [2] عمــودِ الدين فاعتدلا

وأَشْــــرَقَ الــدَّمُ في خَــدِّ الثَّرَى خَجَلاً وأَظْلَــمَ النّقــعُ في جفــنِ الوغَى كَحَلا

وأَقْشَــعَ الكُفرُ قَســـراَ عن بَلَنْسِيَــــةٍ فانجــاب عــنها حِجَــابٌ كان مُنْسَدِلا

وطَهّــرَ السيــفُ منــها بَــلْدَةً جُنبــاً[3] لــم يَجزِهَا غَيْرَ ماءِ الـــسّيف مُغْتَسِلا

مُغْتَسِلا

كأَنني بعُلُوج الـــرّومِ ســـــادِرَةً وقد تَضَعْضَعَ ركنُ الكفرِ فاستفلا [4][5]

ومن الشعراء الذين تفاعلوا مع الحوادث التي ألمت في بلنسية:

2-1-9- ابن طاهر: محمد بن أحمد بن إسحاق بن طاهر: ت 507 أو 508هـ / 1113 أو 1114م، في بلنسية، وقد تعرض هذا الشاعر الوزير لحادثة مقتل القادر يحيى بن ذي النون بإيعاز من القاضي ابن جحاف عام 487هـ/1094م[6]. وفي هذه الحادثة يقول: (مجزوء الرمل)

---

(1) ابن خفاجة: الديوان، مصدر سابق، ص 354؛ ابن بسام: مصدر سابق، م 3 ص62؛ المقري: **نفح الطيب**، ج6 ص214. أما الاستعبار: فهي سيلان الدموع. والعرصات، جمع عَرْصة: وهي ساحة الديار. البستاني: مرجع سابق، ص 571، 589.

(2) الصغو: الميل، البستاني: مرجع سابق، ص510.

(3) الجنب: نسبة إلى الجنابة بمعنى النجاسة، وهو ضد الطاهر، المرجع السابق ص126.

(4) فاستفلا: انحط. ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص 62 – 63.

(5) ابن خفاجة: الديوان، مصدر سابق، ص 219-220.

(6) ابن بسام: مصدر سابق،م3ص59؛ ابن الأبار: **الحلة السيراء**ج2 ص125-126، ترجمة رقم130.

أَيُّها الأحْيَفُ مَهْلاً ... فَلَقد جِئْتَ عَوِيْصَا

إِذَا قَتَلْت الملِك يحيى ... وَتَقَمَّصت القَمِيْصَا

رُبَّ يومٍ فِيهِ تُجْزَى ... لَمْ تَجِدْ عَنْهُ مَحِيْصَا [1]

2-1-10- محمد بن أحمد بن عثمان البرياني: أبو عامر، 447 – 533هـ / 1055 – 1138م، عرف بالبرياني نسبة إلى برياني من أعمال بلنسية، تقدمت ترجمته.

وأخيراً يمكن القول: بإنه قد قيل الكثير في الشعر الأندلسي، ونكتفي بهذا الرأي "إن أشعار الأندلسيين تمتاز بصفة عامة بجزالة الألفاظ، وجمال رنينها، وإبداع الأخيلة، وبعد مداها، وبدلاً من أن يجعلوا الألفاظ مراكب للأفكار، وبدلاً من أن يدعوا القلوب تعبر عن أحاسيسها في فيض طبيعي، نجدهم يغدقون علينا طوفاناً من الألفاظ الرنانة والأخيلة البراقة، وكأنما لم يقنعوا بتحريك عواطفنا وطلبوا إغشاء أبصارنا، وأن تقديرنا لأشعارهم يزداد بقدر ما يقل تكلفهم في الغموض وراء المعاني البعيدة،... لأنهم في هذه الحالة يعبرون عن مشاعر صادقة في عبارات غير متكاملة"[2].

2-2- النثر: فن الأدب فن قديم عند العرب، عبروا به عما يجيش في خواطرهم من معان وأحاسيس[3]. وبلغت الأندلس القمة في الأدب، فإذا ما تناول الباحث كتب التراجم الأندلسية، وقع على ما كان عليه الأدب من منزلة رفيعة في حياة المجتمع الأندلسي، ووجد أن الأدب كاد أن يغلب على جميع علماء الأندلس سواء أكان فقيهاً أو مؤرخاً أو فيسلوفاً أمثال ابن حزم وغيره. وفيما يلي عرض لألوان فن الأدب النثري بشقيه: النثر الفني، والنثر التأليفي.

2-2-1- النثر الفني: وهذا هو فن الرسائل الديوانية والإخوانيات والمناظرات وغير ذلك من مواضع النثر الفني، وهذه الأشكال الفنية تقوم على نظام السجع وعلى التفنن في ضروبه[4].

شهد هذا اللون تطوراً في الأندلس، وفي عصر ملوك الطوائف نما هذا اللون، فإذا بملوك الطوائف يحرصون على أن تضم بلاطاتهم أبرع الكُتاب وأمهرهم. لأن هؤلاء كانوا يمثلون الناطق باسم المملكة يصوغون قراراتها وأوامرها وما تحتاج إليه من خطابات ورسائل وغير ذلك.

---

(1) ابن خاقان: **قلائد العقيان،** ص 70.
(2) بالنثيا: **مرجع سابق،** ص46-47 ، نقلاً عن المستشرق الألماني فون شاك.
(3) راضي، علي محمد: **الأندلس والناصر**، دار الكتاب العربي، القاهرة ، د. ت. ص56.
(4) عباس، إحسان: **تاريخ الأدب الأندلسي في عصر ملوك الطوائف والمرابطين** ، ط6، دار الثقافة، بيروت، 1981م، ص280.

وقد أشر سابقاً إلى أهمية الكتابة وإلى أبرز الكُتاب في مملكة بلنسية، وفي هذا الفصل نقف عند بعض الرسائل الفنية:

2-2-1-1- الرسائل الديوانية: ترتبط الرسائل الديوانية ارتباطاً وثيقاً بسلطة الحاكم وهي بالتالي انعكاس لسياسته في تدبير شؤون دولته، لأن موضوعاتها عبارة عن إيصال أوامر الحكام إلى الرعية، عبر العمال والولاة وقادة الجيوش لأخذ بيعته، أو إخماد فتنة، أو عزل من منصب وتعيين آخر. هذا في الداخل وإذا جاوزتها إلى الخارج فهي إنذار بحرب أو تحالف عسكري أو تعامل اقتصادي. والذي يقوم بهذه المهمة كاتب يعينه الحاكم في ديوانه ليحرر الرسائل باسمه.

وقد ازدهرت في الأندلس كتابة الرسائل الديوانية بسبب تعدد الممالك والدويلات التي اقتسمت سلطة الخلافة الأموية على بلاد الأندلس وتزاحم الملوك لاجتذاب الكاتب الأبرع لتعينه على رأس الديوان مما شجع الحركة الأدبية وساعد على نموها وازدهارها، ولا سيما وأن كُتاب هذا العصر كانوا في معظمهم شعراء.

ومن الرسائل الديوانية، تلك الرسالة التي وصلت إلى صاحبي مملكة بلنسية مبارك ومظفر العامريين، من صاحب غرناطة حَبّوسَ بن مَاكْسِنْ [1]، وكان قد دوّنها الوزير الكاتب أبو عبد الله البزِلْياني[2]، الذي التحق بغرناطة وصار في خدمة حَبّوسْ بن مَاكْسِنْ وابنه باديس[3] من بعده.

ومما جاء في تلك الرسالة: «وقد عقد الله بيننا عقوداً قادها للاختيار؛ وفي طول الأمد، وتصرُّم المُدَد، وتباعُدِ الدِّيار، وتقلُّب الليل والنَّهار، ما يُحلِ الأحوال، ويقطع الآمال، ويُشفق فيه الضَّنين، وتسوء منه الظنون، لاسيما إلى هذه الفتنة التي تُبَلِّدُ الحليم، وتخلط الصحيح بالسقيم. وأنا لكما الصفيُّ الذي لا تقدح الأيام في ودِّه، والوفيُّ الذي لا يخشاه الأنام على عهده. وإذ لا سبيل إلى أن أؤدِّي معتقدي في ذلك مشافهة، فإني أنبأته مكاتبة، مع من ينطق بلساني، ويُشفق بجناني، ألصق أُسرتي نسباً، وأفضل خاصّتي حسباً، وأصدقهم عني خبراً، وأحمدهم في السّفارة أثراً، الوزير أبي فلان[4]..»

---

(1) هو حبوس بن مَاْكسِنْ بن زيري بن مناد 410-429هـ/1019-1037م، يُكَنَّى أبا مسعود، ويُلقب بالحاجب وهو لقب ملكي، وبسيف الدولة وهو لقب التشريف، تولى حكم غرناطة، وكان من أعظم ملوك الطوائف بالأندلس . طويل: مرجع سابق، ص 105 وما بعدها.

(2) هو محمد بن أحمد بن عامر البزلياني، كنيته أبو عبد الله، وأصله من مالقة، وكان أحد شيوخ الكُتاب وجهابذة الأدب. ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج1 ص 444.

(3) هو باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد.تقدمت ترجمته.

(4) ابن بسام: مصدر سابق، ق1، ص 390-391. وخلاصة هذه الرسالة تذكيرٌ لصاحبين مملكة بلنسية بما هداهم الله إلى إبرام عقود المودّة، وحُسن الحوار؛ وما الذي حصل حتى تبدلت الأمور وانقلب الصفاء إلى جفاء، وأحياناً عداء؛ ولا سيما أن طبيعة المرحلة وما يرافقها من اضطراب ينتج عنه تغيير في المواقف، واختلاط في الأوراق حسب المصطلحات الحديثة. ثم يذكرهما بأنه ما زال على عهده وفاءً وحباً لهما. وقد انتدب أحد وزرائه لإبلاغهما حقيقة مشاعره وصدق نواياه وتأكيد موقفه منهما.

أسلوب هذا النوع من الرسائل، فيه الكثير من الإيجاز، والبساطة في التعبير، أما الهدف الذي يرمي إليه كُتّاب مثل هذه الرسائل هو خدمة مصالح ملوك الطوائف.

ومن الرسائل الديوانية أيضاً، رقعة من إحدى رسائل الكاتب الوزير أبي عامر التاكروني (تقدمت ترجمته). وهذه الرسالة عن المنصور عبد العزيز بن عامر إلى مجاهد العامري، وقد ساءت العلاقة بينهما، وفيها يقول: "إن أولى الناس بالإصلاح نفوس جُبلت على صَفْوِ ودادها، وأَحقُّ الذنوب بالاطّراح ذنوب جُنيت على غير اعتقادها، وإن رسولك الكريم وردني فلم يتردده عندي إلا ريثما يقدحُ زَنْدَ الودادِ في نفسك.... فيوري سراجاً من الصلة أسرى به في ظلماء القطيعة[1]"

كلمات مختصرة تدل على بلاغة ابن عامر التاكروني وحسن بيانه وتعبيره عن خواطر الملوك[2].

2-2-1-2- رسائل المناظرات: غالباً ما تعتمد رسائل المناظرات على الحوار وهذا الأمر يفرض وجود أكثر من محاور حتى تتم المناظرة، ويظهر كل طرف ما لديه للدفاع عنه وإثبات رجحان كفته كما فعل ابن حزم المغيرة[3] حين عمد إلى تبيان فضل قومه وما لديهم من مقدرة فكرية ومزايا خاصة بالنسبة لباقي الشعوب.

وهذه قطعة من إحدى رسائل أبي المغيرة، وفيها يرد على رسالة لأبي علي بن الرّبيب القروي[4]، التي كان قد عرّض فيها بأهل الأندلس وخاصة برجالات الفكر والأدب، واتهامهم بالجبن والتقصير والخنوع تجاه وطنهم وملوكه وعلمائه، لأنهم لم يخلدوا مآثرهم وآثارهم.

يبدأ أبو المغيرة رسالته قائلاً: "أبقاك الله من حميم صريح الوُدّ، أهدى تحيته على البُعد، فإن الفَهْم رَحِم، والأدب بين أهله وسائل وذِمم، وليس عدم الترائي والعيان، بقاطع للأسباب والأقران، ولا تنائي الديار والمنازل، بفادح في الأذمة والوسائل، فالكُتابُ عِوضٌ عن الكلام، والتواصل بالنفوس لا بالأجسام..."[5]

---

(1) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص145.

(2) في هذه الرسالة حالة من الجفاء أدت إلى البعاد بين المنصور بن أبي عامر والموفق مجاهد العامري، وقد ضمّن الكاتب ما يجول بخاطر سيده من قواعد اجتماعية يجب أن يتحلى بها دعاة الإصلاح من صفاء، وغض النظر من الإساءة إذ لم تكن مقصودة، مبلغاً رسول مجاهد بأن لا مكانة له لديه إلا إذا بدّل سيده جفاءه وداداً يفوح منه الصدق والوفاء، حينئذٍ تزول القطيعة وتعود المياه إلى مجاريها.

(3) هو عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم، أبو المغيرة، كاتب مشهور توفي438هـ/1046م، له عدة مؤلفات. وشجر الأمر بينه وبين ابن عمه أبي محمد علي بن أحمد بن حزم. كان صاحب اللواء في الجهد والهزل، راجع ابن بسام: مصدر سابق م1 ص81؛ المقري،**نفح الطيب** ج2 ص153-154.

(4) هو أبو علي الحسن بن محمد بن أحمد بن الرَّبيب التميمي القيرواني. المقري: **نفح الطيب**، ج4ص138.

(5) ابن بسام: مصدر سابق، م1 ص83. بهذه العبارات خط أبو المغيرة رسالته، وكلها تنم عن عاطفة ومودة تجاه ابن الرّبيب، مذكراً إياه بأن وسائل التلاقي بين الناس موجودة، ولم تكن المسافات يوماً سبباً لعدم التلاقي ما دامت الأرواح والنفوس تتناجى.

ومن ثم يبادر أبو المغيرة للرد على ابن الربيب، فيذكره بأن الأيام تأبى إلاَّ الكشف عن الحقيقة، فأكد في رسالته أن بلاده معروفة لدى الجميع، وأن ما ترك أهلها من آثار قد انتشرت في كل مكان، وخير دليل على ذلك ما يوجد من مؤلفات لعلماء الأندلس وأدبائه في بلاد ابن الربيب، وهي مفخرة وإن لم تبلغ حد الكمال، لأن الأخير من صفات الله تعالى، ومن جهة أخرى، وفق الكاتب إلى حدٍ بعيد وبليغ في آنٍ، عندما وصف ابن الربيب بكرم الطبع وكأنه بذلك يعمل على هجائه وبالتالي يعمم هذا الهجاء ليشمل كل من له علاقة بذاك المتجاهل عن قصد لما للأندلسيين من مآثر. وبعد ذلك، وتأكيداً وافتخاراً بتراث بلده، لم يتردد أبو المغيرة من تعداد المؤلفات التي تركها أبناء الأندلس لتبقى دليلاً واضحاً أمام المشككين، ومفخرة يعتز بها كل منتسب للشعب الأندلسي مع قناعته بأهمية تلك المؤلفات وطموحه بالوصول نحو الأفضل: «ولو لم يُعلم لنا خبر، ولا ظهر منا أثر، وبقينا لا يُعرَفُ مكانُنا إلا بإخراج قسمة الأقاليم لنا، والحاجة من الجغرافيا إلى ذكر صُقْعنا. لكان عذراً في التقصير عن اشتهار الفضل لائحاً، وإن كان نهجنا إلى أخذه والعلم به واضحاً، وإن كنت بإطلاقِ قولك قد جاهرتنا – وحقك – بالظلم مجاهرةً أنا أعجب كيف انقاد كريمُ طبعك لها، وأعجب أيضاً من بخوعي لك، ووقوفي عن الانتصاف منك، وأنا أعلمُ أنّ عندكم لنا تواليف تطيرون بها، وأشهد بتقصير أربابها فيها؛ وإن وُدَّاً عقل لك لساني، ولم يُجْرِ إلا بما تؤثرْ وتختاره بناني، لَوُدٌّ يفضح الروض في حزنه، برائقِ حسنه، ورَضْوَى في هَضْبِه، بثقل وزنه، ونَوْءِ السماك في هتنهِ، بوابل مُزنة؛ وما هي إلا شيمةٌ قديمة فيكم أهل الجهة الظاهرة أعلامُها، الباهرةِ علومُها وأفهامُها»[1].

2-2-1-3- رسائل الإخوانيات: هي تلك الرسائل التي تتناول في موضوعاتها جوهر المشاعر والأحاسيس الإنسانية من حب وشكوى، وعتاب قد يصل إلى الهجاء وشفاعة واستعطاف ودعاية واعتذار، وتهان وتعازٍ وخطب ومودة إلى غير ذلك مما ينتاب الإنسان وفقاً لظروف حياته وارتباطه بأصدقائه وإخوانه. وأشهر الرسائل في هذا المجال رسالة "السجن والمسجون والحزن والمحزون" لأبي عبد الملك بن غصن الحِجَاري من أهل وادي الحجارة [2]، وقد وُصف بأنه "إن نَظَمَ فبنيان مرصوص وإن نَثَرَ فلآلئ وفصوص"[3]، سَجَنَه المأمون في طليطلة مدة، فصنف خلال سَجْنِه رسالته "السجن والمسجون والحزن والمحزون"وسماها أيضاً "السر المكنون في عيون

---

(1) ابن بسام: مصدر سابق، م1 ص 84-85.

(2) وادي الحجارة (Guadalajara): مدينة تعرف بمدينة الفَرَج بالأندلس، إلى الشرق من قرطبة بينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلاً. الحميري: مصدر سابق، ص193.

(3) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص210.

الأخبار وتسلية المحزون"[1]. وهذه الرسالة عبارة عن قصائد طويلة يمدح فيها المأمون ويستعطفه، كما صنّف رسالة أخرى سمّاها "العشر كلمات".

ويبدو أن المأمون أطلق سراحه بعد ذلك، وتنقل بعد إطلاقه من السجن بين بلنسية وقرطبة وتوفي بغرناطة عام 454هـ/1062م.

ومن الأهمية بمكان القول: إن النزعة الشعوبية، في عصر ملوك الطوائف قد وجدت لها أرضاً خصبة، وخير دليل على ذلك، الرسالة الأدبية التي صنفها الأديب الشعوبي أبو عامر أحمد ابن غرسية[2] وذم فيها العرب وافتخر بأبناء جلدته من العجم. والأخير من أبناء البشكنس، وكان قد سبي طفلاً فتلقى التربية العربية وتعلم الأدب في بلاط مجاهد [3]. وعلى الرغم من ظهور النزعة الشعوبية في رسالة ابن غرسية[4]، فقد كان لهذه الرسالة تأثير في تنشيط هذا اللون من الأدب وإثراء ميدان النثر الفني لما احتوته ردود الأدباء على تلك الرسالة من ألوان البيان والبلاغة، ومن هؤلاء الأدباء أحمد بن الدوين البلنسي، وقد احتفظ ابن بسام برسالة ابن غرسية ورد البلنسي عليها[5].

وتبرز الأهمية في رسالة ابن غرسية في ما نتج عنها من ثراء أدبي رفيع، وأدت إليه تلك الرسالة من انتفاضة لتحطيم كل مزاعم ابن غرسية، أما الردود، ففيها ما ينم عن شعور قوي بالأصالة العربية والحمية للعرق العربي أمام تيار الشعوبية الذي يتمثل بأجلى صوره في موقف

---

(1) المصدر السابق، م3 ص262.

(2) انظر رسالة ابن غرسية في الذخيرة لابن بسام، م3 ص458.

(3) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2 ص406-407.

(4) هذه الرسالة أرسلها ابن غرسية إلى صديقه أبي جعفر أحمد بن محمد الجزار الذي لازم بلاط المعتمد ابن صمادح ملك ألمرية.

(5) من مقتطفات رسالة ابن غرسية "سلام عليك ذا الرويّ المرويّ، الموقوف قريضه على حللة بجانة أرش اليمن" ويصف قومه معرضاً بالعرب ("مجد نجد"، بهم لا رعاة شويهات ولا بهم. شغلوا بالماذي (كل سلاح حديد) والمرَّان (الرماح الصلبة) ، عن رعي البعران وبجلب العز، عن حلب المعز، جبابرة قياصرة...". ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص458. ويتابع فيحقر العرب، ويرفع من شأن العجم مع الإشادة والفخر بهم فيقول: "أما علمتم أن المملكة النوشروانية والدولة الأزدشيرية بقروا أجوافكم وخلعوا أكتافكم؟ ثم عطفوا ورأفوا وملكوكم الحيرة، بعد عظيم الحيرة" راجع، ابن بسام: مصدر سابق، م 3 ص461. ويشير ببراعة قومه في علوم الأوائل وإحاطتهم بالمعارف المختلفة ويختم رسالته بالاعتراف بمكانة الرسول محمد (ص) مع التعريض مرة أخرى بأن الرغام يوجد في التبر، والمسك في بعض دم الغزال.

ومن رسالة البلنسي ردعلى ابن غرسية قوله "أخسأ أيها الجهول المارق والمرذول المنافق، أين أمك، ثكلتك أمك، أو ما علمت أنك إنما سحبت من عقالك لعقالك، وقدمت أول قدمك لسفك دمك... فأقسم بباري النسم وناشر الأمم من رفات الرمم، لأصَّيرنَّ عليك أيها السخيف المضعوف، على نذالتك وسفالتك..." ابن بسام: مصدر سابق: م 3 ص464. وفي موقع آخر يقول: "وأما فخرك بعلمهم بالشرائع فمن أبدع البدائع استنت الفصال حتى القرعى، وجهلهم بذلك حتى أوضح من أن يشرح، وأبين من أن يبين... ولم يزالوا يتعاورون أصلهم الإنجيل بالزيادة والنقصان إلى أن أصاروه في حيز الهذيان، وحسبك بهم جهلاً أنهم يعتقدون إلهاً نبيهم". ابن بسام: مصدر سابق، م3ص467.

ابن غرسية وآرائه.

2-2-2- النثر التأليفي:

إضافة إلى النثر الفني، عُرف نوع آخر من الفنون النثرية وهو النثر التأليفي. وهو تأليف كتب أدب، ترمي إلى التأديب والتهذيب[1]، ككتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، وكتاب نهاية الإرب للنويري وغيرهما، وهذا هو المفهوم السائد للأدب قبل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

ويذكر بالنثيا أن لفظ أدب عند العرب، يطلق على المعارف التي تستهدف رفع مستوى الثقافة الذهنية وتهذيب سلوك الفرد، وهذه المعارف تضم اللغة وآدابها، والتاريخ والأخبار، وما يتعلق بذلك من مسائل العلم والأدب المستطرفة، ثم تطور مفهوم الأدب مع الزمن، فصار يُطلق على الكتب التي تجمع علوماً مختلفة من فروع الأدب، وتشتمل على أنواع شتى من الفنون والنوادر والطرف والحكايات الأدبية[2].

وقد نال الأدب في عصر ملوك الطوائف عناية بالغة؛ فهذا العصر شهد منافسة حضارية، وتنافس ملوك الطوائف على اجتذاب أعلام الأدب ومشاهيره، الأمر الذي دفع بالكثير من الأدباء إلى البحث والتحصيل والإنتاج الأدبي الواسع، فأخرجوا مصنفات قيمة مازال بعضها بين أيدينا، وأما الكثير منها فقد ضاع ولم تحفظه الأيام. وعلم الأدب ، من أنبل العلوم عند الأندلسيين وبه يتقرب إلى مجالس الملوك والأعيان، ومن لم يكن له مشاركة في الأدب أو الشعر فقد كان مستثقل الروح غير مرغوب فيه[3].

وفي عصر ملوك الطوائف نشطت الحركة الأدبية، ونبغ أدباء بارزون، فقد ظهر في هذا العصر مئات الأدباء الذي أثروا الحركة الأدبية بإنتاجهم الأدبي، وفيما يلي عرض لأبرز أدباء النثر التأليفي في مملكة بلنسية:

2-2-2-1- ابن حزم: يأتي في مقدمة الأدباء الذين أثروا الحركة الأدبية بتآليفهمفهذا العلامة ، إضافة إلى علمه في الفقه والكلام كان أديباً، قوي العاطفة، حسن التعبير عما في نفسه، وأعظم أثر أدبي له في النثر كتاب "طوق الحمامة في الألفة والألّاف"، والأخير كتاب في الدروس النفسية، ترجم فيه لنفسه، ودّون خلجاتها. ومادة هذا الكتاب لا ترتكز قيمته على فلسفة الحب وتحليل ظواهره

---

(1) هيكل، أحمد: **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1968م، ص 259-260؛ بالنثيا: مرجع سابق، ص 169.
(2) بالنثيا: مرجع سابق، ص 169.
(3) المقري: **نفح الطيب**، ج 1 ص 212.

واستجلاء دقائقه بل فيما ضمّنه من روايات ووقائع، تصوّر مظاهر الحياة داخل قصور الخلفاء والأمراء وأساليب السلوك السائدة هنالك بالإضافة إلى اشتمال الكِتاب على صور من تجارب المؤلف الشخصية واعترافاته الذاتية، مما يعطي ضوءاً حول معالم شخصيته[1].

وكتاب "طوق الحمامة" رسالة في الحب والمحبين، مؤلفة من ثلاثين فصلاً يدور كل منها حول موضوع واحد من موضوعات الحب، ويعتبر هذا الكتاب من أدق ما كتب العرب في دراسة الحب وتعدد أسبابه، وتنوع مظاهره وتطوراته[2].

وما يميّز هذا الكتاب أن مؤلفه فقيه، وكان من الطبيعي أن يحجم عن الخوض في مثل هذا الحديث الذي لم يَعْتَدِ الفقهاء الخوض فيه؛ ولكن شخصية ابن حزم، ونشأته من جانب، وظروف عصره من جانب آخر، قد جعلته يُخرج هذا الكتاب الذي يفخر به الأدب الأندلسي.

2-2-2-2- ابن عبد البر النمري: أبو عمر، وهذا العلامة الكبير، صنّف كتابه الشهير "بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس" والكتاب طبع في ثلاثة أجزاء، ويشتمل على ما يقارب أثني عشر باباً في: الأخلاق، والآداب، والسلوك، والصفات الإنسانية، وما يتصل بالعادات والتقاليد في حياة الإنسان، إلى جانب أبواب كثيرة في تهذيب النفس وتطهيرها بارتياد الفضائل واجتناب الرذائل.

ويفتتح ابن عبد البر النمري الباب من أبواب كتابه بحديث أو بأحاديث لرسول الله (ص) وشيء من أقوال الصحابة، ثم يسرد أقوال الحكماء، وما ورد في ذلك الموضوع من أشعار ونثر، وفي كتابه نراه يذكر الصفة ونقيضها في كثير من أبواب كتابه، كأن يتحدث عن الغنى والفقر، والرجاء والخوف، والمرض والطب، والشجاعة والجبن، والعقل والحمق.. إلخ.

وفي كتابه هذا تظهر شخصيته واضحة، من خلال حرصه الشديد على العبارات المهذبة والابتعاد عن الألفاظ البذيئة. واهتمامه باستقصاء المعنى وحشد الكثير من الشواهد النثرية والشعرية. كما أنه تميز بنقده لبعض النصوص الأدبية المشرقية، كنقده للجاحظ عند حديثه عن الغيلان وأن منها ما يتزوج من البشر، وقال: إنها من دعابات الجاحظ ومجونه[3].

أما ابن عبد البر النمري فقد كان يرمي من وراء كتابه هذا إلى تحقيق كثير من الأهداف والغايات الأخلاقية والأدبية (ليكون لمن حفظه ووعاه وأتقنه وأحصاه زينا في مجالسه، وأنسا

---

(1) هيكل: مرجع سابق، ص 342.
(2) الطباع: مرجع سابق، ص181.
(3) ابن عبد البر: **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس** ، تحقيق محمد مرسي الخولي، الشركة المتحدة، دار الكتب العلمية، بيروت، مقدمة المحقق، ص 29 – 30 - 31.

لمجالسه، وشحذاً لذهنه وهاجسه، فلا يمر به معنى في الأغلب مما يذاكر به، إلا أورد فيه بيتاً، أو مثلاً سائراً أو حكاية مستطرفة أو حكمة مستحسنة يحسن موقع ذلك في الأسماع، ويخف على النفس والطباع، ويكون لقارئه أُنساً في الخلاء، كما هو زين له في الملاء وصاحبا في الاغتراب كما هو حلي بين الأصحاب)[1].

أما النساء، فكان لهن دور كبير في نهضة الأدب والكتابة، وقد احتفظ التاريخ بأسماء عدد منهنّ شاركنّ في النشاط الأدبي في عصر ملوك الطوائف؛ فمنهنّ العبادية جارية المعتضد وقد أهداها إليه مجاهد العامري من دانية، وعُرفت بالأدب والظرف والمهارة في الكتابة مع العناية باللغة[2]، تقدمت ترجمتها.

والحق يُقال: إن مملكة بلنسية في عصر ملوك الطوائف، شهدت طائفة كبيرة من الكُتّاب أو ممن اشتهروا بأدب النثر الفني، وأن الأخير نما وتطور في ذلك العصر. أما في ميدان النثر التأليفي، فقد ترك البلنسيون ثمرات جهودهم الأدبية القيّمة وقد تمثلت في العديد من التأليفات التي لا تزال تحتل مكانة رفيعة في المكتبة الأدبية العربية "كطوق الحمامة" و"بهجة المجالس" وغيرها.

2-3- علوم اللغة: اهتم الأندلسيون بقواعد اللغة، وحرصوا على استقامة ألفاظهم وصحة كلامهم وخلوه من اللحن في مخاطباتهم ومجالسهم العلمية، وكان الذي يلحن يُنظر إليه نظرة ازدراء واستهجان، بل إن العالم منهم في أي علم كان، إذ لم يكن عارفاً بالنحو وفنونه لا يكون جديراً بالاحترام والتقدير[3].

وتزخر كُتب التراجم والطبقات بعلماء اللغة والنحو [4] في الأندلس، وكان لتشجيع الملوك والأفراد، الأثر في ازدهار التأليف، بل المشاركة في الحلقات العلمية والأدبية فهذا مجاهد العامري مثلاً، رغم إكرامه العلماء فهو شديد النقد، لما يُلقيه الشعراء من القصائد، لبراعته في اللغة، فلا يزال يتعقب كل لفظة ومقطع بالنقد، حتى لا تكاد تسلم منه قافية. لذلك لم يجد الشعراء لديه منالاً

---

(1)ابن عبد البر: مصدر سابق، ج 1 ص 36.

(2) ابن عبد الملك: **الذيل والتكملة**، السفر السادس، ص 317-318؛ المقري: **نفح الطيب**، ج6 ص 58.

(3) المقري: **نفح الطيب**، ج1 ص212.

(4) كان الأندلسيون في بداية اشتغالهم بالنحو يعتمدون على كتب الأدب والنصوص الأدبية، ثم عكفوا فيما بعد على دراسة كتب النحو، ومن الكتب التي اعتمدوا عليها كتاب "الكسائي"وكتاب "سيبويه".

-أما الكسائي: فهو علي بن حمزة بن عبد الله الكوفي، أصله من الكوفة ونشأ بها، قدم بغداد وعينه الرشيد مؤدباً لابنيه الأمين والمأمون. توفي بقرية نبوية بالري عام 179هـ/795م. ترك كتباً في النحو والقراءات. ابن النديم: **الفهرست**، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د.ت. ص50.

- وسيبويه: هو عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني حارث، يكنى أبا بشر، ويُقال كنيته أبو الحسن ومعنى سيبوي ه بالفارسية، رائحة التفاح. قدم العراق أيام الرشيد وهو ابن اثنين وثلاثين عاماً. توفي وله نيف وأربعون عاماً بفارس عام 177هـ/793م. البغدادي: **هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون**، مكتبة المثنى، بغداد، 1951م، ج5 ص802.

فقل إقبالهم عليه[1] هذا وتشمل علوم اللغة:

2-3-1- النحو: قبل الحديث عن أشهر النحويين، يستحسن تعريف هذا اللون من العلوم؛ فهذا العلم من أسمى العلوم قدراً، وأنفعها أثراً، وبه يحفظ الكتاب من اللحن والتحريف، وبه يستبين سبيل العلوم على تنوع مقاصدها، قال ابن خلدون: "إنما به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الإفادة"[2].

وجدير بالذكر أن واضع هذا العلم هو العلامة أبو الأسود الدُّؤَليُّ [3]. ومما يُروى عن أبي الأسود، أنه سُئل فقيل له: من أين لك هذا النحو؟ فقال لفقت (أخذت) حدوده من علي بن أبي طالب[4].

وقد سُمي بالنحو بعد عصر أبي الأسود الدؤلي؛ فمما يُذكر أن أبا الأسود لما عرض على الإمام علي ما وضعه فأقره بقوله: "ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت فآثر العلماء تسمية هذا العلم باسم "النحو" استبقاءً لكلمة الإمام علي التي كان يراد بها أحد معاني النحو اللغوية والمناسبة بين المعنيين اللغويين[5].

وقد نال هذا اللون من العلوم اهتماماً عظيماً من قبل العلماء، في المشرق والمغرب والأندلس، ولما كان السير نحو الأندلس وتحديداً نحو مملكة بلنسية في عصر ملوك الطوائف، وجد الباحث عدداً من الشخصيات التي نبغت في هذا المجال وفي مقدمتهم:

2-3-1-1- الأمير عبد الملك المظفر: الذي خلف أباه المنصور في حكم بلنسية عام 452هـ/1060م، كان عارفاً بعلوم اللغة، وكان قد قرأ في صغره عندما كان في مرسية على العالم اللغوي أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن بلال، ت 460هـ/1067م[6].

2-3-1-2- عبد الله بن سيف الجذامي: ت 430ه/أواخر 1038م[7]، كان نحوياً أديباً متفنناً

---

(1) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص13.
(2)ابن خلدون: مصدر سابق،ج1 ص753.
(3) أبو الأسود الدُّؤَليُّ: هو ظالم بن عمرو بن جَنْدَل بن سفيان، كان أبو الأسود يستند في علمه إلى علي بن أبي طالب، باعتباره مرشداً له. وعلم النحو كان يُسمى بـ"العربية" في عصر أبي الأسود، قال ابن سلام "وكان أول من أسس العربية وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي". راجع ابن سلام: **طبقات الشعراء**، إعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي، دار النهضة العربية بيروت، 1969م، ص5. وقال ابن قتيبة، كان أبو الأسود: "أول من عمل في النحو كتاباً". ابن قتيبة**الشعر والشعراء** ط2، تحقيق حسن تميم ومحمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، 1986م، ص 491، الطنطاوي، محمد: **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة** ، تحقيق عبد العظيم الشناوي ومحمد عبد الرحمن الكردي، ط2، جامعة الأزهر، 1969م، ص23.
(4) الأنباري، كمال الدين: **الألبا في طبقات الأدباء "النحاة" والأنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين.**
(5) الطنطاوي: مصدر سابق ، ص24.
(6) ابن الأبار: **التكملة**، ج1 ص 26-27، ترجمة رقم 62.
(7) المصدر السابق، ج2 ص240، ترجمة رقم 676.

ضابطاً، وعلَّم بالعربية.

2-3-1-3- محمد بن حسن المعروف بابن لارن: من ناحية لرية، كان أديباً متفنناً، متسع المعرفة، معلماً بالعربية واللغة، ومن أهل المعرفة باعراب القرآن [1]. كان حياً عام 460هـ/1067م.

2-3-1-4- أحمد بن شرف: كان نحوياً ملماً بالعربية، توفي بعد عام 460هـ/1067م[2].

2-3-1-5- خلف بن عمر الشقري المعروف بالأخفش[3]: ت بعد عام 460هـ/1067م برزت أسرة الأخفش في علم النحو بصفة خاصة، ويذكر السيوطي أن أبا القاسم خلف هذا هو ثالث الأخفشين من النحاة[4]،أما ابن الأبار فيشير إلى أن أبا القاسم كان يعلم بالعربية والأدب[5].

2-3-1-6-خلف بن أحمد بن داود الصدفي: وأصله من جهة ركانة، أخذ علومه عن أبي عبد الله بن لارن وعلم بها. توفي أثناء حصار الروم لبلنسية عام 468هـ/1075م[6].

2-3-1-7-ابن خلصة اللخمي: ت نحو 521هـ/1127م، هو العلامة محمد بن عبد الرحمن بن خلصة بن أحمد بن فتح بن قاسم بن سليمان بن سويد اللخمي. أصله من شريون. كان أستاذاً في علم اللسان، مقدماً في صناعة العربية والأدب[7].

2-3-1-8-عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي : أبو محمد، 444-521هـ/1052-1127م، أصله من مدينة شلب، ولكنه ولد ونشأ في بطليوس وتلقى علومه ومعارفه فيها، وكان متعدد الاهتمامات العلمية، كان بارعاً في اللغة والنحو والأدب وعلوم الدين والكلام، عارفاً بالمنطق والفلسفة[8]، وكان من الذين استوطنوا بلنسية، فأخذ ينشر معارفه وعلومه فيها وبها توفي.

وُصِفَ ابن السيد ببراعته في علوم اللسان، وكثرة رواد العلم لمجلسه، ومن صفاته أيضاً أنه حسن التعليم وجيد التلقين[9].

ولابن السيد مؤلفات كثيرة في اللغة منها كتاب "المثلث" في مجلدين، وكتاب "الاقتضاب في

---

(1) ابن الأبار: **التكملة،** ج1 ص318، ترجمة رقم 1125.

(2) ابن عبد الملك: مصدر سابق، السفر الأول، ق1، ص128، ترجمة رقم 190.

(3) ابن خير: **فهرسة الكتب المصنفة في ضروب العلم،** نشر كوديرا، سرقسطة، 1893م، ص313.

(4) السيوطي: مصدر سابق، ص243.

(5) ابن الأبار: **التكملة،** ج1 ص243، ترجمة رقم 831.

(6) المصدر السابق، ج1 ص 243 ترجمة رقم 833.

(7) المصدر السابق، ج1 ص347، ترجمة رقم 1235.

(8) عاش في بلاط ابن رزين صاحب السهلة معززاً مكرماً، ثم ساءت العلاقة بينه وبين ابن رزين، فغادر متجهاً إلى سرقسطة، ثم طليطلة، واستقر في بلنسية ومدح ملكها القادر يحيى بن ذي النون بقصيدة. ابن خلكان: مصدر سابق، ج3 ص 79 وما بعدها.

(9) ابن خلكان: مصدر سابق، ج3 ص79؛ ابن فرحون: مصدر سابق، ص140-141؛ السيوطي: مصدر سابق، ص288.

شرح أدب الكتاب"، وكتاب "شرح سقط الزند لأبي العلاء المعري"، وكتاب "الحروف الخمسة وهي السين والصاد والضاد والطاء والذال"، وكتاب "الحلل في شرح أبيات الجمل"، وكتاب "إصلاح الخلل الواقع في الجمل"[(1)]، وكتاب "شرح فصيح ثعلب"، وكتاب "الانتصار لمن عدل عن الاستبصار"، وكتاب "مسائل منثورة في النحو". وكان ابن السيد يستند إلى النحو قاعدةً في شروحه اللغوية، فقد عالج الكثير من المسائل اللغوية مستغلاً تضلعه في النحو وتبحره في مسائله، فهو يبدي رأي الكوفيين والبصريين، ثم ينهي كلامه بقوله: والمختار هو كذا. وكان يدعم أقواله بالشواهد القرآنية والأحاديث الكريمة وأشعار العرب [(2)]. وقد أطلق عليه أوصاف شتى فهو إمام اللغويين والنحاة، وأحد السابقين المبرزين، وعُد من مفاخر الأندلس، وأعلامها العظام[(3)].

2-3-1-9- إبراهيم بن أحمد الباهلي: أخذ علومه عن أبي بكر بن نمارة، وكتب له "مقدمة ابن بابشاذ"[(4)] في النحو عام 533هـ/ أواخر 1138م[(5)].

2-3-1-10- ابن سيده: أبو الحسن، هو العلامة علي بن أحمد بن إسماعيل المعروف بابن سيده، إمام في اللغة وآدابها، من أعلام الدراسات النحوية، نبغ في آداب اللغة العربية ومفرداتها، من دانية. وُلد بمرسية شرق الأندلس عام 398هـ/1007م، وانتقل إلى دانية فتوفى بها عام 458هـ/1066م، كان ضريراً وكذلك والده[(6)].

كان عالماً باللغة، حتى وصف بأنه لا نظير له اعتناء باللغة ولا أمهر منه في معرفة أسرارها، وأن مؤلفاته فيها تُعد أعظم ما أنجز في ذلك[(7)].

حلَّ ضيفاً في بلاط مجاهد العامري في دانية، وكان الأخير مولعاً بالدراسات اللغوية، محباً للعلم والعلماء. فوجد ابن سيده لديه كل تكريم، وكلفه مجاهد بتأليف معجم كامل في اللغة، فصنف ابن سيده كتابه الشهير "المخصص". والمطلع على هذا الكتاب، يدرك ما كان عليه ذلك العلامة من ثقافة واسعة ومعرفة عميقة وشاملة في اللغة العربية ومفرداتها. والكتاب مرتب بحسب

---

(1) ابن خلكان: مصدر سابق، ج3 ص79-80؛ الحنبلي: مصدر سابق، ج6 ص106-107.

(2) ابن كثير: مصدر سابق، ج16 ص276-277.

(3) الضبي: مصدر سابق، ص313، ترجمة رقم 894.

(4) هو أبوالحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ، ت 469هـ/1076م، كان إمام عصره في علم النحو بمصر وله عدة مصنفات منها "المقدمة" وشرحها، و"شرح الجمل" و "شرح كتاب الأصول: أما وظيفته في ديوان الإنشاء هي إصلاح كل خطأ إن من جهة النحو أو اللغة، وإما إعادة الكتاب لصاحبه، وكان له راتب على ذلك من الخزينة. ابن خلكان: مصدر سابق، ج2 ص422-423.

(5) ابن الأبار: **التكملة**، ج1 ص126، ترجمة رقم 375.

(6) القفطي: **إنباه الرواة على أنباه النحاة** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1950م، ج 2 ص 225.

(7) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2 ص 259.

المعاني، وكل موضوع من موضوعات الحياة البشرية من مادي ومعنوي يذكر مفرداً. ويضع باباً خاصاً به ثم يذكر جميع ما ورد فيه عن العرب من ألفاظ وجمل[1].

وألف ابن سيده كتاب "المحكم" في ما يقارب عشرين مجلداً. وقد نال هذا الكتاب استحسان العلماء، حتى وصفه البعض بأنه ليس في كتب اللغة أحسن ولا أنفع منه، وله غير ذلك من الكتب الأدبية[2].

وكتاب "المُحكم"، من أحسن المعاجم اللغوية التي سار مؤلفها على طريقة الخليل أحمد الفراهيدي ت 170هـــ/786م، من حيث ترتيب الأبواب، وتوزيع المواد اللغوية، إضافة إلى ما يحويه ذلك الكتاب من عرض وتخريج وتعليق حول المسائل الصرفية والنحوية، وكذلك من ناحية المصطلحات والشروح[3].

ومن المصنفات الأخرى لابن سيده كتاب "الأنيق" و"شرح مشكل أبيات المتنبي"، وكتاب "العالم" بدأ فيه بالفلك، ومن كتبه أيضاً "كتاب العالم والمتعلم" وكله أسئلة وأجوبة، وله "شاذ اللغة" ويقع في خمسة مجلدات وغير ذلك[4].

2-3-2- علم العروض: وهذا العلم يتصل بالشعر، وقد ظهر في بلنسية بعض الذين برزوا في هذا العلم، ومن هؤلاء:

2-3-2-1- خلف بن عمر الأخفش: توفي بعد عام 460هـ/1067م[5]، وهو من جزيرة شقر، سكن بلنسية. كان يُعرف بالأخفش، كان يُعلّم بالعربية والآداب، وكان عروضياً ووراقاً.

2-3-2-2- أحمد بن الفرج التجيبي: من أهل قونكة، سكن بلنسية، كان من أهل العلم والأدب، وألف كتاباً في العروض سماه "المجمل"[6].

2-3-2-3- العروضية: إشراق السويداء، ت 443هـ/1051م، مولاة أبي المطرف عبد الرحمن ابن غلبون الكاتب في إمارة بلنسية، أخذت علومها عن مولاها الذي كان معدوداً في علماء اللغة، برعت في العروض وقد غلب عليها لقب العروضية، وكانت تعقد مجلساً للتدريس وممن أخذ عنها

---

(1) أرسلان: مرجع سابق، ج3 ص 464.
(2) القفطي: مصدر سابق، ج2 ص 225.
(3) كابانيلاس داريو **: ابن سيد ه المرسي، حياته وآثاره** ، ترجمة حسن الوراكلي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1980م، ص105-108.
(4) القفطي: مصدر سابق، ج 2 ص 226؛ ابن حجر العسقلاني: **لسان الميزان**، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، وعبد الفتاح، أبو سِنَّة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ج4 ص 247.
(5) ابن الأبار: **التكملة** ج1 ص243، ترجمة رقم 831.
(6) المصدر السابق، ج1 ص47، ترجمة رقم 138.

العلامة المقرئ الكبير سليمان بن نجاح، وكانت و فاتها بدانية[1].

3 -العلوم الإنسانية:

3-1- **التأريخ:** التأريخ لفظ عربي أصيل[2]، وهو علم قائم بذاته له أصوله، وقد حاز اهتمام العرب والمسلمين وعنايتهم ، وفي الأندلس يجد الباحث عظم اهتمام الأندلسيين بتصنيف معاجم الأعلام وفهارس الكتب. وقد امتد هذا اللون من العلوم إلى عصر ملوك الطوائف؛ فشهدت الممالك عدداً كبيراً من المؤرخين، ومن بينها مملكة بلنسية، ومن أبرز مؤرخيها:

3-1-1- ابن حزم: تقدمت ترجمته، ولابن حزم مساهمة في ميدان التأريخ، فقد أظهر هذا العلامة الكبير والمؤرخ القدير، مقدرة كبيرة ورؤية عميقة في ميدان البحث التاريخي، فكان له نظرات فلسفية في تحديد الغايات من وراء دراسة التاريخ كالتزهيد في متاع الدنيا واتباع القدوة الحسنة، والعبرة بالفناء وتمييز الصواب من الخطأ في الأخبار وإمتاع النفس بإطلاعها على أخبار الأمم الماضية، وللتاريخ عنده أهمية بالغة في بناء شخصية الإنسان من الناحية الأخلاقية والنفسية[3].

ويعود رصيد ابن حزم التاريخي إلى ثقافته المتنوعة، فقد كان واسع الاطلاع على المصنفات التاريخية السابقة ومناهج أصحابها، كما درس التوراة والإنجيل، إضافة إلى دراساته المتعددة لتواريخ عصره، ولقائه الشيوخ والعلماء، وإلى تجاربه الشخصية في الدولة الأموية وبعد توليه الوزارة، ثم بعد زوال سلطان بني أمية وانتقاله إلى ممالك الأندلس المختلفة، كل ذلك ساعده على بناء ثقافة علمية واسعة مع تمتع بالذكاء الحاد والبصيرة النافذة، الأمر الذي أسهم في قدرته على التصور الصحيح والنقد الدقيق[4].

ومن أشهر مؤلفاته في هذا الميدان كتابه "جمهرة أنساب العرب[5]" وهذا الكتاب عظيم الفائدة لدارسي تاريخ الإسلام في المشرق والأندلس، وقد وصف هذا الكتاب بأنه من أوسع كتب الأنساب وأشملها مع الإيجاز، فكان لثقافة ابن حزم الواسعة في العديد من العلوم ولاسيما، الدينية كالحديث والتفسير والعقائد، أثر فيما توصل إليه من نتائج علمية قيّمة في ميدان التاريخ والأنساب، أما دراسته

---

(1) المقري: **نفح الطيب**، ج5 ص308.

(2) وردت كلمة تاريخ في بردية في زمن عمر بن الخطاب يرجع تاريخها إلى عام 22هـ/642م. حلاق، حسان: **مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات**، ط4، دار النهضة العربية، بيروت، 2004م، ص49-50. الحجي، عبد الرحمن علي: **الحضارة الإسلامية في الأندلس، أسسها، ميادينها، تأثيرها على الحضارة الأوروبية**، دار الإرشاد، بيروت 1969م، ص45.

(3) ابن حزم: **رسائل ابن حزم**، تحقيق إحسان عباس، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981م، ج2 ص 10.

(4) المصدر السابق، ج2 ص 10.

(5) حققه مجموعة من العلماء بإشراف منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

لكتب اليهود والنصارى وبحثه في تواريخهم وسيرهم؛ فقد ولدت لديه نظرات صائبة وآراء حكمية في دراسته مذاهبهم ودياناتهم التي تناولها في كتابه "الفِصل". وهذا الأمر ساعده في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، هذا بالإضافة إلى طريقته الواضحة في ذكر أنساب بني إسرائيل وقبائلهم المختلفة كما يلاحظ في كتابه عن الأنساب[1].

أما أشهر ما ألَّف في تاريخ الأديان والمذاهب كتابه العظيم "الفصل في الملل والأهواء والنحل"[2]. وكتاباته في هذا المصنف، تعتبر تاريخاً نقدياً للأديان والفرق والمذاهب على اختلافها، كالنصارى واليهود والفرق الإسلامية ومعتقداتها المختلفة، ثم يعرض جوانب من سير الأنبياء عليهم السلام، ويختم حديثه عن قضايا متعددة في الحياة والفلسفة والعلم. ويستطيع القارئ أن يقف على الكثير من المعلومات التاريخية إذا ألقى نظرة على فهارسه[3].

ومما يُذكر لابن حزم أيضاً في التاريخ كتابه "جوامع السرة" في سيرة رسول الله محمد (ص)، وهو يحوي كل ما يتصل بسيرته، ومبعثه، ومعجزاته، وحجته، وعمرانه، وصفته، وأسمائه، وكُتّابه، ورسله، ونسائه، وأولاده، وأخلاقه، وكل ما يتعلق بالمسلمين الأوائل في دخول الإسلام وما لاقوه من تعذيب، ثم بيعة العقبة، وكذلك هجرة الرسول وغزواته وبعوثه فحجة الوداع فوفاته[4].

ومن مؤلفاته في التاريخ نذكر أيضاً "رسالة نقط العروس في تاريخ الخلفاء ويطلق عليها "رسالة في النوادر والغرائب"، وهذه الرسالة تحوي الكثير من المعلومات النادرة والقيّمة، وفي خير معين لمن يريد دراسة نظام الخلافة الإسلامية والاطلاع على ما تتصف به في مراحلها المختلفة من إيجابيات وسلبيات. إنَّ في هذه الرسالة تناقضاً كبيراً بين اهتمام ابن حزم بالألقاب وكراهيته لها"[5]. وبالإضافة إلى ذلك فقد ألّف ابن حزم رسالة صغيرة تحت عنوان "رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها"، وهي على صغر حجمها ذات قيمة علمية كبيرة، فهي توضح للقارئ ما كان عليه الأندلسيون من علم وأدب ومعارف شتى وما قدموه في حقول المعرفة من

(1) انظر الجزء الخاص بأنساب بني إسرائيل، وقد استند في كتابته إلى ما قرأه عن التوراة.
(2) راجع عنان: **دول الطوائف**، ص 414.
(3) بالنثيا: مرجع سابق، ص 221؛ هيكل: مرجع سابق، ص 383.
(4) هذا الكتاب طبع بتحقيق إحسان عباس، وناصر الدين الأسد، في مصر، بدار المعارف.
(5) حقق هذا الكتاب شوقي ضيف. انظر مقدمة المحقق المنشورة في مجلة كلية الآداب، م 113، ج2، ديسمبر، 1951م.

تصانيف علمية تنم عما بلغته الأندلس من ازدهار في ميدان العلم والأدب[1].

وبذلك يمكن القول: إن ابن حزم، كان مثمر الدراسة والجدل، مؤلفاً في مختلف نواحي الفكر البشري من الفقه والحديث والأصول إلى المنطق والفلسفة والكلام، إلى تاريخ الديانات في عقائدها وبدعها، إلى التأريخ، والأدب والشعر والخطابة والأنساب في أسلوب بليغ رصين[2].

3-1-2- ابن عبد البر النمري: تقدمت ترجمته، أسهم إسهاماً فعّالاً في ازدهار كثير من العلوم، ومن بينها التأريخ والأنساب والتراجم، ومن أهم مؤلفاته القيّمة في ميدان التاريخ، كتاب "الاستيعاب" ويقع في اثني عشر جزءاً، ويعد هذا الكتاب من أهم كتب التراجم التي تناولت حياة الصحابة. وصنّف في السيرة النبوية كتابه "الدُّرر في اختصار المغازي والسير" في سبعة أجزاء[3]، وله كذلك "القصد والأمم في معرفة العرب والعجم[4]"

وله أيضاً كتاب "الإنباه على قبائل الرواة" وكتاب "الاستغناء في أسماء المشهورين من حملة العلم بالكنى"، وكتاب "الانتقاء" في فضل الثلاثة مالك والشافعي وأبي حنيفة[5]، وغير ذلك.

ومن الأهمية بمكان القول: إن لثقافة ابن عبد البر الواسعة أثراً في كتاباته التاريخية، فهو يقدم مادة تاريخية موثقة، وقد أضاف إليها عملية الاستنباط والتحليل، إضافة إلى اهتمامه بذكر الأحكام الفقهية خلال سرد الأحداث التاريخية.

3-1-3- ابن علقمة: أبو عبد الله، هو محمد بن خلف بن إسماعيل المعروف بابن علقمة 428-509هـ/1036-1115م، مؤرخ، له كتاب تحت عنوان "البيان الواضح في الملم الفادح" [6]، وهذا الأخير يعتبر من الكتب النفيسة في تاريخ الأندلس، وفي هذا الكتاب وصف لسقوط مملكة بلنسية في أيدي الإسبان بزعامة السيد القنبيطور 487هـ/1094م، وما حل بها، من الوبال والبلاء. وتضمن ذلك الكتاب أيضاً المرثية الشهيرة التي نظمها الأديب الفيلسوف أبو الوليد هشام بن أحمد الكناني الوقشي نسبة إلى وقشة من أعمال طليطلة. وفي تلك المرثية، بكى بلنسية وما حل بها، ومن المؤسف أن أصل هذه المرثية قد فقد ولم يبق منها سوى نسخة مكتوبة بحروف لاتينية فيما

---

(1) البشري، سعد عبد الله: **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس** ، معهد البحوث العلمية في إحياء التراث الإسلامية المملكة العربية السعودية، 1997م، ص 281. وانظر مؤلفات تارخية أخرى لابن حزم، لدى شرارة: مرجع سابق، ص 113؛ الحجي: **أندلسيات**، ص 121-122.

(2) الطباع: مرجع سابق، ص 179.

(3) الحميدي: مصدر سابق، ص 368؛ الضبي: مصدر سابق، ص 454-455، ترجمة رقم 1446.

(4) المقري: **نفح الطيب**، ج4 ص 160.

(5) ابن خير: مصدر سابق، ص 214-215.

(6) ابن الأبار: **التكملة**، ج1 ص335.

وجد من نسخ "تاريخ إسبانيا العام" الذي سعى لتصنيفه ألفونسو العاشر[1].

عند الحديث عن أبرز المؤرخين جدير بالباحث أن يذكر كتاب "المتين"، والأخير يقع في ستين جزءاً، لأبي مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان، 377-469هـ/987-1076م[2]، وهذا الأخير كان قد أهدى كتابه المذكور إلى المأمون بن ذي النون، وفيه سجل أبو مروان كل شؤون الأندلس السياسية والحربية والاجتماعية والثقافية والأدبية مع ترجمة للمعاصرين له من العلماء والحكام والأدباء والوزراء والقواد، وقد رصّع المؤلف كتابه بمقطوعات نثرية وقصائد من الشعر[3].

أما مصادره في كتابه "المتين" فقد استمدها من خبراته ومشاهدته الشخصية، وعلاقاته اليومية بالدولة العامرية ورجالها، وكتاباته التاريخية تتصف بالموضوعية والدقة وتحري الحقيقة والالتزام بالصدق والصراحة في آرائه وعدم التملق والتزلف، فهو يُدلي برأيه، من غير تحامل أو هوى[4].

3-2- الجغرافيا: هو[5] علم قديم، وهذا العلم يهدف إلى وصف ما على سطح الأرض من تضاريس وأجواء. وقد اتجه العلماء العرب إلى العناية بهذا العلم، وتقدم على أيديهم، بسبب امتداد رقعة الإسلام والنشاط التجاري براً وبحراً، وبسبب الحج الذي كان يُهيّئ للمسلمين المعرفة الجغرافية، وبسبب الرحلة وطلب العلم.

وجدير القول: إن الجغرافيين والرحالة العرب أضافوا إلى علم الجغرافيا اكتشافات جديدة وصححوا كثيراً من المعلومات الخاطئة التي وقع بها الجغرافيون السابقون وخاصة اليونانيين والهنود[6].

---

(1) بالنثيا،مرجع سابق، ص116-117؛مؤنس، **السيد القنبيطور**، ج3 ص65.

(2) مؤرخ بحاث، من أهل قرطبة، قوي المعرفة، مستبحر بالآداب، صاحب لواء التاريخ بالأندلس ومن مؤلفاته: "أخبار الدولة العامرية"، "البطشه الكبرى"، "المقتبس من أنباء أهل الأندلس". وأسلوبه أسلوب بليع رفيع، وعباراته مرسلة لا تكلف فيها. عبد البديع: مرجع سابق، ص70.

(3) عبد البديع: مرجع سابق، ص71؛ أمين: مرجع سابق، ج3 ص275.

(4) بالنثيا: مرجع سابق، ص 210-211.

(5) كلمة جغرافيا، لفظة يونانية مركبة ومعناها صورة الأرض، أما المعنى الجديد للجغرافيا فإنه يشمل بالإضافة إلى صورة الأرض وما على سطحها، على علوم الفلك والرياضيات والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا وعلم الأحياء، وعلم المحيطات، وعلم الأحوال الجوية وعلى العلوم الاجتماعية والاقتصادية وغيرها. راجع الحكيم، عمر: **تمهيد في علم الجغرافيا**، الكتاب الأول في التضاريس، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، 1958م، ص1. وجدير بالذكر أنه لا يمكن فصل التاريخ عن الجغرافيا، ذلك أن الجغرافيين زودوا القارئ بالكثير من المعلومات الجغرافية إضافة إلى المعلومات التاريخية، ومعلوماتهم لم تكن قائمة على الاقتباس، والنقل فقط وإنما كانت تعتمد على المشاهدة، والمعاينة، والتجربة، والاختلاط، بالشعوب والقبائل، والقرى، والمدن، والأسواق، والأزقة. حلاق: **مقدمة في تاريخ العلوم والتكنولوجيا**، الدار الجامعية، بيروت، 1990م، ص138.

(6) الشكعة ، مصطفى: **المغرب والأندلس**، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1987م، ص201.

وأما ما يتعلق بالأندلسيين، فيجد الباحث أنهم قد أفادوا من الإغريق واللاتين في الوصف العام لشبه الجزيرة الإيبيرية، وتحديد المواقع وتقدير المسافات.

وقد شهد عصر ملوك الطوائف بروز عدد من الجغرافيين الذين لا تزال أعمالهم خالدة في الفكر الجغرافي. ومن أشهر الذين كتبوا حول كورة بلنسية.

3-2-1- العذري: أبو العباس، أحمد بن عمر بن أنس بن دلهات الزُّغبي العذري، المعروف بابن الدلائي، من قرية دلاية (Dalias) من أعمال ألمرية، وإليها نسبته، ولد عام 393هـ/1002م، ووفاته كانت بألمرية عام 478هـ/1085م[1]، وقد أظهر العذري مقدرة واسعة وعميقة في علم الجغرافيا، وقام بدوره العلمي على أكمل وجه؛ فقد أمد الباحث في تاريخ الأندلس، بمعلومات قيمة عن الجغرافيا السياسية والاقتصادية للبلاد، في كتابه "ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك"، فقفز بذلك بمفهوم الجغرافيا إلى العصر الحديث، فاتخذ الكورة أي الولاية أساساً لبحثه، بدءاً من قاعدتها وإذا ما انتقل من كورة إلى كورة، فإن انتقاله يكون من القاعدة إلى القاعدة. والكورة الواحدة موضوع فصل قائم بحد ذاته في كتابه.

وقد نقل عن الرازي لكن المهم هو ما أضافه، ليعطي في أحيان كثيرة الجزء المعرفي الذي يُبحث عنه للصورة التاريخية والجغرافية؛ فحين كتب عن بلنسية[2] يبدأ بعبارة عن كلام أحمد الرازي، وهي قاعدة من قواعد العمال القديمة، وإليها تنسب الكورة، وهي مدينة التراب، ثم يقول العذري، وهي مدينة مسورة وقد أتقن سورها عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر. فهنا يذكر اسم الباني وهو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر، حاكم الكورة 412-453هـ/1021-1061م، ويعين بعد ذلك أبواب بلنسية الخمسة ويضيف شيئاً عن أحوال أهل بلنسية.

ويختار من كورة بلنسية ثلاث مدن يتحدث عنها وهي شاطبة التي يصفها بقوله وبها يتجهز التجار بالأمتعة إلى غانة وبلاد السودان وإلى جميع بلاد المغرب، وكذلك مدينة دانية وجزيرة شقر[3].

وهذا الجغرافي زوّد الباحث بمعلومات عن الطرقات، مفصلاً المسافات، مع ذكر المشاع بالأراضي التي كانت تترك لكل مدينة أو قرية لاستعمال أهلها استعمالاً عاماً وهي الأراضي

---

(1) رحل هذا العالم إلى المشرق في سبيل العلم، ثم عاد إلى الأندلس، فسمع الناس منه، وأخذ عنه كبار العلماء، أمثال ابن حزم، وابن عبد البر النمري. الحميدي: مصدر سابق، ص 136، ترجمة 236؛ الضبي: مصدر سابق، ص180-181-182، ترجمة رقم 447؛ الزركلي: مرجع سابق، ج1 ص185.

(2) العذري: مصدر سابق ، ص17 وما بعدها.

(3) المصدر السابق ، ص19-20.

المعفاة من الضرائب.

ويغلب على كتاب العذري ذكر أقاليم كل كورة والأجزاء التي فيها الأقاليم وعدد القرى في الأقاليم، إضافة إلى ذلك فقد ذكر الضرائب التي تجمع من كل كورة، وفصَّلها تفصيلاً دقيقاً، مثال ذلك نراه وقد عدد أقاليم بلنسية[1].

والعذري يُدلي بمعلومات عن الزراعة، وطرق السقيا المتبعة، كحديثه عن النواعير التي تسقي المزارع من مرسية وغيرها من المناطق التابعة لكورة تدمير[2].

3-2-2- ابن حزم: لم يكن ابن حزم ممن تخصصوا في علم الجغرافيا، ولكنه مع ذلك كانت له معرفة بهذا العلم، فإذا به يشير إلى كروية الأرض، ويورد في سبيل ذلك عدد من البراهين[3].

3-2-3- ابن سيده: أما ابن سيده فقد ضمن كتابه "المخصص" الكثير من المعارف الجغرافية المتعلقة بالأرض وأوصافها، وكذلك ما يتعلق بالشجر وأوصافها[4].

3-3- الفلسفة[5]: مشتقة من كلمة يونانية فيلاسوفيا ومعناها محبة الحكمة، فلما عُرِّبت قيل فيلسوف ثم اشتقت الفلسفة منه. ومعنى الفلسفة علم حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح.

كان الأندلسيون ينظرون للفلسفة نظرة الكراهية وعدم الاستحسان قبل عصر الخلافة. وكان موقف العامة والفقهاء من الفلسفة والمنطق موقفاً متشدداً[6]، وكل من يشتغل بهذا العلم فهو زنديق وتحرق كتبه الفلسفية[7]. ولم تخرج عن كونها ثقافة فردية يحتال الفرد على دراستها شتى ألوان الاحتيال[8].

وكان اهتمام بعض الحكام بالعلوم الفلسفية من الدوافع التي أسهمت في نشر هذه العلوم في الأندلس، ومن هؤلاء الأمير عبد الرحمن الأوسط والخليفة الحكم المستنصر ومع سيطرة المنصور محمد بن أبي عامر على زمام الأمور بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر، أراد أن يظهر للفقهاء والعامة حميته للدين،

---

(1) العذري :مصدر سابق، ص20.
(2) تدمير: هي اليوم مرسية (Murcia) من كور الأندلس سُميت باسم ملكها تُدْمير. الحميري: مصدر سابق ص63.
(3) ابن حزم: **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج2 ص 97.
(4) كحالة: عمر رضا: **العلوم البحتة في العصور الإسلامية**، دمشق، مطبعة الترقي، 1972م، ص 295.
(5)الخوارزمي: **مفاتيح العلوم**، ط1، دار المناهل، بيروت، 1991م، ص127.
(6) من الطبيعي وعلم الفلسفة يتضمن الكثير من الدراسات الفلسفية حول الإنسان والكون والعدم والوجود إلى غير ذلك من المسائل التي تستند في تعريفها وتوضيحها إلى الاجتهادات العقلية لبعض الفلاسفة ممن لا يعطي جانب الإيمان بالله أي نصيب في ذلك، وهو أمر يترتب عليه إقحام النفس الإنسانية في ميدان الظلال والانحراف العقائدي، وبالتالي يتسم العديد من مسائل الفلسفة بسمة الإلحاد والخروج على الدين. ويبدو أن هذا هوالدافع الحقيقي الذي جعل الفلسفة ممقوتة ومذمومة في نظر الأندلسيين. البشري: **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**، ص308.
(7) المقري: **نفح الطيب**، ج1 ص211.
(8) الفيومي، محمد إبراهيم: **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس** ، ط1، دار النشر للجامعيين بيروت، 1962م، ص219.

فأمر بإحراق كتب الفلسفة[1]. ولكن الحال ما لبث أن تغير في عصر ملوك الطوائف؛ ففي هذا العصر وجد بين ملوك الطوائف أنفسهم ملوك عنوا بالفلسفة وشغفوا بها ومن هؤلاء المأمون بن ذي النون[2].

ومن أبرز الفلاسفة الذين زاروا بلنسية واستوطنوها

3-3-1- ابن حزم: درس ابن حزم الفلسفة على يد أستاذه محمد بن الحسن المذحجي[3]، وكان كثير الوقيعة في العلماء بلسانه وقلمه[4]، وهو الذي أحدث في الأندلس دوياً علمياً عظيماً بمذهبه الظاهري ومناظراته للفقهاء وأهل الأديان.

والفلسفة عند ابن حزم: "إنما معناها وثمرتها والغرض المقصود بتعلمها ليس هو شيئاً غير إصلاح النفس بأن تستعمل في دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية إلى سلامتها في المعاد، وحسن السياسة للمنزل والرعية وهذا نفسه لا غيره هو الغرض في الشريعة"[5].

والمطلع على هذا النص يلاحظ أن ابن حزم فقيه ظاهري أي أنه ينهج المنهج الظاهري، القائم على استقراء ظاهر النص، وكان من الذين سبقوا إلى استخلاص علم المنطق من بين سائر العلوم الفلسفية ليكون أداة صالحة لعلم الشريعة[6].

وابن حزم أكثر مرونة وأوسع أفقاً في تقسيمه لأهل وطنه من حيث نظرتهم لعلوم الأوائل ومن بينها الفلسفة، فقسمهم إلى أربع طوائف:

الطائفة الأولى: حكمت على تلك العلوم بأنها تتضمن الكفر والإلحاد دون أن يدرسوها أو يطالعوها.

الطائفة الثانية: اعتبرت تلك العلوم مضيعة للوقت، فهم يحتاجون إلى من يُفْهِمَهم أنهم على خطأ في تفكيرهم ذلك.

الطائفة الثالثة: قرأت ودرست تلك العلوم بعقول منحرفة وأهواء ضالة فلابد من إرشادهم إلى الحق.

---

(1) صاعد الطليطلي:**طبقات الأمم،** ط1، تحقيق حياة العيد بوعلوان، دار الطليعة، بيروت، 1985م، ص163.
(2) عباس: **تاريخ الأدب الأندلسي في عصر ملوك الطوائف والمرابطين،** دار الثقافة، بيروت، 1981م، ص60.
(3) هو محمد بن الحسن بن الحسين المذحجي، أبو عبد الله، المعروف بالكتاني، ت 420هـ/1030م، طبيب أندلسي، من قرطبة، له علم بالنحو والفلسفة والأدب والشعر. خدم للمنصور محمد بن أبي عامر وابنه المظفر. انتقل في فتنة قرطبة إلى سرقسطة. وعاش بضعاً وسبعين سنة. من كتبه: "التشبيهات من أشعار أهل الأندلس". الحميدي: المصدر السابق، ص49، ترجمة رقم 35؛ الضبي: مصدر سابق، ص 65-66 ، ترجمة رقم 81؛ الزركلي: مرجع سابق ، ج6 ص83.
(4) فروخ، عمر: **ابن حزم الكبير،** ط2، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 1987م، ص161 وما بعدها.
(5) ابن حزم: **الفصل في الملل والأهواء والنحل،** ج1 ص94.
(6) الفيومي: مرجع سابق، ص224.

الطائفة الرابعة: نظرت إلى الفلسفة بأذهان صافية وأفكار نقية سليمة فاستنارت بتلك الكتب وأفادت منها[1].

أما شهرة ابن حزم في الفلسفة فتعود إلى أنه أنشأ نظاماً فلسفياً بنظريته الفذّة عن المعرفة الإنسانية، وكان أول من وضعها في ذلك الإطار الرائع [2]. والعلم والمعرفة عند ابن حزم اسمان لمعنى واحد، وهو اعتقاد الشيء على ما هو عليه وتيقنه به وارتفاع الشك عنه، ومصادرهما عنده أربعة:

1 –النصوص (من القرآن والأحاديث النبوية).
2 –ما أوجبته اللغة من المعاني التي تحملها الكلمات، وما اصطلح عليه العرب من الفهم عند سماع الكلمات.
3 –الاكتساب ونقل التواتر.
4 –الحس السليم، وبديهة العقل[3].

وبذلك يكون ابن حزم وبجهده العلمي الفلسفي ومساهمته الكبيرة في بناء تلك النظرية الإنسانية، قد حل أعقد مشكلة في تاريخ هذه النظرية، وهي المشكلة التي زعم مؤرخو الفلسفة الأوروبية بأنهم قد انتهوا إلى حلها وكشف غموضها بواسطة الفيلسوف الألماني كانت (Kant) (ت 1804م) الذي وقف متحيراً أمام هذا السؤال: كيف تكون الأحكام المبينة على الاختبار الحسي ممكنة البديهة؟ وقد توصل إلى أن المعرفة التي نعتقد أننا قد عرفناها بواسطة بديهة العقل راجعة إلى الحواس في زمن متقدم وسابق ثم أطلق على ذلك Apriori Aposterior، ولم يعلم أن ابن حزم الذي عاش قبله بسبعة قرون قد سبقه إلى حل تلك المسألة[4].

ومن مصنفاته الفلسفية في المنطق كتاب "التقريب لحد المنطق"، وفي هذا المصنف لم يسع ابن حزم إلى إبراز المنطق علماً مستقلاً، ولا حاول أن يقيد حدوده على أنها قواعد جازمة، بل قصد أن يجمع أشياء من حدوده وفصوله وألفاظه وتراكيبه وقضاياه كي يستند إليها في نصرة مذهبه الظاهري، واعتمد في تحقيق غايته على الكتب المنقولة عن اليونان، وكانت مليئة بالأغلاط والتحريفات لسوء ترجمتها للعربية أو بواسطة السريانية فلم يسلم كلامه عن المنطق من تلك الأخطاء بالإضافة إلى محاولته التنصل عن كل ما يناقض مذهبه الظاهري فلم يقبل القياس

---

(1) ابن حزم: **التقريب لحد المنطق والمدخل**، تحقيق إحسان عباس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1959م، ص6-7.
(2) فروخ: **ابن حزم الكبير**، ص 161-162.
(3) شرارة: مرجع سابق، ص 80 وما بعدها.
(4) فروخ: **ابن حزم الكبير**، ص 177 وما بعدها.

المنطقي[1].

ومن مصنفات ابن حزم الفلسفية أيضاً نذكر كتاب "الأخلاق والسير في مداواة النفوس"، ويحوي هذا الكتاب ما يشبه المذكرات اليومية حول ملاحظاته المنتزعة من تجاربه ومشاهداته الشخصية وقد صاغها في تركيز ودقة فجاءت كأنها مبادئ عامة أو حكم بالغة[2]، وفي هذا الكتاب مسحة فلسفية تخالط نظراته النفسية العميقة، وفيها دعوة إلى العزلة[3].

أما كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، فعلى كل من يطالعه حق عليه أن يشهد له (لابن حزم) بالإبداع الفكري الفلسفي الذي بدا فيه من أقدر فلاسفة العرب اللامعين والذي استغل فيه تضلعه من الفلسفة إلى جانب ثقافته العربية في الدفاع عن العرب ضد أهل الملل والنحل الأخرى[4].

ومن تلاميذ ابن حزم الذين ورثوا علمه، ومنه الحس الفلسفي ابنه الفضل (أبو رافع)، الذي اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد[5]. وكذلك محمد بن أبي نصر الحميدي (أبو عبد الله، ت 488هـ/1095م)، صاحب كتاب جذوة المقتبس[6].

3-3-2- ابن السيد البطليوسي: من مستوطني بلنسية وقد تُرجم له سابقاً، وهو أديب، شاعر، لغوي، نحوي، وفيلسوف ومن كتبه في الفلسفة، رسالة صغيرة بعنوان "كتاب الحدائق في المطالب الفلسفية العالية العويصة"، استعرض فيها عدداً من المسائل الإسلامية المتعلقة بصفات الله والخلود وغير ذلك[7]، وهذا الكتاب يقع في نحو ستين صفحة من القطع الصغير.

وقد نشر هذا الكتاب الآنف الذكر، آسين بلا ثيوس مع ترجمة إسبانية عام 1359هـ/ 1940م، وقال: إن أهمية هذا الكتاب تكمن في عرضه صورة صادقة لحال الدراسات الفلسفية في الأندلس في عصر ملوك الطوائف، وهو العصر الذي ألّف فيه المؤلف كتابه المذكور، وأنه سعى من خلال دراسته إلى التوفيق بين الشريعة الإسلامية والفكر اليوناني[8].

ويرى الباحث استحالة التوفيق بين الشريعة الإسلامية والفكر اليوناني نظراً للفرق الشاسع والاختلاف الواسع بين مصدريهما.

---

(1)فروخ: **ابن حزم الكبير**، ص 181-182.
(2) هيكل: مرجع سابق، ص 362-363.
(3) عباس: مرجع سابق ، ص 64.
(4) المرجع السابق، ص 64.
(5) ابن خلكان: مصدر سابق، ج3 ص 288.
(6) ياقوت الحموي: **معجم الأدباء**، ط3، دار الفكر، بيروت، 1980م، ج18 ص 282-283.
(7) فروخ، عمر: **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1972م، ص605.
(8) بالنثيا: مرجع سابق، ص334-335.

أما كتاب ابن السيد "الحدائق" فجاء رداً على سبع مسائل: أولها أن ترتيب الموجودات عن السبب الأول يمثل دائرة وهمية، وأن الشخص تبلغ ذاته بعد وفاته إلى حيث يبلغ علمه في حياته، ويمثل علمه دائرة وهمية، وأن صفات الله لا يصح أن يوصف بها إلا عن طريق السلب، وقولهم لا يعرف الله إلا نفسه. والبرهان على خلود النفس الناطقة بعد الموت، وزاد إلى النفوس الثلاث المعروفة وهي النباتية والغضبية والناطقة، ثلاث نفوس هي الفلسفية والنبوية والكُلية، غير قاصد أن هذه الأنواع الثلاثة هي القسمة الأصلية للنفوس ولكنه مزج صفات بعض النفوس الناطقة وميز بعض أقسامها وهو في ذلك يعتمد على الفلاسفة الإغريق كأرسطو وأفلاطون[1].

ولابن السيد آراء فلسفية في كتبه الأخرى؛ ففي كتابه "التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم ومذاهبهم واعتقاداتهم قدم فكرة جديدة تقول: إن الاختلاف بين الناس في الآراء والمعتقدات أمر طبيعي ودليل على البعث، وأن هناك حياة غير هذه الحياة، ولهذا الكتاب قيمة دينية إلى جانب قيمته الفلسفية[2].

ولابن السيد معرفة بالمنطق وبراعة في ألفاظه ومصطلحاته، لكنه كان شديد الحرص في مناظراته على عدم إقحامه في مناقشاته وجدله مع العلماء. وذكر أن كل علم يجب أن يستند إلى قوانينه فقط المتعارف عليها، وليس على قوانين وأساليب أخرى[3].

ومن كتبه الفلسفية نذكر أيضاً كتاب "الفطنة الثابتة"، الذي يتعلق بالأسباب التي تحدث اختلاف الآراء في الإسلام، وكذلك "كتاب المسائل"[4].

4- العلوم البحتة (التطبيقية) (العقلية):

4-1- الطب والصيدلة: عرّف التهانوي علم الطب بأنه علم يبحث فيه عن بدن الإنسان من جهة ما يصح أو يمرض، لالتماس الصحة وإزالة المرض[5].

وعرّف ابن خلدون هذا العلم بأنه "صناعة تنظر في بدن الإنسان حيث يمرض ويَصِحُّ، فيحاول صاحبها حِفظ الصحة وبُرَء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يَخُصُّ كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها وما لكل مرضٍ من

---

(1) عباس: مرجع سابق، ص 65-66.
(2) الزركلي: مرجع سابق، ج4 ص 123.
(3) السيوطي: **صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام** ، تحقيق علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص 200.
(4) ميغل كروز هيرنانديس: **الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية** ، من كتاب سلمى الخضراء الجيوسي: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،** ج2 ص 1100.
(5) التهانوني: مصدر سابق، ص61.

الأدوية"[1].

وقدم العرب للحضارة العالمية إسهامات عديدة في مختلف جوانب العلوم الطبية، وكانوا قد عرفوا طب أبقراط[2] وجالينوس[3]، فازدهر فيهم، فاستفادت الأندلس وغرب أوروبا من الطب العربي المشرقي، وانتقل إلى الأندلس عن طريق الأطباء والمؤلفات[4].

وهناك أي في الأندلس عَرَفَ الطب تقدماً ملحوظاً، وكانت مهنة الطب تمارس إلى جانب القضايا الأخرى أحياناً. لذا وجد أسماء اشتهرت بالطب والفلسفة والأدب معاً.

أما الصيدلة، فقد عرّفها البيروني بأنها "معرفة العقاقير المفردة بأجناسها وأنواعها وصورها المختارة لها، وخلط المركبات من الأدوية بكنه نسخها المدونة أو بحسب ما يريد المؤتمن المصلح"[5].

ولفظ "الصيدلة" مُعرّب وأصله هندي، وقام العرب بتعريبها من الفرس وذلك من "جندل أو جندن" حيث قلبت الجيم صاداً فأصبحت "صندل" أو "صندن" وهو خشب العطر الذي يُجلب من الهند[6].

والصيدلة مهنة علمية، تختص بتحضير الأدوية، فهي علم وفن وصناعة. وفي معناها الحديث هي دراسة مفردات الأدوية[7] من نباتية وحيوانية ومعدنية وكيماوية ومعرفة حفظها

---

(1) ابن خلدون: مصدر سابق، ج1 ص917.

(2) أبقراط بن إيراقليدس بن أبقراط بن غنوسيديقوس: من الأطباء اليونانيين، ولد في جزيرة (قوص)، وهي جزيرة صغيرة من جزر اليونان في القرن الخامس ق.م . نحو 460ق.م، تعلم صناعة الطب من أبيه إيراقليدس. كان متضلعاً في العلوم الطبيعية. وقد سماه العرب "أبو الطب" وكانت مدة حياته خمساً وتسعين سنة. ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص34.

(3) ولد جالينوس (Galen) في برجامون (Pergamon) وهذه المدينة من بلاد آسيا شرق القسطنطينية عام 131 ب.م، أي بعد أبقراط بخمسة قرون، ومعنى الاسم المسالم أو الهادئ. وكانت برجامون ذات ثقافةعالية أتاحت لجالينوس أن يثقف نفسه ثقافة فلسفية وطبية. توفي عام 201ب.م. ألف عدداً من الكتب الفلسفية وكان معجباً بأبقراط، ففسر أهم كتبه، وقد اهتم بالتجارب العلمية. عدد مجلداته بلغ أربعمائة مؤلف، لم يصل منها إلا 83 كتاباً و15 تفسيراً. وأهم هذه الكتب: "التشريح الكبير"، و "كتاب في العروق"، و "كتاب في حركة العضل"، و "كتاب في آراء أبقراط"، وغير ذلك. ابن جلجل: **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق فؤاد السيد، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص41-42-43؛ ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق، ص95-96.

(4) حلاق، حسان: **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م، ص268.

(5) حسين، محمد كامل، **الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب** ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ليبيا، ج2 ص270. أما البيروني: فهو أبو الريحان محمد بن أحمد الفلكي، ولد بضاحية من ضواحي خوارزم عام 351هـ/961م، عاش زمناً في الهند، وزار العواصم العربية، وتوفى عام440هـ/ 1048م، وقيل 443هـ/1051م. من مؤلفاته، **"الآثار الباقية من القرون الخالية" ، و"الصيدنة في الطب" ، و"الجماهير في معرفة الجواهر"** ، كتب بالعربية والفارسية. حول ترجمته راجع: حسين، محمد كامل: مرجع سابق، ص 400 وما بعدها.

(6) المرجع السابق، ج2 ص271-272.

(7) المرجع السابق، ج2 ص269.

وكيفية تعاطيها وتجهيزها ومعرفة صفاتها وخصائصها.

ولقد برع العرب في تركيب عدد من الأدوية وألفوا في ذلك الكتب. وإذا كان الاتجاه نحو الأندلس، وُجد علم الصيدلة قد تطور تطوراً عظيماً، وكان من آثار ذلك ترجمة بعض الجهود العلمية إلى لغات مختلفة من هذه الكتب: كتاب لابن وافد الطليطلي في العلاج بالحمامات والينابيع الطبية والعقاقير النباتية المفردة ترجم إلى اللغة اللاتينية بعنوان "De Balneis"، وفي هذا الكتاب تفاصيل لاستعمال العقاقير المفردة أو المركبة أو اتباع نظام التغذية **(الحمية)** التي أثبتت نتائجها الإيجابية[1].

وفي مملكة بلنسية، نال علم الطب والصيدلة العناية وحقق أهل المملكة آنذاك نتائج علمية بما ألفوه من تآليف في الطب والصيدلة. وقد عرفت مملكة بلنسية في عصر ملوك الطوائف نبوغ عدد من مشاهير الأطباء والصيادلة، ومن أشهرهم:

4-1-1- عبد الله بن محمد، أبو محمد، المعروف بالذهبي: ت 456هـ/أواخر1063م، نبغ في علم الطب ومطالعة كتب الفلسفة، وكان عالماً بالكيمياء[2].

4-1-2- ابن وافد الطليطلي: هو الطبيب والصيدلاني المشهور، الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم بن وافد اللخمي الطليطلي، 398-460هـ/1007-1067م، كان وزيراً للمأمون بن ذي النون.

عكف على دراسة كتب جالينوس وغيره واشتهر في الأدوية المفردة، قال فيه صاعد "وتمهر في علوم الأدوية المفردة حتى ضبط منها ما لم يضبطه أحد في عصره"[3].

ولابن وافد نوادر محفوظة وغرائب مشهورة في الإبراء من العلل الصعبة والأمراض المحفوفة بأيسر علاج وأقربه [4].

وقد اعترف له علماء عصره بالإمامة لنبوغه العلمي وصحة النظر، وجودة القريحة ونفاسة الإنتاج في ميداني الطب والصيدلة[5].

ولابن وافد الكثير من الكتب في الأدوية والتجارب الطبية، وطب العيون، والصيدلة وما إلى ذلك، نذكر منها "الأدوية المفردة"، "تدقيق النظر في علل حاسة البصر" ،"الوساد"، "مجربات في

---

(1)خوان فيرنية: **العلوم الفيزياوية والطبيعية والتقنية في الأندلس** ، نقلاً عن كتاب سلمى الخضراء الجيوسي: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،** ج2 ص1305.

(2) صاعد الطليطلي: مصدر سابق، ص197.

(3) المصدر السابق، ص 195.

(4) المصدر السابق، ص195-196.

(5) عياض: **ترتيب المدارك** ج4 ص671.

الأدوية" و "المغيث"[1].

ومن الأهمية بمكان القول: إن كتاب ابن وافد في الأدوية المفردة لقي قبولاً عظيماً من الأطباء آنذاك ومن أتى بعدهم أيضاً، وقد اعتمد عليه الأوروبيون في معرفة الكثير من العلوم في الصيدلة وأنواع الأدوية فترجم إلى اللاتينية والعبرية وغيرها من اللغات[2].

والمطلع على كتابه "الوساد"، يرى أن ابن وافد كان من ألمع المشتغلين بعلوم الطب والصيدلة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي؛ ففي كتابه هذا يعرض طرائق العلاج لكل من علل وأوجاع الأذن والفم واللثة والأسنان والحلق عامة ثم القلب، وبعض الأمراض النفسية والعصبية كالوحشة والاكتئاب والهم والفزع والقلق[3].

وفي كتابه "الوساد" أيضاً يعرض لمعالجة أوجاع المعدة والكبد والطحال والأحشاء والأجهزة الباطنية عامة، ثم يصف بعد ذلك طرق معالجة الكلى والمثانة وكيفية علاج سلس البول وتفتت الحصاة، ويقول عن ذلك (صفة دواء للحصاة، تأخذ من زهر الزيتون مثقالاً، ومن زهر الشبث مثل ذلك ويعجن بالسمن ويشرب)، ثم ينتقل بعد إلى علاج ما يعتور المقعدة من أوجاع كالبواسير فيصف لها ضروب العلاج بحسب كل حالة مرضية، ثم يعرض بعد ذلك للأمراض التناسلية لدى الرجل والمرأة، ويتكلم على الأمراض الجلدية في صورة تنم عن براعته وسعة أفقه في الجمع بين الحديث عن الأمراض التناسلية والجلدية كأساس، لاقتراب هذين الفرعين من الطب في تخصص واحد كما هو الحال في العصر الحالي، ويختم ابن وافد كتابه بالحديث عن كيفية عمل الأشربة والمربيات من السفرجل والتفاح والجوز وأنواع اللبوب والبزور[4].

وبذلك يمكن القول: إن ما يحيويه ذلك الكتاب القيّم يدل على مكانة ابن وافد الطبية، وسعة علمه في الصيدلة، والدراية بالأدوية وخصائصها.

4-1-3- أبو مروان عبد الملك محمد[5]: ابن الفقيه محمد بن مروان بن زُهْر الأيادي الإشبيلي، الإشبيلي، رحل إلى المشرق، فدخل القيروان ثم مصر وغيرها من أقطار المشرق ثم استوطن دانية، وكان أبو مروان بسعة علمه ومهارته في الطب أن طارت شهرته وبلغت مسامع مجاهد

---

(1) ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق، ص456؛ نجيب، حكمت: **دراسات في تاريخ العلوم عند العرب**، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، 1977م، ص342؛ بالنثيا: مرجع سابق، ص468.
(2) الدفاع ، علي: إسهام **علماء العرب والمسلمين في علم النبات** ، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ، ص181.
(3) ابن وافد: **"الوساد"** في الطب مخطوط بمكتبة الأوسكوريال، مدريد، رقم المخطوط833، ورقة رقم35 ب.
(4) المصدر السابق (مخطوط) ورقة رقم 81 أ.
(5) من أسرة آل زهر التي ذاع صيتها في الطب والفلسفة، حسين، محمد كامل: مرجع سابق، ج1 ص264.

العامري، فسر بقدومه وأحسن تكريمه، توفي بدانية عام 470هـ/ 1077م، وترك أموالاً كثيرة[1].

4-1-4- أمية بن عبد العزيز: أبو الصلت، من دانية، توفي في المهدية عاصمة الفاطميين بالمغرب الأدنى (تونس اليوم)، عام529هـ/1134م، فيلسوف، أديب، فلكي، طبيب، أقام في مصر عشرين عاماً، سجن خلالها، ثم رحل إلى الإسكندرية قبل انتقاله إلى المهدية.

ولأبي الصلت آراء صائبة وأقوال حكمية في الطب، ويبدو أنه عانى أثناء دراسته الطب بمصر من بعض مدعي الطب. وقد أكب على دراسة كُتب جالينوس وأبقراط أثناء دراسته الطب، عظيم الاهتمام بكل صغيرة وكبيرة، ساعياً في فهم دقائق الطب وشرح مسائله المختلفة، وكان يرى أن الطبيب محتاج إلى العلوم الطبيعية والقوانين القياسية في مهمته لعلم الطب، وتوضيح مشكله[2].

وفي رسالته المسماة "الرسالة المصرية"، يذكر أبو الصلت بعض الملاحظات الطبية، فيشير إلى اتِّباع القائمين على إحدى البيمارستانات بمصر العلاج النفسي في معالجة مرضاهم من ذوي الحالات العصبية والنفسية، وكيف أن المعالج كان يسرد على مرضاه الحكايات والروايات المسلية والمضحكة، وكيف أن المعالج كان في بعض الأحيان يظهر بوجه مضحك ويقوم بأداء بعض الحركات البهلوانية المضحكة، فيشيع جواً من المرح والسعادة في نفوس المرضى، وهكذا إلى جانب وسائل العلاج الأخرى حتى يشفى المريض من مرضه. ويُعلِّق أبو الصلت على هذه الوسيلة (وهي إحدى وسائل العلاج) مبدياً رأيه في ذلك، وإن دل ذلك على شيء فهو يدل على تمكنه الواسع في الطب ومعرفته بأسباب العلل وطرق العلاج والشفاء. فيقول: "فليت أطباء عصرنا هذا بأسرهم قدروا على مثل هذا العلاج الذي لا مضرة فيه ولا غائلة له، بل أمره على العليل هين، ونفعه ظاهر بيِّن، كيف لا وهو ينشط النفس ويبسط الحرارة الغريزية ويقوي القوة الطبيعية، ويقوي البدن على دفع الأخلاط الردية المؤذية والفضول[3].

ترك أبو الصلت أمية كتباً في الطب منها: "الانتصار لحنين بن إسحق على ابن رضوان لنفيه ما ورد في كتاب المسائل لحنين" وكتاب "الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء الأولية" و"الرسالة المصرية"[4].

---

(1) صاعد الطليطلي: مصدر سابق، ص 195-196؛ ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق، ص 474؛ المقري: **نفح الطيب**، ج4 ص387.

(2) الرسالة المصرية، تحقيق عبد السلام هارون، ضمن نوادر المخطوطات، ج1 ص 32.

(3) المصدر السابق، ص 34.

(4) ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق ص 514-515؛ ياقوت: **معجم الأدباء**، ج4 ص 64.

4-1-5- محمد بن غالب التجيبي المعروف بالبَقَسَّاني: كان له مشاركة في علم الطب والكيمياء توفي نحو 530هـ/أواخر 1135م[1].

4-2- الرياضيات والفلك: كان علم الحساب والهندسة من العلوم التي عني بها العرب، فأخذوا الحساب عن الهند، والهندسة عن اليونان.

أما علم الكسور فكان من اختراع العرب كما استخدموا الرموز في الرياضيات[2].

ولقد تقدم علم الرياضيات في الأندلس، وقبله في المشرق العربي، وبرع الأندلسيون في هذا العلم، فاعترف الغرب بفضلهم وأثرهم في تقدم العلم والعمران. كثيرة هي الاصطلاحات المتعلقة بهذا العلم في أوروبا حتى اليوم، تدل على مقدار تأثرهم به[3].

وإن علم الفلك من العلوم التي حث القرآن الكريم العرب على دراسته لما فيه من فوائد للمسلم[4]. وقد أطلق ابن خلدون على علم الفلك اسم "علم الهيئة" وعرفه بأنه العلم الذي ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة. فيبرهن أن مركز الأرض مباين لمركز فلك الشمس بوجود حركة الإقبال والإدبار[5].

تطور علم الفلك وتمكن العرب من وضع جداول فلكية، بالإضافة إلى صناعة عدد من الإسطرلابات الميكانيكية التي تحدد مواقع الكواكب والنجوم.

ولقد شغلت الأندلس دوراً عظيماً في الأبحاث الرياضية والفلكية، ونتيجة للارتباط الشديد بين هاتين الدراستين فمن الصعوبة أن نفرق بين الفلكي والرياضي فكل منهما يعتمد في علمه على نصيب كبير من علم الآخر.

وجدير بالقول: إن هذا اللون من الدراسات الفلكية والرياضية دُرِّس في الجوامع جنباً إلى جنب مع العلوم الدينية، الأدبية واللغوية، وقد امتد إلى عصر ملوك الطوائف، وشهد نمواً في مختلف الممالك ومن بينها مملكة بلنسية.

ومن أشهر علماء مملكة بلنسية في هذا الميدان:

---

(1) ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق، ص497.

(2) الحجي: **الحضارة الإسلامية في الأندلس**، ص54.

(3) طوقان، قدري: **العلوم عند العرب**، دار إقرأ، بيروت، د.ت، ص52.

(4) لا ينبغي أن نخلط بين الفلك والتنجيم ؛ فالتنجيم ضرب من السحر وقد نهى القرآن عن السحر بكل أشكاله. أما الفلك فهوعلم قائم بذاته. فروخ ، عمر، وماهر عبد القادر، وحلاق ، حسان: **تاريخ العلوم عند العرب**، دار النهضة العربية، بيروت،1990م، ص469.

(5) ابن خلدون، مصدر سابق، ج1 ص 641؛ حلاق ، حسان: **مقدمة في تاريخ العلوم والتكنولوجيا** ، الدار الجامعية، بيروت، 1990م، ص113.

4-2-1- علي بن خلف بن أحمد الصيدلاني: برع في الهندسة[1]. ويبدو من اسمه أنه كان يعمل أيضاً بالصيدلة والعقاقير.

4-2-2- أحمد بن عبد الله الغافقي: له زيج[2] جيد ورسالة في العمل بالإسطرلاب، وكان يعلم بقرطبة علوم الهندسة والعدد والنجوم، وهاجر منها إلى دانية، وظل بها إلى وفاته عام 424هـ/1032م[3].

4-2-3- ابن الصفار: أبو القاسم، أحمد بن عبد الله بن عمر القرطبي الغافقي، المشهور باسم ابن الصفّار. كان من أشهر علماء الفلك و الرياضيات، ولد بقرطبة، وكان له مجلس علمي مشهور في جامع قرطبة لتعليم العدد والهندسة والنجوم[4]. خرج من قرطبة واستقر بدانية، وبها توفي عام 426هـ/1034م، ألف في الفلك زيجاً، وكذلك كتاباً في العمل بالاسطرلاب **(**موجز حسن العبارة قريب المأخذ**)**[5]، وهو كتاب صغير الحجم عظيم الفائدة لما تضمنه من معلومات مهمّة حول كيفية العمل بالاسطرلاب، وقد أوضح ابن الصفار العملية السليمة لمعرفة الأوقات وتحديد موضع الشمس من فلك البروج ومعرفة أوقات النهار وأعطى معلومات حول درجات طلوع الشمس والتعريف بالكواكب لينتقل إلى موضوع تعيين القبلة في الليل والنهار وغير ذلك.

4-2-4- عبد الله بن أحمد السرقسطي: كان نافذاً في علم العدد والهندسة والنجوم، وكان حسن التصرف في الهندسة وضبط أصولها. توفي في بلنسية عام 448هـ/1056م[6].

4-2-5- ابن حزم: لهذا العلامة أيضاً معرفة بالفلك والرياضيات؛ فإذا به يتكلم عن علاقة القمر بالمد والجزر وتأثير الشمس على عكس الحرارة وتصعيد الرطوبات (التبخر) [7]، إضافة إلى معرفته باختلاف سرعة الكواكب في دورانها، فهو يقول مثلاً: إن زحل يدور مرة واحدة في كل ثلاثين سنة، ويقصد حول الأرض، والصحيح اليوم أن زحل يدور حول الشمس مرة كل تسع وعشرين سنة[8].

---

(1) صاعد الطليطلي، مصدر سابق، ص180-181.

(2) علم الزيجات" علم تُتعرف منه مقادير حركات الكواكب السيارة منتزعاً من الأصول الكلية. ومنفعته معرفة كل واحد من الكواكب السبعة بالنسبة إلى فلكه، وإلى فلك البروج وانتقالاتها، وتشريقها وتغريبها وظهورها واختفائها، في كل زمان ومكان، وما أشبه ذلك من اتصال بعضها ببعض، وكسوف الشمس وخسوف القمر وما إلى ذلك". التهانوي: مصدر سابق، ص70.

(3) ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق، ص445.

(4) المصدر السابق، ص 445؛ وراجع بالنثيا: مرجع سابق، ص450.

(5) ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق، ص445؛ المقري: **نفح الطيب**، ج4 ص336.

(6) صاعد الطليطلي: مصدر سابق، ص175.

(7) ابن حزم: **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج5 ص109-110-111.

(8) فروخ: **ابن حزم الكبير**، ص 208.

ومن علومه في الرياضيات نشير إلى ما قاله في الرقم واحد، فهو يقول: إن الواحد ليس عدداً لأن العدد هو ما وُجِدَ عددُ آخر مساوٍ له، وليس للواحد عدد يساويه، لأنك إذا قسمته لم يكن واحداً (أي لم يبق وحدة) بل هو كسير (جزء من وحدة)[1].

وفي الهندسة يقول: الخط هو متناهي كل سطح... ومنتهى كل جانب من جوانبه (جوانب السطح) خط ونهاية (نهاية الخط) هي النقطة...[2]

4-2-6- **عبد الرحمن بن عبد الله بن سيد الكلبي :** أبو زيد، من أهل بلنسية، كان عالماً بالعدد والحساب، ولم يكن أحد على أيامه يعد له في علم الهندسة، وكان فريد عصره بذلك[3]. وقرأ كتاب كتاب "الأشراف" في الفرائض على مؤلفه أبي عمر بن عبد البر بشاطبة، عام 456هـ/ 1063م.

4-2-7- **محمد بن أحمد التجيبي**، يعرف بالبَقَسَّاني، كان عارفاً بالفرائض والحساب[4].

4-2-8- ابن الزرقالة: هو أبو إسحاق، إبراهيم بن يحيى النقاش الطليطلي المعروف بابن الزرقالة (لوضعه صفيحة لرصد الكواكب تدعى بالزرقلة، وقد عُرفت هذه الآلة عند فرنج العصور الوسطى، وسموها Arzachel) لمع في علم الفلك وابتكر عدداً من آلات الرصد. ومارس تجاربه العلمية في مرصده أيام المأمون بن ذي النون وحفيده القادر، ثم انتقل إلى قرطبة وظل بها حتى توفي عام 493هـ/1099م[5].

وضع جداول فلكية كما وضع أدق الآلات لاستخدامها في الرصد واختراع أجهزة دقيقة "كالزرقالية" و "الصفيحة"، وابتكر في الفلك نظريات مهمّة عن الكواكب السيارة والحركات الدائرية للنجوم[6]، كما نُسب إليه أنه أول من أثبت أن حركة ميل أوج الشمس هي 12.04 ثانية بالنسبة للنجوم الثابتة، ويقدر الرقم الحقيقي بـــ 11.08 ثانية[7].

ومن كُتبه "التدبير" في الفلك، و "المدخل إلى علم النجوم" [8]، وكتاب "أفق الدنيا"، وكتاب "العمل بالصفيحة الزيجية"، و"طريقة عمل اسطرلاب لرصد الكواكب السبعة وأفلاكها"[9].

---

(1)فروخ: **ابن حزم الكبير** ، ص 203-204.
(2) ابن حزم: **التقريب لحد المنطق والمدخل**، ص47.
(3) ابن الأبار: **التكملة**، ج3، ص 11، ترجمة رقم 29؛ عجيل: مرجع سابق، ص 484.
(4) ابن الأبار، **التكملة**، ج1، ص 351، ترجمة رقم 1251؛ عجيل: مرجع سابق، ص 485.
(5) ابن الأبار: **التكملة**، ج 1 ص 120؛ الزركلي، مرجع سابق، ج 1 ص 79.أما الصفيحة، فهي عبارة عن اسطرلاب، مثّل فيه ابن الصفار الإسقاط يٍ للدوائر على خط الاستواء على فلك البروج على مستوى بعينه. راجع سيد حسين، نصر: **العلوم في الإسلام**، ترجمة مختار الجوهري، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1398هـ، ص 104.
(6) بالنثيا: مرجع سابق، ص451.
(7) سيد حسين: مرجع سابق ص 99؛ فروخ: **تاريخ الفكر العربي**، ص 589-590.
(8) الزركلي: مرجع سابق، ج1 ص79.
(9) بالنثيا: مرجع سابق، ص452.

وكان لابن الزرقالة إضافة إلى علم الفلك معرفته بعلم الرياضيات أيضاً، فكان له تأثير واضح في حساب المثلثات وخاصة المثلث الكروي، وكذلك جيب الزاوية واستعماله، وهذا ما أكده علماء الرياضيات[1].

4-2-9- عبد العزيز بن محمد: أبو الأصبغ، هو عبد العزيز بن محمد بن فرج بن سليمان بن يحيى القيسي. ولد عام 452هـ/1060م بشاطبة، حيث قضى جزءاً من حياته في الأخيرة، ثم رحل إلى غرناطة، وأقرأ الفرائض والحساب، إضافة إلى الأدب والفقه[2].

4-3- العلوم الطبيعية: عرّف ابن خلدون هذا العلم بأنه "علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون، فينظر في الأجسام السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان وإنسان ونبات ومعدن، وما يتكون في الأرض من العيون والزلازل، وفي الجو من السحاب والبخار والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك"[3].

لقد كان لليونانيين وبعض الشعوب القديمة عناية بالعلوم الطبيعية، فكان لهم إسهام في النهوض والرقي بدراساتها المختلفة. أما العرب فقد أضافوا علوماً أخرى لهذه العلوم ولم يقتصروا على النقل والاقتباس[4].

وللأندلسيين أيضاً مساهمة في هذا اللون من العلوم الطبيعية المحصورة في علوم الأرض، المد والجزر، الجاذبية الأرضية، النقل النوعي، والصوت، والضوء والبصريات، والمغناطيس والبوصلة، علم الحركة (الديناميكا)[5].

4-3-1- **ففي الفيزياء:** كان لابن حزم آراء وأفكار، خاصة فيما يتعلق بالبصريات فهو حين يتحدث عن تقصير الحواس (أي خداع الحواس) وتصحيح ذلك بالعقل، ذكر أن البصر يكون بالشعاع وهذا خطأ (أي خروج نور من العينين يحيط بالجسم المبصر).

حول هذه النظرية يُدلي ابن حزم ببعض الإيضاحات العلمية الصائبة التي تؤكد أن البصر يكون بالورود[6] (أي بانعكاس شبح عن الجسم المبصر إلى العين) وهو يقول إن الأجسام إذا كانت كانت في الظلام لا يمكن رؤيتها[7].

وفي الصوتيات له آراء صائبة، فيذكر أن البيان (الفهم، والإدراك والكلام والمعرفة) يكون

---

(1) البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**، ص 489.
(2) ابن الأبار: **التكملة**، ج3 ص 91، ترجمة رقم 227.
(3) ابن خلدون: مصدر سابق، ج1 ص649.
(4) طوقان: مرجع سابق، ص35-36.
(5) نجيب: مرجع سابق، ص93.
(6) فروخ: **ابن حزم الكبير**، ص210.
(7) ابن حزم: **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج5 ص138-139.

بالإيقاع أي (اتفاق الأصوات وانتقالها عبر الهواء إلى الأذن)، ويشير إلى أن الصوت يقطع الأماكن في أزمنة مختلفة ومتفارقة بحسب البعد والقرب وقوة القرع وضعفه، ويعطي مثلاً حول ذلك متمثلاً بالرعد والبرق، فالبرق يرى أولاً حين وقوعه في الجو بلا مهلة، ثم يقيم حيناً ثم يسمع الرعد[1]. وفيما يصل بالحركة (الديناميكا) فإن الحركة لديه أنواع، منها ما هو مكاني ومنها ما هو زماني[2].

4-3-2- الكيمياء: اختلف المؤرخون في أصل كلمة كيمياء، فمنهم من يقول بأنها اشتقت من لفظة "شمى" ومعناها الحرق أو الأرض السوداء، وقد قرن البعض الأرض السوداء بمصر، والبعض الآخر يرى أن لفظة الكيمياء قد حُورت عن اللغة العبرية للفظة "شامان" وتعني السر أو الغموض[3].

وفي لسان العرب "كمى الشيء وتَكَمَّاه: سَتَره. وكمى الشهادة يَكْميها كمْياً وأكماها: كَتَمها وقَمَعَها"[4].

إن علم الكيمياء، علم له قواعد وقوانين علمية[5]، وقد ازدهر هذا العلم على أيدي العرب[6]، العرب[6]، وأضافوا إليه اكتشافات واختراعات، ونتيجة لذلك اعتبره الغربيون علماً عربياً[7].

ولم يكن الأندلسيون غائبين عن هذا اللون من العلوم، فقد أسهموا في تقدمه وتطوره على الرغم من اتهام المشتغلين بهذا العلم بالزندقة والإلحاد، وذلك بسبب التستر والغموض والتكتم الشديد لمنهج المشتغلين بهذا العلم.

---

(1) ابن حزم: **التقريب لحد المنطق**، ص5.

(2) في الحركة المكانية، يتكلم ابن حزم عن حركة الأجرام السماوية وهو يشير إلى ذلك بقوله "وكذلك العين لا تستبين حركة الشمس أصلاً، حتى إذا بقيت (أي استمرت الشمس بحركتها الغير منظورة بالعين) مدة لاحت للعين حركتُها يقيناً وذلك بأن تراها في كبد السماء بعد أن كنت قد رأيتها في أفق المشرق.

أما الحركة الزمانية، فيذكر ابن حزم بأن الاستدلال عليها يكون بالملاحظة لنمو الأشياء بالتدرج نمواً بطيئاً فيشير إلى نمو الأجسام من حيوان ونبات، فنموه لا يتبين رغم وجوده بين أيدي الناس وأمام أعينهم، حتى إذا مضى زمن لوحظ النماء ظاهراً وتَحَدَدَ نسبة النماء. فالعقل يشهد بأن لكل ساعة زمنية جزءاً من نمو الأجسام كالشجر مثلاً لم يتبين من قبل بالبصر. فروخ: **ابن حزم الكبير**، ص211 -212.

(3) فاضل، أحمد الطائي : **أعلام العرب في الكيمياء** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م، ص36.

(4) ابن منظور: مصدر سابق، م15 ص231-232.

(5) هذا العلم يقوم على معرفة خواص السوائل وتحليلها وتأثير بعضها على بعض بالمزج والفصل بين عناصر المعادن وما يصاحب ذلك من تبخير وتقطير وتبلور، وتصعيد وهي أمور تقوم على الملاحظة من خلال التجارب العلمية والمشاهدة. البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**، ص501.

(6) كان أول المشتغلين بهذا العلم من العرب خالد بن يزيد بن معاوية ت 85هـ/704م، ثم ما لبث أن تطور على أيدي علماء آخرين، فتوصلوا إلى اختراع ماء الفضة (حامض النتريك) وزيت الزاج (حامض الكبريتيك)، وماء الفضة (حامض النيترو هيدرو كلوريك)،البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**، ص 500؛ عفيفي، محمد صادق: **تطور الفكر العلمي عند المسلمين**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1976م، ص159.

(7) طوقان: مرجع سابق، ص30؛ نجيب: مرجع سابق، ص242.

وقد نهضت بلنسية بهذا العلم وممن نبغ في هذا العلم:

4-3-2-1- ابن الذهبي: تقدمت ترجمته، اشتهر بصناعة الطب كما ذكر سابقاً ومطالعة كتب الفلسفة، إلا أن شهرته تعود إلى مهارته في الكيمياء، فقد كان شديد العناية بها حتى قال عنه صاعد: "كان كلفاً بصناعة الكيمياء مجتهداً في طلبها" [1]، وله (ابن الذهبي) من الدراسات "مقالة في أن الماء لا يعدو"[2].

جدير بالذكر أن من عوامل الاهتمام والعناية بالكيمياء، ارتباطها الشديد بالصيدلة وتحضير الأدوية وتركيبها وما ينطوي تحت ذلك من العمليات الكيماوية التقطير والتبخير والحل واستخلاص السوائل من النباتات والأعشاب والمزج بينها. ولهذا نلحظ بروز بعض الأطباء الذين جمعوا بين مهارتهم في الطب، براعتهم في الكيمياء؛ فابن وافد الطبيب السالف الذكر، يبدو أنه كان على علم بعلم الكيمياء، وإلا من أين له الخبرة والمعرفة والشهرة في تحضير الأدوية وتركيبها ومعرفة خواصها وعناصرها، وكذلك أبو الصلت أمية بن عبد العزيز[3].

4-3- علم الحيل (الميكانيكا): تُسمى صناعة الحيل باليونانية مَنْجانيقون وأحد أقسامها جرٌّ الأثقال بالقوة اليسيرة[4].

وأطلق العرب لفظ علم الحيل على الآلات المستخدمة في تيسير أعمال الإنسان المتعلقة بشؤون حياته كرفع الأثقال وجلب المياه من الآبار ومعرفة الأوقات وغير ذلك. وأطلق التهانوي على هذا العلم لفظ (علم الآلات الروحانية)[5].

وقد أفاد العرب من تجارب السابقين، ولكنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي عند الاقتباس من تجارب الآخرين، بل ظهر بينهم من وُصف بالمهارة والتفوق في علم الحيل مما آثار دهشة الغرب ودفع بالكثير من علمائه على الاعتراف بفضل العرب على هذا العلم.

وفي الأندلس، أسهم الأندلسيون في تقدم علم الحيل، ويعتبر العلامة عباس بن فرناس أول من طرق هذا الميدان، فقد كان بارعاً في علم الرياضيات والفلك والكيمياء والميكانيك، وقد تمكن من صنع ساعة لمعرفة الوقت فأحسن صنعها ونقش عليها أبياتاً شعرية منها: (الطويل)

أَلاَ إِنَنِّي للــدِّينِ خَيْرُ أداةٍ   إذَا غابَ عَنْكُمْ وَقْتَ كُلِّ صلاةِ [6]

---

(1) صاعد الطليطلي: مصدر سابق، ص197.
(2) ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق، ص456.
(3) البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**، ص507.
(4) الخوارزمي: مصدر سابق، ص217.
(5) التهانوي: مصدر سابق، ص66.
(6) ابن حيان: المقتبس، تحقيق مكي، ص282-283.

وفي مملكة بلنسية في عصر ملوك الطوائف برز عدد ممن كان له مساهمة في هذا العلم، وفي هذا المجال يمكن الإشارة إلى :

4-3-3-1- ابن الزرقالة: هو المتقدم الذكر في علم الرياضيات والفلك، وقد عمل في كنف المأمون بن ذي النون وحفيده القادر، وكان له مساهمة واضحة في علم الحيل، ولم تكن معارفه الميكانيكية وقفاً على ميدان الفلك بل امتدت إلى صناعة ساعات دقاقة[1].

4-3-3-2- أبو الصلت أمية بن عبد العزيز: قد سبقت الإشارة إليه لدى الحديث عن الفلك والرياضيات، إضافة إلى هذه المعرفة كان له علم بالميكانيكا، ويظهر ذلك من خلال محاولته لرفع مركب كان قد غرق بمياه البحر في الإسكندرية وهو مملوء بالنحاس. وعلى الرغم من أن هذه المحاولة لم تنجح إلا أن الباحث يدرك قاعدةعلم الحيل، وذلك من خلال استخدام البكرات التي اعتمدها وجر المركب بواسطة الحبال المبرومة من الحرير.

والحق يُقال: إنه رغم فشل محاولة أبي الصلت لرفع المركب إلا أنه أثبت أن لديه معرفة بعلم الحيل[2].

وجدير بالذكر أن عملية سقاية البساتين والمنتزهات تدخل ضمن نطاق علم الميكانيكا- وهذه العملية تتم بواسطة دولاب، فمما يذكر أن منتزه باب الحنش [3]، الذي يضم منية الوزير أبي بكر، كانت له ساقية كبيرة عليها دولاب يسقي المنتزه ويضفي عليه جمالاً[4].

ويكفي أنهم عرفوا كيفية استخدام قوة سقوط الماء في إدارة الأرحية وهي فكرة علمية حديثة تستخدم اليوم لإدارة التوربينات لتوليد الطاقة الكهربائية.

والأرحية هي النواعير ومفردها الناعورة (Naora) وهي التي يستقى بها، يديرها الماء ولها صوت[5].

هذا وقد وصف الإدريسي "الرحة" (جمع أرحاء)، بأنها "بناء مربع مرتفع، أسفله واسع وأعلاه ضيق، وبه حفرتان على جانبيه متصلتان من أسفله إلى أعلاه، وبإزائه من أحد جوانبه حوض كبير يصب فيه الماء بعد أن يكون قد أتى من بعيد إلى أعلى المنار، ثم يهبط إلى الحوض فيدير رحى صغيرة"[6]. وكان في معظم مدن وقرى الأندلس رحى ومن بينها شاطبة.

(1) لوبون: مرجع سابق، ص462.
(2) ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق، ص460-461.
(3) ابن خاقان: **قلائد العقيان،** ص64.
(4) المصدرالسابق، ص 64.
(5) الزبيدي: **تاج العروس،** م3 ص576.
(6) الإدريسي: مصدر سابق، م2 ص 564.

ومن الآلات التي تستقى بها الأرض المرتفعة إضافة إلى الناعورة، الدالية والمنتجنُون والغرافة والزُرنوق[1].

وهناك من يقول: إنهم عرفوا فكرة رفع الماء من الآبار وأنهم اخترعوا آلة لذلك، يبدو أنها "الشادوف". أما رفع مياه الآبار لري الأراضي الزراعية التي لا توجد فيها أنهار، فذلك يكون بالسواني[2]. والسانية هي البعير أو الثور أو الحمار، يربط به الرِّشاء يجره فيخرج الغَرْب والسقي عليها يسمى السناوة.

وذهب البعض الآخر إلى القول: إنهم اخترعوا أنابيب الرصاص لجلب المياه إلى المدن من أعالي الجبال. وكل ذلك يدل على نهضة علمية عظيمة في عصر ملوك الطوائف[3].

5- علم الزراعة (علم الفلاحة): عرّف ابن خلدون هذا العلم، بأنه علم ينظر في النباتات من حيث تنميته ونشوؤه وتعهده بالسقي حتى يبلغ غايته[4].

أما التهانوي: فقد عرف هذا العلم بأنه "علم تُتعرف منه كيفية تدبير النبات من بدء كونه إلى إتمام نشوئه، وهذا التدبير إنما هو بإصلاح الأراضي بالماء وبما يخلخلها ويحميها: كالسمّاد، والرّماد ونحوه، مع مراعاة الأهوية فيختلف باختلاف الأماكن"[5].

لقيت الزراعة اهتماماً واسعاً من العرب مع العلم أنهم استفادوا من خبرات الأمم واقتبسوا الكثير من تجاربهم[6]. فالزراعة لم تزدهر في بلاد العرب فقط بل في العالم كله.

و هذا العلم كان مزدهراً [7] في الأندلس، فإذا بالأندلسيين قد درسوا تركيب التربة والأسمدة الملائمة لها بحسب الحالات، وأدركوا أهمية الزراعة الدورية وإراحة الأرض المزروعة بين فترة وأخرى، ودرسوا وسائل استثمار المياه بواسطة القنوات والآبار والنواعير، وكانت السقاية تعتمد على دواليب وكان لنظام الري عند الأندلسيين، أصول وقواعد يتولاها صاحب السقاية، وهذا ما أكده ابن الخطيب فيذكر أن الفتيين مبارك ومظفر العامريين "ترقيا إلى تملك بلنسية من وكالة

---

(1) الخوارزمي: مصدر سابق، ص46.

(2) ابن سيده: **المخصص**، م2، السفر التاسع، ص161.

(3) المقري: **أزهار الرياض في أخبار عياض** ،تحقيق مصطفى السقا وآخر ين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939م، ج2 ص266.

(4) ابن خلدون: مصدر سابق، ج1 ص652.

(5) التهانوي: مصدر سابق، ص63.

(6) البدوي، عبد الرحمن: **دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب** ، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، 1981م، ص38.

(7) هذا عائد إلى طبيعة شبه الجزيرة الأندلسية، وكثرة أنهارها، وبقاعها الخصبة وتنوع أقاليمها وتربتها، بالإضافة إلى نبوع أهل الأندلس في علم الزراعة وفنونها ومهاراتهم في فلاحة الأرض وغرسها والعناية بها حتى تنضج. الدفاع: مرجع سابق، ص31.

السقاية"[1]. أي كانا يتوليان شؤون الري مما يدل على أهمية الزراعة وتنظيم وسائلها في ذلك العصر.

ومن الظريف أن بلنسية ما تزال تحتفظ إلى اليوم ببعض مظاهر ما تبقى من نظم العرب المتعلقة بسقاية البساتين، ألا وهي محكمة المياه (Tribunal de las Aguas) التي تعقد عند باب الكاتدرائية كل يوم خميس. وتتألف المحكمة من خبراء بشؤون الري يمثلون نواحي كورة بلنسية ويرأسها مندوب من الحكومة. فإذا دقت الساعة الثانية عشرة، قام الحاجب ليعلن افتتاح الجلسة وينادي أصحاب الظلامات. وبعد المناقشة والمداولة يصدر الرئيس الحكم وهو حكم ملزم لا يقبل المناقشة أو الاستئناف وهذا ما كان يحدث أيام العرب عند باب المسجد الجامع في مكان موضع الكاتدرائية.

هذا وقد ظهرت في الأندلس الحدائق النباتية أو التجريبية وذلك من أجل العمل على أقلمة نباتات جديدة أو تحسين نباتات أخرى بواسطة الجذور والبذور...

وجدير بالذكر أن ملوك الطوائف قلدوا عادات الخلفاء؛ فكثرت الحدائق "التجريبية"، حتى إن الباحث يجد مجموعة من علماء الزراعة قد عملوا تحت حماية المأمون بن ذي النون. وفي هذا المجال يمكن الإشارة إلى أعمال: ابن وافد وابن بصال، وابن سيدة.

5-1- عبد الرحمن بن وافد، أبو المطرف: للطبيب الصيدلي الكبير عبد الرحمن بن وافد، 398-460هـ/1007-1067م، مساهمة في علم الزراعة حيث ألف كتاباً أسماه "المجموع في الفلاحة"[2].

وبلغ من اهتمام ابن وافد وحرصه الشديد على دراسة النباتات والأعشاب، أن استأذن المأمون بن ذي النون في إنشاء حديقة نباتية تضم أنواع مختلفة من النباتات، وذلك لكي يتمكن من دراستها وليسهل عليه إجراء تجارب صيدلية على أنواعها ومعرفة خصائصها ومميزاتها الطبية والعلاجية[3].

5-2- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن بصال: من طليطلة، نبغ في علم الزراعة، وقد خلف ابن وافد في الإشراف على حديقة النباتات في بستان المأمون[4]. وصنف كتاباً في الفلاحة أسماه "ديوان الفلاحة" ويقع هذا الكتاب في ستة عشر فصلاً. وله كتاب آخر أسماه "القصد والبيان". وكلا

---

(1) ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج3 ص220.
(2) سيد حسين: مرجع سابق، ص193.
(3) البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**، ص462.
(4) كسبيران غارثيا سانشير: **الزراعة في إسبانيا المسلمة** ، نقلاً عن كتاب سلمى الخضراء الجيوسي: مرجع سابق، ج2 ص1372.

الكتابين مبنيان على خبرات وتجارب ومشاهدات ابن بصال[1].

5-3- ابن سيده: لابن سيده اللغوي النحوي، مساهمة أيضاً في حقل الزراعة، فقد بيّن أسماء الكثير من النباتات، والأشجار وسعى إلى ترتيب النباتات بحسب مكان نموه وطبيعة ورقه، وتحدث عن الآفات الزراعية وعلل سبب ذلك بسبب قسوة المناخ من برودة أو جفاف أو ما يصيبها من طفيليات؛ ففي حديثه عن الكروم يذكر الوسائل والطرق المتبعة في غرسه وأطوار نموه ذاكراً أفضل الطرق للمحافظة عليه وصيانته والعناية به مع الإشارة إلى أنواع الكروم، هذا مع التزامه باختيار اللفظة العلمية والفنية التي تبين كل ذلك بجلاء ووضوح[2].

وهكذا أثبت علماء مملكة بلنسية بأنهم أصحاب السيادة العلمية في نقل العلوم الزراعية وأن معارفهم وخبراتهم العلمية التي خلدوها في كتبهم هي أثمن ما تركه العرب.

وخلاصة هذا المبحث أن مملكة بلنسية في عصر ملوك الطوائف بلغت الغاية في علوم الدين، كالفقه، والحديث، وعلوم التفسير، وعلوم القراءات، فازدهرت هذه العلوم ازدهاراً عظيماً، ولا يزال حتى اليوم الكثير من ذلك الإنتاج النفيس لعلماء ذلك العصر، باستثناء علم الكلام، الذي لم يجد له مكاناً بين العلوم، ولم يلق التشجيع وكثرة الأنصار، ما لقيه في المشرق الذي كثرة فيه الملل والنحل والفرق، فالمذهب المالكي هو صاحب السيادة المذهبية.

أما حظ مملكة بلنسية في علمي اللغة والنحو في عصر ملوك الطوائف، فلم يكن أقل حظاً من العلوم الدينية؛ فقدمت المملكة خلال تلك الفترة أعلاماً كباراً قدموا لهذه الدراسات جهوداً موفقة وحميدة، ولعل ما تركوه لنا من نفائس الكتب تشهد بعظمتهم وعظمة عصرهم الحافل بالعلم والمعرفة.

أما ما يتعلق بالعلوم الإنسانية، فإن علماء هذا الحقل، قد أمدوا الدراسات بالكثير من الجهود العلمية؛ فأثروا بذلك ميدان التاريخ والتراجم والأنساب والجغرافيا والفلسفة.

وفي ميدان العلوم البحتة (التطبيقية) (العقلية)، لقي هذا العلم كل اهتمام وعناية. فقد أبدع علماء مملكة بلنسية في تلك العلوم، وأسدوا جهوداً واضحة في سبيل تطورها وازدهارها، وصنفوا في ذلك التصانيف. وإن ما بقي من إنتاجهم العلمي لشاهد قوي على عمق عطائهم وعظم مشاركتهم في ازدهارها وتطورها.

---

(1) سيد حسين: مرجع سابق، ص193.

(2) البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف**، ص527-528.

الفصل السادس

المنشآت العمرانية في مملكة بلنسية

الفصل السادس

المنشآت العمرانية في مملكة بلنسية

قبل الحديث حول هذا الموضوع، ينبغي إعطاء فكرة موجزة عن تخطيط المدن العربية عامة،إذن، مِمَّ تتألف المدن العربية؟

تتألف المدن العربية عادةً من قسمين رئيسين وهما:

1ـ القسم الأول: وهو المركزي ويعرف بالمدينة، وفيه يقوم المسجد الجامع، وقصر الإمارة أو الخلافة كما تتركز فيه الأسواق، والقيساريات والفنادق والحمامات ومختلف أنواع المنشآت المدنية ويحوطه سور مزود بالأبراج وتنفتح فيه الأبواب.

2ـ القسم الثاني: وهو الأرباض أو الضواحي، وهذه عبارة عن مراكز عمرانية تنشأ خارج الأسوار وتضم المراكز العمرانية المحدثة خارج نطاق المدينة بمساجدها وأسواقها وحماماتها ومرافقها الخاصة[1].

وكانت المدينة والأرباض تضم أحياء داخلية، عُرفت في المشرق بالخطط وفي المغرب والأندلس بالحومات.

ومن الأهمية بمكان القول: إن المسجد الجامع كان دائماً الأساس الذي يقوم عليه التنظيم العمراني للمدينة العربية والمركز الديني الذي تلتف حوله بقية مراكزها العمرانية [2]. هكذا كان وصف العذري، أحد علماء بلنسية، معبراً عن اتساع عمرانها، حيث يقول عنها: "ولها خطط فسيحة وهي بلدة منيعة"[3].

إن المعلومات عن خطط بلنسية وعمرانها، قليلة ومبعثرة داخل ثنايا الكتب الأدبية والجغرافية وكتب التراجم، وهي عبارة عن أسماء أحياء ومساجد وشوارع وأبواب وأسوار وأرباض، ومعظم هذه الأسماء لا تحمل تاريخاً محدداً يساعد على تتبع التوسع العمراني الذي تعرضت له بلنسية في عصر الخلافة الأموية عصر دويلات الطوائف، لذا سيرد أحياناً أثناء الدراسة ذكر لبعض الخطط التي لا تحمل تاريخها.

---

(1) Torres Balbás: **Ciudades Hispanomusulmanas**, publicad, instituto, Hispano-arabe de cultura, Madrid, 1985, pp.9-10.

(2) سالم، السيد عبد العزيز: **التخطيط ومظاهر العمران في العصور الوسطى** ، مجلة المجلة، العدد 9، 1957م، ص54.

(3) العذري: مصدر سابق، ص18.

وفيما يلي عرض لبعض الخطط التي تخدم موضوع هذا البحث:

1- سور مملكة بلنسية

بلنسية مملكة مسورة[1]، وسورها منيع من إنشاء مبارك ومظفر، لحمايتها من طمع الطامعين[2]، وذكر الحميري أنه مبني بالحجر والطوابي[3]، وقد أثبتت الحوادث مناعة هذا السور، فلمّا حاول السيد القنبيطور اقتحامه من جهة باب الحنش شمال غرب بلنسية، أخفق في ذلك ولم ينجح في هجومه. وكان يحيط بالسور خندقٌ يعوق الغزاة المهاجمين عند الاقتراب من السور [4].

وعلى هذا السور ما يلي:

1-1- الأبراج: اتخذت على السور أبراج لتكمل مهمته الدفاعية ومن هذه الأبراج "برج القنطرة"[5].

1-2- الأبواب: لسور بلنسية أبواب عدة نذكر منها باب الشريعة[6] في السور الشرقي، **وباب بيطالة**[7] في السور القبلي، والأخير يؤدي إلى غرب الأندلس ودانية وشاطبة وشقر. **وباب ابن**

---

(1) العذري: مصدر سابق،ص18.

(2) قال ابن بسام بهذا الصدد "بنيا بلنسية وسدا عورتها بسور أحاط بالمدينة تحت أبواب حصينة، فارتفع عنها الطمع". ابن بسام: مصدر سابق، م 3 ص8. وقد أعاد المنصور عبد العزيز تحصين هذا السور ودعمه و أتقن بنيانه. العذري: مصدر سابق، ص17.

(3) الحميري: مصدر سابق، ص 47. والطوابي: مادة من التراب والرمل، راجع، سالم: **دائرة معارف الشعب**، مادة بلنسية، العدد 61، 1959م، ص 60.

(4) ذكر ابن عذاري أن رجلاً من أتباع السيد القنبيطور سقط في هذا الخندق أثناء الحصار الذي فرضه الأخير على بلنسية فقتله العرب. ابن عذاري: مصدر سابق، ج 4 ص39.

(5) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص99؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص39.

(6) ذكر العذري ستة أبواب فقط للمدينة، ولم يشر إلى باب الشريعة. يبدو أن إنشاء هذا الباب تم في السور في فترة لاحقة لوفاته عام478هـ/1085م، وقد ورد ذكر الشريعة (المصلى) في بلنسية في المصادر الأجنبية عام480هـ/1087م، عند الإشارة إلى وصول الحاجب المنذر بن هود إلى موضع من بلنسية يسمى المصلى أو الشريعة (Axerea)، وتشير بعض المصادر إلى وجود باب يعرف أحياناً باسم الشريعة (Laxarea) وأحياناً أخرى باسم المصلى (La Mussalla). وجدير بالذكر أن باب الشريعة لم يتعرض لأي هجوم من جانب القنبيطور خلال حصاره للمدينة نظراً لقربه من باب ابن صخر الذي يقع به برج يحمي تلك المنطقة. وجدير بالذكر أيضاً أنه لا يزال حتى الآن اسم الشريعة موجوداً في بلنسية ويتمثل في شارع يحمل الاسم نفسه (Calle de Laxarea)، ويمتد حالياً بين شارع الاجتماع، (Calle de congregacíon) وبوابة المعبد المسماة اليوم (Puerta del templo). بروفنسال: **الإسلام في المغرب والأندلس** ص86.

(7) العذري: مصدر سابق، ص18؛ سالم: **دائرة معارف الشعب**، مادة بلنسية، ص60. أما كلمة بيطالة: فهي تتكون من كلمتين هما بيت الله (Bayt Allah). ويبدو أنه كان يقوم بالقرب من هذا الباب مسجد تحول فيما بعد إلى كنيسة سُميت باسم سان خوان (San Juan)، وهناك من يرى بأن كلمة بيطالة (Boatella) هي من أصل لاتيني أخذها العرب عن الرومان، وتعني السوق، ذلك لأنه كان يقام سوقاً أسبوعياً قرب هذا الباب. بروفنسال: **الإسلام في المغرب والأندلس**، ص62. وكان يقع قرب باب بيطالة شارع يطل عليه يسمى بني واجب، يطلق عليه اليوم اسم سان بيثنتي (San Viciente)، وقد أشار أحد الباحثين إلى أنه كان يقع قرب هذا الباب باب خارجي لحمايته، أنشئ فيما يبدو في عصر الموحدين، أو بعد سقوط بلنسية نهائياً عام 636هـ/1238م. سالم، السيد عبد العزيز: **المساجد والقصور في الأندلس**، مجلة المجلة، العدد 10، نوفمبر، 1957م، ص140.

صخر[1] في السور الشمالي الشرقي. **وباب الحنش**[2] في السور الغربي، ويطلق على هذا الباب اسم (Babal Haix) ويبدو أن اسم الحنش أطلق على هذا الباب نسبة إلى نقش، لثعبان كان يزين واجهته. **وباب القنطرة**[3] في السور الشمالي الغربي، ومنه يخرج المسافرون إلى طليطلة وسرقسطة وطرطوشة، وأهمية هذا الباب تكمن بتسهيل الاتصال بين المدينة وربضها الشمالي المسمى بالكدية، ويطل هذا الباب على قنطرة من الحجر عُرفت بالجسر بناها المنصور عبد العزيز وإليها نسب الباب.

ومن الأبواب أيضاً **باب الوراق**[4] (باب ابن فرج) في السور الشمالي، وكان يطل على قنطرة من الخشب تؤدي إلى ربض ابن عبد العزيز. وباب يُعرف **بباب القيسارية**[5]، ومنه يخرج يخرج المسافرون إلى غرب الأندلس ودانية وشاطبة وجزيرة شُقر وهذا الباب يقع قرب باب بيطالة.

2- مركزها:

ضمت بلنسية داخل سورها عدداً من الخطط أهمها:

2-1- المسجد الجامع:

كانت المساجد تشغل قلب المدينة، وكان قصر الإمارة يُؤسس لصق الجامع أو على مقربة منه، اقتداءً بجامع الرسول في المدينة، وكان من مظاهر اهتمام العرب بالمسجد أن اتبعوا هذه السُنة، وجعلوا المسجد مركز المدينة لما يتمتع به من مكانة خاصة في نفوس العرب[6].

وقد أوضح ابن خلدون أن المساجد الجامعة تتميز بمساحتها الكبيرة التي تتسع لعدد من المصلين الذين يجتمعون فيها لأداء فريضة الجمعة وغيرها من الصلوات العامة، وكان يؤم المصلين فيها، الخليفة في حاضرة الدولة أو عامله أو من ينوب عنه من كبار الفقهاء في المدن الأخرى. أما المساجد العادية أو الخاصة فلا تحتاج إلى رعاية الدولة لأن أصحابها يقومون بهذه المهمة كلما احتاج الأمر، ويمكن أن يقوم بتلك من يجد في نفسه القدرة والكفاءة على إمامة

---

(1) العذري: مصدر سابق، ص18.

(2) هاجم القنبيطور هذا الباب أثناء حصاره للمدينة، ولكنه لم ينجح في اقتحامه لمناعته وتحصينه. العذري: مصدر سابق، ص18؛ بروفنسال: **الإسلام في المغرب والأندلس** ، ص61-62؛ سالم: **تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية** ، ص125.

(3) العذري: مصدر سابق، ص18؛ سالم: **دائرة معارف الشعب،** مادة بلنسية، ص60.

(4)العذري: مصدر سابق ، ص18؛ سالم: **دائرة معارف الشعب،** مادة بلنسية، ص60.

(5)العذري: مصدر سابق ، ص18.

(6) بليغ، محمد توفيق **: المسجد في الإسلام** ، مجلةعالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الثاني، الكويت، 1979م، ص18، 36.

المصلين[1].

إضافة إلى أهمية المسجد الدينية، كان المسجد مدرسة علمية تعقد فيه الحلقات العلمية، فتدرس فيه علوم الدين واللغة، وكانت الأسواق تقوم حول ساحته وتُعقد فيه أيضاً الاجتماعات، وتوزع فيه ألوية الجيش، وتُقرأ فيه المنشورات [2]. ومن هنا تأتي أهمية جامع بلنسية؛ فقد أشار ابن الأبار إلى أنه من بين الذين تولوا التدريس فيه الفقيه، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز البلنسي، وكان يتولى الخطبة بهذا الجامع وتوفي عام 511هـ/1117م[3]، ولكن لا شيء يُعرف عن تاريخ إنشائه.

ويبدو أنه أقيم مكان كنيسة قوطية قديمة حوَّلها العرب إلى مسجد جامع بعد الفتح [4]، وأعيد بناؤه أيام عبد الرحمن الداخل الذي أعاد بناء المسجد الجامع بقرطبة بالإضافة إلى مساجد أخرى بالأندلس[5].

ومن خلال تتبع الأحداث التاريخية يُستدل على أن المسجد الجامع في بلنسية كان قد تعرض لبعض أعمال التغيير والهدم بعد استيلاء السيد القنبيطور على المدينة، فقد تحول إلى كنيسة[6]، وللتدليل على ذلك أن ابن الأبار ذكر أن عبد الله بن سعيد الوجدي الذي تولى قضاء المدينة بعد استرداد المرابطين لها عام495هـ/1101م، أمر ببناء محراب جامع بلنسية عام498هـ/1104م، ويشير إلى أن اسمه كان منقوشاًعلى المحراب[7]. ولكن بعد سقوط المدينة في أيدي الإسبان عام 636هـ/1238م[8]، تحول الجامع إلى كنيسة كبرى عُرفت باسم سانتا ماريا(Santa Maria).

2-2- دار الإمارة:

كان الأمراء من بني أمية في الأندلس وخلفاؤهم ومن حذا حذوهم من ملوك الطوائف، يقيمون في قصر الإمارة أو الخلافة، وتقع عادة على مقربة من المساجد الجامعة، وأحياناً كانوا يقيمون في قصور خلوية يقيمونها للهو ومجالس الأنس في إطار طبيعي من الرياض والبساتين والجداول، بعيداً عن أنظار

---

(1) ابن خلدون: مصدر سابق، ج1 ص273-274.
(2) سالم: **التخطيط ومظاهر العمران في العصور الإسلامية الوسطى**، ص55-56.
(3) ابن الأبار: **التكملة**، ج1 ص35، ترجمة رقم 98.
(4) سالم: **دائرة معارف الشعب**، مادة بلنسية، ص61. استناداً إلى خريطة كان قد رسمها بيدال أيام السيد القنبيطور، نلاحظ أن المسجد الجامع (اللكاتدرائية) كان يقع قرب قصر الإمارة. Menéndez Pidal: **La España del cid**, V.1, P.429.
(5) ابن الأثير: مصدر سابق، ج5 ص79.
(6) Menéndez Pidal: **La España del cid**, V.1, P.428.
(7) ابن الأبار: **التكملة**، ج2 ص302، ترجمة رقم 872.
(8) ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2 ص127.

الرعية عُرفت بالمنيات[1].

أما قصر الإمارة في بلنسية فيبدو أنه كان قائماً على مقربة من المسجد الجامع، وهذا ما أشار إليه المؤرخ الإسباني مينندث بيدال، حيث رسم خريطة يُظهر فيها القصر بإزاء المسجد الجامع (الكاتدرائية)[2].

وتجدر الإشارة إلى أنه ورد ذكر قصر الإمارة في نص لابن بسام، وفيه يشير إلى نزول الفتيين مبارك ومظفر العامريين في القصر، وأن هذا القصر كان و اسعاً بحيث اشتمل على مجالس وقاعات عديدة[3]. ونص ابن بسام؛ فيه من الإشارة ما يدل على أن مباركاً ومظفراً العامريين جددا قصر الإمارة في جملة الأعمال العمرانية التي قاما بها أثناء حكمهما بلنسية؛ فقد ذكر ابن بسام أنهما شرعا في "بناء بلنسية وتحصينها وسدا عورتها بسور أحاط بالمدينة، تحت أبواب حصينة، فارتفع الطمع عنها وأقبل الناس إليها من كل قطر بالأموال... واستوطنها جملة من جالية قرطبة القلقة الاستقرار، فألقوا بها عصا التســيار، وأجمل عشرتهم، فبنوا بها المنازل والقصور، واتخذوا البساتين الزاهرة والرياضات الناضرة وأجروا خلالها المياه المتدفقة، وسلك مبارك ومظفر سبيل الملوك الجبارين في إشادة البناء والقصور"[4].

2-3- القيسارية والأسواق

القيسارية هي السوق المشيدة بالبناء، وتتوزع فيها حوانيت صغيرة المساحة على جوانب الدروب التي تشق القيسارية، وهذه الأخيرة كانت تقام بالقرب من المساجد الجامعة[5].

وما يدل على وجود هذا النوع من السوق القيسارية، وجود باب في بلنسية يُعرف بباب القيسارية وينفتح في السور الغربي من بلنسية[6].

أما السوق بالإسبانية (Zoco) فموضع أو حارة خصصت في مدن الأندلس لبيع نوع معين في السلع، ويشتمل على عدد من الحوانيت المخصصة لنوع السلعة التي تتسمى بها السوق، كسوق الصاغة، وسوق العطارين، وسوق الوراقين، وسوق النحاسين أو الصفارين.

---

(1) المنية: جمعها منى، معناها الحدائق الواسعة: تكاد تشابه الفيلا (Villa) وهي القصر الريفي، وتقابل في المصطلح الإسباني (Huerta). ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ص96؛سالم: **القصور الإسلامية في الأندلس**، مجلة المجلة، العدد10، أوكتوبر، 1957م، ص87؛ مؤنس: **فجر الأندلس**، 594، **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين**، ص563.

(2) Menéndez Pidal: **La España del cid**, V.1,P.428; Filipe (Mateu): **Hallazgos ceramicos en Valencia Musulmana – al Andalus**, P.166.

(3) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص7.

(4)المصدر السابق ، م3 ص8.

(5) سالم: **العمارة المدنية في الأندلس - الفنون والصناعات في الأندلس**، ص145.

(6) العذري: مصدر سابق، ص18.

وكانت الحوانيت عبارة عن أماكن ضيقة قليلة الارتفاع، لذا كان البائع لا يحتاج أن يتحرك من مكانه كي يحضر السلع عن مواضعها[1]، وللحانوت باب واحد يفتح مباشرة على الشارع، أما أبواب الحوانيت فكانت تغلق بألواح متحركة تربطها مزاليج محكمة، وكان يعلوها مظلة مائلة من الخشب أو الحصير تقي البائع وزبائنه حرارة الشمس والمطر[2].

وتشير المصادر العربية إلى شهرة بلنسية في مجال التجارة [3]؛فهي كثيرة التجار، وبها أسواق عامرة [4] مقامة داخل المدينة على مقربة من المسجد الجامع أو في الأرباض.

ومما يدل على ازدهار أسواق بلنسية حاجتها إلى "المُحتسب"، فقد تولى الحسبة فيها عدد من العلماء، ويندرج عمل هؤلاء تحت عنوان عُرف "بخطة السوق"[5].

2-4- الفندق:

يُعد الفندق من المنشآت العمرانية االمهمّة في الأندلس، وهو بناء أقيم في المدن الأندلسية لنزول التجار الغرباء فيه، وبيع أنواع معينة من السلع لكبار التجار. وكانت الفنادق تُقام- عادة- بجوار المساجد الجامعة حيث يكثر الرحالة والمسافرون[6].

والفندق يحوي عدداً من الغرف، حيث يقيم المسافر، أما خيول ودواب المسافرين فكانت تربط في صحن الفندق[7].

وقد أشارت وثائق تقسيم بلنسية إلى أنه كان يُوجد فندق قرب باب القنطرة، كان ينزل فيه التجار ويستخدم مخزناً للسلع في آن واحد[8].

هذا ولا يزال اسم فندق يطلق اليوم على أحد شوارع بلنسية الحديثة، مما يدل على أن ذلك الشارع كان يقوم فيه فندق في العصر العربي[9].

2-5- الأحياء والأرباض:

ضمت بلنسية عدداً من الأحياء، والأخيرة تعرف في اصطلاح أهل الأندلس بالحومات،

---

(1) سالم: **التخطيط ومظاهر العمران في العصور الإسلامية الوسطى**، ص57.
(2) المرجع السابق، ص 57.
(3) العذري: مصدر سابق،ص18؛ الإدريسي: مصدر سابق، م2 ص556؛ ابن غالب: مصدر سابق، 285.
(4) الحميري: مصدر سابق، ص47.
(5) ابن الأبار: **التكملة**، ج1 ص337.
(6) سالم: **العمارة المدنية في الأندلس**، ص143.
(7) المرجع السابق، ص 143.
(8) Huici Miranda: **Historia Muslmana de Valancia**, T.1, p.34.
(9) سالم: **التخطيط ومظاهر العمران**، ص57.

وهي مراكز عمرانية تدخل ضمن نطاق أسوار المدينة [1]. وقد ورد ذكر ربض داخل سور بلنسية. والمقصود هنا هو الحي وليس الربض أي الضاحية (سيترجم إلى ذلك لاحقاً عند الحديث عن ظاهر بلنسية). وفي ذلك دلالة على توسع عمارة المدينة (في المركز) واتصالها بالأرباض قبل أن ينشأ السور، لذا عُدَّ حومةً على أثر توسع النطاق العمراني للمدينة. ولكنه احتفظ بتسميته القديمة كربض ابن عطوش الواقع داخل سور بلنسية[2].

وفي بلنسية يمكن أن نشير إلى عدة أحياء أهمها: حي القاضي ابن جحاف الذي ورد ذكره في كتاب إعادة تقسيم بلنسية (El Repartimiento) باسم (Avingahaf) وكان يمتد في نواحي المسجد الجامع (الكاتدرائية) حالياً، وكان بهذه الحومة عدة مساجد من بينها مسجد تحوَّل بعد سقوط بلنسية نهائياً عام 636هـ/1238م، إلى كنيسة عُرفت باسم كنيسة القديسة سانتا كاتالينا (Santa Catalina)[3]. ومن أحياء المدينة أيضاً حي اليهود (La Judería)؛ فقد كان لليهود نشاط اقتصادي واسع في بلنسية، وعلى نحو ما هو معروف في المدن الأندلسية فقد كان مجتمع اليهود في بلنسية منفصلاً عن مجتمع العرب، وكان للحي مدخل واحد أو عدة مداخل، وكان التخطيط العام لتلك الأحياء يتشابه إلى حدٍ كبير، سواء في الأزقة الضيقة المتعرجة، أو في الدروب والحارات التي تغلق أبوابها ليلاً ويتولى حراستها أثناء الليل درابون، ووجد بكل حي يهودي، حمام أو أكثر على نحو ما كان شائعاً في الأحياء الأخرى [4]. أما موقع حي اليهود في بلنسية فقد كان يشغل المنطقة الواقعة إلى الشرق من رحبة القاضي، ويمتد جنوبي باب الشريعة، وتشير المصادر الإسبانية إلى هذا الحي الذي ظل طوال العهد العربي قائماً، وأن اسمه تغير بعد سقوط بلنسية عام 636هـ/1238م، فأصبح يدعى حي القديس توماس (Santa Tomas) نسبة إلى الكنيسة التي أقيمت فيه وتحمل هذا الاسم. وجدير بالملاحظة أن هذا الحي ظل محافظاً على مميزاته العمرانية القديمة التي تعود للعصور الوسطى لا سيما في المنطقة المحيطة حالياً بشارع البحر (Calle del mar)[5].

ومن الأحياء الرئيسية أيضاً حي الشريعة، وكان يقع داخل الأسوار، على مقربة من الباب المعروف باسم باب الشريعة، كذلك ورد اسم حي آخر يُعرف بحومة باب الحنش أشار إليه

---

(1) ياقوت: **معجم البلدان**، ج3، ص28؛ ابن عبد الملك: **الذيل والتكملة**، السفر الخامس ،ق 1 ، تحقيق إحسان عباس، بيروت ، 1965م، ص 270.
(2) ابن الأبار: **التكملة**، ج2 ص16.
(3) أرسلان: مرجع سابق، ج3 ص212؛ Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, P.35.
(4) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, p.35.
(5) Huici Miranda**: Historia Musulmana de Valencia**, T.1, p.35.

الشاعر البلنسي ابن الزقاق بقوله: (الرمل)

ليسَ فَرْقٌ في السَنَا بينهما   والبها أن طــلعَا في غَبَشِ

غَيْرَ أَنَّ الأُفْقَ معمورٌ بِذَا   وبِـــذَا حَوْمَةُ باب الحَـــنَشِ [1]

2-6- المساجد الثانوية:

ورد ذكر عدة مساجد داخل سور بلنسية عدا المسجد الجامع وهذه المساجد هي:

2-6-1- المسجد البلنسي: ينسب إلى الأمير عبد الله البلنسي ابن عبد الرحمن الداخل[2].

2-6-2- مسجد بني حزب الله: أسسه بنو حزب الله داخل المدينة، وهذه الأسرة من الأسرات البلنسية التي اشتهرت بالعلم، برز منهم الفقهاء والعلماء، و أشير إلى ذلك سابقاً. [3]

2-6-3- مسجد رحبة القاضي: وهو المسجد الذي صلى فيه المسلمون بعد أن استولى القنبيطور على بلنسية وحوّل مسجدها الجامع إلى كنيسة، وكان هذا المسجد يقع في رحبة القاضي بالقرب من مركز المدينة، وفيه كان الفقيه حمدون بن محمد المعروف بابن المعلم، يتولى الوعظ عام 489هـ/1095م[4]. وقد تحول بعد ذلك إلى كنيسة عرفت باسم سانتا كاتالينا (Santa Catalina)[5].

2-6-4- مسجد باب القنطرة: وكان يتولى الصلاة فيه الفقيه أبو عبيد الله محمد بن جعفر القرطبي نزيل بلنسيةعام 512هـ/1118م[6].

2-6-5- مسجد الغرفة (مسجد ابن سُرنباق): يقع بربض ابن عطوش بداخل بلنسية، ولكن لم تشر المصادر إلى مكان هذا الربض من المدينة، ويُنسب إلى بني سرنباق وهم من ذوي الثراء في بلنسية[7].

2-6-6- مسجد بني واجب: لم تذكر المصادر العربية هذا المسجد إلا أن المستشرق مينندث بيدال، نقلاً عن المصادر القشتالية، يذكر أن هذا المسجد، قد أسسه بنو واجب عام 487هـ/1094م،

---

(1) ابن الزقاق: الديوان، مصدر سابق، ص195.

(2) ابن الأبار: **التكملة**، ج2 ص52، ترجمة رقم 140.

(3) المصدر السابق، ج2 ص234-235، ترجمة رقم 655.

(4) المصدر السابق ، ج 1 ص234-235، ترجمة رقم 790؛ ج2 ص274، ترجمة رقم 590؛ السلفي: مصدر سابق، ص105-107، ترجمة رقم 68.

(5) أرسلان: مرجع سابق، ج3 ص212.

(6) ابن الأبار: **التكملة**، ج2 ص5-6 ترجمة رقم 7؛ Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, p.428.

(7) ابن الأبار: **المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي** ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967م، ص169؛ **التكملة**، ج2 ص16؛ ابن عبد الملك: مصدر سابق، السفر الخامس ، ق1ص269-270.

أي في عهد القاضي ابن جحاف، ويبدو أن هذا المسجد كان يقع بشارع بني واجب قرب باب بيطالة من الجهة الجنوبية للمدينة(1).

2-6-7- مسجد الغلبة: لم نتوصل إلى معرفة موقعه بالتحديد. وكان ممن يأمون الصلاة ويعظون فيه الفقيه محمد بن سفيان بن أبي إسحاق(2)، كان حياًعام 512هـ/1118م.

2-6-8- مسجد ابن عيشون: بناه عبيد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن بن مسعود بن عيشون المعافري، قرب باب القنطرة بداخل بلنسية، بداية العهد المرابطي، وكان صاحبه من ذوي الثراء الواسع، و بنى إلى جانبه داراً لسكن من يؤمه(3)، ت عام 573هـ/1177م أو عام 574هـ/1178م.

2-6-9- مسجد الشراجب: يقوم داخل بلنسية، وممن كانوا يؤمون الصلاة فيه عبيد الله بن عبد الله بن خلف الأزِدي ت بعد عام 600هـ/1203م(4).

2-6-10- مسجد السيدة: يقع داخل بلنسية، وتذكر المصادر أن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاعي، كان يؤم الصلاة فيه، ت 619**هـ**/1222م(5).

2-6-11- مسجد حميد: يقع هذا المسجد داخل بلنسية، وكان ممن يأم الصلاة فيه يحيى بن عبد الرحمن بن خلف المكتِّب، وأصله من شنتمرية الشرق، وكان الأخير قد أخذ علومه عن أبي عبد الله بن خلصة وأبي عامر البرياني وغيرهما، توفي في بلنسية في حدود عام 570هـ/1174م، وكانت ولادته عام 489هـ/1095م(6).

ولا بد من الإشارة إلى أن بلنسية كان لها كنيسة قائمة، ويبدو أنها كانت مخصصة لطائفة المستعربين، والدليل على ما نذكر أنه كان من بين المعالم التي ورد ذكرها في بلنسية معلم يُقال له الكنيسة(7).

2-7- الحمامات:

تكثر الحمامات في المدن العربية، وهذه من الظواهر البارزة في المجتمع العربي، ومن المنشآت المدنية الرئيسية. وكانت للحمامات أهمية عظمى في الحياة الاجتماعية الأندلسية، باعتبار أن عادة الاستحمام كانت من العادات المتأصلة في الحياة العربية، فبالإضافة إلى عملية

---

(1) Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, P.428.
(2) ابن الأبار: **التكملة**، ج1 ص337، ترجمة رقم 1195.
(3) المصدر السابق، ج2ص312-313، ترجمة رقم 905.
(4) المصدر السابق، ج2 ص314، ترجمة رقم 911.
(5) المصدر السابق ، ج2 ص290وما بعدها، ترجمة رقم 834؛ ابن عبد الملك: **الذيل والتكملة**، بقية السفرالرابع، تحقيق إحسان عباس ومحمد بن شريفة بيروت 1964م، ص 179.
(6) ابن الأبار:**التكملة**، ج4 ص178، ترجمة رقم 517.
(7) الحميري: مصدر سابق، ص48 .

الاستحمام، كان الحمام يشغل مركزاً للاجتماعات المرحة و مجالس الأنس واللهو والغناء[1].

ويجمل الشاعر البلنسي عبد العزيز بن أحمد بن المُغَلِّس[2]، القيسي دور الحمام في هذه الأبيات التالية: (الطويل)

ومَنْزِلِ أقوامٍ إذا ما اعْتَدَوا به	تَشَـــابَهَ فـــيه وَغْـــدُهُ ورئيـــسُهُ
يُخالطُ فِيْهِ المرءُ غير خَلِيطِهِ	ويُضْحِى عدوُّ المرءِ وهُوَ جلِيْسُهُ
يُفَـــرِّجُ كَرْبِي أنْ تَزَايَدَ كَرْبُهُ	ويُؤْنِسُ قلـــبي أنْ يُعَـــدَّ أنيـــسُهُ [3]

أما الشكل الهندسي للحمام بوجه عام فهو يتألف من مدخل رئيسي يؤدي إلى ثلاث غرف أو أربع مقببة ذات شكل مستطيل أو مربع، وهذه الغرف متصلة فيما بينها بواسطة فتحات أو أبواب. وللحمام ملحقات منها الموقد والمرحاض وغرف الخدمة وغير ذلك.

أما الغرفة الأولى فكانت تُسمى بيت المسلخ وهي غرفة خاصة بخلع الثياب، يليها البيت البارد ودرجة حرارتها أكثر ارتفاعاً من درجة حرارة الغرفة السابقة، ثم يلي ذلك غرفة تسمى بالبيت الوسطاني، والأخيرة تعتبر من أهم أجزاء الحمام ويتوسطها فراغ مركزي مربع تعلوه قبة ويحيط به أربع ممرات مقببة تحملها عقود قائمة على أعمدة، ويتخلل هذه القبوات فتحات نجمية الشكل تسمى مضاوي لإدخال الضوء، وينتهي الحمام بالبيت الساخن، وهي غرفة، وتبلغ فيها درجة الحرارة أقصاها، وتقام بجوانبها الأحواض التي تصب فيها صنابير المياه الساخنة والباردة، وهكذا تتدرج درجة الحرارة في الانخفاض إلى أن ينتهي الشخص من الاستحمام[4].

هذا فيما يتعلق بالشكل الهندسي، أما فيما يتعلق بالرسم الفني أو التزيني، فنجد أن أرضية الحمام كانت تُكسى عادة بالفسيفساء أو بلوحات الرخام، وجدرانه تزين بلوحات الزليج أو تزين بالرسوم التي تبث في النفس الراحة والسرور[5].

وفي المدن الإسبانية مازال عدد كبير من الحمامات العربية، ومنها: بلنسية، وإشبيلية وغرناطة وغيرها، ويرجع سبب بقاء هذه الحمامات في حالة جيدة إلى ضخامة جدرانها

---

(1) سالم: **التخطيط ومظاهر العمران**، ص60؛ **العمارة المدنية**، ص139.

(2) مُغَلّس: بضم الميم، وفتح الغين، وتشديد اللام المكسورة، وبعدها سين مهملة". راجع المقري: **نفح الطيب**، ج2 ص347، وابن مُغَلِّس: من أهل العلم واللغة العربية، رحل من الأندلس واستوطن مصر، فمات بها عام 427هـ/1035م. راجع ترجمته في الحميدي: مصدر سابق، ص 288؛ الضبي: مصدر سابق، ص 356؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج3 ص165؛ المقري: **نفح الطيب**، ج2 ص346-347.

(3) المقري: **نفح الطيب**، ج2 ص347.

(4) سالم: **التخطيط ومظاهر العمران**، ص61؛ **العمارة المدنية**، ص140-141.

(5) سالم: **التخطيط ومظاهر العمران**، ص61.

وصلابتها، ثم إلى و ظيفتها الاجتماعية التي تعدت كثيراً العوامل الدينية المتعلقة بالطهارة عند العرب، لذا كانت الحمامات هي أقل المنشآت العربية التي تعرضت للخراب والدمار(1).

عُثر في بلنسية على بقايا حمام قرب الكاتدرائية ويُسمى اليوم بحمام الميرانتي (Almirante) أي الأمير، وقد تهدمت منه ردهة المدخل، وبقيت عدة قاعات منها البيت الوسطاني، وتعلو الفراغ المركزي بهذا البيت قبة مثمنة تقوم على جوفات مقوسة، وحول هذا الفراغ أربعة ممرات تطل على وسط القاعة بعقود قائمة على أعمدة من الرخام الوردي بتيجانها الملساء، وتعلو الممرات قبوات نصف أسطوانية تتخللها. ويتخلل القبة الوسطى أضواء نجمية الشكل لإدخال الضوء(2).

2-8- الشوارع والرحبات:

تتميز بلنسية بشبكة من الشوارع والدروب الضيقة، وقد ساعدت هذه الشبكة الداخلية في الطرقات بدعم النشاط الزراعي والتجاري والصناعي في المدينة؛ فالموقع الجغرافي المميز للمدينة وسط إقليم سهلي، وعلى مقربة من مرفأ بحري يكتظ بالصادرات والواردات، وفي عهدٍ(عصر ملوك الطوائف) اتسم بالتقدم الحضاري رغم الأوضاع السياسية التي عصفت بالأندلس وأدت إلى تمزق وحدته السياسية، ومن ثم هجرة الكثير منهم إلى أماكن الاستقرار ومن بينها بلنسية، كل ذلك أسهم في تنشيط الحركة التجارية داخل الأسواق والقيسارية؛ فالتجار في تدفق لا يتوقف، ونشاط الفنادق في حركة مستمرة. حيث نزول الوافدين على بلنسية من النواحي القريبة والبعيدة، والشوارع والدروب والطرقات تموج بالمارة، فكان من الطبيعي أن تترك هذه الحركة التجارية أثارها على شوارع بلنسية، لذا كان من الواجب القيام بتنظيفها وإزالة ما يتراكم من مخلفات وأقذار، ولا سيما أن شوارع المدينة ترابية (3)؛ فكان ذلك من العوامل التي دفعت بالمحتسب في بلنسية إلى أن يصدر الأمر بضرورة نظافة وعناية وحماية الشوارع من الأقذار(4).

ولم يقتصر الأمر على حماية الشوارع من الأقذار بل كان من الضروري حمايتها والدفاع عنها في حال تعرض المدينة لأي هجوم (5)، فوجد ما يُعرف بنظام الدرابين الذين يلتزمون السهر

---

(1) عنان: **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال**، ط2، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1961م، ص95.
(2) سالم: **العمارة المدنية**، ص143.
(3) العذري: مصدر سابق، ص17؛ ياقوت: **معجم البلدان**، ج1 ص490-491؛
Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, P.65.
(4) ابن عبدون: مصدر سابق، ص37، 110-111.
(5) سالم: **التخطيط ومظاهر العمران**، ص59؛
Torres Balbás: **Ciudades Hispanomusulmanas**, pp.281-285.

أثناء الليل لحماية الدور من أعمال السرقة والسطو[1].

ولا بد من الإشارة إلى أسماء بعض الشوارع الرئيسية في بلنسية، من ذلك شارع كان يُعرف باسم الشريعة، ما زال يطلق عليه اليوم الاسم نفسه (Calle de Exarea)[2]، ومنها أسماء تُنسب إلى بيوتات مشهورة أو أفراد يتمتعون بمركز اجتماعي مرموق ومنها: شارع بني واجب، وكان يقع خارج أسوار المدينة في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ويطل على باب بيطالة، ويُطلق عليه اليوم اسم شارع بيثنتي (San Vicente)، ومنها شارع ابن جحاف، ولبني جحاف بيوت كثيرة بهذا الشارع، ولهذا سُمي باسمهم، واستمر حتى غزو خايمي الأول للمدينة عام 636هـ/1238م.

ومن أسماء الشوارع أيضاً ما يحمل اسم نوع الحرفة أو الصنعة التي تقوم فيها مثل شارع العطارين في بلنسية[3].

وفي بلنسية، وُجدت الدروب، وهي ما يُعرف بالأزقة والزنقات[4]، وهي عبارة عن طرقات ضيقة. واسم الزنقة ظل متداولاً في إسبانيا حتى نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، بينما احتفظ الزقاق باسمه مع بعض التحريف في إسبانيا، حيث يطلق عليه اسم (Asuoach)[5].

أما الرحبات فهي طرقات متسعة نسبياً وهي تتخلل الشبكة المعقدة الدروب الضيقة والأزقة والزنقات[6]. وقلما تتوافر في بلنسية رحبات فسيحة وأكثرها (الرحبات الفسيحة) يقع حول المسجد المسجد الجامع والمساجد الأخرى، وفي هذه الرحبات تقام الأسواق ولذلك كانوا يطلقون على الرحبة أحياناً اسم "سوق"[7]. وقد وُجد في بلنسية عدة رحبات ورد ذكرها في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، منها رحبة القاضي، وتقع بالقرب من مركز المدينة، وورد ذكرها أيضاً باسم (Rahbat Alcadi) وكان يقوم فيها مسجد تحول إلى كنيسة كما أشير إلى ذلك

---

(1) سالم: **العمارة المدنية**، ص143.

(2) Torres Balbás: **Ciudades Hispanomusulmanas**, pp.327-338.

(3) Torres Balbás: **Ciudades Hispanomusulmanas**, p.328; Menéndez Pidal: **La España del cid**, V.1, p.428.

(4) ذكر اسم إحدى الزنقات في بلنسية، فقد ورد أن أحد علماء المدينة كان يسكن بزنقة بها مسجد كان يصلي فيه خلف إمامها، راجع الغبريني: **عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق عادل نويهض، ط1، منشورات لجنة التأليف والنشر، بيروت، 1969م، ص288، ترجمة رقم89.

(5) Torrés Balbás: **Ciudades Hispanomusulmanas**, p.328.

(6) سالم: **التخطيط ومظاهر العمران**، ص59-60.

(7) Torres Balbás: **Ciudades Hispanomusulmana**s, p.295.

سابقاً. ومن الرحبات كذلك رحبة الشريعة (Rahbat Exarea)[1].

2-9- خطط أخرى:

لقد أتاحت ظروف الحياة المستقرة في بلنسية في عصر ملوك الطوائف، الفرصة لاجتذاب عدد من أهل الأندلس، خاصة من قرطبة التي اجتاحتها رياح الفتنة، فهاجر سكانها واستقروا في بلنسية وغيرها حيث يسود الأمن، وقد اشتغل معظم هؤلاء بالتجارة والصناعة فكثرت الأرزاق وازدادت الثروات، وأقبل الأغنياء من سكان بلنسية على ابتناء القصور واتخاذ آلات الترف والفخامة[2].

ومن أمثلة القصور التي أقامها أمراء بلنسية في عصر ملوك الطوائف، قصر المنصور عبد العزيز بن أبي عامر، شمالي بلنسية في الموضع المُسمى في المصادر الإسبانية باسم بيانوبيا(Villanueva)[3]، وكان المنصور قد شيده في منيته المسماة باسمه وعرفت بمنية المنصور، أو منية ابن عبد العزيز.

ومن القصور أيضاً، القصر الذي أسسه الوزير أبي بكر بن عبد العزيز، وقصر ابن طاهر المجاور له[4]، في المنية المسماة بمنية أبي بكر وتقع على مقربة من باب الحنش[5].

أما فيما يتعلق بدور بلنسية، فقد زودت المصادر العربية الباحث بمعلومات قليلة لكن لها أهميتها، ويمكن أن تصور ما كان عليه نظام الدار في بلنسية؛ من ذلك قول ابن بسام في وصف إحدى الدور التي كان يملكها شخص يسمى مؤمل القشتيلي (في نسخة أخرى موط القشتيلي) من أعوان الفتيين العامريين مبارك ومظفر "بلغني أنه دخل دار رجل من أصحابهما يعرف بمؤمل القشتيلي، ووقع البصر بها من سرورها واكتمال النعمة فيها على ما لم يشاهد مثله قط في قصر الإمارة بالحضرة العظمى قرطبة، وأخبر المحدث أنه رأى في فرش مجلسه مطارح من صلب الفنك[6] الرفيع مطرزة كما تدور بسقلاطوني بغداذي، وأنه كان يقابل ذلك المجلس شكلُ ناعورة مصنوعة من خالص اللُّجَين[7] من أغرب صنعة، يحركها ماء جدول يخترق الدار أبدع حركة،

---

(1) Torres Balbás: **Ciudades Hispanomusulmanas**, p.300.

(2) ابن بسام: مصدر سابق، م 3 ص8؛ سالم السيد عبد العزيز: **المساجد والقصور في الأندلس**، سلسلة إقرأ، عدد 19، دار المعارف، مصر، نوفمبر، 1958م، ص86-87.

(3) Torres Balbás: **Cuidades Hispanomusulmanas**, p150.

(4) ابن خاقان: **قلائد العقيان**، ص61؛ ابن عبد الملك: مصدر سابق، السفر الخامس ق2 ص592، ترجمة 1165.

(5) ابن خاقان**: قلائد العقيان**، ص64؛ المقري: **نفح الطيب**، ج2 ص200.

(6) الفنك: حيوان من فصيلة الثعلبيات، فراؤه من أجود الفراء، تقدمت ترجمته. ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص9.

(7) اللُّجين: الفضة: البستاني: مرجع سابق، ص 809.

إلى أشياء تطابق هذا السَّرْوَ من جودة الآلة والآنية"[1].

ففي هذا النص إشارة إلى أن دور بلنسية كانت على درجة عالية من الفخامة والأبهة في عصر تنافس فيه الأثرياء لإظهار ترفهم، فابتنوا الدور الفخمة التي تُضاهي قصور الأمراء في اتساعها وتعدد مرافقها وما تحويه من فاخر الأمتعة والرياش. ويشير ابن بسام إلى ذلك فيقول: "فمنهم من قدّرت نفقته على منزله ألف دينار وأقل منها وفوقها بسبب تناهيهم في سروها من نضار الخشب ورفيع العمد ونفيس المرمر مجلوباً من مظانّه"[2].

وتشير المصادر الغربية إلى بيوت عديدة أقامها بنو جحاف في حارة أو رحبة عُرفت باسمهم[3]، وكذلك نجد ذِكراً لدور بني واجب[4].

3- **ظاهرها**

ظاهر بلنسية[5] هو ما كان خارج سورها من خطط. وقد تنوعت هذه الخطط وأهمها:

3-1- الأرباض: مفردها رَبْض، وهو الضاحية الصغيرة المتصلة بعمارة المدينة، فإذا كانت كبيرة منقطعة عن عمارة البلد سميت بالحاضرة وإذا اتصل الربض بعمران المدينة يصبح مرادفاً للحي[6]. وكل ربض فيه من المساجد والأسواق ما يقوم بأهله ولا يحتاجون لغيره[7].

وأهم الأرباض الواقعة خارج سور بلنسية:

3-1-1- ربض الكدّية[8] (Alcudia):

الكدية: تعني الأرض المرتفعة أو الربوة العالية التي تشرف على ما حولها من أماكن، وهي كلمة عربية. وربض الكدية يقع شمال المدينة منحرفاً إلى الغرب قليلاً، على الضفة اليسرى من الوادي الأبيض، وقد سكنه العرب الذين لم يكونوا على علاقة جيدة بالقنبيطور بعد استيلائه على المدينة[9].

---

(1) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص 9.
(2) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص 9.
(3) سالم: **دائرة معارف الشعب**، مادة بلنسية، ص60؛ Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, 428.
(4) Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, p469.
(5) ابن الأبار: **التكملة**، ج2 ص130.
(6) مؤنس: **فجر الأندلس**، ص589.
(7) مجهول: **وصف جديد لقرطبة الإسلامية** ، تحقيق حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، م13، 1965-1966م، ص168.
(8) ذكر صاحب لسان العرب أن الكدية هي الأرض المرتفعة، وقيل هو شيء صلب من الحجارة والطين. والكدية، الأرض الصلبة. **ابن منظور:** مصدر سابق،م15 ص 216.
(9) عن الكدية : راجع ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود مكي ، ص 442، حاشية رقم 73؛ Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, P.428.

3-1-2- ربض منية ابن عبد العزيز المعروف بربض بيانوبيا (Villanueva):

يقع هذا الربض شمال مدينة بلنسية على الضفة اليسرى من النهر وإلى الشرق من ربض الكدية، واشتهر بمنية نسبت إليه وهي منية ابن عبد العزيز أو منية المنصور، وتشتمل على قصر نزل فيه السيد القنبيطور قبيل دخوله بلنسية[1].

3-1-3- ربض الرصافة (La Rusafa).

يقع جنوب شرق بلنسية، وسُمي بهذا الاسم تقليداً لرصافة قرطبة، وقد سكنه المستعربون، خاصة في القرن الخامس البحري/ الحادي عشر الميلادي، وكان قد نزل به البرهانس وجنده عام 480هـ/ 1087م، وكانت تقوم به، كنيسة القديس باليريو (San valerio)[2].

3-1-4- ربض المصلى (الشريعة) (Exarea):

وينسب إلى الباب الشرقي للمدينة المعروف بباب الشريعة نسبة إلى مصلى للأعياد، كان قائماً خارج هذا الباب، وبعد أن امتد العمران إلى هذا الموضع (المصلى)، اكتظ بالسكان وتحول إلى ربض سمي بهذا الاسم[3].

3-1-5- ربض ريوسا (Rayosa).

يقع جنوبي المدينة في مواجهة ربض الرصافة، وهو ربض أقام فيه المستعربون، وكانت تقوم به كنيسة القديس بيثنتي (San Vicente)[4].

وجديرالقول: إن أسماء أرباض بلنسية، لم يرد ذكرها في المصادر العربية، وقد أشارت إليها المصادر الأجنبية فحسب.

وجدير بالملاحظة أيضاً أن أرباض مملكة بلنسية لم تكن مسورة، لذلك سهل مهاجمتها كما تعرضت لأعمال السلب والنهب والتخريب، وقد تمكن القنبيطور من الاستيلاء على أرباض الجهة الشمالية بسهولة لكونها غير مسورة[5].

3-2- المساجد:

يبدو أن لكل ربض من الأرباض مسجداً على أقل تقدير. وفي هذا المجال يمكن الإشارة إلى مسجد:

---

(1) سالم: **دائرة معارف الشعب**، مادة بلنسية، ص60؛ Torrés Balbás: **Ciudades Hispanomusulmanas**, pp.174, 223.

(2) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص86؛ Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, p.428.

(3) سالم: **دائرة معارف الشعب**، مادة بلنسية، ص60؛ Torrés Balbás: **Ciudades Hispanomusulmanas**, pp.174,223.

(4) ورد اسم هذا الربض باسم (Rayosa). Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, p.428.

(5) Torrés Balbás: **Ciudades Hispanomusulmanas**, p.181.

ـــ المصلى في ظاهر بلنسية[1].

3-3- القنطرة والجسر والرملة.

ذكر ابن بسام في الذخيرة أن قنطرة بلنسية التي تطل على الوادي الأبيض والتي كان يعبر عليها في عهد مبارك ومظفر من قصر الإمارة إلى خارج البلدة على الضفة اليسرى من الوادي كانت من الخشب[2]. وهذه القنطرة هي التي أشار إليها العذري، في قوله أن باب الوراق إلى الشرق من باب القنطرة يفضي منه إلى الربض القائم هناك (في الشمال الشرقي) عن طريق قنطرة خشب يعبر عليها الوادي[3] والربض المشار إليه في نص العذري هو ربض منية ابن عبد العزيز.

أما القنطرة الأخرى التي ذكر العذري أن المنصور عبد العزيز بن أبي عامر قد صنعها وأنه ليس في الأندلس اتقن منها، وتؤدي إلى طليطلة وسرقسطة وطرطوشة؛ فكانت تقع شمال غرب بلنسية[4]، ويبدو أنها الجسر الذي ذكره ابن سعيد، حيث أشار إلى أن بلنسية فاقت به غيرها من القواعد الأندلسية واشتهرت به، وعُرفت بجسر معان[5].

أما الرملة فهي أرض فضاء كانت تمتد بين السور الشمالي لبلنسية وضفة الوادي (النهر الأبيض)، وقد ذكر الحميري أسماء بعض المواضع في بلنسية من بينها الجسر، والرصافة وهما معلمان متلازمان، ثم الحُلَّة والسَّهْلَةْ والجَرْف والرَّمْلَةْ والكنيسة [6]، ويُضاف إلى هذه المواقع مَعْلَمٌ يُقال له البحيرة[7].

هذا وقد استمرت تسمية الرملة في بلنسية بعد سقوطها عام 636هـ/1238م، وظل اسم الرملة شائعاً حتى اليوم فأصبح يطلق عليها اسم (La Rambla).

وكان يقوم على جسر بلنسية برج، وقد تعرض هذا البرج (برج قنطرة بلنسية) للتدمير على أثر سيل عنيف حدث عام 481هـ/1088م[8].

3-4- المنيات والمنتزهات:

---

(1) ابن الأبار: **التكملة**، ج2 ص130.
(2) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص11؛ ابن الخطيب: **الإحاطة** ، ج3 ص221.
(3) العذري: مصدر سابق، ص18.
(4) المصدر السابق، ص18.
(5) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج 2 ص298.
(6) الحميري: مصدر سابق، ص 49؛ **Teres (Elias):** textos poéticos arabes sobre Valencia,al-Andalus,V. 30, pp. 296-298.
(7) ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2 ص299.
(8) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص99.

لبلنسية منازه عدة، "فحيث خرجت من جهاتها لقيت منازه ومسارح ومن أبدعها وأشهرها "الرصافة"و "منية ابن عبد العزيز"و "منية الوزير أبي"بكر

3-4-1- الرصافة:

عُرف عن خلفاء بني أمية في المشرق تعلقهم بحياة البادية، وميلهم إلى انتجاع قصورهم الخلوية التي أقاموها خارج الحاضرة بعيداً عن صخب الحياة الهادئة وعن عيون الرقباء من رجال الخاصة والفقهاء وغيرهم ولتذوق الحياة الهادئة، وقد حذا حذو هؤلاء الأمير عبد الرحمن ابن معاوية مؤسس دولة بني أمية في الأندلس، فأقام فيه الرصافة، شمال غرب قرطبة وغرس فيها الأشجار والنخيل، وتعتبر رصافة قرطبة أول منية أو استراحة أميرية بالأندلس[(1)].

وقد أنشأ الأمير عبد الله المعروف بالبلنسي، ابن الأمير عبد الرحمن الداخل منية، أو رصافة عُرفت برصافة بلنسية وهي تقع جنوب شرق بلنسية، وما زال موضعها يحمل الاسم نفسه (La Rusafa) ويعتبر من أقدم خطط المدينة كما يذكر أهلها[(2)].

واستناداً إلى المصادر الأجنبية، فإن مؤسس هذه الرصافة هو الأمير عبد الله البلنسي، وذلك لأنه لا يوجد من أمراء بني أمية من أقام في بلنسية سواه[(3)].

أما فيما يتعلق بالمصادر العربية، فإنه لم يعثر على معلومات تشير إلى الظروف التي أحاطت بإنشاء رصافة بلنسية.

أما اسمها فقد ذكر كثيراً بالمصادر العربية، وأصبحت هذه الرصافة من أبدع منازهها[(4)].

وامتد إليها العمران بحيث أصبحت ربضاً من أرباض بلنسية تتخلله الروضات اليانعة وتلفه البساتين ويتوسطها قصراً كان يقيم فيه الأمير عبد الله، غير أن هذا القصر لم يلبث أن أصبح مهجوراً بعد وفاة الأمير عبد الله، إلا أن البساتين ظلت تحتفظ بحسنها وجمالها وكثيراً ما تغنى بها شعراء بلنسية في أشعارهم، كقول ابن الأبار في وصف بستان الرصافة: (مجزوء الوافر)

أبستانُ الرصـــافـــةِ لا	هَوِيتُ سِوَاكَ بُسْتَانَا
تَخَـــالُ الدّوْحَ مُجْتمعاً	بِهِ شِيباً وشُبَّانا

---

(1) حول رصافة قرطبة راجع: ياقوت: **معجم البلدان،** ج3 ص55؛ المقري: **نفح الطيب،** ج2 ص13-14؛ سالم: **قرطبة حاضرة الخلافة،** ج1 ص49-52؛ العبادي: **في تاريخ المغرب والأندلس،** ص113.

(2)عنان: **الآثار الأندلسية الباقية،** ص93-94.

(3) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, p.125.

(4) ابن سعيد: **رايات المبرزين وغايات المميزين،** تحقيق غرسية غومس ، مدريد، 1942م،ص84؛ **المغرب في حلى المغرب،** ج2 ص298؛ الحميري: مصدر سابق، ص49-52؛ المقري:**نفح الطيب،** ج1ص177.

وَقَد لَبِسَــتْ مَفــارِقُهُ		من الأَنْــداءِ تِيْــجَانَا

تَجُــولُ بـــه جَــدَاوِلُهُ		وَتَغْــشَى النَّهْرَ أَزْمَانَا

فَتَحْــسَبُهَا إذا انسَابَتْ		أَرَاقِــمَ زُرْنَ ثُعْــبَانَا (1)

كما تغنى بها الشعراء فقد رثاها بعض كتابها خاصة بعد سقوطها عام 636هـ/1238م، ومن ذلك قول ابن الأبار البلنسي:

"أَيْنَ بَلَنْسِية وَمَغانِيَها وَأَغَارِيدُ وُرْقِهَا[2] وَأَغَانِيْهَا، أَيْنَ حُلَى رُصَافَتِها وجِسْرِها"[3].

وجدير بالذكر أن رصافة بلنسية شهدت نشاطاً علمياً وأدبياً. فأبو الحسن علي بن محمد بن هذيل 471هـ-564هـ/1078-1168م[4]،أبرز المقرئين وإمام المجوّدين "كان متى توجه إلى ضيعته (لمليلة) من جزء الرصافة بغربي بلنسية صحبه طلبة العلم إليها للقراءة عليه والسماع منه، فيحمل ذلك منهم طلق الوجه منشرح الصدر جميل الصبر"[5].

ومن الأهمية بمكان القول: إن رصافة بلنسية أُتخذت في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ربضاً ينزله المعاهدة أو المستعربون (Los Mozárabes)، أقيمت به كنيسة تعرف بسان باليريو (San Valerio) وفيه عسكر القائد القشتالي البرهانس (Alvar Hanez) عندما أقدم مع القادر ليساعده في الاستيلاء على بلنسية. ولم يبق من ربض الرصافة اليوم سوى البقعة التي كانت تقوم عليها والاسم الذي تحمله[6].

3-4-2- منية ابن أبي عامر:

وهذه تُعرف باسم منية المنصور بن أبي عامر، وكانت من أجمل أعمال المنصور عبد العزيز العمرانية، أنشأها شمال المدينة، بربض ابن عبد العزيز (المعروف في المصادر الغربية باسم ربض بيانوبيا (Villanueva)، واتخذها مقراً لراحته ونزهته ولهوه، واحتفل بافتتاحها احتفالاً مشهوداً حضره كبار رجال الدولة والأدباء والشعراء وذلك بعد الانتهاء من إنشائها[7].

---

(1) ابن الأبار: **ديوان ابن الأبار**، تحقيق عبد السلام الهَراس، الدار التونسية للنشر، فاس، المغرب، 1969م، ص319.

(2) الوُرْقُ: جمع وَرْقاء وهي الحمامة. راجع ابن منظور: مصدر سابق، م10 ص 376.

(3) الحميري: مصدر سابق، ص52؛ المقري: **نفح الطيب**، ج6 ص254.

(4) الضبي: مصدر سابق، ص385، ترجمة رقم 1203.

(5) ابن عبد الملك: مصدر سابق، السفر الخامس، ق1 ، ج5 ص370.

(6) Menéndez Pidal: **La España del cid**, V.1, p.428.

(7) ابن سعيد:**المغرب في حلى المغرب**ج2 ص298؛ القلقشندي: مصدر سابق، ج5 ص223؛ المقري:**نفح الطيب** ج2 ص189-190؛ Torres Balbás: **Ciudades Hispanomusulmana**s, p.150.

والمنية هذه كانت تشتمل على بساتين وجنات ورياض، وتجري خلالها الجداول والسواقي المطرزة بالأشجار والأزهار والورود. ووسط هذه المنية قصر خلويّ اتخذه المنصور مقراً، وسرعان ما امتد العمران إليها وأصبحت ربضاً، ولكن لم يبقَ من آثاره سوى أشعار نظمت في حسنه[1]، ونصوص صيغت في وصفه، من ذلك وصف ابن خاقان لإحدى مجالس قصر هذه المنية، حين زار في صبيحة أحد الأيام منية المنصور بن أبي عامر في بلنسية، فوصفها بأنها في منتهى الجمال وبها مجلس محفوف بالغروس ويخترقه جدول تناسب فيه المياه[2]. وقد قال الشاعر البلنسي أحمد بن أحمد (أبو جعفر): (المنسرح)

قُمْ فاسقـــني والريـــاضُ لابسةٌ   وَشْـــياً من النَّوْرِ حاكَهُ القَـــطْرُ

في مجلـــسٍ كالـــسَّماءِ لاحَ بهِ   من وجْـــهِ مَـــنْ قدْ هَوِيْتُهُ بَدْرُ

والشمسُ قد عُصْفِرَتْ غَلائِلُها   والأرض تَنْـــدَى ثيابُها الخُضْرُ

والنهرُ مثل المَجَـــرِّ حَفَّ بِهِ   مِنَ النَّدامـــى كـــواكبٌ زُهْرُ [3]

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المنية أصبحت فيما بعد مقراً للسيد القنبيطور، وفيها أقيم زواج أميرين من مملكة أراغون ونبرة بابنتي السيد [4]، ومن ثم غابت معالم هذه المنية بعد أن دخلتها جيوش المرابطين، ويبدو أنها تخربت على أيدي قوات القنبيطور قبل انسحابهم من بلنسية، ولم يعد لهذه المنية ذكر في عصري المرابطين والموحدين[5].

3-4-3- منية الوزير أبي بكر:

تُنسب إلى الوزير أبي بكر بن عبد العزيز، أمير بلنسية 456-478هـ/1063-1085م، ومن خلال وصف ابن خاقان، نستنتج أن هذه المنية كانت تقع خارج باب الحنش [6]، وكانت تطل على الوادي الأبيض (النهر الأبيض)، وفي وصفها يقول الفتح بن خاقان: "وهي من أبدع منازل الدنيا، وقد مدّت عليها أدواحها الأفيا، وأهدت إليها أزهارُها العَرْفَ والرَّيَّا، والنهر قد غص بمائه، والروض قد خصّ بمثل أنجم سمائه"[7].

---

(1) Torres Balbás: **Ciudades Hispanomusulmana**s, p.150.
(2) ابن خاقان: **قلائد العقيان**، ص68-69؛ المقري: **نفح الطيب**، ج2 ص188-189.
(3) ابن خاقان: **قلائد العقيان**، ص69؛ المقري: **نفح الطيب**، ج2 ص189.
(4) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, pp.171-172.
(5) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia** T.1, p.172.
(6) ابن خاقان: **قلائد العقيان**، ص64؛ المقري: **نفح الطيب**، ج5 ص201.
(7) ابن خاقان: **مطمح الأنفس**، ص202.

وعلى حد تعبير ابن خاقان، فإن روضة الوزير أبي بكر من أبدع منتزهات بلنسية، فقد كانت ملتقى المحبين، وفيها كانت تعقد مجالس الأنس والطرب والشعر والأدب، يختلط فيها تغريد الطيور والبلابل ونواح النواعير والسواقي بآلات الطرب والغناء في إطار طبيعي، حيث المياه التي تنساب من الجداول وتجري بين رياض نضرة تحف بها أدواح مخضرة وتطرز ضفافيها أزهار وورود(1).

3-4-4- ولجة بلنسية:

الولجة في اللغة هي الوادي المتسع أو الرحبة التي تستعمل للنزهة (2)، وقد تردد هذا اللفظ عدة مرات من قبل ابن الأبار، منها قوله: "واحتفر للقاضي (ابن جحاف) حفرة وذلك بولجة بلنسية"(3).

وفي ذلك دلالة على أن كلمة ولجة كانت جارية في استعمال الأندلسيين، وقد وُجدت ولجات أخرى قرب بعض المدن مثل مرسية.

وقد استخدم ابن الأبار اسم الولجة استخداماً آخر، فذكر أن ضفاف الساقية التي تمر على الولجة. كان بجانبها رحى لأبي جعفر الوقشي وقد هدمها جند ابن مرذنيش (4)، وكان هؤلاء الجند قد قدموا من الجنوب، أساس اتجاههم إلى ذلك المكان السهل المنبسط الواقع ما بين باب بيطالة والرصافة، وهي منطقة تكونت نتيجة جفاف رافد أحد الأنهر(5).

---

(1) ابن خاقان: **قلائد العقيان**، ص64؛ المقري: **نفح الطيب**، ج5 ص201، وقد أشار ابن خاقان إلى أنه التقى مع الوزير الأديب ابن طاهر -(محمد بن أحمد بن إسحاق بن طاهر يعرف بذي الوزارتين الأجل الكاتب الماهر صاحب المظالم، يكنى أبا عبد الرحمن)، تقدمت ترجمته. راجع ابن خاقان: **قلائد العقيان**، ص56 وما بعدها؛ ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص13 وما بعدها؛ المقري: **نفح الطيب**، ج9، ص257- بتلك المنية، وكان معهما أيضاً الشاعر الجزيري (هوأبوطالب عبد الجبار، يعرف بالجزيري نسبة إلى جزيرة شقر). ابن بسام: مصدر سابق، م1 ص573؛ ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج2 ص371؛ المقري: **نفح الطيب**، ج2 ص201- الذي أنشد: (الرمل)

معشرَ النـاس ببـاب الحنش بَـدْرُتِمّ طـالعٌ فـي غبَشِ

عَلِـقَ القُـرْط عـلى مَسْمَعِهِ مـن عـليه آفـةُ العيـنِ خـشِ

ابن خاقان: **قلائد العقيان**، ص64؛ المقري: **نفح الطيب**، ج2 ص201.

(2) ياقوت: **معجم البلدان** ، ج5 ص441؛ أرسلان: مرجع سابق، ج3 ص85، حاشية رقم 1. أما البكري: فيذكر أن الولج هو مكان يُسمى بهذا الاسم. والولجة من الأرض مكان يدخل في غيره مأخوذ من الولوج. البكري: **معجم ما استعجم**، ج1، طبعة ويستنفلد، ليدن، د.ت، ص73.

(3) ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2 ص126، ترجمة رقم 130.

(4) ابن مرذنيش: هو محمد بن سعد بن محمد بن سعد الجذامي بن مرذنيش وجده هو الذي عرف بذلك، يكنى أبو عبد الله. وهو أحد كبار الثوار في شرق الأندلس ما بين فترة نهاية حكم المرابطين وبداية حكم الموحدين في الأندلس. ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2 ص232، ترجمة رقم 146.

(5) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia**, T.1, p.42.

كذلك ذكر ابن الأبار أن والي بلنسية عبد الله [(1)] أرسل أسرته إلى شاطبة عام 538هـ/1143م، وأنهم خرجوا من باب بيطالة، بينما انتظر هو خارج المدينة بالولجة [(2)]. ويذكر كذلك أن أمير بلنسية[(3)] التقى بالولجة مع (خايمي الأول) الذي كان يعسكر بقواته في الرصافة قُبيل استيلائه على بلنسية. فكل ذلك يقود إلى الاستنتاج: أن الولجة منطقة سهلية فسيحة كانت تمتد ما بين باب بيطالة والرصافة[(4)]، وتُسمى اليوم رحبة السوق (Plaza del Mercado) وتعتبر من أوسع رحبات المدينة، وكانت تُقام فيها الاحتفالات، وتنصب فيها جثث الجناة، وفيها أحرق القاضي ابن جحاف حياً كما ذكر سابقاً[(5)].

3-5- المقابر:

كانت المقابر الإسلامية تقع عادة خارج الأسوار على مقربة من الطرق الرئيسية المؤدية إلى المدن المجاورة، ولكن هناك حالات استثنائية لدفن الموتى داخل أسوار المدينة ومنها إذا ما تعرضت المدينة لحصار طويل أو قيام ثورة بها [(6)]، مثال ذلك أنه عندما حاصر القنبيطور بلنسية اضطر الأهالي إلى دفن موتاهم في مقبرة داخل بلنسية. وهناك حالات أخرى تدعو إلى دفن الموتى داخل السور كما يحدث عادة عند دفن أحد الشيوخ البارزين أو في حالات خاصة مثل حادثة إحراق القاضي ابن جحاف، وتُشير المعطيات الأجنبية إلى موضع داخل بلنسية يُعرف بمقبرة ابن جحاف، ويبدو من خلال هذا الاسم أن ذلك كان ضريحاً دُفن فيه ابن جحاف الذي أحرقه القنبيطور عام 488هـ/1095م[(7)].

ومن أهم مقابر في مملكة بلنسية:

3 5 1 - مقبرة باب بيطالة: وتقع خارج باب بيطالة وبالقرب من الرصافة [(8)]، ومن بين الشخصيات التي دُفن فيها، الفقيه خلف بن يوسف الأنصاري ت 519هـ/1125م[(9)].

---

(1) هو عبد الله بن محمد بن علي بن يوسف المسوفي بن غانية، يُكنى أبا محمد، تولى أمر بلنسية أيام المرابطين. ابن الأبار: **الحلة السيراء،** ج2 ص219.

(2)ابن الأبار: **الحلة السيراء،** ج2 ص 219، ترجمة رقم 145.

(3) هو زيان بن مدافع بن يوسف بن سعد بن مرذنيش الجذامي، يُكنى أبا جميل، كان يتولى إمارة بلنسية قبيل سقوطها النهائي عام 636هـ/1238م ،في يد ملك أراغون خايمي الأول. المقري: **نفح الطيب،** ج1ص290.

(4) Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia,** T.1, p.42.

(5) أرسلان: مرجع سابق، ج3 ص213.

(6) سالم: **تاريخ مدينة ألمرية،** ص129.

(7) Torres Balbás: **Ciudades Hispanomusulmanas**, p.238.

(8) Torres Balbás: **Ciudades Hispanomusulmanas**, p.238.

(9) هو خلف بن محمد بن سعيد بن إسماعيل بن يوسف الأنصاري، من أهل سرقسطة، وكان من أهل الفقه والحديث، استوطن بلنسية عام 517هـ/1123م، ودرس بها وأفتى، عُرف عنه حسن الخلق. ابن الأبار: **التكملة،** ج 1 ص245-246، ترجمة رقم 841.

3 5 2 – مقبرة باب الحنش: وتقع خارج باب الحنش، وتُنسب إليه [1]. وقد دُفِن بها عدد كبير من أهل بلنسية وأعيانها وشيوخها، وعلمائها.

3 5 3 – مقبرة الجنان: ويبدو أنها كانت خارج نطاق السور [2].

3 5 4 – مقبرة المصلى: وتقع خارج السور الشرقي للمدينة قرب باب الشريعة (المصلى)[3].

ويضيف توريس بالباس اسم مقبرة تسمى الخيام. يُقال: إن الخيام امتدت إلى موضعها [4]، وقد ذكر ابن الأبار أن أحد فقهاء بلنسية ويدعى عبد الله بن أحمد المكتب دُفن خارج باب بيطالة وبمقربة من الخيام[5].

ويُشير بالباس أيضاً إلى أنه لم يصل أي شاهد قبر، نستدل منه على تحديد مواقع المقابر، لأن معظمها اندثر في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي. والسبب هو التوسع العمراني لبلنسية، فتحولت المقابر إلى أحياء سكنية جديدة دخلت في نطاق السور الذي أقامه الملك بدرو الرابع (Pedro IV) منتصف القرن الثاني الهجري/الرابع عشر الميلادي[6].

أما ليفي بروفنسال، فيذكر بأنه كان قد عثر على بقايا قبور بلنسية، ومن ذلك شاهد قبر يحمل نقشاً مكتوباً، ولكن محيت حروفه بفعل عوامل الزمن وظلت بعض كلمات منها "... رحمه الله توفي في يوم الثلاثة شهر شوال سنة واحد وأربع ميئة ورحمة الله". ويذكر أيضاً بأنه عثر على بقايا قبر آخر نقش عليه "بسم الله الرحمن حيم هاذا قبر... ابن– توفي يوم– في شهر– الذي من سنة أربعة وعشرين وأربع مائة رحمه الله"[7].

وخلاصة القول: إن مملكة بلنسية، وعلى غرار المدن العربية، محاطة بسور، اتخذت عليه الأبراج، كبرج القنطرة، والأبواب، كباب بيطالة، وباب ابن صخر، وباب الخنش، وباب القنطرة، وباب الوراق، وباب القيسارية، ويتوسطها المسجد الجامع، وعلى مقربة منه دار الإمارة، وتنتشر فيها القيسارية، والأسواق والفنادق، كما ضمت الأحياء والأرباض، كحي القاضي ابن جحاف (Avingahaf) وحي اليهود (La Judería)، وحي الشريعة وحومة باب الحنش، وكانت تقوم بها

---

(1) ابن الأبار: **التكملة**، ج 2 ص297؛ Torrés Balbás: **Ciudades Hispanomusulmanas**, p.266.

(2) ابن الأبار: **التكملة**، ج1 ص90.

(3) Torres Balbás: **Ciudades Hispanomusulmana**s, p.267.

(4) Torres Balbás: **Ciudades Hispanomusulmanas**, p.239.

(5) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن سالم المكتب كان من أهل الصلاح والزهد والاجتهاد في العبادة توفي عام 601هـ/1204م. ابن الأبار: **التكملة**، ج2 ص284 ترجمة رقم 819.

(6) Torrés Balbás: **Ciudades Hispanomusulmanas**, pp.241-242.

(7) Lévi provençal: **Inscriptions arabes d'Espagne**, paris, 1931,V.1, p.90.

المساجد الثانوية، كالمسجد البلنسي، ومسجد بني حزب الله، ومسجد رحبة القاضي، ومسجد باب القنطرة، ومسجد الغرفة، ومسجد بني واجب، ومسجد الغلبة، ومسجد ابن عيشون، ومسجد الشراجب، ومسجد السيدة، ومسجد حميد. كما انتشرت فيها الحمامات والتي لم يبقَ منها سوى آثار حمام الميرانتي (Almirante)، قرب الكنيسة الكاتدرائية. إضافة إلى الشوارع والرحبات، والتي ما يزال بعضها حتى اليوم يحتفظ باسمه العربي، كشارع الشريعة (calle de Exarea)، **وشارع بيثنتي (San Vicente)**، وفيها وُجدت الأزقة، وهذه أيضاً ما تزال تحتفظ باسمها العربي، ولكن مع بعض التحريف، حيث يطلق عليها اسم (Asuoach)، ومن الرحبات أيضاً، رحبة القاضي (Rahbat AL cadi)، ورحبة الشريعة (Rahbat Exarea).

كما أقيمت فيها القصور، وهذه لم تكن حكراً على ملوك المملكة، فإذا بالوزراء وغيرهم يقومون ببناء القصور، كقصر الوزير أبي بكر بن عبد العزيز، الذي أقيم في منية ابن عبد العزيز، وقصر ابن طاهر. أما الدور فكانت على قدر كبير من الفخامة والأبهة. وخارج المملكة أقيمت الأرباض، كربض الكدية (Alcudia)، وربض منية ابن عبد العزيز (Villanueva)، وربض الرصافة (La Russafa)، وربض الشريعة (Exarea)، وربض ريوسا (Rayosa). ومن معالمها أيضاً قنطرة من الخشب، وهذه يعبر عليها إلى خارج البلد إلى ربض منية ابن عبد العزيز، وفيها جسر، عرف بجسر معان، ومن معالمها أيضاً الرملة (La Rambla)، وهي أرض فضاء ما بين سور بلنسية الشمالي وضفة الوادي (النهر الأبيض)، وما زال هذا الاسم حتى اليوم متداولاً في إسبانيا.

ولبلنسية منازه، أشهرها: منية الرصافة، ومنية ابن عبد العزيز، ومنية الوزير أبي بكر . ومن معالمها كذلك ولجة بلنسية، وهذه كانت تمتد ما بين باب بيطالة والرصافة، وتُسمى اليوم رحبة السوق (Plaza del Mercado). أما مقابرها فكانت خارج السور، ولكن كان هناك حالات استثنائية لدفن الموتى داخل السور، ومن ذلك، عملية الحصار الذي كان يُفرض على المملكة، كحصار السيد القنبيطور لها. وكذلك في حال دفن أحد الشيوخ البارزين. أما أهم المقابر فهي: مقبرة باب بيطالة، ومقبرة باب الحنش، ومقبرة الجنان، ومقبرة المصلى.

الفصل السابع

علاقات مملكة بلنسية الخارجية

مع ملوك الطوائف، ودول المغرب، والمشرق والممالك الإسبانية

الفصل السابع

علاقة مملكة بلنسية الخارجية

مع ملوك الطوائف ، ودول المغرب ، والمشرق والممالك الإسبانية

في هذا الفصل محاولة لدرس بعض وجوه العلاقات الخارجية لمملكة بلنسية مع غيرها من الممالك.

شهدت مملكة بلنسية التي قامت في شرق الأندلس، بعد نشوب الفتنة القرطبة، وزوال الخلافة الأموية خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، (كما ذكر سابقاً)، قيام علاقات سياسية و تجارية خارجية مع الممالك الأندلسية المجاورة، مع المغرب ، ومع المشرق العربي ،وكذلك مع الممالك الإسبانية والدول الأوروبية ، إضافة إلى العلاقات الثقافية المتبادلة ما بين المملكة وغيرها من المدن، وفيما يلي عرض لتلك العلاقات السياسية والتجارية، والثقافية.

1- العلاقات السياسية:

1-1- العلاقات الخارجية لمملكة بلنسية في عهد مبارك ومظفر:

أشير سابقاً إلى أن مملكة بلنسية، سادها جوٌّ من الاستقرار والأمان، في عهد حاكميها مبارك ومظفر، مقارنة بأهالي موسطة الأندلس. ومع ذلك فقد سجلت مملكة بلنسية مشاركة على الصعيد الخارجي في ذلك العهد، حيث شارك مبارك ومظفر مع بقية الفتيان العامريين بشرق الأندلس في اختيار المرتضى[1]، خليفة لقرطبة عام 407هـ/1016م، إلا أنهما لم يشتركا في الجيش الذي صحب المرتضى لدخول قرطبة عام 409هـ/1018م[2].

إضافة إلى ذلك، فقد دونت الأحداث لمبارك قيامه بأعمال عسكرية، وأهم هذه الأعمال : حربه ضد منذر بن يحيى التجيبي[3]، صاحب سرقسطة، الذي طمع في انتزاع طرطوشة من يد صاحبها الفتى لبيب الصقلبي، فهاجمها وأرغم لبيباً الصقلبي على الخروج منها والتماس النصرة من مبارك صاحب بلنسية. فما كان من الأخير إلا أن لبى طلبه وخرج معه على رأس خمسمائة

---

(1)هو أحد أحفاد بني أمية، ويدعى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، وكان قد لجأ إلى شرق الأندلس أثناء الفتنة القرطبية. ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب** ، ج2 ص 247، ترجمة رقم 512؛ المقري: **نفح الطيب**،ج2 ص 29-30.

(2) ابن بسام: مصدر سابق،م1 ص 285؛ ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج3 ص 220.

(3) ذكر ابن حيان أن منذر بن يحيى التجيبي قد ترقى إلى القيادة آخر دولة بني عامر، وازداد نفوذه إبان الفتنة القرطبية حتى وصل إلى مرتبة الإمارة، واستقل بالثغر الأعلى وأصبح ملكاً عليه. ابن بسام: مصدر سابق،م 1 ص 112.

فارس من خيرة عسكره لمحاربة منذر بن يحيى التجيبي، ولما التقى الفريقان، دارت بينهما معركة عنيفة انتهت بهزيمة صاحب سرقسطة، وقتل في المعركة ابن عم له يدعى محارب بن عيسى التجيبي. وقد عاد مبارك بعد هذا الانتصار إلى بلنسية ظافراً، فاستفحل أمره وازداد نفوذه ودانت له جماعة الموالي(1).

1-2- العلاقات الخارجية لمملكة بلنسية في عهد لبيب الصقلبي:

تذكر بعض المصادر أن لبيباً الصقلبي صاحب طرطوشة، تولى أمر بلنسية بعد مبارك ومظفر، بدعوة من البلنسيين أنفسهم، فحكمها بمشاركة مجاهد. أما لبيب، فقد كان على علاقة مع ريموند صاحب برشلونة، يسودها التودد وقد بالغ لبيب في ذلك التودد إليه حتى أصبح كبعض عماله، الأمر الذي أثار غضب أهل طرطوشة عليه؛ فكان ذلك سبباً لعزله وتنصيب منذراً التجيبي لحكمهم، في حين خضعت بلنسية لحكم مجاهد العامري. وبذلك يمكن القول: إن مملكة بلنسية كانت على علاقة مميزة مع الممالك الإسبانية المجاورة خلال عهد لبيب الصقلبي(2).

1-3- العلاقات الخارجية لمملكة بلنسية في عهد مجاهد العامري:

بعد أن تولى مجاهد حكم دانية وبلنسية معاً، طمع في توسيع مملكته، فكان طموحه يتمثل بضم طرطوشة إلى مملكته، والأخيرة (طرطوشة) كما ذكرسابقاً ، كان قد ضمها منذر التجيبي صاحب سرقسطة. ولكن طموح مجاهد قد دفعه إلى المغامرة العسكرية والدخول في حرب ضد منذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة. خشي البلنسيون الذين اعتادوا العيش بهدوء واستقرار، عواقب هذه الحرب، وهذا الأمر دفعهم إلى عقد البيعة لحفيد مولاهم عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن المنصور، وتعيينه أميراً لبلنسية عام 411هـ/ 1020م؛ فعندئذٍ انسحب مجاهد إلى دانية، وعاد المنذر إلى سرقسطة(3)، وخضعت مملكة بلنسية لحكم عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور ابن أبي عامر. وبذلك يكون البلنسيون قد جنبوا مملكتهم الدخول في حرب مع منذر التجيبي، ونشوب علاقات عدائية بين مملكة بلنسية وسرقسطة.

1-4- العلاقات الخارجية لمملكة بلنسية في عهد المنصور عبد العزيز:

لقد اتسم عهد المنصور عبد العزيز بالاستقرار -عامةً- أثناء توليه حكم مملكة بلنسية،

---

(1) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام،** ص 226.

(2) ابن بسام: مصدر سابق،م 3 ص11؛ ابن عذاري: مصدرسابق،ج3 ص 164. تجدر الإشارة إلى أن ابن بسام ذكر أن أهالي بلنسية استدعوا ابن هود بدلاً من منذر التجيبي، وأنه اختلط عليه الأمر، إذ أن سرقسطة آنذاك كانت تحت حكم منذر التجيبي 408-414هـ/1017-1023م، وليس ابن هود كما يذكر ابن بسام وكذلك ابن عذاري الذي نقل عنه.

(3) ابن عذاري: مصدر سابق،ج3 ص 163- 164.

وكانت علاقاته الخارجية مع جيرانه ودية للغاية، فقام بنشاط دبلوماسي واسع النطاق، لذا نراه وقد وطد علاقته بالقاسم بن حمود[1] في بداية عهده، ويُذكر أنّ المنصور أرسل كتاباً لابن حمود مع هدية حسنة قبلها القاسم بقرطبة وولاه على ما بيده وسماه المؤتمن " ذا السابقتين" مما عمل على توطيد سلطانه في بلنسية[2].

ويشير ابن عذاري إلى أن القاضي ابن عباد[3] ، صاحب إشبيلية، لما استقدم شبيه هشام وزعم أنه هشام وبايعه بالخلافة أواخر عام 426هـ/1035م، بادر كثير من ملوك الطوائف إلى مبايعته والاعتراف بخلافته، وكان في مقدمتهم أمير بلنسية المنصور عبد العزيز، ويبدو أن سبب إقدام الأخير على ذلك، كان الهدف منه إيجاد سند شرعي يرتكز عليه في حكمه[4].

هذا وقد ارتبط المنصور عبد العزيز بعلاقات ودية مع جيرانه ملوك إسبانيا وساد بينهم جو من التفاهم باعتباره حفيداً لأميرة نافارية[5]، فحظي بمساعدتهم، وزودوه بقوة من الجند لمواجهة أطماع جيرانه وعلى رأسهم مجاهد العامري صاحب دانية.

ومما يميز عهد المنصور عبد العزيز أيضاً أن أراضي بلنسية، لم تتعرض لأي من الغارات المدمرة التي كثيراً ما كان يوجهها ملوك إسبانيا إلى دويلات الطوائف الغربية والوسطى المتاخمة لحدود الممالك الإسبانية[6].

من جهة أخرى شهد عهد المنصور توسعاً ملحوظاً لمملكة بلنسية وامتداداً لنفوذها على حساب المناطق المجاورة لها ومن هذه مملكة زهير العامري أي ألمرية ومرسية وأوريولة؛ فبعد أن أحس خيران بدنو أجله، أرسل إلى زهير العامري الذي كان يتولى من قبله مرسية وجيان،

---

(1) القاسم بن حمود: من الأدراسة الحسينيين العلويين، خلف أخاه علي بن حمود بقرطبة بعد مقتله في ذي القعدة عام 408هـ/1017م، وظل القاسم خليفة بقرطبة إلى أن ثار به أهلها وأخرجوه منها عام 414هـ/1023م. راجع ابن عذاري: مصدر سابق، ج3 ص 120، 133-134.

(2) ابن حزم: **نقط العروس في تواريخ الخلفاء** ، تحقيق شوقي ضيف، مجلس كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول،1951م، م13،ج2 ص 85؛ ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص 159؛ ابن سعيد: **المغرب في حلى الغرب**،ج2 ص 300؛ ابن عذاري: مصدر سابق،ج3 ص 164-165؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص 195؛ Prieto y vives: **Los Reyes de taifas**, p.40.

(3) هو أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد، ويقال له القاضي ابن عباد، كان قاضياً بإشبيلية، ثم استقل بها عام414هـ/1023م، واستمر يحكمها إلى أن توفي عام 433هـ/1041م، فخلفه ابنه المعتضد، كان له في العلم والأدب باع وكان يشارك الشعراء والبلغاء في قول الشعر وحَوْكِ البلاغة. ابن بسام: مصدر سابق،م 2 ص 4 وما بعدها؛ المقري: **نفح الطيب**، ج2 ص 32، حاشية رقم1.

(4) ابن عذاري: مصدر سابق،ج3 ص190، 219-220.

(5) كان للحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، علاقات ودية مع شانجة (Sancho Graces Abarca) ملك نبرة (نافار)، وقد تزوج المنصورابنته التي أسلمت وتسمت باسم عبدة، وأنجبت له ولده عبد الرحمن الذي أطلقت عليه أمه اسم شنجول (Sanchuello) أي شانجة الصغير، تخليداً لذكرى أبيها. راجع ابن الأبار: **الحلة السيراء**،ج1 ص 268، ترجمة رقم 101؛ ابن عذاري: مصدر سابق،ج3 ص 38.

(6) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**،ص 195؛ Prieto y vives:**Los Reyes de taifas**, p.40.

ليخلفه. ولما توفي خيران عام 419هـ/1028م، خلفه زهير العامري في جمادى الآخرة عام 419هـ/1028م، على مملكته في ألمرية ومرسية وأوريولة، وتمكن من الاستيلاء على شاطبة، ولكنه عاد فتنازل عنها للمنصور، صاحب بلنسية، وقد أشار العذري إلى ذلك بقوله :" ثم دفع إليه (يقصد زهير) قصبة شاطبة، فخرج إليها، وأسلمها للمنصور عبد العزيز بن عامر. وقال:" هو أحق بها منا جميعنا"[(1)] باعتبار أن المنصور كان حفيداً للمنصور بن أبي عامر ولي نعمة كل هؤلاء الفتيان العامرية.

ولما كان زهير شغوفاً بتوسيع رقعة مملكته، فقد تطلع إلى غرناطة ليضمها إلى أملاكه، لذا نراه وقد شغل بمحاربة باديس بن حبوس الصنهاجي[(2)] ملك غرناطة، فزحف زهير نحوها بجيشه، والتقى الجيشان في معركة انتهت بهزيمة زهير ومصرعه عام 429هـ/1037م.[(3)]

وهنا لاحت الفرصة المواتية للمنصور عبد العزيز لتوسيع مملكته ومد نفوذه إلى المناطق التي كانت تدخل ضمن نطاق مملكة زهير.

وكان أهل ألمرية عندما بلغهم خبر مقتل زهير، قد أسندوا أمرهم إلى شيخهم أبي بكر الرميمي، وكان من أصحاب الرأي والمشورة، ثم حدث أن أرسلوا إلى المنصور عبد العزيز بن أبي عامر ملك بلنسية يدعونه لرئاستهم[(4)] .وسرعان ما لبى المنصور هذه الدعوة التي من شأنها أن تحقق أعظم أمانيه وهي توسيع رقعة مملكته، فأرسل معن بن صمادح[(5)] وزيره وصهره إلى باديس بن حبوس صاحب غرناطة يستحثه على إعدام الأسرى من وزراء زهير وقواده، خشية أن ينافسه أحد في حكم ألمرية. فتم له ما أراد، وبذلك أصبحت الأخيرة تحت سيطرته، فقد بايعه أهلها

---

(1) العذري: مصدر سابق،ص 83؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**،ص 216.

(2) ابن بلقين: مصدر سابق، ص 34؛ ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**،ج2 ص 194.

(3) ابن بسام: مصدر سابق، م 1 ص 408-412؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج 3 ص 167 وما بعدها؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص 216-217؛ عنان: **دول الطوائف**،ص 162،222.

(4) ابن بسام: مصدر سابق،م 1 ص 412؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج 3 ص 167؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**،ص 217.

(5) معن بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن صمادح (أبو الأحوص)، وبنو صمادح من بني تجيب،، وأصلهم من العرب الذين استقروا منذ أيام الفتح بإقليم أراغون (Aragón). وكان والد أبي الأحوص محمد بن صمادح أبو يحيى حاكماً على وشقة أيام المنصور عبد العزيز ملك بلنسية، ثم دخل صمادح في حرب مع ابن عمه منذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة، وانتهى الأمر بتنازل ابن صمادح عن وشقة وهروبه منها إلى بلنسية مملكة المنصور، الذي رحب باستقباله واحتفى به وأكرمه، وارتبط معه برابط المصاهرة فتزوج ابني محمد: أبو الأحوص معن، وأبو عتبة صمادح، من أختي المنصور عبد العزيز. ابن خلكان: مصدر سابق،ج 4 ص 291، ترجمة رقم 687؛ابن عذاري: مصدرسابق، ج 3 ص 167-168؛ Dozy:**Recherches sur l'histoire de la littérature de l'espagne pendant le moyen age**, leyde, 1881,V.1, PP.239-242.

من جهة، ومن جهة ثانية كانت تابعة للفتيان العامرية، فنظر إليها على أنها ميراث شرعي له[1]، فدخلها المنصور عبد العزيز في آخر ذي القعدة عام 429هـ/1038م، واستولى على بيت مالها الذي كان عامراً بالذهب والجواهر.

وبذلك يكون المنصور قد بنى علاقة حسنة ما بين مملكة بلنسية، وألمرية.

وفي عام 430هـ/أوائل 1039م، ولى عليها (ألمرية) ابنه عبد الله الذي تلقب بالناصر، غير أن الناصر هذا لم يلبث أن توفي[2] ، فولى عليها المنصور صهره ووزيره أبا الأحوص معن بن صمادح وأخاه أبا عتبة، ثم أرسل المنصور إلى أهل ألمرية بتعيين أحد أعيانهم، فاجتمعوا إلى ذي الوزارتين أبي الأحوص معن، وعقدوا له بذلك على أنفسهم عقوداً كما يذكر العذري[3]، ولكن ابن صمادح، كان شر مستخلف على حد تعبير ابن الخطيب، فما إن توارى المنصور عن ألمرية وانشغل بمحاربة مجاهد العامري صاحب دانية والفتيان العامرية بشاطبة حتى استبد صهره معن بحكمها واستقل بها عام 433هـ/1041م[4]، ودعا لنفسه ، وقد عبّر ابن عذاري عن ذلك بقوله:" لما قتل زهير، وسارت ألمرية لعبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية حسده على ذلك مجاهد صاحب دانية، فأظلم الأفق بينهما فخرج مجاهداً غازياً بلاد عبد العزيز وهو بألمرية مشتغلاً في تركة زهير، فخرج مبادراً عنها لاستصلاح مجاهد، وترك والياً عليها، من قبله صهره معن بن صمادح فكان شر خليفة استخلف، لم يكد يواري عبد العزيز وجهه عنه، حتى خانه الأمانة، وطرده عن الإمارة"[5].

أما عبد العزيز فلم يترك القضية تنتهي على هذا النحو، حيث آلمه غدر صهره وخيانته له؛ فقد أيد ابن شبيب صاحب لورقة[6] ، في ثورته ضد المعتصم بن معن بن صمادح، ولم يكتف

---

(1) عنان: **دول الطوائف**، ص212؛
Huici Miranda:**Historia Musulmana de Valencia**,T.1,pp.174-175.

(2) ابن عذاري: مصدر سابق، ج 3 ص 192؛ ويذكر ابن عذاري أن اسم ابن المنصور هو عبد الله. أم ابن حزم فيذكر أن اسمه عبيد الله. ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ص 419.

(3) العذري: مصدر سابق، ص 84. لقد ذكر العذري أن أهل ألمرية هم الذين اختاروا معن بن صمادح حاكماً عليهم، ولم يشر إلى استقلاله بألمرية، وهذه المعلومات تتعارض مع النصوص التاريخية الأخرى التي أوردتها أغلب المصادر. ويبدو سبب ذلك أن العذري كان من أهل ألمرية ويعيش تحت سلطان ابن صمادح، لذا كان من الطبيعي أن يحاول التقرب منه وعدم إغضابه.

(4) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص 190؛ القلقشندي: مصدر سابق، ج5 ص 244؛
Abdel Aziz Salem:**Algunos aspectos del florecimiento economico de Almeria**,p,10.

(5) ابن عذاري: مصدر سابق،ج3 ص 174.

(6) لورقة(Lorca)، وهي مدينة من بلاد تدمير بالأندلس، وتعني بالإسبانية "الدرع الحصين" فيها فواكه كثيرة ومنها العنب. الإدريسي: مصدر سابق،م1 ص 561-562 ؛ الحميري: مصدرسابق،ص171-173؛ المقري: **نفح الطيب**، ج1 ص 133.

بذلك بل زود ابن شبيب ببعض القوات، ولكن لم يكتب لهذه الثورة النجاح فانتهت بالفشل(1).

أما فيما يتعلق بمدينة مرسية فقد كانت تابعة وقتذاك لمملكة ألمرية، وكان يحكمها من قبل زهير العامري، نائبه أحمد بن طاهر القيسي(2)، وكان هذا الأخير رجلاً حسن الرأي يتصف بالعلم والمشورة، كما كان محبوباً من أهل بلده. واستطاع ابن طاهر أن يضبط المدينة عقب مقتل زهير العامري. وتولى أمرها بحزم ولم يتخذ لنفسه لقباً ملوكياً، ولم يدع لنفسه الرئاسة، لذا أقره المنصور عبد العزيز على ولايتها عام 429هـ/1037م، وظل ابن طاهر بعيداً عن الإمارة إلى أن توفي المنصور؛ فعندئذٍ استقل بملك مرسية واستبد بأمرها(3).

علاقة المنصور بمجاهد العامري صاحب دانية:

بادئ ذي بدئ، كانت العلاقة القائمة بين المنصور عبد العزيز وبين مجاهد العامري ودية، ويسودها شعور بالولاء من جانب مجاهد باعتباره من الفتيان العامرية الذين ظلوا يرتبطون برابط الولاء للمنصور محمد بن أبي عامر وبنيه. ومن هذا المبدأ دخل مجاهد في طاعة المنصور عبد العزيز شأنه شأن بقية زعماء الفتيان العامريين، وسرعان ما تبدلت الأحوال، فلم يلبث مجاهد أن خرج عليه وناصبه العداء(4)، كما فعل مع خيران العامري، ويبدو أن هذا العداء بدافع من الحرص على ملكه أمام شخصية كشخصية المنصور الذي استمد قوته وهيبته من واقع انتمائه للمنصور محمد بن أبي عامر، وبذل جهداً لاستعادة أمجاد الدولة العامرية عن طريق انتهاج سياسية توسعية هدفها إنشاء مملكة عامرية قوية، ويبدو أن مجاهد – الذي أسس مملكة دانية والجزائر الشرقية بحد سيفه – قد تخوف من المنصور على ملكه وعلى نفسه نظراً لقرب المملكتين دانية وبلنسية بعضهما من بعض.

وانطلاقاً من هذه الأسس قرر أن يلتزم بسياسة صريحة واضحة أمام مناصريه، فأراد أن يحدد علاقته بالمنصور على ضوء ما تبين له، فبادر إلى إظهار عدائه للمنصور، ولم تلبث أن ساءت العلاقات بين الطرفين وتبادلا الرسائل العدائية ، فأخذ كل منهما يذم الآخر، ومن أمثلة ذلك أن مجاهداً كتب يوماً إلى المنصور عبد العزيز رقعة لم يضمنها غير بيت الحطيئة(5) حيث يقول: يقول: **(البسيط)**

---

(1) ابن خلدون: مصدرسابق،ج4 ص 208.

(2) ابن الأبار: **الحلة السيراء**،ج2 ص 116، ترجمة رقم 130.

(3) العذري: مصدرسابق،ص 16؛ ابن عذاري: مصدرسابق،ج 3 ص 239-240،: Gaspar Remiro (Mariano):**Historia de Murcia Musulmana,**Zaragoza, 1905, pp.101-103; prieto y vives: **Los Reyes de taifas**, p.40.

(4) ابن بسام: مصدرسابق،م3 ص 145،159؛ ابن عذاري: مصدرسابق، ج3 ص 155.

(5) الحطيئة: هو جَرْوَل بن أوس من بني قطيعة بن عبس ولقب الحطيئة، لقصره وقربه من الأرض ويكنى أبا مُلَيْكة، قبيح الوجه. ابن قتيبة:**الشعر والشعراء**،دار صادر،بيروت، ص 180 وما بعدها.

دعِ المكـــارمَ لا تَرحَـــلْ لبُغْيتها واقـــعدْ فإنـــك أنت الطاعم الكاسي [1]

لما وصلت تلك الرقعة إلى المنصور، غضب غضباً شديداً واستحضر كاتبه أبا عامر التاكروني الذي كتب عنه هذا البيت رداً على مجاهد العامري: (الكامل)

شَتَـْمَت مَوَالِيـــها عَبِيْدُ نزارِ شِيَمُ العبـــيدِ شَتِيْمَةُ الأحرارِ [2]

وتشير المعطيات إلى أن الصراع القائم بين المنصور ومجاهد العامري،لم يقتصر على تبادل الرسائل العدائية،بل تطور الأمر بينهما إلى صدام مسلح؛ فقد انتهز مجاهد فرصة وجود المنصور بألمرية عندما دعاه أهلها ليتولى أمرهم فأعلن الثورة على المنصور في شاطبة، وبادر بشن هجمات على مملكة بلنسية. لذا اضطر المنصور إلى مغادرة ألمرية عام 433هـ/1041م، وزحف بقواته في الحال إلى الفتيان العامريين الثائرين بشاطبة، والتقى الفريقان فنشب قتال عنيف انتهى بهزيمة المنصور، ونجح الفتيان العامريون في طعن ثيابه بالرماح وهم يظنون أنه فيها[3].

لم ييأس المنصور من الهزيمة التي تعرض لها، إذ عمل على جمع قواته وهاجم العامريين وانتصر عليهم، وقتل منهم أعداداً كبيرة، ودخل شاطبة، فتمهدت له الأمور بها.

وتبين لمجاهد العامري عجزه عن مواجهة المنصور، فاضطر العودة إلى دانية[4]، وظلت شاطبة تابعة للمنصور عبد العزيز بن شنجول حتى وفاته، ويبدو أن المنصور قد استقر بها وجعلها مقر إقامته وفيها توفي في ذي الحجة عام 452هـ/1060م، على إثر إصابة أعيا علاجها[5].

وهو بذلك يعتبر من ملوك الأندلس القلائل الذين طال حكمهم أربعين عاماً[6]، وأولهم عبد الرحمن الناصر الذي عمر في الحكم خمسين عاماً.

ويشير ابن بسام إلى أن الفتيان العامرية في شاطبة الذين خضعوا لحكم المنصور عبد العزيز قد شاركوا في أحداث عام 452هـ/1060م، أي في المعركة ضد مقاتل الفتى[7]، صاحب طرطوشة بعد

---

(1)ابن قتيبة: مصدر سابق، ص 186؛ المقري: **نفح الطيب**،ج3 ص 246؛ج5 ص 273.

(2) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص 146؛ المقري:**نفح الطيب** ، ج5 ص 273.

(3) ابن عذاري: مصدرسابق،ج3 ص 302.

(4) Dozy: **Recherches sur l'histoire de la literature de l'Espagne**, V.1,p.241; Prieto y vives:**Los Reyes de taifas**,p.40.

(5) ابن بسام: مصدرسابق، م 3 ص 159؛ ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب** ،ج2 ص 300؛ ابن عذاري: مصدر سابق،ج3 ص 302,165 ؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**،ص 190؛ Prieto y vives:**Los Reyes de taifas**,p.41.

(6) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص 160؛ ابن عذاري: مصدرسابق،ج3 ص 166.

(7) مقاتل الفتى: كان يتولى إمارة طرطوشة بعد لبيب الفتى، وكان يتسم بعلو الهمة والحنكة السياسية. وقد تمتعت طرطوشة في عهده بالأمن والاستقرار وكان يتلقب بسيف الملة أو الملك، وارتبط الأخير بعلاقة طيبة مع علي بن مجاهد وتبادلا الرسائل الودية. ابن عذاري: مصدر سابق،ج3ص 224،250 .

أن ساءت العلاقة بينه وبين المنصور وانتهى الأمر بانتصار العامريين في شاطبة على مقاتل، الذي قتل في ساحة المعركة واحتزت رأسه وحملت إلى المنصور عبد العزيز الأمر الذي أثار غضب منذر صاحب سرقسطة[1] ، فكتب إلى المنصور غاضباً متوعداً.

وبذلك يمكن الاستنتاج أن العلاقة ما بين مملكة بلنسية في ظل المنصور عبد العزيز بن أبي عامر، ومملكة دانية تحت حكم مجاهد العامري، كانت ودية في بادئ الأمر، وذلك من منطلق الولاء للمنصور محمد بن أبي عامر وبنيه، ولكن فيما بعد ساءت العلاقة بين المملكتين وأدت إلى صدام مسلح بين الطرفين في شاطبة، انتهى بانسحاب مجاهد إلى مملكته، في حين بقيت شاطبة خاضعة للمنصور حتى وفاته بها.

1-5- علاقة مملكة بلنسية الخارجية في عهد المظفر عبد الملك:

ذكر سابقاً، أن أهم ما تميز به عهد المظفر عبد الملك هو وقعة بطرنة(Paterna)المشهورة التي انهزم فيها هو وجيشه بالقرب من بلنسية. وتختلف المصادر التاريخية في تحديد السنة التي وقعت فيها تلك المعركة؛ فابن بسام وابن عذاري يذكران أن وقعة بطرنة حصلت عام 455هـ/1063م[2]، أما المقري فيذكر أن المعركة حدثت عام 456هـ/1063م[3]، في حين تحددها المصادر الإسبانية التي تنقل عن المصادر القشتالية بعام 457هـ/1064م[4]؛ وتفصيل ذلك أن فرقة من جيش الإسبان بقيادة فرناندو الأول ملك قشتالة [5] وليون عسكرت على مقربة من بلنسية عند موقع شمال قرية بطرنة. ثم قامت هذه الفرقة بمحاصرة بلنسية. وفي الوقت الذي كان فيه أهل بلنسية– على حد قول ابن بسام – "غافلين عما يتعاور أطرافهم من الحذف والتغيير، فطار بهم الذعر كل مطار، وسارت عند زعمائهم في استقبال محنتهم تلك أعجب أخبار"[6] ، اضطر أهل بلنسية إلى التحصن داخل أسوار مدينتهم، عندئذٍ لجأ القشتاليون إلى الحيلة؛ فتظاهروا بالانسحاب واستتروا وراء الهضاب والآكام استدراجاً لأهل بلنسية الذين خرجوا من أبواب مدينتهم، وقد ارتدوا فاخر الثياب وكأنهم في يوم عيد يتوقعون أنهم سيتغلبون على عدوهم فيستولون على الأسلاب والغنائم، وكان يتقدمهم ملكهم المظفر عبد الملك. وكان الأخير يأمل في إثبات جدارته بإحراز النصر، ولكن بدلاً من أن ينتصر أهل

---

(1) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص126و229 .

(2)المصدر السابق، م3 ص 557؛ ابن عذاري: مصدر سابق،ج3 ص 252.

(3) المقري: **نفح الطيب**،ج6 ص 207.

(4) Prieto y vives:**Los Reyes de taifas**, p.41; Huici Miranda:**Historia Musulmana de Valencia,** T.1, pp.183-186.

(5) المصادر الإسلامية تسمية فرذلند وأحياناً فردلند. ابن الكردبوس: مصدرسابق، ص 76.

(6) ابن بسام: مصدرسابق، م3 ص 558.

بلنسية على القشتاليين، فقد هَزَمَ القشتاليون البلنسيين؛ إذ خرج القشتاليون من كمائنهم وفاجؤ هم بالهجوم، وأنزل الإسبان في البلنسيين القتل والأسر، فانهارت صفوفهم، وفر المظفر إلى بلنسية مهزوماً، وتحصن مع من نجا من أهل بلنسية داخل أسوار المدينة التي حاصرها القشتاليون فترة من الزمن، ولكنهم اضطروا إلى رفع الحصار عنها بسبب مرض ملكهم فرناندو الأول، فتنفس أهل بلنسية الصعداء لرحيله، إذ كانت هزيمتهم في بطرنة نذيراً بسقوط بلنسية في أيدي القشتاليين[1].

وأشار ابن بسام إلى حالة الإرباك والهلع التي أصابت المظفر عبد الملك صاحب بلنسية أثناء المعركة فيقول:" أخبرني من رأى ابن أبي عامر يومئذٍ متحصناً بربوة بين لمة من فرسانة ينشد وقد عقد الذعر عذبة لسانه : (الطويل)

خليليّ ليسَ الرّأْيُ في صَدَرِ واحدٍ أَشِيْـرَا علـيّ اليـومَ ما تَرَيَانِ [2]

ومن الأهمية بمكان القول: إن ما ذكره ابن بسام يعطي صورة واضحة عن شخصية المظفر الضعيفة، فقد أثبت بهزيمته قلة تجاربه الإدارية وحنكته السياسية وضعف رأيه، إضافة إلى ذلك فقد كان المظفر شاباً مترفاً ألف الحياة الهادئة وانغمس في حياة اللهو والترف والشراب، وقل اهتمامه بأمور الدين، وكان ذلك من العوامل التي أدت في النهاية إلى خلعه وزوال ملكه[3]، وأكثر من ذلك، فقد أدت هذه العوامل إلى انهيار دولة بني عامر في شرق الأندلس لاسيما بعد أن فقد نصيره ومعينه، ووزيره ابن روبش الذي توفي في شهر جمادى الآخرة عام 456هـ/1063م[4]، فخلفه أبو بكر أحمد بن عبد العزيز.

1-6- العلاقات الخارجية لمملكة بلنسية في عهد الوزير أبي بكر:

1-6-1 مع مرسية:

تقدّم أن الوزير أبا بكر أحمد بن عبد العزيز وبعد أن تولى أمر بلنسية قد تعرض لتحديات سياسية كبيرة، وكانت الأخطار محدقة به من كل جهة، ولكنه كان سياسياً بارعاً استخدم حنكته السياسية وذكاءه لتفويت الفرص على الأعداء. ومن أبرز تلك التحديات السياسية التي واجهها

---

(1) حول وقعة بطرنة، راجع ،ابن بسام: مصدرسابق، م3 ص 557 وما بعدها؛ ابن عذاري: مصدرسابق،ج3 ص 252-253؛ المقري:**نفح الطيب**،ج6 ص 207؛ Prieto y vives: **Los Reyes de taifas,** p. 41; Huici Miranda: **Historia Musulmana de Valencia,** T.1, pp. 183-186.

(2) ابن بسام: مصدرسابق، م3 ص 559؛ ابن عذاري: مصدرسابق،ج3 ص 253؛ Huici Miranda:**Historia Musulmana de Valencia,T**.1,p.185.

(3) ابن عذاري: مصدر سابق،ج3 ص 303.

(4) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص 24، وراجع:.Prieto y vives:**Los Reyes de taifas**, p.41

الوزير أبو بكر، علاقته بابن عمار[1].

كان ابن عمار قد استقل بمرسية، وتفصيل ذلك أن الأديب الكبير والشاعر المغامر ذا الوزارتين أبا بكر محمد بن محمد عمار بن الحسين بن عمار المَهْري[2]،وزير المعتمد بن عباد[3]، وصاحبه مجالس أنسه، قد تمكن من انتزاع مرسية من صاحبها أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر[4]، لما وجهه المعتمد إليها لمحاربته، وتولى إمارتها نيابة عن المعتمد بن عباد. ثم ما لبث أن خرج على المعتمد وانتزع سلطانه، فاستقل بمرسية وأقام بها مقام الرؤساء[5].

أما ابن طاهر فقد اعتقل[6] ،بحصن منت أقوط (Monteagado) فتدخل صاحب بلنسية أبو أبو بكر بن عبد العزيز لدى المعتمد للإفراج عن ابن طاهر، لذلك تم الإفراج عن الأخير الذي لجأ إلى بلنسية. وإن كانت بعض الروايات تشير إلى أن ابن طاهر قد تمكن من الفرار من سجنه بمساعدة الوزير أبي بكر بن عبد العزيز، الأمر الذي أثار غضب ابن عمار[7] ،وأخذ يكيد له[8] . . ويُرجع ابن خاقان سبب العداء إلى غدر ابن عبد العزيز بابن عمار في حصن جمِلَّة[9].

وأيا يكن سبب هذا العداء فقد دفع ابن عمار إلى تحريض أهل بلنسية على الثورة ضد أبي بكر بن عبد العزيز، وبالمقابل فقد حذا الأخير حذو ابن عمار فأخذ يحرض ابن رشيق[10] ، قائد جند ابن عمار للثورة عليه، غير أن الوزير أبا بكر تجنب الدخول في حرب لا طائل منها ضد ابن عمار. فلجأ إلى الحيلة والخدعة واستخدم ذكاءه في تجنيد أعوانه للحصول على قصيدة الهجاء

---

(1) هو أبو بكر محمد بن عمار بن الحسين بن عمار، ولد عام 422هـ/1030م، بقرية من أعمال شلب استوطنها آباؤه ،تدعى "شنّبوس"، وهو ينتمي إلى قبيلة مهرة بن قضاعة، اتقن صناعة الشعر فأعجب به المعتضد وجعله في ديوان الشعراء واستوزه بعد ذلك المعتمد على إشبيلية كان شديد الذكاء والدهاء والطمع، ما لبث أن تغاضب مع المعتمد وهجاه فقتله عام 477هـ/1084م. ابن بسام: مصدرسابق، م3 ص 14 حاشية رقم 1.

(2) المهري: "نسبة إلى مهرة بن حَيْدان بن إلحاف بن قضاعة، وهي قبيلة كبيرة ينسب إليها خلق كثير". ابن خلكان: مصدر سابق،م4 ص 221.

(3) المعتمد بن عباد: هو أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله عباد بن محمد بن اسماعيل بن عباد. ترجم له سابقاً.

(4) هو محمد بن أحمد بن إسحاق بن طاهر (أبو عبد الرحمن) ذو الوزارتين، الكاتب صاحب المظالم " ارتقى من رياسة الأقلام إلى سياسة الأقاليم، وقد توصل بنو طاهر إلى رياسة كورة مرسية.." ابن بسام : مصدرسابق،م3 ص13.

(5) ابن بسام: مصدر سابق، م3 ص14.

(6) المصدر السابق، م3، ص 14.

(7) ابن الأبار: **الحلة السيراء**،ج2 ص 124، ترجمة رقم 130.

(8) ابن خاقان: **قلائد العقيان،** ص 64-65.

(9) المصدر السابق، ص 60؛ ابن الأبار: **الحلة السيراء** ،ج2 ص 155،. أما جُمِلَّة (Jumilla)، فهي مدينة تقع الآن بمديرية مرسية على بعد 74 متراً من الأخيرة. ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2 ص 155.

(10) هو عبد الرحمن بن رشيق، قائد عسكر المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية، وقد انفرد بحكم مرسية نيابة عن المعتمد بعد مقتل ابن عمار. ابن الأبار: **الحلة السيراء**،ج2 ص 136 ، 140-146؛ ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**،ج2 ص 248، ترجمة رقم 514؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**،ص 201.

التي هجا فيها ابن عمار، سيده المعتمد بن عباد وزوجه اعتماد، ولما حصل عليها أرسلها إلى المعتمد ابن عباد صاحب إشبيلية، وبذلك أوغر صدر المعتمد على وزيره السابق[1]،فما زال ابن عباد يتحين الفرص، لينتقم من ابن عمار، فتم له ما أراد، وقتله في قصره بإشبيلية[2] .

وبذلك يكون الوزير أبو بكر بن عبد العزيز قد تغلب على أولى المشكلات السياسية التي واجهته، دون الدخول في حرب دموية.

أما حصول ابن عبد العزيز على قصيدة ابن عمار، هاجياً المعتمد بن عباد، فكان بواسطة رجل يهودي، والأخير كان من أصدقاء ابن عمار، وكان من بين الذين أطلعهم ابن عمار على قصيدته التي هجا بها المعتمد. وهذا الرجل اليهودي كان يتجسس لحساب ابن عبد العزيز[3].

وبذلك يمكن القول: إن اليهود[4] في عهد ملوك الطوائف، أخذوا يتدخلون في أمور الحكم، وسلكوا طريقاً شديد الخطورة في الحياة السياسية العامة، مستغلين بذلك حالة الانقسام التي نشأت في صفوف العرب على الأرض الأندلسية، فأخذوا يتدخلون في كل أمر يستطيعون من خلاله، إثارة نار الفتنة وتأجيج نار الخلاف بين حكام ملوك الطوائف وبينهم وبين بعض رجال إدارتهم[5].

إدارتهم[5]. وقد أعاد ابن حزم سبب جرأة اليهود وقدرتهم على التدخل في أمور الحكم وإشعال الفتن بين حكام ملوك الطوائف، وبينهم وبين بعض رجال إدارتهم، إلى الملوك أنفسهم، حيث قال: وكلوا أمور العرب إلى اليهود، فجعلوهم حجاباً ووزراء وكتاباً، وضاربون للمكوس والجزية[6].

1-6-2- مع بني هود أصحاب سرقسطة:

قبل الدخول في تفاصيل هذه العلاقة، يجدر بنا أن نعرّف من هم بنو هود؟

ينسب بنو هود إلى قبيلة جذام اليمنية، وجدهم الأعلى هود هو الداخل إلى الأندلس، وأول ملوكهم في الأندلس هو سليمان بن محمد بن هود الملقب بالمستعين بالله الذي تغلب على مملكة

---

(1) عنان: **دول الطوائف**، ص 68.

(2) سالم، السيد عبد العزيز: **أسماء قصور بنى عباد بإشبيلية الواردة في شعر ابن زيدون**، مجلة أوراق، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1979م، ص 39.

(3) دوزي، رينهارت، **ملوك الطوائف، ونظرات في تاريخ الإسلام**، ترجمة، كامل كيلاني، ط1، القاهرة، 1933م، ص 252-256.

(4) كان اليهود، يشكلون قسماً مهماً من سكان المدن الأندلسية، وكانوا عوناً للعرب في حركة عملية الفتح لشبه الجزيرة الإيبيرية، وقد عاشوا، أكثر من ثلاثة قرون في ظل علاقة حسنة بينهم وبين السلطة العربية. ابن عذاري: مصدر سابق، ج2، ص 22. (طبعة، دار الثقافة، بيروت، د.ت)؛ طويل : مرجع سابق، ص 250-252؛ الخالدي، خالد يونس: **اليهود تحت حكم العرب في الأندلس** 92-897هـ / 711-1491م، ط1، الإمارات العربية المتحدة، الشارقة منشورات دائرة الثقافة والإعلام، 2002م، ص257-258.

(5) حول هذا الموضوع، راجع: زعرور، إبراهيم وأحمد، علي: **اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى**، ط1، دار المستقبل، دمشق، 1999م، ص 82-83.

(6) ابن حزم: الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى، تحقيق إحسان عباس، مكتبة دار العروبة، القاهرة 1960م، ج3 ص 173-174.

سرقسطة عام 431هـ/1039م[1].

وكان سليمان من كبار رجال الجيش الأموي في الثغر الأعلى، فلما وقعت الفتنة القرطبية تغلب على لاردة وأعمالها وقتل القائم بها أبا المطرف التجيبي، ثم ما لبث أن تولى أمر سرقسطة تلبية لدعوة أهلها، فاستقر في دار الإمارة بسرقسطة، وظل يقوم بأمرها إلى أن توفي عام 438هـ/1046م، وخلفه على مملكة سرقسطة، أبناؤه الخمسة، وكان قد قسم بينهم بلاده، فاستبد هؤلاء الأخوة جميعهم بأعمالهم بعد وفاة أبيهم،ولكن أحمد بن سليمان بن هود[2] ،الذي كان يتولى أمر سرقسطة أخذ يحتال على إخوته حتى أخرج بعضهم من أعمالهم، فاستاء أهل الثغر الأعلى من تصرفاته وناصبوه العداء فلم يبق في حوزته سوى سرقسطة، لذلك عمد إلى الاستعانة بابن ردمير (غرسيه Garcia) ملك نبرة (نافار)، وتمكن من الإيقاع بقوات أخيه يوسف صاحب لاردة، فانصرف الناس عن يوسف وتبعوا أحمد خوفاً من بطشه، وتعاظم أمر الأخير فتلقب بالمقتدر بالله، وأخذ يوسع أملاكه على حساب غيره من ملوك الطوائف، فاستحوذ على طرطوشة، واسترد بربشتر عام 457هـ/1064م[3]، وكانت الأخيرة قد سقطت في أيدي النورمان عام456هـ/1063م، كما انتزع دانية من يد إقبال الدولة علي بن مجاهد عام 468هـ/1075م، وتطلع إلى بلنسية نظراً لموقعها الاستراتيجي المهم وثرواتها الاقتصادية الوافرة، لكي تتصل مملكته من سرقسطة شمالاً حتى دانية جنوباً[4] . لتكون منطقة شرق الأندلس كلها خاضعة لسلطانه، وقد أشار الأمير عبد الله الزيري في مذكراته إلى ذلك بقوله:" وإن ابن هود لما حصل على دانية، انفسد طبعه، وأدركته الرغبة في البلاد، وزال عمّا كان عليه من جهاد الروم، وطمع في بلنسية عند ذلك"[5].

وكان المقتدر بن هود كما يذكر مؤرخو العرب، يشتري رضا ومسالمة القشتاليين بالمال الذي كان يرهق رعيته في جمعه، ومع ذلك فقد كان يخشى غضب ألفونسو السادس ملك قشتالة، لأن بلنسية كانت تعتبر من وجهة نظر ألفونسو السادس من بين الأراضي لتي رصدها لحركة الاسترداد التي يتزعمها، بالإضافة إلى أنها كانت أيضاً تحت حمايته، تدفع له الجزية[6].

ولم تكن رغبة الاستيلاء على بلنسية قاصرة على المقتدر فقط، بل طالت تلك الرغبة أهل

---

(1) ابن عذاري: المصدرالسابق،ج3 ص 221؛ .Turk:**El Reino de Zaragoza**, p.66
(2) هو عميد بني هود وعظيمهم وصاحب الغزوات المشهورة. ابن بسام: مصدر سابق،م 3 ص 269؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام** ص 175.
(3) ابن بسام: مصدر سابق، م 3 ص 122؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج 3 ص 222-224،227؛ الحميري: مصدر سابق،ص 41؛ عنان: **دول الطوائف** ، ص 262-263.
(4) Huici Miranda:**Historia Musulmana de Valencia**,T.1,p.194.
(5) ابن بلقين: مصدر سابق، ص 78.
(6) عنان: **دول الطوائف**، ص 216.

سرقسطة، فقد عابوا (أهل سرقسطة) على ملكهم المقتدر عجزه عن الاستيلاء على بلنسية المدينة العامرة، وافرة الخيرات[1]، لذلك أخذ المقتدر يعمل على السيطرة عليها بكل الوسائل . ولكي يسترضي ملك قشتالة أي ألفونسو السادس قام بدفع ألف دينار له في مقابل سماحه له بالاستيلاء على بلنسية[2].وعلى هذا الأساس تقدمت جيوش المقتدر للاستيلاء على بلنسية.

ومن الأهمية بمكان القول: إن ثروات بلنسية ورخاءها الاقتصادي لم تكن السبب الوحيد وراء أطماع المقتدر في تملكها، وإنما كان هناك سبب آخر، سياسي، إذ أن تبعية مملكة بلنسية الاسمية لبني ذي النون في طليطلة نتيجة لقيام الوزير أبي بكر بن عبد العزيز بحكمها نيابة عن بني ذي النون، أثارت سخط بني هود في سرقسطة؛ لما كان قائماً بينهم وبين بني ذي النون من حروب طاحنة، استخدم فيها كل طرف، الحيل والدسائس للإيقاع بالآخر، إضافة إلى ذلك فإن لجوء عبد الملك المظفر صاحب بلنسية وشاطبة وتدمير إلى بني هود في سرقسطة[3]، كان سبباً في توتير العلاقات السياسية بين سرقسطة وبلنسية[4].

وقد أدرك أبو بكر بن عبد العزيز عجزه عن مواجهة جيوش ابن هود فاستخدم حنكته السياسية، لذا لجأ إلى الدبلوماسية الهادئة فخرج وحده لاستقبال جيش ابن هود في أحسن زي وخاطبه بأرق العبارات ومما قاله:" هي بلادك، فقدّم من شئت وأخّر، ونحن طاعتك وقوادك، فأقلل منا أو أكثر"[5]، وما زال يخاطبه بعبارات ودية مستهدفاً سل الأحقاد وتآلف الأضداد، حتى وفق في تحقيق هدفه، واستشعر المقتدر أمامه بالخجل مما كان مقدماً عليه؛ عندئذ قفل المقتدر عائداً إلى سرقسطة عام 469هـ/1076م، بعد أن اتفق مع أميرها على أن لا يتردد في توفير وتقديم مساعدته ضد أعدائه، وفي ذلك يقول ابن بسام:" فانصرف عنه وقد ألحفه جناح حمايته، ووطأ له كنفاً من عنايته"[6].

ومنذ ذلك الوقت حلّت العلاقات الودية بين مملكتي بلنسية وسرقسطة مكان العلاقات العدائية، وازدادت الوثاقة بزواج ابنة أبي بكر صاحب بلنسية من الأمير أبي جعفر أحمد بن المؤتمن بن هود حفيد المقتدر. وذلك في رمضان عام477هـ/1084م، وهو الذي تلقب فيما بعد بالمستعين بالله، وتم

---

(1) ابن بسام: مصدرسابق، م 3 ص 25؛ وحول موضوع استيلاء المقتدر على دانية. ابن بسام: مصدر سابق،م 4 ص 159-160.

(2) ابن بلقين: مصدرسابق، ص 78؛ ابن بسام: مصدرسابق،م3 ص 25.

(3) ابن عذاري: مصدرسابق،ج3 ص 267.

(4) Huici Miranda:**Historia Musulmana de Valencia**,T.1, p.194.

(5) ابن بسام: مصدرسابق،م3 ص 26.

(6) المصدر السابق،م3 ص 26. أما كنفاً: جانباً، ظلاً، يقال أنت في كنف الله: أي في حرزه ورحمته.

الاحتفال بهذا الزواج في سرقسطة حيث أقيم زفاف، كان مضرب الأمثال في البذخ والبهاء [1]، واستدعى المؤتمن لهذا الزفاف أعيان الأندلس وأبطالها وكتابها ووزراءها وحجابها وأمراءها[2].

ويبدو أن صاحب سرقسطة كان يرمي من وراء تلك المصاهرة إلى تحقيق هدف سياسي وهو التحالف مع أمير بلنسية ضد القادر يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة الذي تحالف مع ألفونسو السادس ملك قشتالة[3]، وإن دلَّ ذلك على شيء فهو يّدل على النزعات القبلية وخلاف العرب والمغاربة، والتنافس بينهما الذي أخذ يقوى ويشتد على أثر الفتنة القرطبة، ومع بدء عصر دويلات الطوائف، كان كلما احتدم النزاع بين الطرفين كان يلجأ كل منهما إلى طرف آخر ليستعين به على خصمه، وخاصة إلى الملوك الإسبان. وهذا ما فعله القادر يحيى بن ذي النون (مغربي) الذي تحالف مع ألفونسو السادس ملك قشتالة، لإيجاد حلف سياسي في مواجهة المؤتمن ابن يوسف بن المقتدر (عربي). أما الملك الإسباني، فكان يعلم بأمر الخلافات والنزاعات بين العرب والمغاربة. لذا لم يتوان عن استغلال تلك الثغرة لضرب وإضعاف ملوك الطوائف وزرع عوامل الفتنة والتباغض فيما بينهم والتمهيد لتنفيذ وتسريع عملية الاسترداد، فكان كلما استدعاه ملك من ملوك الطوائف رأيناه يلبي الطلب سريعاً[4].

وإما كان الهدف من تلك المصاهرة تطلع المؤتمن إلى بسط نفوذه على بلنسية عن طريق تلك المصاهرة كما ذكر ابن الكردبوس، الذي يشير إلى أن ابن هود قد تمكن من تملك بلنسية[5]، ولكن من الثابت أن ذلك لم يحدث ولا سيما وأن أبا بكر بن عبد العزيز ظل أميراً على بلنسية حتى وفاته عام 478هـ/1085م.

1-6-3-مع السيد القنبيطور (El Cid Campeador):

لقد ظهر أثناء حكم أبي بكر بن عبد العزيز لبلنسية، وعلى المسرح السياسي، فارس قشتالي مغامر، دارت حول شخصيته فيما بعد ،القصص والملاحم إلى حد أن بعض مؤرخي إسبانيا اعتبروا هذا الفارس القشتالي بطلاً إسبانياً قومياً. ذلك هو السيد القنبيطور[6].

---

(1) ابن خاقان: **قلائد العقيان**، ص 67؛ ابن عذاري: مصدرسابق،ج 3 ص 304؛ المقري:**نفح الطيب**،ج2 ص 173؛ Turk:**El Reino de Zaragoza**,p.116.

(2) ابن خاقان:**قلائد العقيان**، ص 67.

(3) Huici Miranda:**Historia Musulmana de Valencia**,T.1,p.196.

(4) الباشا: مرجع سابق، ص 138-139، 154.

(5) ابن الكردبوس: مصدرسابق،ص 80-81.

(6) يعني هذا الاسم في اللغة اللاتينية كما يذكر ليفي بروفنسال:" قائد الغارات في السهول" أو بمعنى " القائد الكبير". راجع، بروفنسال: **الإسلام في المغرب والأندلس**، ص176. أما المؤرخون المسلمون فيفسرون هذا اللقب "بصاحب الفحص". راجع ابن عذاري: مصدر سابق،ج3 ص 305. أما تلقبه بالسيد (El Cid)، فهو تحريف لكلمة

لم يرد في المصادر العربية ما يشير إلى أن هناك ثمة علاقة بين أبي بكر بن عبد العزيز وبين السيد القنبيطور، إلا أن بعض المراجع الإسبانية التي تنقل عن المصادر القشتالية قد أشارت إلى حدوث احتكاك حربي بسيط بين السيد (El cid) الفارس القشتالي المشهور وبين أبي بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية.

ولكن قبل الحديث عن هذا الموضوع، يستحسن تقديم صورة موجزة عن شخصية السيد القنبيطور، إذن من هو ذلك السيد؟

الاسم الحقيقي للسيد هو رودريجو دياث دي بيفار(Rodrigo Diaz de Bivar)، وتسميه المراجع العربية باسم" لذريق" و"رذيق" أو "الطاغية روذريق"[1]، وكان والده دييجو لا نييث الأول (Diego Lainez) ينحدر من أسرة نبيلة، كما كان من رجال فرناندو الأول ملك قشتالة وليون. أما تاريخ ولادته فيبدو غامضاً ولكن بعض المراجع تعود بتاريخ ولادته إلى العام 436ه/ 1044م[2].

يشير الباحث أويثي ميراندا، استناداً إلى المصادر القشتالية، إلى أن السيد القنبيطور بعد أن نفاه ألفونسو السادس[3] ، صاحب قشتالة وليون عام 474ه/1081م، أخذ يؤخر جهوده الحربية لملوك الطوائف في إسبانيا، ملوك بني هود الذين تفرغوا لقتال بعضهم ؛ فقد التحق أولاً بخدمة المقتدر بن هود، فأحسن الأخير استضافته في سرقسطة. ثم ما لبث أن توفي المقتدر في العام نفسه أي عام 474ه/1081م، بعد أن قسم مملكته بين ولديه: فجعل سرقسطة من نصيب ابنه المؤتمن، ومدن دانية وطرطوشة ولاردة من نصيب ابنه المنذر. ولكن سرعان ما نشب الخلاف ودارت الحرب بين الأخوين فاشترك السيد القنبيطور إلى جانب المؤتمن ضد المقتدر وكان لذلك أعظم الأثر في إيقاع الهزيمة بالأخير، وقد تحولت بلاد الثغر الأعلى وشرق الأندلس إلى ساحة قتال عاث فيها السيد فساداً وعسكر بالقصير[4] ،من أعمال بلنسية تقع في الشمال الغربي للمدينة، زهاء خمسة عشر أسبوعاً، أعمل فيها سلباً ونهباً، مما أزعج سكان المدن المجاورة مثل قلعة أيوب[5]، دروقة[1] ، وغيرها من القرى المتاخمة الذين أرسلوا مندوبين عنهم إلى صاحب بلنسية

" السيد" العربية، بمعنى مولاي، وقد أطلقها عليه المسلمون وهو الذي كان يخدم بينهم ويحارب معهم. ونقلت هذه الكلمة إلى الإسبانية، فأصبحت "ميوسيد" (Mio cid) . بروفنسال: **الإسلام في المغرب والأندلس**،ص 184.

(1) مؤنس: **السيد القنبيطور**، ص 42.

(2) بروفنسال:**الإسلام في المغرب الأندلس**،ص 174.

(3) مؤنس: **السيد القنبيطور**، ص43-44؛ شعيب: مرجع سابق،ص80.

(4) القصير: تقع شمال غرب بلنسية.

(5) قلعة أيوب (Calatyub): مدينة بالأندلس كثيرة الأشجار والثمار.الحميري: مصدرسابق،ص 163.

يستغيثون به ويطلعونه على تصرفات السيد السلبية في ديارهم وتهديده لأرواحهم وأراضيهم وتخويف بلادهم واستيلائه على القصير وقتله عدداً كبيراً من أهلها. ولما كانت قلعة أيوب أقرب جغرافياً إلى سرقسطة من بلنسية، فقد كان على المقتدر أن يقوم بصد هجمات السيد، ولكنه كان مريضاً فتوفي ، عندئذٍ أصدر ولده المؤتمن أوامره إلى أبي بكر بن عبد العزيز بالتصدي لهجمات السيد، فاضطر أبو بكر بن عبد العزيز أن يخرج بقواته للرد على غارات السيد على المناطق التابعة لمملكته، فحشد قوة كبيرة من عسكر بلنسية إضافة إلى عدد من أجناد أعمالها، وزحفت هذه القوة إلى قلعة أيوب لتتقوى بمن ينضم إليها من أهلها تمهيداً لمواجهة السيد.

وتذكر المصادر الإسبانية أن أبا بكر بن عبد العزيز انهزم أمام السيد عند المواجهة التي حصلت بين الطرفين في معركة كامبال (Campal)[2].

وتجدر الإشارة إلى أن أويثي ميراندا قد أشار إلى عدم معرفته بمدى حقيقية تلك الأحداث التي أوردتها المصادر القشتالية خاصة أن المصادر العربية لم تشر إليها[3].

ومن الأهمية بمكان القول: إن بلنسية عاشت في ظل الوزير أبي بكر بن عبد العزيز نحواً من عشر سنوات، وكانت قد تعرضت لتحديات سياسية خطيرة، إلا أن الأخير كان نموذجاً للحاكم الحازم، فقد اتسمت سياسته بالتعقل والاعتدال، وتمكنت محبته في قلوب رعيته، إضافة إلى ذلك، فقد اتصف بالذكاء والدهاء والحنكة السياسية، واستطاع أن يبعد بلنسية عن ويلات الحرب التي كثيراً ما كانت تشتعل بين ملوك الطوائف بين الحين والحين. كما استطاع أن يتجنب هجمات جيرانه الأقوياء الطامعين في مملكته استناداً إلى سلاح الدهاء والديبلوماسية حيناً أو التحالف معهم بالمصاهرة حيناً آخر، أو من خلال موادعته ملوك إسبانيا، وذلك بدفع الجزية لملك قشتالة، وكان هذا هو الوضع السائد آنذاك بالأندلس لكي تبقى في مأمن من الأخطار.

أشادت المصادر بشخصية هذا الوزير، فحازت إعجاب ألفونسو السادس ملك قشتالة الذي كان يصرح في عدد من المناسبات:" رجال الأندلس ثلاثة أبو بكر بن عبد العزيز وأبو بكر بن عمار وششانده"[4].وقد شبه ابن الخطيب أبو بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية بالوزير أبي حزم

---

(1) دروقة (Daroca): مدينة بالأندلس من عمل قلعة أيوب، عظيمة في سفح جبل. وبين دروقة وقلعة أيوب ثمانية عشر ميلاً، وهي مدينة صغيرة كثيرة البساتين والكروم. رخيصة الأسعار. الحميري: مصدرسابق،ص 76-77.

(2) حول تلك الرواية راجع: Huici Miranda:**Historia Musulmana de Valencia**,T.1, pp.210-215.

(3) Huici Miranda:**Historia Musulmana de Valencia**,T.1,p.213,N.1.

(4) ابن بسام: مصدرسابق،م 3 ص 26. أما ششانده الذي أشار إليه ابن بسام فاسمه الحقيقي سسنندو دافيدس (Sisanando Davides) وكان من الإسبان المستعربة وأصله من إقليم بيزة من مدن شمالي البرتغال وهي غير بيزة التابعة لألمرية. وكان قد وقع أسيراً وهو حدث في يد القاضي ابن عباد في إحدى غاراته على منطقة قلمرية،

ابن جهور صاحب قرطبة، فقال:" حمل (أبو بكر) جِهَتَه على سداد، وقام بها بحال الاستبدال ؛ فَطَاوَلَ الجبال والآكام، وفَلَّ السيوف بالأقلام"(1)، وفيه قال ابن خاقان:" وكان أبو بكر هذا ذا رفعة غير متضائلة، وآراء لم تكن آفلة، أدرك بها ما أحب، وقطع غارب كل منافس..."(2)، ومما قيل فيه أنه: "لم يكن في أيامه ما يعاب عليه"(3)، وقد جاء في بعض المراجع الإسبانية " بموت الوزير أبي بكر بن عبد العزيز انطفأت الشعلة التي كانت تضيء بلنسية، وأظلم نورها"(4).

1-7- العلاقات الخارجية لمملكة بلنسية في عهد القادر يحيى بن ذي النون:

1-7-1- مع المستعين بن هود صاحب سرقسطة والسيد القنبيطور:

تقدَّم أن بلنسية عرفت أيام القادر يحيى أسوأ مرحلة تاريخية مرت بها منذ قيام عصر دويلات الطوائف(5)؛ فقد استبد القادر ومارس سياسة الظلم مع الرعية التي أرهقها بالضرائب. أما السيادة الحقيقية على بلنسية فكانت للبرهانس ممثل السيد القنبيطور وجنده الذين أخذوا يعيثون في المدينة. وبينما الأمور على هذه الحالة في بلنسية وحركات التمرد والعصيان أخذت تظهر خاصة في شاطبة التي زادت موقف القادر تحرجاً وضعفاً؛ فَإذا بالمرابطين قد عبروا الزقاق للدفاع عن الوجود العربي في الأندلس بعد سقوط طليطلة في يد ألفونسو السادس ملك قشتالة الذي بات يهدد بقية دويلات الطوائف، فلّما تجمعت جيوش المرابطين ومن انضم إليها من قوات الأندلس في الزلاقة، اضطرت الفرقة القشتالية بقيادة البرهانس إلى الانسحاب من بلنسية لتلحق بجيوش القشتاليين ولتشاركها في مواجهة جيوش العرب.

وفي هذه الأثناء ونتيجة لضعف القادر ورحيل القشتاليين أصبحت بلنسية هدفاً للطامعين في الاستيلاء عليها من ملوك الطوائف وعلى الأخص الحاجب المنذر بن هود صاحب لاردة وطرطوشة ودانية وشاطبة، فأخذ الأخير يفكر جدياً بالاستيلاء على بلنسية وضمها إلى مملكته(6)، لأن هذه المدينة باستمرار خضوعها للقادر يحيى بن ذي النون، كانت تقسم مملكته إلى شطرين . ومن ناحية أخرى نجد أن المستعين بن هود ابن أخيه صاحب سرقسطة يفكر هو أيضاً بدوره في

فاقتاده أسيراً إلى إشبيلية، ونشأ مع فتيان القصر هناك. ولما تولى المعتضد مملكة إشبيلية قدر له أن يترقى إلى منصب الوزارة، ثم حسده بعض أعدائه فهرب إلى الشمال والتحق بخدمة ملك قشتالة فرناندو الأول ثم ألفونسو السادس. عنان: **دول الطوائف**، ص 58؛ العبادي: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**،ص 282.

(1) ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**،ص202.

(2) ابن خاقان: **مطمح الأنفس**، ص 26.

(3) ابن عذاري: مصدرسابق، ج3 ص 304.

(4) Huici Miranda:**Historia Musulmana de Valencia**,T.1,p.259.

(5) ابن عذاري: مصدر سابق،ج3 ص 305.

(6) Huici Miranda:**Historia Musulmana de Valencia**,T.1, p.267-269.

الاستيلاء على بلنسية، خاصة بعد أن ساءت الأحوال الداخلية فيها وسادها الاضطراب وبدأ زمام الأمور يفلت من يد صاحبها القادر يحيى بن ذي النون.

وكان المنذر صاحب لاردة وطرطوشة ودانية وشاطبة أول من بادر بالخروج إلى بلنسية للاستيلاء عليها منتهزاً فرصة خروج القوات القشتالية (التي كان يقودها البرهانس) منها قبل موقعة الزلاقة؛ فسار المنذر على رأس قوة كبيرة من جيشه، وإلى جانبه فرقة من الجند القطلان، إلى بلنسية وأحكم الحصار حولها عام 481هـ/1088م[1].

وكان للحاجب المنذر أنصار وأعوان له داخل المدينة رحبوا بقدومه طمعاً في تغيير الأوضاع السيئة، وتخليصهم من ظلم القادر وطغيانه، وكان الحصار شديداً إلى حد أن الأخير أوشك على تسليم المدينة لولا نصيحة ابن طاهر (صاحب مرسية السابق) له بمواصلة التصدي والصمود[2]، عندئذ اضطر القادر إلى الاستنجاد بألفونسو السادس وكذلك بالمستعين بن هود ابن أخي المنذر، الطامع بالاستيلاء على بلنسية، وكان للأخير أيضاً داخل المدينة حزب مناصر له، ويود الأنضواء تحت لواء مملكة سرقسطة استناداً إلى المصاهرة القائمة بين بيت بني هود حاكم سرقسطة السابق، وبين أبي بكر بن عبد العزيز[3]. لذلك بادر المستعين بالتوجه نحو بلنسية وبصحبته حليفه السيد القنبيطور وجنده عام 481هـ/1088م، ويشير ابن الكردبوس إلى ذلك الحدث بقوله:" وخرج الحاجب منذر بن أحمد بن هود من لاردة، ونزل على بلنسية وحاصرها طامعاً في أخذها من يد القادر فلما سمع به ابن أخيه المستعين، استنصر بالقنبيطور – لعنه الله– وخرج معه في أربعمائة فارس والقنبيطور في ثلاثة آلاف فارس، وغزا معه بنفسه حرصاً منه على تملك بلنسية، على أن للقنبيطور أموالها وللمستعين جفنها أي المدينة"[4].

ولما علم المنذر بوصول ابن أخيه المستعين وحليفه القنبيطور لاستنقاذ بلنسية، أدرك عقم محاولته، فقرر الانسحاب، لذا فك حصاره لبلنسية وانسحب إلى مملكته، وأرسل إلى القادر يعتذر لما صدر منه تجاه بلاده ويبدي استعداده للتحالف معه ومساعدته ضد المستعين، فقبل القادر عرضه، رغم علمه بأنه لم يكن أقل طمعاً من ابن أخيه في الاستيلاء على بلنسية. وفي الوقت نفسه أرسل إلى السيد القنبيطور سراً، مبعوثاً يستميله ويوادعه بالهدايا والتحف بهدف محالفته.

وبعد أن وصل المستعين والقنبيطور وقواتهما، بادر القادر باستقبالهما، وشكرهما على تلبية

---

(1) ابن الكردبوس: مصدر سابق ص98 ؛ Huici Miranda:**Historia Musulmana de Valencia**,T.2,pp.8-9.
(2) عنان: **دول الطوائف**،ص 219-220.
(3) ابن الكردبوس: مصدر سابق،ص 98.
(4) المصدر السابق، ص 98.

طلبه، ودعاهما للنزول بقصره الواقع في ربض بلنسية المعروف باسم بيانوبيا (Villanueva) شمال المدينة، وبعد ذلك أخذ يحيك سلسلة من المباحثات والمفاوضات والمواثيق السرية بين الحليفين، بهدف فصل تحالفهما، فلّما اقترب السيد القنبيطور من بلنسية، بعث القادر إليه يرجوه لعقد مودة وتحالف معه سراً دون علم المستعين، وأرسل إلى القنبيطور مجموعة من الأموال والهدايا والتحف. ولما وصل القنبيطور والمستعين إلى بلنسية صرح إليه المستعين بحقيقة نياته، وأنه إنما قدم بلنسية لافتتاحها وليس لانقاذها، وطلب منه النصح والعون، ولكن السيد أخذ يماطل في مهاجمة المدينة، وتنكر لحليفه، ونكث الإتفاق القائم بينهما وأبلغه رفضه الاستيلاء على بلنسية بحجة أن الإقدام على مثل هذا العمل هو بمنزلة اعتداء على ألفونسو السادس، وصاحب المدينة– القادر– والأخير يتمتع بحماية ملك قشتالة ويؤدي له الجزية، مما دعا المستعين إلى العدول عن الدخول في مواجهة ألفونسو السادس، فقرر الانسحاب إلى سرقسطة تاركاً بلنسية تحت تهديد السيد القنبيطور وجنده.

1-7-2- مع المرابطين:

تدهورت الأوضاع في بلنسية، بسبب ضعف القادر من جهة، فابن الفرج كان الحاكم الفعلي لبلنسية، يدبر أمورها ويشرف على جباية الضرائب فيها،[1]وذلك أثناء غياب السيد القنبيطور في بلنسية وخروجه إلى سرقسطة لمساعدة المستعين في مواجهة الخطر الذي كان يتهدد الأخير من قبل سانشو راميرز (Sancho Ramirez) ، ومن جهة ثانية كانت المدينة قد خضعت لقوات السيد أي للإسبان، فأصبح لهم فيها أرباض لا يسكنها سواهم؛ ففي ربض ريوسا(Rayosa)، نجد المستعربين (Los Mozárabes)، وكذلك في ربض الرصافة في الجنوب الشرقي.إضافة إلى المستعربين، كان ربض الكدية (Alcudia)[2] في الشمال مخصصاً لنزول جند القنبيطور.

وللوقوف عند المستعربين [3]، يجد الباحث أن هؤلاء قد بذلوا كل العون للسيد القنبيطور، في أثناء حصاره للمدينة واستيلائه عليها، فإذا بهم يستغلون كل فرصة للعمل على تحطيم العرب، ومد يد العون إلى الملوك الإسبان، وتمهيد الأمور لتمكينها من مد سلطانها على أملاك العرب ، وتؤدي خدمات جّلى في سبيل قضية الاسترداد"[4].

أما وسط بلنسية فكان يعج بأهل بلنسية العرب، فمنهم من آثار التبعية للقشتاليين على

(1) Menéndez Pidal:**La España del cid**,V.1, P.429.
(2) Menéndez pidal: **La España del cid**, V.1, P.428.
(3) أشيرسابقاً إلى هؤلاء، وحول مواقفهم تجاه العرب، راجع، الباشا:مرجع سابق، ص147 وما بعدها.
(4) الباشا:مرجع سابق، ص 150.

الخضوع للقادر بن ذي النون، ومنهم من كان يسخط على القادر وأعوانه ويرفض وجود القشتاليين في مدينتهم وكان قاضي المدينة أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن جحاف المعافري [1]، يتزعم هذه الطائفة المعارضة للقادر ولصاحبه القنبيطور. .وفي ذلك الوقت كان المرابطون قد اقتربوا من بلنسية بعد استيلائهم على مرسية ودانية بقيادة ابن عائشة[2]، فأراد ابن جحاف أن يغتنم هذه الفرصة ليخلص بلده من الخضوع للقشتاليين، فاتفق مع كبار رجال بلنسية وفي مقدمتهم ابن واجب[3]، على استدعاء ابن عائشة فأرسلوا إليه يستدعونه إلى بلنسية ويعدونه بتسليم المدينة إذا ساعدهم على محاربة القادر والسيد، فاستجاب ابن عائشة لطلبهم فأرسل على الفور فرقة من المرابطين بقيادة أبي ناصر (ابن نصر في بعض الروايات)، وذلك في رمضان عام 485هـ/1092م[4].

وما إن اقتربت الفرقة المرابطية إلى مشارف المدينة من الجانب القبلي أمام باب بيطالة حتى اضطربت الأحوال بالمدينة، عندئذٍ بادر ابن جحاف وقاد جموع الثائرين تجاه قصر الإمارة، فاستولوا على القصر، وقبضوا على ابن الفرج، نائب السيد القنبيطور بالمدينة، وحاول القادر الفرار من المدينة فلم يقدر، لذا لجأ إلى أحد الدور، وأخذ يبحث عنه ابن جحاف حتى عثر عليه في ليلة الجمعة لسبع بقين من رمضان عام 485هـ/تشرين الثاني 1092م[5]، فسجنه واستولى على أمواله وكنوزه، ثم أمر بقتله، وكان ذلك في 23 رمضان عام 485هـ/1092م، وقد تولى ذلك فتى من بني حديدي[6] ، كان له ثأر قديم مع القادر[7]، وحملت رأسه على رمح، طيف به في شوارع شوارع بلنسية.

وبذلك يمكن القول: إن القادر رغم تربعه على عرش بلنسية، إلا أنه لم يستطع أن يحكم الأخيرة دون حماية خارجية هذا من جهة، ومن جهة ثانية لم يستطع أن يجنبها مطامع الدول المجاورة لها وتحمل مسؤولية الحكم.

---

(1) ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب،** ص 419؛ الضبي: مصدر سابق، ص 235، ترجمة رقم 616؛ ابن الأبار: **التكملة،** ج2 ص 194، ترجمة رقم 635. ابن الخطيب:**أعمال الأعلام،**ص 203.

(2) ابن الكردبوس: مصدرسابق، ص 101؛ ابن القطان: مصدرسابق،ص 8.

(3)هو أبو الحسن بن واجب صاحب الأحكام بالمدينة، وقد ولد عام 446هـ/ 1054م، وتوفي عام 519هـ/1125م. ابن بشكوال: مصدر سابق، ق 2 ص 574، ترجمة رقم 1268.

(4) ابن الكردبوس: مصدرسابق،ص 103؛ ابن عذاري: مصدرسابق،ج 4 ص 31؛ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام،** ص 203؛ Huici Miranda:**Historia Musulmana de Valencia**,T.2, p.51.

(5) Menéndez Pidal:**La España del cid**,V.1, pp.433-434.

(6) ابن عذاري: مصدرسابق، ج3 ص 277؛ سالم: **تاريخ المسلمين وآثارهم ،** ص 403.

(7) ابن خاقان: **قلائد العقيان،** ص 70؛ ابن بسام: مصدرسابق،م 3 ص 59؛ ابن الأبار: **الحلة السيراء،**ج2 ص 125-126.

8-1- العلاقات الخارجية لمملكة بلنسية في عهد القاضي ابن جحاف:

1-8-1- مع المرابطين:

منذ أن تسلّم القاضي ابن جحاف الحكم في بلنسية، والأخيرة تعيش حالة من اللااستقرار، والأهالي يعيشون في ذل، والأوضاع الداخلية في حالة تدهور مستمر بسبب استبداد السيد القنبيطور بشرق الأندلس، وضربه حصاراً حول بلنسية.. هذه الأوضاع دفعت بالبلنسيين إلى طلب النجدة من المرابطين؛ فما كان من هؤلاء إلا أن أمدوا القاضي ببعض الإمدادات من مرسية. لكن السيد القنبيطور تمكن وبنجاح- بعد مخادعة القاضي ابن جحاف- من إخراج تلك القوة مرغمة من المدينة (ذكر ذلك سابقاً بشيء من التفصيل).

عندئذ أدرك يوسف بن تاشفين مدى الخطر الذي يتعرض له الوجود العربي في بلنسية وشرق الأندلس،وما قد يصيبه في بقية أنحاء الأندلس من جراء استبداد القنبيطور، ورأى ضرورة التدخل مرة جديدة لوضع حد لظلم السيد. لذلك أخذ يعد العدة لإرسال حملة كبيرة إلى بلنسية بهدف إنقاذها من يد السيد القنبيطور، وذلك بعد أن وصله استصراخ أهل المدينة لنجدتهم وتخليصهم مما يعانونه من أهوال القنبيطور، وأشار ابن عذاري إلى ذلك بقوله :" وفي سنة 486هـ/1093م ،عَظمَ بلاء الطاغية على بلنسية، واشتد حالهم، وعَظُمَ أمرهم. فاستصرخوا أمير المسلمين يوسف وبَسَطوا عنده القول فيما نزل بهم فجدّ في أمرهم، وأمر قواده وعماله على بلاد الأندلس بنصرهم"[1].

استجاب يوسف بن تاشفين لندائهم فأرسل كتاباً إلى السيد عام 486هـ/تموز 1093م، يطالبه فيه بضرورة الانسحاب من أراضي بلنسية، فأجابه القنبيطور بكتاب ضمنه عبارات حقره فيها واتهمه بالجبن والخوف من ملاقاته، كذلك أرسل كتاباً إلى ملوك الطوائف في الأندلس عيّر فيها ابن تاشفين بالإحجام عن عبور البحر لإنقاذ بلنسية خوفاً من مواجهته[2].

وسرعان ما وصلت أنباء تحركات المرابطين للعبور إلى الأندلس إلى السيد، فأخذ الأخير يستعد لدفعهم، فتحالف مع أمراء شاطبة وقليرة (Cullera) ، واستولى على قلعة بني قاضي[3](Benicadi) ، ثم قام بغارة على أراضي شنتمرية الشرق (السهلة) (Albarracín) لتأخر صاحبها ابن رزين عن أداء الجزية[4].

---

(1) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص 33.

(2) Menéndez Pidal:**La España del cid**,V.1, p.450.

(3)قلعة بني قاضي (Benicadi): تقع جنوب بلنسية فيما بينها وبين لقنت.

(4) Menéndez Pidal:**La España del cid**,V.1, pp.451-454.

وفي ذلك الوقت تحركت قوات المرابطين، وكانت بقيادة أبي بكر بن إبراهيم المَسُّوفي المعروف بابن تافَلِويت وبالصحراوي، وهو ابن أخت يوسف بن تاشفين وزوج ابنته [1]؛ فوصلت إلى مدينة لورقة ثم وصلت إلى شاطبة، وبعثوا إلى بني واجب حلفاءهم في بلنسية يخبرونهم بقرب وصولهم إلى المدينة، فسرّت هذه الأخبار نفوس العرب وأحيت فيهم الآمال[2].

أما السيد القنبيطور فقد شكك في نوايا ابن جحاف نحوه، لذا عمد إلى اختباره ومخادعته من جديد– لأن السيد كان قد خدعه قبل ذلك، فعمد إلى إخراج القوة المرابطية مرغمة من بلنسية، بناءً لطروحات السيد، الذي أغراه بتأمين الحماية له ولعرشه ورد أي اعتداء قد يتعرض له– فطلب من ابن جحاف أن يأذن له بالنزول أياماً مع بعض أعوانه في قصر ومنية ابن عبد العزيز في ربض (Vellanueva) شمال شرق بلنسية، وينزل باقي جنده في ربض ريوسا (Rayosa) في جنوبها الغربي تجاه الرصافة، مستهدفاً إحكام الطوق حول المدينة، علماً أنه بذلك يحكم قبضته على ضاحية الكدية، فوافق ابن جحاف على طلب السيد، وقد غاب عن تفكيره محاولة السيد خداعه، عندئذ ثار الأهالي في بلنسية وسخطوا على ابن جحاف، وتزعم بنو واجب حركة التمرد ضده، حاول ابن جحاف تخفيف سخطهم وثورتهم، موسوغاً لهم بأن إقامة السيد مؤقتة، لكن الأهالي أجمعوا على خلعه وتنصيب الحسن بن واجب صاحب الأحكام رئيساً للجماعة، فتم ذلك عام 486هـ/ تشرين الثاني 1093م[3].

وفي هذا الوقت تسرب إلى المدينة خبر وصول القوة المرابطية فتجرأ البلنسييون وتمردوا على القنبيطور؛ فأقدموا على إغلاق أبواب المدينة في وجهه، واستعدوا للدفاع عنها، ناكثين بذلك تعهدهم إليه، ومن جديد عادت الأعمال العدوانية بين الفريقين(قوات القنبيطور والأهالي)[4].

وفي هذه الأثناء كانت القوة المرابطية قد وصلت إلى شاطبة، فانضمت إليها القوة المرابطية المعسكرة بشرق الأندلس وأعداد كبيرة من المتطوعة، ومن هناك زحف المرابطون نحو بلنسية ، وبلغت هذه الأخبار أهل المدينة فسروا، وقد أشار ابن عذاري إلى ذلك بقوله :" واستبشروا بنصرهم والانتقام من عدوهم، واستنشقوا ريح الحياة"[5].

في حين سارع القنبيطور بالانتقال من منية ابن عبد العزيز في الشمال إلى ربض ريوسا

---

(1) هو أحد كبار قواد المرابطين، تولى غرناطة عام 500هـ /1106م، ثم سرقسطة بعد ذلك، وتوفي فيها عام 510هـ / 1116م، ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج2 ص 276-277.

(2) ابن عذاري: مصدرسابق،ج4 ص33.

(3) مؤنس: **السيد القنبيطور**، ص 63؛: Menéndez Pidal:**La España del cid**,V.1,p.459.

(4) مؤنس: **السيد القنبيطور**،ص60.

(5) ابن عذاري: مصدرسابق،ج4 ص33؛ Menéndez Pidal:**La España del cid**,V.1,p.461.

(Rayosa) في الجنوب، وأقام هناك ينتظر وصول عسكر المرابطين،ولم يتردد في هذه الأثناء من نشر الدمار في المدينة،فدمر جسور المياه، وأغرق المناطق السهلة المحيطة به لإعاقة قوات المرابطين، إرغاماً لها على اتخاذ طريق ضيق متعدد الشعاب للوصول إليه[1]،واستعد لملاقاة المرابطين،فنظم قواته " فرقتين، وأمر كل فرقة فلزمت مصافها"[2].

أما أهل بلنسية فقد غمرتهم مشاعر الفرح، ولاسيما أن الأنباء أفادت بوصول المرابطين إلى شقر وقرب وصولها إلى مدينتهم، ثم جاءت الأخبار التي تُنبيء بانسحاب قوات المرابطين، إلى ذلك بقوله:" وأوقع الله لما قضاه في قلوب المسلمين النكول عنهم، فرجعوا عودهم، فبُهت أهل المدينة ويئسوا من الحياة" [3]، واسودت وجوههم كما لو كانت قد طليت بالقار، وتخاذلت أقدامهم وتهاوت وأصبحوا أشبه بسكارى، و فقدوا الوعي، وهووا في قرار سحيق كما لو كانوا قد سقطوا في أعماق المحيط[4].

أما أسباب الانسحاب المفاجئ للمرابطين، فصمتت المصادر العربية عن ذكرها ، ولكن المصادر الأجنبية– أشارت إلى ابن عائشة القائد المرابطي بمرسية، وجه كتاباً من دانية إلى بني واجب في بلنسية علل لهم فيه سبب انصرافه، بقلة المؤن معه، وبهطول الأمطار وتدافع السيول مما جعل سير الجيوش عسيراً فلم يكن له بد من العودة، ووعدهم بأنه سوف يعود إلى بلنسية لإنقاذ أهلها قريباً[5].

وأيا يكن الأمر، فقد انسحب الجيش المرابطي إلى شاطبة، ووجه قائده سير بن أبي بكر بن تاشفين اللمتوني[6]، أحد قواده المشاهير كتاباً إلى يوسف بن تاشفين بالمغرب ضمنه الأسباب التي دفعته على العودة إلى قواعده مسوغاً تقاعسه عن إنجاد البلنسيين[7]، لكن يوسف بن تاشفين، انفجر بركان غضبه، وبعث يؤنبه على ذلك التخاذل، ولم يلبث أن عزله من ولايته[8].

وهكذا كان لانسحاب المرابطين على هذا النحو آثاره السلبية على بلنسية، فكان من أبرز الأسباب التي دفعت أهل المدينة للاستسلام للسيد القنبيطور، الذي استبد بها وأذاق أهلها الذل

---

(1) مكي: **ملحمة السيد**، ص 128؛ Menéndez Pidal:**La España del cid**,V.1,p.460
(2) ابن عذاري: مصدرسابق،ج4 ص 33.
(3) المصدر السابق، ج4 ص 33.
(4) Menéndez Pidal:**La España del cid**,V.1,p.461.
(5) Huici Miranda:**Las Luchas del cid Compeador con los Almorávides**,V.6, P. 82.
(6) ابن عذاري: مصدرسابق،ج4 ص33 .
(7) ابن خلكان: مصدر سابق،ج 4 ص 127، 282؛ ج 5 ص 476-479؛ ابن عذاري: مصدرسابق،ج 4 ص 118؛ المقري:**نفح الطيب**،ج6 ص 140.
(8) ابن عذاري: مصدرسابق،ج4 ص 34؛ مؤنس:**السيد القنبيطور**،ص60-61.

والقهر.

1-8-2- مع المستعين صاحب سرقسطة:

بعد أن خضعت بلنسية للحصار الأول وذاقت مرارة الجوع والذل، وفشل المرابطون في استنقاذها، عادت ورزحت تحت الحصار مرة أخرى عام 487هـ/أواخر 1093م،و كان من نتائج ذلك الحصار أن هلك الكثير من البلنسيين بسبب الجوع، وارتفعت الأسعار، وأخذ القنبيطور وأجناده ومن ناصرهم من أشرار العرب يرتكبون الرذائل، ويشنون الغارات على العرب، ويكشفون الحرمات ويقتلون الرجال.. . وهذه السياسة من الخطط العسكرية الناجحة التي أعطت السيد القنبيطور أعظم النتائج وأفضلها، فبذلك تمهدت الأمور أمامه لإخضاع بلنسية والسيطرة عليها[1].

في هذه الظروف اضطر ابن جحاف إلى طلب النجدة من المستعين صاحب سرقسطة، فما كان من الأخير إلا أن قدم له النصح بالصبر والصمود، ووعده بالكتابة إلى ألفونسو السادس ليعلمه بما يجري، ليرسل إليه النجدة. لكن دون أي نتيجة تذكر، لذا يئس ابن جحاف من نجدة المستعين كما فقد الأمل في وصول أية نجدة لإنقاذ بلنسية[2] ، وفقد البلنسيون الأمل في وصول أية مساعدة خارجية، الأمر الذي أدى إلى توقيع اتفاق على تسليم المدينة للسيد القنبيطور وذلك في 28 جمادي الأولى 487هـــ/15 حزيران 1094م.

1-9- المرابطون وسقوط مملكة بلنسية في يد السيد القنبيطور:

أدى سقوط بلنسية في قبضة السيد القنبيطور إلى اضطراب الأحوال، فاهتزت ورُوعت الأندلس، كما رُوعت من قبل بسقوط طليطلة بيد ألفونسو السادس ملك قشتالة، فتوالت على يوسف ابن تاشفين رسائل الاستغاثة، التي تصف ما أصاب شرق الأندلس ولاسيما بلنسية من الضرر، بسبب الدمار وتقطيع الأوصال، والذل على أيدي الإسبان، وأشار ابن علقمة إلى هذه الحالة بقوله: "واشتد جزع المسلمين بدانية، وما اتصل بها من ذلك الصُّقع من القلاع والقواعد، وكثر شن الغارات من بلنسية عليها، وتوالى الضرب، وعظم الضرر، وانقطعت السابلة، وخافت الطرق وصار أهل تلك الجهات في أضيق من العزق، وقد حميت الفتنة فخاطب الناس أمير المسلمين مستصرخين معلمين بفساد الشرق وإشراف الأمة على الهلكة"[3].

وفي هذه الأثناء كان المرابطون، قد ثبتوا وجودهم في جنوب شرقي الأندلس حتى مرسية

---

(1) ابن الكردبوس: مصدرسابق،ص 103.
(2) مؤنس:**السيد القنبيطور**،ص 63.
(3) ابن عذاري: مصدر سابق،ج4 ص 34.

ودانية، وكان هدفهم الأساسي استنقاذ الأقاليم الشمالية من شرق الأندلس وتحريرها من السيطرة القشتالية، غير أن سقوط بلنسية بيد السيد ونشر الدمار في نواحيها، دفعهم إلى الاهتمام بأمر شرق الأندلس[1]،لأن بقاء الأمور على حالها من شأنها أ ن تهدد البلاد كلها من الضياع.

ويبدو أن يوسف بن تاشفين كان يدرك الآثار المترتبة على سقوط بلنسية وما يليها في يد السيد، وأن بلنسية لم تكن كل هدفه، لذا شغله التفكير في هذا الأمر وأقلقه، وعبّر ابن بسام عن انزعاجه لذلك واهتمامه بالأمر، فقال:" وتجرد أمير المسلمين لما بلغه هذا النبأ الفظيع، واتصل به هذا الرزء الشنيع، فكانت قذى[2] أجفانه، وجماع شأنه، وشُغْلَ يده ولسانه"[3].

وبالمقابل فإن القنبيطور صاحب الحنكة السياسية، كان على علم لما يعده المرابطون رداً على أعماله العدائية، فبادر بالتحرك وأخذ يتقرب من الملك بدرو الأول حاكم أراغون ويعرف في المصادر العربية باسم ابن ردمير[4]، وتم التحالف بينهما عام 487هـ/أيار-حزيران 1094م، هدفه الأول مواجهة ردود الفعل المرابطية التي كانت تتهدد المناطق المتاخمة لمملكة بلنسية[5].

وبدأ يوسف بن تاشفين في تجهيز قواته لاسترجاع بلنسية، فحشد جنوده في مدينة سبتة[6]، وأوكل مهمة قيادتها إلى ابن أخيه الأمير محمد بن إبراهيم بن تاشفين، وكتب إلى ولاته على غرناطة وشنتمرية الشرق وطرطوشة وألبونت ولاردة، أن يجمعوا الجند للسير إلى بلنسية من أجل إنقاذها.

وبناءً على تلك التطورات التي كانت تحدث في بلنسية عبرت قوات المرابطين إلى الأندلس، وتقدمت نحو شرق الأندلس فوصلت إلى مرسية في شعبان عام 488هـ/أيلول1094م، أي بعد ثلاثة أشهر من سقوط بلنسية.

وما إن علم السيد بوصول القوات المرابطية إلى المدينة حتى استعد لملاقاة جيوش المرابطين، ولم يكن يثق في ولاء أهل بلنسية له، ولهذا عمد إلى نزع السلاح من البلنسيين وأصدر أوامره بقتل كل من يتآمر مع المرابطين ضده، وأخذ يبث الرعب بين الأهالي، واعتقل من يشك في ولائه من أهل المدينة، وصادر أموالهم، ونفاهم خارجها، وقتل كثيراً منهم[7].

نتائج معركة كوارت:

(1) مؤنس: **السيد القنبيطور**،ص71.
(2) قذى: قذى الأجفان:إصابتها بالرمص والرمص.ابن بسام: مصدرسابق، م3 ص 62.
(3) المصدر السابق، م3 ص 62.
(4)عنان :**دول الطوائف**،ص 392.
(5) Menéndez Pidal:**La España del cid**,V.1,p.503.
(6) سبتة: مدينة في شمال المغرب. ابن خلدون: مصدر سابق، ج1 ص 83.
(7) ابن عذاري: مصدر سابق،ج4 ص 40.

في رمضان عام 488هـ/أواخر1094م، اتجهت قوات المرابطين نحو بلنسية، وعسكرت بغربها قرب بلدة كوارت (Cuarte)[1]، حيث لحقت بها قوات المرابطين في الأندلس، وتجمعت الحشود في ذلك الموقع، وأرهبت هذه الحشود العظيمة عساكر السيد، فهم بعضهم بالفرار، ولكن قائدهم القنبيطور لم "يَرُعه في ظاهر الأمر ذلك الجمع ولا عبأ به"[2] . فأخذ يبث الحماس بين جنده، وأشاع بينهم بأن النصر في المعركة أمر محتوم، فقد أخبره الطير بذلك.

جدير بالذكر أن السيد كان يؤمن بالتفاؤل والتشاؤم، ومن ذلك أن طيوره بشرته بالظفر على العرب، بعد أن علم بوصول قوات المرابطين قرب بلنسية وفي ذلك قال أحدهم ساخراً من لُذُرَيْق وطيوره: (البسيط)

قولُوا لِلذْرَيق إنَّ الحقّ قَدْ ظَهَرَا ... أو نقــدوه إذا مَا طَيْــره زُجرَا

سُيوف صنهاجةٍ في كل مُعْتَرَك ... تَأْبَى لأَطياره أَنْ تَصْدُقَ الخبَرا [3]

ويروى ابن عذاري نقلاً عن ابن علقمة أن السيد عمد إلى إبعاد النساء والأطفال الضعاف عن المدينة، فلجأن إلى معسكر العرب فوقعن في أيدي السودان وخدمة الدواب، والسفلة من الباعة، فغلبوا عليهن وفسقوا بهن، وللأسف لم يصل تلك الأخبار إلى قائد الجيش ليقوم بواجبه في النهي عن المنكر[4] .

هذا وقد لجأ السيد القنبيطور إلى إشاعة أخرى ـ مفادها أن جيش حليفه بدرو الأول ملك أراغون قد وصل بالفعل إلى بلنسية لمساعدته ونجدته[5]، مستهدفاً زرع الخوف والذعر في قلوب الجيش المرابطي، وهذا أحد العوامل النفسية ذات التأثير الفعّال في التكتيك العسكري.

ويروي ابن علقمه المؤرخ البلنسي حوادث المعركة بشيء من الإيجاز فيقول: "وفي الثامن من شوال أشاع اللعين أن ابن ردمير (ملك أراغون) لحق بجملته لنصرته، فأعمل الحيلة وأخرج جمعاً من الروم، وأمرهم أن يشغلوا المسلمين بالتناوش ليظنوا أنه الكمبيطور، وخرج هو من حومة أخرى فأجفلوا أمامه، فأخذ إلى المحلة فدوختها خيله، واتصل الصراخ بالأمير محمد (ابن عائشة)، فَكَّر إليها، ومتى انفض الناس عنه والمحلة تنهب، فتوقف العدو عن الإتباع وأقبل على النهب"[6].

---

(1) كوارت: غرب بلنسية وجنوبي نهر (Turia)، عنان: **دول الطوائف**،ص 236.
(2) ابن عذاري: مصدرسابق، ج4 ص 35.
(3) المصدر السابق، ج4 ص 35.
(4) المصدر السابق، ج4 ص 35.
(5) المصدرالسابق،ج4 ص 40.
(6)المصدرالسابق، ج4 ص 40.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن علقمة يذكر أن القنبيطور قد استنجد بحليفه ملك أراغون. أما ابن عذاري فيذكر أنه استنجد بألفونسو السادس ملك قشتالة.

ولكن يبدو، ومن خلال نص ابن عذاري أن السيد قد استنجد بكل من ملكي أراغون وقشتالة، بدليل ما ذكره حول ملك قشتالة الذي خرج لنجدة القنبيطور ولكنه لم يدرك المعركة، فأرسل له القنبيطور جملة من الهدايا ونصيبه من الغنائم[1].

وأيّا تكن النجدة التي طلبها السيد، فقد نجحت خطته وتمكن من الانتصار على المرابطين في أول اشتباك وقع بينه وبينهم أي معركة كوارت (Cuarte) في الثامن من شوال عام 488هـ/تشرين الأول عام 1095م، وغنم القنبيطور كثيراً من الخيل والعتاد والمؤن، ثم عاد إلى بلنسية ظافراً غانماً[2]، ويروي ابن عذاري أن وقع الهزيمة التي مني بها المرابطون كان شديداً على يوسف بن تاشفين، فاشتد غضبه على ابن أخيه (الأمير محمد) "لتضييع الحزم وإسلام المحلة دون حرب يقوم به عذر"[3].

وبعد الهزيمة التي أوقعها السيد بالمرابطين، اتجهت جيوش المرابطين إلى دانية، ومن هناك تابعت إلى شاطبة، حيث أرسل القائد محمد إلى يوسف بن تاشفين يعتذر له عما بدر منهم، فأعرض عنه في البداية، ولكن ابن تاشفين عاد وعفا عنه، وأرسل يستقدمه إليه، وأقام على الجيش ابن عمه القائد ابن الحاج[4] بدلاً منه[5]. أما السيد القنبيطور، الذي عاد إلى بلنسية بعد أن أحرز انتصاراً على المرابطين، أمر أهل المدينة، بالاجتماع في ساحة القصر حيث ألقى فيهم خطاباً أشار فيه إلى النصر الذي حققه على المرابطين رغم كثرة عددهم، مقابل قلة ما لديه من العسكر، ثم أمرهم بأن يقدموا إليه سبعمائة ألف مثقال، وهددهم بالقتل إذ لم يقدموا له هذا القدر من المال، ثم خرج وأبقى العرب في القصر بعد أن أغلق الباب عليهم، فأصبحوا أسرى فيه والروم تحفهم بالأسلحة، وخرست الألسن.

وفي ظل هذه الأوضاع، تحول اليهود عن العرب، بعد أن قوي الإسبان عليهم –/خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، عندما زالت الخلافة الأموية، وقامت دول الطوائف– وتمكنوا من فرض الجزية على ملوك الأندلس، الذين خنعوا في ذل لهم، فدفعوا لهم

---

(1)ابن عذاري: مصدرسابق، ج4 ص 35-36.
(2) المصدر السابق،ج4 ص 36.
(3) المصدر السابق، ج4 ص 36.
(4)هو محمد بن سيموين بن محمد بن ترجوت، كنيته أبو عبد الله، ابن عم يوسف بن تاشفين، وأحد قواده الكبار. وأسرة بني الحاج هي مغربية الأصل تنتمي إلى قبيلة صنهاجة، وأنجبت عدداً من أعظم قواد المرابطين: ابن الكردبوس: مصدر سابق،ص 96،حاشية رقم 1؛ ابن القطان: مصدرسابق، ص 110، حاشية رقم 1.
(5) ابن عذاري: مصدرسابق، ج4 ص 37.

الجزية وفقدوا بذلك عزيمتهم[1].

وكان سبب تحول اليهود إلى المعسكر الإسباني، أنهم أي اليهود، وجدوا أن ذلك ضروريّ لتحقيق مصالحهم العامة التي كانوا وما يزالون يعرفون كيف يحققونها ويحصلون عليها. وكان ذلك من خلال التجائهم إلى الفريق الإسباني، الذي غدا هو الأقوى على المسرح السياسي الأندلسي، فأخذوا يعملون عند الإسبان في الكتابة والوزارة وشتى ميادين الخدمة العامة[2]، فعلى سبيل المثال، بعد أن تمكن السيد القنبيطور من السيطرة على بلنسية، وأمر أهلها بدفع سبعمائة ألف مثقال، رأى الباحث أن وزيره اليهودي[3]، قد تدخل في معالجة الأمر، حيث أخبر البلنسيون بأن السيد قد خفض لهم المبلغ المطلوب إلى مائتي ألف مثقال ثم طلب منهم، أن يبادروا بتوزيعها على أنفسهم، وافتداء أرواحهم منه. وانطلاقاً من ذلك، حدد أهل بلنسية ما يدفعه كل منهم بحسب إمكاناته المادية[4].

وقد أطلق السيد القنبيطور، يد اليهود للتنكيل بالعرب، وفي ذلك يقول ابن عذاري : "وبلغ اليهودي – لعنه الله – من العرب مبلغ الغاية في العذاب، وسلط اليهود على العرب، فبلغوا النهاية في النكال والنكاية، ومنهم الأمناء الموكلون، والمتصرفون، وأصحاب الرسوم، وخدام البر والبحر، وجلس اليهودي للقبض بباب المدينة، من الضرب بالعصا والسوط، وقيض لكل منهم شيطاناً يخرج معه كل عدد، فإن جاء بشيء، وإلاَّ أخذ بالسوط والعذاب وتمادت هذه المحنة مدة"[5].

ويبدو أن الإسبان في عهد ملوك الطوائف، حاولوا استقطاب اليهود في صراعهم ضد العرب، فسمحوا لهم بإقامة أشياء لم يكن مسموحاً لهم بإقامتها في العهود السابقة، ويبدو أن هذه الأمور وتدخلهم في شؤون الحكم كان يستهوي قلوبهم **(لليهود)** ويجعلهم يفضلونه، ويرغبون بممارسته، من منطلق أن كفة ميزان القوى كانت تميل لصالح الإسبان[6].

ويذكر مينندث بيدال أن السيد عقد اجتماعاً آخر في قصره مع أعيان بلنسية، أعلن لهم فيه

---

(1)خالص، صلاح؛ **إشبيلية في القرن الخامس الهجري**، دار الثقافة، بيروت، 1981م، ص 33-34.

(2) في هذا المجال ذكر ابن عذاري: أن حاكم قشتالة وليون "ألفونسو السادس"، قال: "الجمعة لكم، والسبت لليهود، وهم وزراؤنا وكتابنا، وأكثر خدم العسكر منهم، فلا غنى لنا عنهم، والأحد لنا". ابن عذاري: مصدر سابق، ج 4 ص 41؛ زعرور، أحمد : مرجع سابق، ص 82 وما بعدها.

(3) الوزير اليهودي: هو ابن الفرج، وكان من يهود بلنسية، وقد كان وزيراً للقادر أيضاً. راجع مؤنس: **السيد القنبيطور**، ص 37.

(4) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4ص 41.

(5) المصدر السابق، ج4 ص 41.

(6) زعرور، أحمد : مرجع سابق، ص 83.

بضرورة تسليم ابن جحاف إذا أرادوا عفوهم عنه، ووصفه بالخائن الذي خان سيده القادر وغدر به، وحمّله سبب ما عانوه أثناء الحصار[1].

إستاء أهل بلنسية من خطاب القنبيطور، ووضعهم في موقف حرج، فلم يستطيعوا تقرير أي شيء، وردوا عليه بأنهم سيتداولون الأمر فيما بينهم.

ثم ذهب وفد لمقابلة ابن عديس (ابن عبدوس) متولي الضرائب، وطلبوا بنصحه فيما يجدون من تغير السيد ونكثه الوعود، فرد عليهم قائلاً:" أيها السادة الشرفاء، النصيحة من السهل التقدم بها، وكلكم تعلمون مدى الخيانة التي ارتكبها ابن جحاف ضدكم بقتل سيدكم الملك القادر والآن عليكم أن تتفقوا في تمكين السيد منه، ولا تخافوا شيئاً لأنني أعرف أنكم لن تطلبوا شيئاً من السيد إلا وأجابكم إليه"[2].

وبذلك لم يجد البلنسيون أمامهم سوى تنفيذ رغبة السيد بتسليم ابن جحاف، وطلبوا منه قوة كبيرة للقبض عليه. وبهذه القوة تمت محاصرة دار القاضي، وقبضوا على قاضيهم وأفراد أسرته وجميع أتباعه، وحملوهم جميعاً إلى القنبيطور الذي أمر بمعاقبته وجميع أهله، وكل من اشترك في قتل القادر[3].

ويذكر بيدال نقلاً عن المصادر القشتالية، أن السيد القنبيطور جمع أعيان المدينة وأعلن لهم عن عزمه لتنفيذ رغباتهم لا سيما فيما يتعلق بالمزارع، ولكنه اشترط مقابل ذلك أن يقيم في قصر الإمارة داخل بلنسية، وأن يتولى جنوده حراسة كل القلاع والحصون[4]، رغم أن كل ذلك كان مناقضاً للإتفاق، إلا أنهم لبوا كل طلبات السيد وخضعوا لشروطه.

وما إن حصل السيد على هذه الموافقة حتى غادر منية ابن عبد العزيز بربض بيانوبيا (Vellanueva) ودخل بلنسية واستقر في قصر الإمارة منتصف عام 488هـ/ أواخرعام 1094م[5].

وبقي يحكمها حتى وفاته عام 492هــ/ العاشر من تموز عام 1098م، وقد حكم بلنسية خمس سنوات قضاها في صراع مستمر مع المرابطين وقد أشير إلى ذلك سابقاً.

2- العلاقات التجارية:

لقد شهدت مملكة بلنسية قيام نشاط اقتصادي واسع النطاق؛ فعلى الصعيد الجغرافي، تمتعت

---

(1) Menéndez Pidal:**La España del cid**,V.1, p.512.
(2) Menéndez Pidal:**La España del cid**,V.I, p.512.
(3) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص 37؛ Menéndez Pidal:**La España del cid**,V.1, p.512.
(4) Menéndez Pidal:**La España del cid**,V.1,p.514.
(5) Huici Miranda:**Historia Musulmana de Valencia**,T.2,pp.110-111.

المملكة بموقع في منتصف الساحل الشرقي للأندلس، الأمر الذي جعلها تتألق كمركز تجاري رئيسي في شرق الأندلس؛ فلقد هيأ لها هذا الموقع الارتباط مع كور الأندلس الأخرى بسهولة، كما هيأ لها وقوعها على النهر سبل الاتصال النهري مع المناطق البعيدة، وعلى ساحل البحر الارتباط مع الثغور البحرية المغربية والقطلانية بالإضافة إلى جزر البليار.

وفي الحقل الزراعي، توافر في المملكة كل مقومات هذا الميدان، من مياه، وخصوبة تربة، ومناخ معتدل، ووجود آلات خاصة بالزراعة، بالإضافة إلى اليد العاملة وتنظيم عملية الري، وتنوع المنتوجات الزراعية وغيرها..

أما على الصعيد الصناعي، فقد اكتنزت المملكة الكثير من المواد الأولية: الورق، والخزف والأخشاب وغير ذلك.

أمام كل هذه المعطيات كان من الطبيعي أن تنشط الحركة التجارية في المملكة البلنسية وخارجها، بحيث أصبحت المملكة سوقاً تجارياً عالمياً ومركزاً لتجارة ساحل الأندلس، ومنفذ للزراعة المحلية الغنية والمتنوعة، وغدت بلنسية نفسها ميناءً مهماً في عصر ملوك الطوائف.

رغم ندرة المعلومات حول قيام علاقات تجارية ما بين مملكة بلنسية وباقي المدن الأندلسية في عصر ملوك الطوائف، والدول المغربية ودول إسبانيا. فهناك إشارات، تشير إلى قيام علاقات تجارية قامت بين هذه الأقطار وبين مملكة بلنسية.

2- العلاقات التجارية لمملكة بلنسية:

2-1- مع المدن الأندلسية:

قامت علاقات تجارية ما بين مملكة بلنسية والمدن المحيطة بها. وما يعزز هذا الكلام وجود طريق رئيسية للتجارة الداخلية، كانت تربط قرطبة بغرناطة ومرسية وبلنسية وطرطوشة ولاردة، وهذا ما أشار إليه ابن حوقل الأمر الذي ساعد قواعد الأندلس على تصريف منتوجاتها عن طريق ثغر بلنسية وطرطوشة[1].

أما أهم الحاصلات التي كانت تحمل إلى كل بلاد الأندلس : الأرز[2] وكذلك الزعفران والقرمز الذي يجود في أراضيها ويحمل إلى الآفاق[3].

أما أبواب بلنسية، فقد أسهمت هي أيضاً بقيام علاقات تجارية ما بين بلنسية والمدن الأخرى المجاورة لها؛ فهناك باب يؤدي إلى سرقسطة وطرطوشة وطليطلة، وباب يؤدي إلى شاطبة ودانية

---

(1) ابن حوقل: مصدر سابق، ج1 ص109.
(2) العذري: مصدر سابق، ص 17.
(3) المصدر السابق، ص 17؛ ياقوت: **معجم البلدان**،ج1 ص581.

وشقر [1] ومربيطر [2].

أما الجسور، والقناطر المقامة على الوادي الأبيض؛ فقد كان لها دور كبير في تسهيل عملية التجارة ما بين بلنسية وجوارها؛ فعن طريق القنطرة كان الاتصال بين بلنسية وربضها الشمالي أي ربض منية ابن عبد العزيز، وعن طريق الجسر كان الاتصال ما بين بلنسية وطليطلة وسرقسطة وطرطوشة.

هذا وقد نشطت الحركة التجارية ما بين بلنسية ودانية وشقر وغيرها؛ فبلنسية تتميز بشبكة مائية صالحة لانتقال السفن والمراكب والزوارق؛ فإذا بالسفن تدخل نهر بلنسية والزوارق تصل بين ضفتي نهر شقر[3]، والمراكب تنقل الأخشاب عبر مصب نهر شقر وتحمل إلى دانية، حيث دور صناعة السفن والمراكب والزوارق، وما كان عريضاً كان يستخدم في بناء الدور والأبنية[4] .

أما عملية تخزين البضائع قبل توزيعها على التجار وإيواء التجار الغرباء[5] ،إضافة إلى وجود مخازن للغلال، خاصة الحنطة، لهو دليل على قيام علاقات تجارية ناشطة في بلنسية؛ فالسيد القنبيطور وخلال حكم القادر يحيى بن ذي النون كانت له مؤن وأطعمة يختزنها في بلنسية[6].

ومما أسهم في قيام علاقات تجارية ما بين المملكة والمناطق المجاورة لها توافر الأمن والاستقرار وابتعادها عن الحروب والفتن، التي شملت منطقة جنوب الأندلس وقتذاك– باستثناء فترة تعرضها لعدوان السيد القنبيطور– فكان لذلك أثره الإيجابي في قيام حركة تجارية ناشطة ما بين المملكة والمدن المجاورة لها.

2-2- العلاقات التجارية لمملكة بلنسية مع المغرب:

ارتبط المغرب الأقصى بالأندلس ارتباطاً وثيقاً، حيث أسهمت الظروف الجغرافية للمنطقتين إضافة إلى الموقع في التقريب بينهما إذ أنهما يكونان معاً وحدة جغرافية متماسكة، ويعتقد الجغرافيون أن جبال البرانس هي الحد الفاصل بين بلاد المغرب وأوروبا. وبذلك اعتبروا شبه جزيرة إيبيريا امتداداً لإفريقيا[7]، والمسافة التي تفصل بين القطرين لا تتجاوز خمسة عشر كيلو

---

(1) العذري: مصدر سابق، ص 18.
(2) المصدر السابق، ص 19.
(3) الحميري: مصدر سابق، ص 47، 103.
(4) الإدريسي: مصدر سابق، م2 ص 560؛ كونستل: مرجع سابق، ص 294-295.
(5) سالم: **التخطيط ومظاهر العمران**، ص 57؛ Dozy: **Supplement aux dictionnaires arabes**,T.2, p.440.
(6) ابن عذاري: مصدر سابق، ج4 ص 31.
(7) العدوي: مرجع سابق، ص 111.

متراً في بعض نواحيها، فمن هنا تأتي أهمية المضيق الذي يفصل بينهما، حتى أصبح تاريخ المغرب الأقصى والأندلس يكاد يتمم بعضه بعضاً وأطلق المؤرخون عليهما بحق اسم العدوتين[1].

هذا وقد أكدت الأحداث السياسية هذه العلاقة بين الإقليمين، فتارة يبسط الأندلس سلطانه على المغرب كما حصل أيام الناصر في عهد الدولة الأموية[2]، وتارة يخضع الأندلس للسلطة السياسية بالمغرب الأقصى كما حدث في عهد المرابطين والموحدين إذ أصبحت الأندلس إقليماً تابعاً للحكومة المركزية بمراكش. كل ذلك أدى إلى وجود علاقات تجارية ناشطة بين الإقليمين، فكانت السفن تسير في قوافل منتظمة تحمل البضائع المختلفة بين المغرب والأندلس.

أما تدخل المرابطين في شؤون الأندلس، فيبدوا أن للعامل الاقتصادي دوراً في ذلك، والممثل برغبتهم في السيطرة على الخطوط التجارية القادمة من الصحراء، والأندلس مثل نهاية الخطوط التجارية والأسواق الرئيسية لتجارة الصحراء والمغرب، المنطلقة نحوها من موانئ شمال المغرب الأقصى والأوسط[3].

هذا من جهة ومن جهة ثانية يبدو أن يوسف بن تاشفين، ولو لم يستنجد به الأندلسيون، فإنه لم يكتف بما أنجره في المغرب، وقد أسس امبراطورية مترامية الأطراف في أقل من ثلاثين عاماً وأن يترك الأندلس تحت رحمة حركة الاسترداد الإسبانية[4]، و لا سيما وأن فتح أسواق الأندلس أمام تجارة غرب إفريقيا، كان يعني تمهيد الطريق إلى أسواق أوروبا عن طريق موانئ شرق الأندلس، إذ أصبح بمقدور السفن الأوروبية أن تتردد على موانئ شرق الأندلس وتحمل ما تحتاج إليه من سلع ومنتجات بلاد المغرب وغرب إفريقيا[5] ، خاصة بعد نمو البحرية المرابطية وظهورها في ميدان الصراع الدولي الدولي في غرب المتوسط بحيث أصبحت تنافس المدن الإيطالية وغيرها، وقد نجح المرابطون في بسط نفوذهم على جميع النصف الغربي من حوض المتوسط، وذلك بعد استيلائهم على منطقة شرق الأندلس وموانئهما وجزر البليار (الجزر الشرقية)، ذلك أن البحرية القوية تستطيع حماية السفن التجارية من خطر القراصنة، وتأمين الطرق البحرية والسهر على حراستها[6].

ومن الأهمية يمكن القول: إن العداء السياسي بين العالم الأوروبي والعالم العربي لم يؤثر بدرجة كبيرة على التجارة الخارجية، ذلك أنه بعد استيلاء المرابطين على الأندلس ازداد حجم

---

(1) محمود ، حسن أحمد: **قيام دولة المرابطين**، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1957م، ص 19.
(2)المرجع السابق، ص 30.
(3) بدر، أحمد: **تاريخ المغرب والأندلس**، دمشق، 1981م، ص 203-204.
(4) العبادي: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، ص 161.
(5) محمود: مرجع سابق، ص 400.
(6) العبادي: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس** ، ص 321.

التجارة بين ممتلكات المرابطين وبين سائر بلدان الغرب الأوروبي[1]، وقدر للعملة المرابطية (الدينار الذهبي) أن تصبح واحدة من أهم العملات المستعملة في غرب المتوسط في العصر الوسيط، وقد ضرب في إشبيلية عدد من الدنانير المرابطية عام 487هـ/1096م، وكذلك أقيم عدد من بيوت الضرب الأندلسية في الجهة الشرقية، ويبدو أن ذلك كان نتيجة لزيادة الاتصالات التجارية الإيطالية خاصة مع دانية وبلنسية[2].

وجدير بالذكر أن حركة النقل التجاري بين شرق الأندلس وشواطئ المغرب كانت ناشطة جداً، وكان أعداد التجار الوافدة إلى المغرب من الأندلس كبيرة، وكان وجودهم إما مؤقتاً كما يذكر أحمد بدر، أي في الوقت الذي يقصدون فيه الأسواق الموسمية في بعض المناطق، كما هو الحال في أصيلة، حيث تقام سوق جامعة ثلاث مرات في السنة؛ في العيدين (عيد الأضحى وعيد الفطر) وعاشوراء. وفي كثير من الأحيان كان البعض من الأندلسيين يقيم إقامة دائمة مختلطاً بالسكان في مدنهم حيناً، أو يشارك في بناء مراكز جديدة، وحيث يقطن الأندلسيون كان السكان في مدنهم يلتمسون حماية بعض هؤلاء السكان مقابل حصة معينة من الأرباح أو مبلغ من المال[3].

أما أهم صادرات مملكة بلنسية إلى غرب إفريقية وجميع بلاد المغرب، النسيج البلنسي[4] ، إضافة إلى الكتان[5].

وكان الكاغد الذي اختصت به شاطبة من صادرات مملكة بلنسية إلى بلاد المشرق والمغرب أيضاً[6]، وكان التجار يتجهزون من شاطبة أيضاً بالأمتعة إلى غرب إفريقية وجميع بلاد بلاد المغرب[7].

وكان لتجارة الزيت أهمية كبيرة في بلاد حوض المتوسط، وكانت الأندلس تنتج منه كميات وافرة تفي حاجة الاستهلاك المحلي، ويبقى فائض كبير تصدره إلى الخارج، خاصة مدن البحر المتوسط ومن بينها المغرب وغرب إفريقية وغيرها من مدن البحر المتوسط[8].

---

(1) لويس: مرجع سابق، ص 387.

(2) Devisse, Jean: Routes de commerce et échanges en Afriqne occidentale en relation avec la Méditéraneé un essai sur le commerce africain médiéval de XI e au XVIe siècle", Revue d'histoire économique et social, 1972, pp. 65-66.

(3) بدر، أحمد : **دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها**، مكتبة القضبان، دمشق، 1969م، ج1 ص 146.

(4) المقري: **نفح الطيب**، ج4 ص 195.

(5) ابن سعيد: **بسط الأرض في الطول والعرض**، ص 205.

(6) الإدريسي: مصدر سابق، م2 ص 556.

(7) العذري: مصدر سابق، ص 18.

(8) الزهري: **كتاب الجغرافية** ، تحقيق حاج صادق، منشورات مجلة الدراسات الشرقية، دمشق، 1968م، ص 89، 132.

وبالمقابل فقد استوردت من المغرب أنواع مختلفة من الطعام[1]، وكذلك الذهب وأنياب الفيلة (العاج) والجلود والصمغ[2]من المغرب الأقصى، فضلاً عن الصوف خاصة من تلمسان[3]. إضافة إضافة إلى ذلك فكان يجلب إلى الأندلس جلود الفنك والزرنيخ، وهذه كانت من المغرب الأوسط وإفريقيا[4].ومن النوبة والحبشة، استوردت الذهب وأنياب الفيلة[5].

ومن جهة ثانية نجد ازدهاراً لتجارة الرقيق الأسود، فكان يجلب إلى البلاد من غرب إفريقية عبر بلاد المغرب، لأن سوق تجمعهم كانت زويلة في أقصى جنوب ليبيا[6].

الطرق التجارية:

ذكر اليعقوبي أن خطاً ملاحياً مباشراً كان يربط بين تنس وتاهرت على الساحل الجزائري، وشرق الأندلس[7] وغرب إفريقية[8]؛ فهذه شاطبة رغم موقعها الداخلي وبعدها نسبياً عن ساحل البحر إلا أن ارتباطها بالمدن المطلة على البحر مثل بلنسية ودانية وطرطوشة ولقنت، أوجد تبادلاً تجارياً مباشراً بينها وبين من المغرب لاسيما تونس[9]، وتنس، وتاهرت، فاعتبرت شاطبة واحدة من المحطات التجارية الرئيسية من تجارة الأندلس[10].

3-2- العلاقات التجارية لمملكة بلنسية مع المشرق:

رغم قلّة المعلومات المنتثرة في بطون أمهات المصادر والمراجع حول وجود علاقات تجارية بين بلنسية والمشرق، إلاَّ أن هناك بعض الإشارات التي تشير إلى وجود نوع من هذه العلاقة؛ فعلى الرغم من أن مملكة بلنسية كانت بعيدة المسافة بين كل من القاهرة وبغداد والقدس ومكة المكرمة، فإنها كانت تشعر بأن تلك المسافة غير بعيدة، إذ أن السفن كانت تنقل من الشرق إلى الغرب وبالعكس حاملة المسافرين والحجاج والسلع بين المدن الأندلسية لاسيما الشرقية منها وموانئ المشرق العربي. ولم تكن التجارة أو تنقل السفن يعيقها عن العمل أي تدخل من قبل

---

(1) الصفاقسي: **نزهة الأنضار في عجائب التواريخ والأخبار**، تونس، 1321هـ، ج1 ص 14.
(2) الزهري: مصدر سابق، ص 117-118.
(3) المصدر السابق، ص 113-114.
(4) المصدر السابق، ص 108.
(5) المصدر السابق، ص 122-124.
(6) البكري: **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** ، وهو جزء من كتاب "المسالك والممالك"، تحقيق دي سلان، الجزائر، 1857م، ص11؛ البكري: **المسالك والممالك** ، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م، ج2 ص 658، رقم 1099.
(7) اليعقوبي: مصدر سابق، ص 354.
(8) العذري: مصدر سابق، ص 18؛ Huici Miranda: Historia Musulmana de Valencia, T. 1, P. 62.
(9) Rubiera: **La Taifa de Denia**, P. 12.
(10) Huici Miranda**: Historia Musulmana de Valancia**, T. 1, P. 62.

الحكومات حتى بعد زوال الخلافة وقيام دول الطوائف. وقد ظلت الأندلس منطقة عبور "ترانزيت" تجاري بين العالم العربي وأوروبا.

ومن الأهمية بمكان القول: إن العلاقات التجارية مع المشرق كانت قائمة خلال كل المراحل التاريخية؛ فهذا عقد الشبا مثلاً ، يبرهن هذا الكلام؛ فالعقد كان لزبيدة زوجة هارون الرشيد، قدم به التجار من المشرق إلى الأندلس[1] .

فالعلاقات التجارية بين الأندلس ومدن المشرق كانت متواصلة ومستمرة خاصة منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، حيث الأساطيل التجارية في الموانئ الأندلسية مثل ألمرية ،ومالقة، ودانية، وبلنسية وغيرها، كانت تعمل بين كل مدن البحر المتوسط، تحمل سلع الأندلس الصادرة منها إلى المشرق سواء أكانت زراعية أم صناعية، ثم تعود محمّلة بمنتوجات المشرق التي تفتقر إليها البلاد الأندلسية[2].

وجدير بالذكر أن رحلة الحج إلى الأراضي المقدسة لم تكن دينية فحسب، بل كانت لها أيضاً فائدة في تحقيق التعارف بين المسلمين وتبادل المنتجات، فكان من الطبيعي أن يحمل حجاج الأندلس تجارات بلدهم إلى المشرق العربي، ولاسيما وأن الموقع الجغرافي للأندلس من ناحية امتداد سواحلها قد جعل من الأندلسيين بحارة ذوي خبرة وجرأة، وشجعهم ذلك على الرحلة لدوافع التجارة أو لطلب العلم أو لأداء فريضة الحج[3].

أما أهم الصادرات البلنسية إلى المشرق العربي، فكان الزعفران[4]، وكذلك القرمز الذي يحمل إلى جهات عديدة لجودته[5]، فضلاً عن الأرز الذي اشتهرت به كل من بلنسية وجزيرة شقر[6]، والزبيب والتين واللوز الذي اختصت به دانية[7].

وكانت للمنسوجات البلنسية شهرة واسعة في جميع أنحاء العالم في العصور الوسطى؛ فكان يجلب منها الأقمشة الكتانية التي تصل حتى مصر واليمن ومكة[8]، كما اختصت بلنسية بالنسيج

---

(1) ابن سماك: مرجع سابق، ص 97-98.
(2) بروفنسال: **الإسلام في المغرب والأندلس**، ص 76.
(3) Mahmud Ali Makki: **Ensayo Sobre las aportaciones orientales en la España Musulmana**, Revista del instituto Egipcio, Vol, IX-X, 1961-1962, PP. 75-76.
(4) العذري: مصدر سابق، ص 17.
(5) البكري: **جغرافية الأندلس والمغرب**، ص 127.
(6) العذري: مصدر سابق، ص 17؛ أرسلان: مرجع سابق، ج3 ص 229.
(7) ياقوت: **معجم البلدان** ، ج2 ص494.
(8) ابن غالب: مصدر سابق، ص 285.

البلنسي[1].

وكان الكاغد الذي اختصت بصناعته شاطبة من الصادرات الأندلسية، التي كان لها سوق ناطقة في المشرق والمغرب[2].

ويذكر الزهري أن الأندلس كانت تصدر أيضاً جلود القنليات وجلود الثعالب إلى بلاد فارس لأن بلادهم كانت شديدة البرودة[3].

وبالمقابل فقد استوردت مملكة بلنسية وغيرها من المدن الأندلسية، ما كانت بحاجة إليه من المشرق، فمن الهند والعراق كانت تجلب الطيب والتوابل والجواهر[4] وكانت الإسكندرية باب المغرب والأندلس إلى المشرق في هذا الميدان (التجارة).

ويشير الزهري إلى أن مكة كان يجلب منها كل ما يخرج من بلاد الهند خاصة العود والمسك[5].

فضلاً عن ذلك فقد اشتهرت مملكة بلنسية بتعدد موانيها ومراكزها التجارية على البحر المتوسط، وهذا شجع على رسو السفن التجارية بها ما كان له أثره في انتعاش حركة التجارة الخارجية.

وأهم تلك المراكز والموانئ التجارية ما يلي:

1- مرفأ جراو (Grao):

ازدهرت الحركة التجارية البلنسية بفضل مرساها جراو Grao[6]، فهي مدينة سهلية، "وبها أسواق وحط وإقلاع"[7]، وقد عبّر عن نشاط هذا المرفأ ولِ ديورانت، فإذا بأسطول تجاري "يزيد على ألف سفينة يحمل غلات الأندلس ومصنوعاتها إلى إفريقيا وآسيا، وكانت السفائن القادمة من مائة ثغر وثغر تزدحم بها مرافئ بلنسية وغيرها.."[8].

2- دانية:

أما دانية فقد كانت ميناء جزر البليار وواحدة من مراكز الاتصال مع الشرق [9]، وقد

---

(1) المقري: **نفح الطيب** ، ج4 ص 195.
(2) الإدريسي: مصدر سابق، م 2 ص 556.
(3) الزهري:مصدر سابق ، ص 66.
(4) المصدر السابق، ص 50؛ سالم، السيد عبد العزيز: **تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي** ، الإسكندرية، 1982م، ص 258.
(5) الزهري: مصدر سابق، ص 36.
(6) أرسلان: مرجع سابق، ج3 ص 212.
(7) الحميري: مصدر سابق، ص 47.
(8) ول ديورانت: مرجع سابق، ج2 م3 ص 295.
(9) زيادة: مرجع سابق، ص 163.

صدرت الكثير من منتوجاتها الزراعية، فمنها يخرج زبيب عظيم، ويكثر فيها اللوز والتين الذي اشتهرت به فكان يحمل إلى الآفاق[1].

وقد وصف الإدريسي الحركة التجارية فيها فقال: "هي (دانية) مدينة على البحر عامرة، وهي مدينة تسافر إليها السفن وبها ينشأ أكثرها لأنها دار إنشاء السفن ومنها تخرج السفن إلى أقصى المشرق ومنها يخرج للغزو"[2].

3- شاطبة:

أما شاطبة، فهي إحدى مراكز التجارية العامة في مملكة بلنسية، فعلى الرغم من موقعها الداخلي وبعدها نسبياً عن ساحل البحر إلا أن ارتباطها بالمدن المطلة على البحر مثل بلنسية ودانية، أوجد نوعاً من التبادل التجاري المباشر بينها وبين معظم الأقطار العربية والأوروبية، فكانت تصدر الورق الذي لا نظير له في معمور الأرض'[3].

- الطرق التجارية الخارجية إلى المشرق العربي:

كان الأندلسيون يبحرون إلى جزيرة أقريطش **(**كريت**)** ، إلى قبرص ثم عكا، ومنها يأخذون الطريق البري إلى مكة المكرمة[4].

وهناك خط من دانية إلى يابسة، إلى ميورقة ثم مينورقة، ثم صقلبة، فأقريطش **(**كريت **)** ومنها إلى الإسكندرية ثم الأراضي المقدسة وذلك بعد عبور ميناء عيذاب على البحر الأحمر إلى جدة[5].

هذه الطرق البحرية، كانت غالباً محفوفة بالأخطار، فكثيراً ما كانت السفن تتعرض للعواصف التي تؤدي إلى تحطيمها وغرق ركابها، ولهذا كان البحارة الأندلسيون يأخذون طريقاً طويلاً ولكنه أكثر أمناً، فكانت سفنهم تخرج من موانئ الأندلس إلى ساحل المغرب الأوسط أو المغرب الأقصى، ومن هناك تسير بحذاء الساحل الإفريقي وترسو عند ثغوره المطلة على بحر المغرب حتى تصل إلى خليج سرت، ومن هناك تتابع سيرها بحذاء الساحل الليبي وبرقة حتى تصل إلى الإسكندرية[6]، إذ أن ميناء الأخيرة هو المرسى الطبيعي لنزول التجار والمسافرين والحجاج من أهل الأندلس والمغرب أيضاً. أما إذا أراد التجار السفر نحو المحيط الهندي فكانوا

---

(1) ياقوت: **معجم البلدان** ، ج2 ص 494.
(2) الإدريسي: مصدر سابق، م2 ص 557.
(3)المصدر السابق، م2 ص 556.
(4)ابن عبد الملك: مصدر سابق، السفر الخامس، ق2، ص 689-690، ترجمة رقم 1298.
(5) **رحلة ابن جبير**، تحقيق حسين نصار، القاهرة، 1955م، ص 1-6 ، 46.
(6) سالم، عبد العزيز، والعبادي، أحمد مختار: **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس،** دار النهضة العربية، بيروت، 1969م، ص 60-61.

يسيرون بحراً حتى ميناء الفرما، ومنها يعبرون الصحراء إلى القلزم ثم يبحرون من جديد نحو مسقط ، في عُمان حيث يمكن متابعة السفر على ظهر أي مركب إلى بلاد الهند والصين[1].

وتجدر الإشارة إلى أن الرحلات البحرية في العصور الوسطى كانت شاقة وخطيرة، لا سيما أن السفن كانت تفرض عليها رسوم باهظة في الموانئ التي ترسو بها للتزود بالوقود أو لإصلاح أي عطل بالسفينة[2].

وكانت سهولة الرحلة البحرية أو صعوبتها تتوقف على زمن الإبحار أو على الرياح المواتية للإبحار، فيذكر مجهول أن شهر مايو يحل فيه ركوب البحر[3]، ذلك أن الإبحار شتاء كان يمثل خطورة بسبب العواصف إضافة إلى احتمال تعرض السفينة لمهاجمة سفن الأعداء أو القراصنة البحريين.

2-4- العلاقات التجارية لمملكة بلنسية مع الممالك الإسبانية والدول الأوروبية:

قام في الشمال الإسباني أربع دول هي: ليون (Leon) في المنطقة الشمالية الغربية، وقشتالة (Castellon) إلى الشرق والجنوب منها، في المنطقة المحاذية لوسط الأندلس . وفي أقصى الشمال الشرقي لشبه الجزيرة الإيبيرية قامت كونتية برشلونة (Barcelon). أما نافار (Navarre)، فقد قامت ما بين أعالي الضفة اليسرى لنهر إيبروا والبيرينة.

كان اقتصاد هذه المناطق اقتصاداً ريفياً، قائماً على الزراعة وتربية المواشي، ولكن هذا القطاع لم يكن مزدهراً، بسبب طبيعتها الجبلية، وتربتها الفقيرة، وجوها الشحيح بالأمطار الكافية للزراعة، وبسبب نظامها الاقتطاعي القديم الذي يقوم على أساس استبعاد الفلاحين والعمال، زد على ذلك أن طبيعة الإسباني كان يأنف من العمل اليدوي في الأرض، وإذا عمل فإن عمله يكون في الرعي، فأدى ذلك إلى فقر البلاد واتجاهها دائماً نحو الجنوب في الأندلس، إما للاقتباس الحضاري سواء في الزراعة أو في غيره من المجالات، وإما لشراء ما يحتاج إليه من المحاصيل الزراعية عن طريق التجار اليهود[4].

أما صناعتها فكانت محدودة جداً، وقاصرة على توفير ضرورات الحياة عبر الصناعات المنزلية، كما أن التجارة كانت ضئيلة جداً، الأمر الذي لم يستدع سك عملة خاصة بها، فاستخدموا

---

(1) بيرنيت خوان: **هل هناك أصل عربي لفن الخرائط الملاحية** ، ترجمة أحمد مختار، العبادي، مجلة المعهد المصري، مدريد، 1953م، ص 75.

(2) مؤنس: **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين،** ص 420-421.

(3) مجهول: **تقويم غرناطي في القرن الخامس عشر الميلادي،** نشر خوسيه باسكنث José Vazquez، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، م1-10، 1961م-1962م، ص 33.

(4) أحمد: **اليهود في الأندلس والمغرب،** ص 72؛ Pérès: La poésie Andalouse P. 265-266.

وحدة للتعامل، مد الحبوب أو رأس الغنم أو قطعاً من الفضة.

ولكن في مدينة ليون وجد نوع من التطور ولو بشكل محدود؛ خاصة بعد أن أصبحت المدينة مقراً لملوكهم، إضافة إلى ذلك كانت ليون تعتمد على منتجات سهل فسيح حول المدينة، فضلاً عن ذلك فقد وجد فيها بعض العناصر التي تمتهن التجارة كالمستعربين، حيث افتتح أحدهم حانوتاً، وبعض اليهود. وقام في ليون سوق أسبوعي، حيث كان يتم التبادل بين الأغذية والموارد الزراعية الأخرى والأدوات المصنوعة[1].

ولكن مقارنة مع مملكة بلنسية في عصر ملوك الطوائف، نرى أن هناك تفاوتاً على مختلف المستويات، إذ أن الزراعة والصناعة والتجارة في مملكة بلنسية، وخاصة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بلغت شأواً عظيماً من التقدم والازدهار، نظراً لعامل الاستقرار والأمان الذي نعمت به المملكة البلنسية في شرق الأندلس، على أثر اندلاع نار الفتنة في قرطبة، وتفتت وحدة الأندلس إلى دويلات متناحرة، الأمر الذي أدى إلى إضعاف السلطة السياسية، وتجزئتها، إلى دويلات مستقلة دعيت بالطوائف أو ملوك الطوائف، فضلاً عن انعدام أي رابط بين السلطات الحاكمة.

ومما زاد الأوضاع سوءاً، أن ملوك الطوائف لم يقرروا في البحث عن حليف لهم، كل بمفرده، في الشمال الإسباني لمساندة في البقاء على كرسي الحكم، مقابل دفع جزية شهرية أو سنوية إلى ملوك الشمال الإسباني. وهذا الوضع كان مخالفاً تماماً لما كان عليه الحال في القرن العاشر، حيث كانت الممالك الإسبانية تدفع الجزية للأمويين.

كل ذلك أسهم وقدم الفرصة المناسبة للممالك الإسبانية في الشمال (قشتالة (Castellon) وليون (Leon)، ونافار (Navarre) وقطلونيا (Catalonia)، وأراغون (Aragon) في التقدم في الجنوب محدثين صدمة للأندلسيين وذلك باستيلائهم على طليطلة (Toledo) عام 478هــ/1085م[2]. وقد أظهر فقدان طليطلة الحاجة إلى المساعدة العسكرية المرابطية، فوصلت الأخيرة الأندلس عام 479هــ/1086م، وأوقفت التقدم الإسباني إثر معركة الزلاقة (Zallaqa) التي حصلت في 12 رجب 479هــ/ تشرين أول 1086[3]، وأصبح الأندلس جزءاً من مملكة ضخمة، وتوقف دفع الجزية، ويبدو أنه كان للعامل الاقتصادي دوره في تدخل المرابطين في

---

(1) بدر، أحمد: **تاريخ الأندلس، التجزؤ – السيادة المغربية – السقوط والتأثير الحضاري** ، القاهرة، 1983م، ص 182.

(2) ابن الأثير: مصدر سابق، ج8 ص 298؛ بروفنسال: **الإسلام في المغرب والأندلس**، ص 120.

(3) ابن بلقين: مصدر سابق، ص 104-105.

شؤون الأندلس، حيث الرغبة في السيطرة على الخطوط التجارية القادمة من الصحراء يمثل نهاية الخطوط التجارية والأسواق الرئيسية لتجارة الصحراء والمغرب المتجهة نحوها من موانئ شمال المغرب الأقصى والأوسط[1]. فضلاً عن ذلك يبدو أن يوسف بن تاشفين لم يكتفِ بما أنجزه في المغرب، لذا تطلع إلى الأندلس، كي لا يترك الأخير تحت رحمة حركة الاسترداد كما ذكر سابقاً.

كل ذلك ومهنة التجارة لم تتوقف، بل بقيت ناشطة، وذلك بفضل التجار الذين يعملون على نقل البضائع مصحوبة بدفع الضرائب من كلا الجانبين العربي والإسباني، فقد أمر راميرو الأول (Ramiro 1)، صاحب أراغون (Aragon) 427–455هــ/1035–1063م، أن تدفع الضرائب من قبل "كل من يأتي ويذهب سواء أكان مسيحياً أم عربياً"[2].

ويشير ليفي بروفنسال إلى قيام اتصالات تجارية نشطة بين الأندلس والشمال الإسباني، وما يثبت هذه الاتصالات وجود دراهم قاسمية[3] في الشمال الإسباني والمؤرخة ما بين عام 322–471هــ/ 933–1078م[4].

أما التجار في المدن الأوروبية كالمدن الإيطالية وغيرها، كانوا يجدون في الموانئ الأندلسية، حاجاتهم من تجارات المشرق، كالتوابل والعطور والمواد الطبية ومواد الصباغة، لذلك كانوا يقصدونها وكان التجار الإسبان يحملون السلع من موانئ الأندلس براً إلى مدن قشتالة وليون ونافار والبرتغال[5].

أما أشهر الصادرات إلى الممالك الإسبانية والأوروبية فكانت تجارة الزيت[6]، والورق وقد أقتبس الإسبان والأوروبيون طرق صناعته من شاطبة ونقلوها إلى بلادهم **(**قطلونيا، فرنسا، إنكلترا، إيطاليا، ألمانيا وغيرها**)**[7].

ومن الصادرات نذكر أيضاً القرمز والجلود والأخشاب والخيول والزعفران، إضافة إلى الأقمشة الواردة من العالم العربي، أو المصنوعة في الأندلس[8]. لاسيما النسيج البلنسي والكتان.

هذا وقد صدرت بلنسية القراميد الخزفية (الزليج)، خاصة إلى فرنسا التي كانت تستعين

---

(1) بدر: **تاريخ المغرب والأندلس،** ص 203-204.

(2) Lacarra, José María**: un arancel de aduanas del siglo XI, Actas del Primer congreso international de pirenéistas,** san sebastián, 1950, P. 16.

(3) يبدو أن اسم الدراهم القاسمية، مشتق من اسم قاسم بن خالد ،صاحب دار ضرب "سك العملة" الأموية في قرطبة في عهد عبد الرحمن الثالث.

(4) Levi Provençal**: Histoire de l'Espagne Musulmane**,T. 3, P. 25 7.

(5) زيادة: مرجع سابق، ج3 ص 164.

(6) الزهري: مصدر سابق، ص 89- 132.

(7) البشري: **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف،** ص 198.

(8) زيادة : مرجع سابق، ج3 ص 164-168.

بخزافين بلنسيين للعمل في بلادها. وأشيرسابقاً إلى وجود بناء أثري في مدينة بواتية مزخرف بقراميد خزفية، من صنع خزاف بلنسي يدعى جيهان البلنسي (Jehan de Valence)[1].

ومن جهة أخرى كان قصر أحد ملوك فرنسا يزدان بعدد من التحف الخزفية من صناعة بلنسية، وفي ذلك إشارة إلى أن لخزف بلنسية مكانة سامية، لذا عرف طريقه التجارية نحو الدول الأوروبية[2].

وبالمقابل فقد استوردت المملكة البلنسية كل ما تحتاج إليه من الممالك الإسبانية، كالحديد من النوع الجيد، فيذكر الزهري أن الحديد المعروف بالشلق كان يجلب من مملكة قشتالة وهو حديد أسود كانت تصنع منه الآلات الحربية[3].

ومن فنلندة[4]، تم استيراد الملف[5]، "وهي ثياب حسنة العمل من الصوف غير أنهم يتقنون صنعها حتى تباهى ثياب الخز"[6].

وأعظم تجارة كانت بين الأندلس وإسبانيا هي تجارة الرقيق وهذه كانت من الأمم الممتدة من بحر قزوين إلى بحر الأدرياتي[7]. وكان الصقالبة أشهر الرقيق الأبيض، وطريقه من شرق ألمانيا إلى إيطاليا وفرنسا ومنها إلى الأندلس عن طريق نهر الرون وقطالوينا حتى ثغر بجانة[8]، وذلك قبل حصار السيد للمملكة، ولكن أثناء حصار السيد للأخيرة، كان يفد إلى بلنسية بحراً الكثير من تجار الرقيق لشراء أسرى العرب الذين يقعون أسرى لدى السيد القنبيطور[9].

ويبقى أن نشير إلى أهم المراكز والطرق التجارية:

1 -أهم المراكز التجارية:

لقد مثلت المناطق الحدودية مع الثغور الأندلسية وعند المدن الساحلية الأندلسية، مثل ألمرية وطرطوشة، والمدن الإسبانية مثل برشلونة ولشبونة، مراكزاً مهمّة في العلاقات التجارية بين القطرين. فقد كانت برشلونة بموقعها الجغرافي بين دول إسبانيا والأندلس محطة تجارية للسلع

---

(1) مرزوق: مرجع سابق، ص 95-96.
(2) المرجع السابق، ص 107-108.
(3) الزهري: مصدر سابق، ص 104.
(4) فنلندة: بلاد تقع قرب أرمينيا على مقربة من البحر المتوسط بعشرين فرسخاً، وأضاف الزهري أن بها قوم من الفرنج عرفوا بالملف، راجع الزهري: مصدر سابق، ص 76.
(5) الملف: نسيج رفيع كانت تتخذ منه القفاطين. راجع مكي ،محمود علي: **عرض ونقد لكتاب الغز والصولة لابن زيدان**، مجلة المعهد المصري، مدريد، مجلد 9-10، 1961- 1962م، ص 100.
(6) الزهري: مصدر سابق، ص 76.
(7) ابن حوقل: مصدر سابق، ج 1 ص 116.
(8) ياقوت: **معجم البلدان**، ج1 ص 403؛ الحميري: مصدر سابق، ص 37-39.
(9) Menéndez Pidal: **La España del cid,** V. I, P. 478.

الأندلسية والإسبانية؛ فإليها كان يأتي من الأندلس : الصوف، والأقمشة، والجلد، وغير ذلك ... وبدورها (برشلونة) تصدرها إلى ممالك الشمال الإسباني أو إلى بلاد حوض البحر المتوسط[1].

وكانت ميورقة أيضاً مركزاً من مراكز التبادل التجاري بين الأندلس وإسبانيا، نظراً لموقعها كجزيرة تقع قرب السواحل الأندلسية، والإسبانية.

2- الطرق التجارية:

من الأهمية بمكان القول: إن طرق التجارة الخارجية نحو بلاد الفرنجة ؛ فهي إما برية وإما بحرية، فأما الطرق البرية نحو بلاد الفرنجة فهي متعددة، وجميعها تدخل عبر جبال البرانس عن طريق المدخل[2] ، المعروف بالأبواب. ومن هذه الطرق: الطريق البري من الجزيرة الخضراء إلى إشبيلية[3]، والطريق من شاطبة إلى بكيران، والطريق من مرسية إلى بلنسية، ومن مرسية إلى ألمرية[4] وغيرها.

وهناك طريقان بحريان للتجارة الخارجية مع دول الفرنجة، وهما: الطريق البحري عبر ساحل الأندلس الغربي المطل على المحيط الأطلسي[5]، وهذا الطريق لم يسلك إلا منذ عهد عبد الرحمن الأوسط 206-238هـ/ 821-852م[6].

أما الطريق الثاني فيمر عبر الساحل الشرقي للأندلس، المطل على البحر المتوسط عن طريق الثغور الأندلسية المبتدئة من الجزيرة الخضراء إلى مالقة ثم ألمرية[7]، ثم قرطاجنة، ثم لقنت ، ثم دانية، ثم ينعطف من الأخيرة إلى شرق الأندلس إلى حصن قليبيرة، إلى بلنسية، ويمتد كذلك شرقاً[8] إلى طركونة، إلى برشلونة، إلى أربونة، إلى البحر الرومي[9] (المتوسط)، ومن هناك تنقل البضائع إما عن طريق الممرات عبر جبال البرانس أو عن طريق الموانئ الجنوبية لفرنسا مثل إسبانيا.

أما الطرق التجارية النهرية، التي كانت تسلكها التجارة بين الأندلس وبين ممالك إسبانيا الشمالية، فهي عديدة، والسبب هو كثرة الأنهار المنتشرة في الأندلس، والتي تربط شرق الأندلس

---

(1) أشباخ: مرجع سابق، ص 178.
(2) البكري: مصدر سابق، ص 66.
(3) الإدريسي: مصدر سابق، م2 ص 540.
(4) ياقوت: **معجم البلدان**،ج 5 ص 140.
(5) المصدر السابق، ص 349.
(6) العبادي: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، ص 251.
(7) ياقوت: **معجم البلدان**،،ج5 ص 140.
(8) المصدر السابق،ج5 ص 140.
(9) المصدر السابق،ج5 ص 140

وغربها، وبينها وبين شمال إسبانيا، ذلك أن منابع نهر تاجه (Tajo)[1] ونهر شقر (Júcar) ووادي ووادي مرسية (Murcia) تتصل بروافد نهر الوادي الكبير (نهر إشبيلية ونهر قرطبة)[2]، ووادي ووادي آنة. هذه الأنهار وغيرها من أنهار مملكة بلنسية التي سبق أن أُشير إليها سابقاً، كنهر (Vinalopó) ، (Palancia)، ، (Turia ó Guadalaviar) (Serpis ó Alcoy) ، (Júcar)، و (Mijares)، كلها منها ما يصب في البحر المتوسط ومنها ما يصب في المحيط الأطلسي، وجميع هذه الأنهار تنبع من جبال ووسط الأندلس فتتصل روافدها بعضها مع بعض، وتسمح للمسافر أن يأخذ أحدها فيتجه شرقاً أو غرباً كما يشاء.

ومن الجدير بالذكر أن اليهود والمستعمرين قاموا بدور الوسيط التجاري بين الأندلس والممالك الإسبانية وأقاليم البحر المتوسط والغرب الأوروبي من جهة وبينها وبين المشرق العربي من جهة أخرى، كما أن اليهود قاموا بدورٍ بارز في التجارة العالمية في العصور الوسطى، حيث كان لهم النصيب الأوفر في التبادل التجاري بين الشرق والغرب[3].

والحقيقة أن حركة التجارة الخارجية سواء كانت تتعلق بالتصدير والاستيراد، قد ساعدت على ازدهار الاقتصاد البلنسي في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي،ولا سيما أنَّ تلك المنطقة قد نعمت بالأمن والاستقرار، في حين أن معظم الدويلات كانت في حالة تناحر وحروب.

3- الصـــلات العلمية:

تعد الرحلة في طلب العلم من أبرز وجوه الصلات العلمية، وهي بالتالي تمثل علاقات وطيدة بين الدول، وتكسب الحياة العلمية تطوراً وازدهاراً، وتعمل على التأثير العلمي المتبادل، وقد حظيت مملكة بلنسية بمثل هذه الصلات المتبادلة؛ فإليها سارت الوفود العلمية من المدن الأندلسية والعالم العربي، وعنها رحل طلابها للاستزادة من علوم الآخرين.

ومن الصلات التي تؤدي إلى إحداث التأثيرات المتبادلة، إضافة إلى الصلات العلمية، والرحلات التجارية، ورحلات الحج، وهذه الرحلات لا تكاد تخلو من طلب العلم أو بثه، ونقل الكتب من مكان الآخر.

وفيما يلي عرض لصلات مملكة بلنسية مع غيرها من المدن:

3-1- الصلات العلمية لمملكة بلنسية مع مدن الأندلس:

---

(1) نهر تاجة (Tajo)، نهر عظيم يشق طليطلة، يخرج من بلاد جليقية ويصب في المتوسط. المقري: **نفح الطيب**، ج1 ص 160.

(2) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص 141.

(3) Pérès**: La Poésie Andalouse**, P. 265-266.

كانت الصلات العلمية لبلنسية مع مدن الأندلس وطيدة، ناشطة تعج بالحركة والتأثير المتبادل، ففي الوقت الذي كان الطلاب والعلماء الأندلسيون يتجهون إلى قرطبة في الغالب، أصبحت هناك عدة أماكن سار إليها الطلاب لاحتوائها العلماء من جهة، ولاكتسابها مركزاً إدارياً وسياسياً جديداً من جهة أخرى.

فهذه بلنسية وقرطبة مثلاً، نشأ بينهما علاقات علمية متبادلة، خاصة بعد أن فقدت الأخيرة مكانتها السياسية على أثر الفتنة التي اندلعت بها، فإذا ببلنسية تستقبل كبار العلماء من قرطبة، من أولئك:

3-1-1- ابن الفخار الحافظ: أبو عبد الله، محمد بن عمر بن يوسف الحافظ، ت 419هـ/1029م، رحل عن قرطبة بعد قيام الفتنة، واستقر في بلنسة، أحد أئمة المالكية، حافظ للحديث وفيه قال أبو عمر المقرئ الداني ت444هـ/1052م: "هو آخر الفقهاء الحفَّاظ الراسخين العالمين بالكتاب والسنة بالأندلس" [1].

3-1-2- عبد الله بن أبي دُليم: أبو محمد، قرأ أبي داود عليه عام 436هـ/1044م، وهو ابن ثمانين عاماً ببلنسية[2].

3-1-3- عبد الواحد بن محمد بن موهب بن محمد التجيبي: أبو شاكر، يعرف بابن القبري، من أهل قرطبة، سكن بلنسية وتقلد فيها خطط الصلاة والخطبة والأحكام بها. ت 454ه/1062م، بشاطبة، وحمل إلى بلنسية، فدفن فيها وصلى عليه القاضي ابن جحاف أبو المطرف[3].

3-1-4- يوسف بن عبد البر الحافظ: أبو عمر، ت 463هـ/1070م، ترك بلده قرطبة، وسكن بلنسية وشاطبة[4] .(تقدم الكلام عنه).

3-1-5- علي بن خلف بن بطال البكر: أبو الحسن، ت 474ه/1081م، عُرف بابن النجّام، أصله من قرطبة، استقر في بلنسية أثناء الفتنة، وألف شرحاً لكتاب البخاري، كان عظيم الفائدة، وكان أصولياً من أهل النظر والاحتجاج لمذهب مالك[5].

3-1-6- محمد بن أحمد التجيبي: أبو بكر، 477-519هـ/1084-1125م، من أهل لاردة، قدم بلنسية بعد أن تم استرجاعها من أيدي القشتاليين وهو ابن ثمان عشرة عام، فلقي أبا داود المقريء، عام

---

(1) عياض: **ترتيب المدارك**، ج4 ص 724-725؛ المقري: **نفح الطيب**، ج2 ص 277.
(2) ابن الأبار: **التكملة**، ج2 ص 241، ترجمة رقم 678.
(3) عياض: **ترتيب المدارك**، ج4 ص818-819؛ ابن بشكوال: مصدر سابق، ق 2 ص384، ترجمة رقم 824؛ خلاف، محمد عبد الوهاب: **تاريخ القضاء في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي**، ط1، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، 1992م، ص503.
(4) عياض: **ترتيب المدارك**، ج2 ص 808.
(5) ابن فرحون: مصدر سابق، ص203-204.

495هـ/1102م، فأخذ عنه القراءات السبع، وقرأ عليه كتب أبي عمرو المقرئ "جامع البيان"، و"إيجاز البيان"، و"التيسير"[1].

وإلى بلنسية كونها أصبحت مركزاً إدارياً في عصر ملوك الطوائف، قصدها بعض العلماء الذين ينتمون لأعمال تتبع بلنسية، فمن هؤلاء:

3-1-7- سفيان بن العاص بن أحمد: أبو بحر، 440-520هـ/ 1048-1126م، من مربيطر تلقى كثيراً من علومه في بلنسية، ثم سكن قرطبة[2].

ومن بلنسية سار عدد من العلماء إلى قرطبة، لأن الطالب البلنسي الذي يرحل إلى العالم العربي ليتلقى العلم، لا يغادر الأندلس إلاَّ بعد أن يمر بقرطبة في الغالب لتلقي العلوم التي تتهيأ له، ومن هؤلاء:

3-1-8- حيدرة أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن جحاف المعافري: ت 417هـ أو 418هـ/ 1026م أو 1027م، كان ذا حظ وافر من العلم، روى بقرطبة عن أبي بكر بن القوطية وغيرها[3].

ومن المدن الأندلسية التي كان لها نصيب من العلاقات العلمية مع مملكة بلنسية:

- **سرقسطة:** ومن طلابها الذين درسوا على علماء بلنسية:

3—1-9- حسين بن محمد بن حيون بن فيرة الصدفي [4]:أبو علي، ت 514ه/1120م، أصله من مدينة سرقسطة، نشأ فيها وأخذ علومه عن علمائها أمثال أبي الوليد بن الباجي. ثم انتقل إلى ألمرية وبلنسية، حيث التقى بعلمائها أمثال العذري، رحل إلى المشرق فسمع على كبار المحدثين في مصر ومكة والعراق والشام، ويذكر القاضي عياض أنه صنف في شيوخه كتابه "المعجم"[5].

- **أما طليطلة :** فكان لها صلات علمية بلنسية ومن أبرز علمائها:

3-1-10- عبد الرحمن بن أبي بكر محمد الصدفي وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الصدفي : سمعا على أبي عمر بن عبد البر في بلنسية عام 451هـ/1059م[6].

3-1-11- أبو الوليد الوقشي: 408-489هـ/ 1017- 1091م،هشام بن أحمد بن هشام

---

(1) ابن الأبار: **التكملة،** ج1 ص 343، ترجمة رقم 1218، عجيل: مرجع سابق، ص 424.
(2) ابن بشكوال: مصدر سابق، ق 1 ص 230، ترجمة رقم 527.
(3) المصدر السابق، ق1 ص 263.
(4) عياض: **فهرست شيوخ عياض** ، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1398ه ص194.
(5) المصدر السابق، ص194.
(6) ابن الأبار: **التكملة،** ج3 ص 13 ترجمةرقم 34؛ ج1 ص 119، ترجمة رقم 353.

الكناني[1]، ويعرف بالوقشي نسبة إلى بلدة وقش من عمل طليطلة، أقام في بلنسية فترة، وشارك في أحداثها وفي ميادينها العلمية، وتولى قضاءها عام 487 هـ/ 1096م، ورسم صور للمآسي التي تعرضت لها بلنسية أثناء حصار القنبيطور للأخيرة، من خلال مرثيته[2]، التي ألقاها في بلنسية من أحد أبراجها، توفي في دانية.

3-2- الصلات العلمية لمملكة بلنسية مع المغرب:

قامت صلات علمية بين مملكة بلنسية والمغرب، فالطالب البلنسي لم يكتف بأخذ علومه من بلده الأندلس أو من المشرق العربي كالموصل وبغداد ومكة المكرمة بل كان يتجول في العديد من البلاد، فيفيد الآخرين بعلومه ويستفيد من علوم الآخرين حيث يحل، وفي هذا الميدان نذكر:

3-2-1- أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن يحيى بن خليل بن حمدين بن ماسوية الأنصاري: يعرف بابن الحداد، من أهل بلنسية، رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج عام 452هـ/ 1060م، وبعدها جال في الموصل، وبغداد، وبلاد فارس، وخراسان، ثم مصر، وبعدها عاد لبلاده[3].

ولكن قبل عودته كان قد دخل طنجة بعد أن يئس من اللحاق بيوسف بن تاشفين للمشاركة في الجهاد "فلقي بها أبا الأصبغ عيسى بن سهل، وكانت له معه مناظرة في مسائل من العلم أدّته إلى عمل رسالة سماها: "رسالة الامتحان لمن برز في علم الشريعة والقرآن"، خاطب بها ابن سهل المذكور وطلب منه الجواب عن بعض المسائل، أثناء المناظرة التي وقعت بينهما[4]، توفي نحو عام 550هـ/1106م.

3-3- الصلات العلمية مع المشرق:

كانت الصلات العلمية بين أنحاء العالم العربي وطيدة، أكسبت الحياة العلمية ازدهاراً وتطوراً، وأضفت عليها النظرة الشاملة والإفادة من خبرات وجهود العالم المسلم أينما كان[5].

---

(1) ابن بشكوال: مصدر سابق، ق 2 ص 53، ترجمة رقم 1437.

(2) من مرثية الوقشي:

1 - بلنسية: بلنسية: مصائب كثيرة تحدق بك، أنت تحتضرين، وإذا قدر لك النجاة، فسيراه عجيباً من يعيش ويراك.

2 - وإذا أراد الله خيراً لهذا البلد، فأملي كبير أن يتولاك برحمته، فلقد كنت دوماً موطن الجمال والسرور حيث يعيش المسلمون في بهجة... أنظر النص الكامل للمرثية في مكي: مرجع سابق، ص 164- 165. تجدر الإشارة إلى أنه لم يتم العثور على نص المرثية في المصادر العربية، ولكن المصادر الأجنبية قد نقلتها عن كتاب ابن علقمة المسمى "البيان الواضح في الملم الفادح". راجع مؤنس: السيد القنبيطور، ص6.

(3) ابن عبد الملك: مصدر سابق، السفر الأول، ق1، ص 451، ترجمة رقم 671.

(4) ابن الأبار: **التكملة**، ج1 ص 29، ترجمة رقم 74.

(5)مكي، محمود علي : **التأثيرات المشرقية في الأندلس ومدى أثرها في تكوين الثقافة الأندلسية** ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مجلد 9-10، 1961-1962م، ص 494-499.

وتعد الصلات العلمية المتبادلة مظهراً في غاية الأهمية في تعزيز العلاقات وتعميق التأثير بين الأقطار. وقد حظيت بلنسية بنصيب وافر من الرحلات العلمية المتبادلة ما بينها وبين المشرق العربي، (مصر، المدينة المنورة، دمشق، البصرة، الكوفة، بغداد،...)،ذلك أنه بعد أن يتلقى الطالب البلنسي علمه في بلنسية والأندلس ولاسيما قرطبة، يتوجه إلى المشرق العربي، فمن الرحلات العلمية رحلة:

3-3-1- عبد العزيز بن أحمد بن السيد بن مغلّس القيسي الأندلسي البلنسي : ت 427هـ / 1035م، رحل من الأندلس، وسكن مصر، وفيها وافته المنية، كان من أهل العلم باللغة العربية، وقرأ الأدب على أبي العلاء صاعد بن الحسن الربعي صاحب كتاب "الفصوص" بمصر، وذهب إلى بغداد أيضاً واستفاد وأفاد، وله شعر حسن[1].

3-3-2- خلف بن أحمد بن بطال البكري: ت 454هـ/ 1062م، من أهل بلنسية، وكان لأبي خلف غير رحلة خارج بلده، فبعد أن قرأ على مشيخة بلده، رحل إلى المشرق، فدخل إفريقية عام 423هـ/ 1031م، ولم يبلغ الخامسة والعشرين من عمر، فجال بالمشرق نحو أربعة أعوام طالباً للعلم، أما رحلته الثانية ، فكانت عام 452هـ/ 1060م، حيث حج وأخذ عن أبي عبد الله محمد بن الفرج بن عبد الولي، وأبي علي الحسن بن عبد الرحمن الشافعي وغيرهما، ثم دخل إشبيلية عام 454هـ/ 1062م، وبذلك يمكن القول: أن رحلته الثانية لم تتجاوز العامين[2].

كان ابن بطال البكري فقيهاً من أهل النظر والاحتجاج لمذهب مالك، واستقضى ببعض نواحي بلنسية، وممن روى عنه من البلنسيين أبو داود المقرئ[3]، فمن هنا تبرز أهمية الرحلة حيث تزود الطالب بقسط وافر من العلم والمعرفة، يعود بعدها الطالب عالماً يتصدى للتدريس ويتولى الوظائف العلمية.

أما المدينة المنورة، فكان لها أبرز مظاهر تأثير العلاقات العلمية مع المشرق على بلنسية، حيث شيوع مذهب الإمام مالك فيها. كان الأندلسيون يصرفون جل وقتهم في الإقامة في المدينة وطلب العلم على مشايخها، وكان الإمام مالك وتلامذته من بعده يتصدرون مجالس العلم فيها، والأندلسيون كانوا تلامذة لأولئك الأعلام، نقلوا إلى الأندلس آراءهم الفقهية.

فضلاً عن المدينة المنورة، كانت البصرة والكوفة وبغداد ودمشق، مراكز للإشعاع العلمي، يقصدها العلماء وطلاب العلم والمسلمون عند أداء فريضة الحج. وإلى جانب هذه المدن، وجدت

---

(1) ابن بشكوال: مصدر سابق، ق 2 ص 369-370.
(2) المصدر السابق، ق 1 ص 171.
(3) المصدر السابق، ق 1 ص 171.

مدن أخرى تنافس الحواضر المذكورة، وإن دل ذلك على شيء، فهو يدل على نمو الحركة العلمية واتساع دائرتها، فابن الحداد، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن ماسوية بن حمدين الأنصاري[1]، كان له رحلة إلى المشرق عام 452هـ/ 1060م، أدى فيها فريضة الحج وتجول في بلاد المشرق، في الموصل، وبغداد، وبلاد فارس، وخراسان، وغيرها طالباً العلم، ثم عاد إلى مصر عام 467هـ/ 1074م، وبعد ذلك انتقل إلى بلاده[2].

وبالمقابل نجد أن بلنسية قد استقبلت العديد من العلماء والأدباء والشعراء الذين حظي عدد منهم بالمنزلة والتشجيع، وأفادوا الحركة العلمية كل في مجال اهتمامه، من هؤلاء:

3-3-3- نصر بن الحسن التنكتي الشاشي: هو أبو الليث وأبو الفتح، قصد بلنسية طالباً وتاجراً وعالماً مشرقياً من سمرقند 406هـ-471هـ/ 1015م-1078م، فبعد أن روى أبو الليث بالمشرق، دخل الأندلس للتجارة عام 463هـ/1070م وهو يحمل العلم، ويرغب في بثه ويطمح في الاستزادة منه، وغادر الأندلس عام 466هـ/ 1073م وقد أفاد واستفاد.

درس أبو الليث على علماء بلنسية عندما قدمها عام 464هـ/ 1071م، وقد تتلمذ على أبي الليث عدد من الطلاب في بلنسية، وكان يحدث "بصحيح مسلم"[3].

ولم يقتصر تأثير ما حمله من علم وثقافة على تحديثه "بصحيح مسلم"، بل أمد طلابه بمعلومات ثقافية، فمثلاً كان يحدثهم عن سمرقند بلده من ذلك مثلاً أنه ذكر لهم أن طولها "ستون ميلاً"[4].

ويبدو أنه نقل إلى بلنسية من الكتب ما انتفع به طلابها، ونقل منها ما وجده نادراً وجديداً. ومما يدل على أن المؤثرات العلمية كانت متبادلة أن أبا الليث عندما ترك الأندلس، روى حدث ببغداد عن أبي المطرف عبد الرحمن بن عبد الله بن جحاف المعافري 472هـ/ 1079م، من أهل بلنسية وقاضيها وأحد علمائها الذين سمع عليهم فيها[5].

ومن القيروان وفد إلى بلنسية **أبو عبد الله محمد بن سعدون بن علي بن بلال القروي،** ت485هـ/ 1092م، سمع بها (القيروان) وبمصر وبمكة، وكتب الحديث بمكة ومصر والقيروان[6]، ودخل الأندلس، فسمع الناس منه ببلنسية وغيرها، منهم أبو داود سليمان بن أبي

(1) ابن عبد الملك: مصدر سابق، السفر الأول، ق 1 ص 451، ترجمة رقم 671.
(2) المصدر السابق، ق 1 ص 451-452؛ ابن الأبار: **التكملة**، ج1 ص 29، ترجمة رقم 74.
(3) ابن بشكوال: مصدر سابق، ق 2 ص 637-638.
(4)المصدر السابق، ق 2 ص 638.
(5) المصدر السابق، ق 2 ص 637.
(6) المصدر السابق، ق 2 ص 603.

القاسم نجاح[1].

ومن القيروان أيضاً قصد بلنسية ، **الحصري، أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري القروي المقرئ** ت 488هـ/ 1095م، أديب وشاعر، دخل الأندلس بعد عام 450هـ/ 1058م، واتصل بعلمائها ومدح حكامها، وشعره كثير وأدبه وافر، كان ضريراً[2].

وبذلك يمكن القول:إن الصلات العلمية بين مملكة بلنسية والعالم العربي كانت تمثل علاقات وطيدة بين الطرفين، فكان لتلك الصلات تأثيراتها المتبادلة، مَثَّل فيها الطالب دوره في نقل العلم وتقريب الأفكار وتهيئة الأسباب للإفادة المتبادلة.

3-4- الصلات العلمية لمملكة بلنسية مع الممالك الإسبانية والدول الأوروبية:

أما الصلات العلمية لمملكة بلنسية مع الممالك الإسبانية والدول الأوروبية، في عصر ملوك الطوائف فهي غير واضحة، ويمكن استنتاج بعض الإشارات التي تشير إلى مدى تأثير مملكة بلنسية على القشتاليين، خلال وجودهم في بلنسية، ومن ذلك، أن السيد القنبيطور وبعض أفراد أسرته وحاشيته، وخلال إقامتهم في بلنسية، يمكن أن يجعل من هؤلاء ناقلين لبعض العلوم التي كانت في المملكة؛ والسيد القنبيطور نفسه كان يعرف العربية قبل دخوله بلنسية، وكانت تدرس بين يديه كتب العرب[3].

وخلاصة هذا الفصل، أن مملكة بلنسية، وعلى الرغم من حالة الاستقرار التي نعمت بها عامة، إلاَّ أنها، عاشت علاقات سياسية خارجية، مع الممالك الأندلسية المجاورة، والممالك الإسبانية والمغرب، وهذه العلاقات كانت تتراوح ما بين الصدام المسلح حيناً، وحيناً آخر كانت تتخذ ألوان التودد والنشاط الدبلوماسي. إضافة إلى العلاقات السياسية، فقد عرفت المملكة نشاطاً تجارياً مع المدن الأندلسية أيضاً ومع دول المغرب والمشرق العربي وكذلك مع الدول الأوروبية.

فعلى الصعيد السياسي، وفي عهد مبارك، مثلاً نشب قتال مسلح، ما بين الأخير ومنذر بن يحيى التجيبي، صاحب سرقسطة، وفي عهد لبيب الصقلي، قامت علاقة ودية ما بين الأخير وريموند صاحب برشلونة. وشهد عهد المنصور بن عبد العزيز قيام علاقات خارجية ودوية للغاية، مع القاسم بن حمود، خليفة قرطبة، وكذلك مع ملوك إسبانيا، واتسعت مملكته، بسبب سياسته الحكيمة، فشملت المرية ومرسية وشاطبة.

أما أبو بكر، فقد واجه عدة تحديات خارجية، ومنها علاقته مع ابن عمار صاحب مرسية،

---

(1)ابن بشكوال: مصدر سابق، ق 2 ص 603.
(2) الضبي: مصدر سابق، ص 395، ترجمة رقم 1232.
(3) بروفنسال: **الإسلام في المغرب والأندلس**، ص 194.

وهو الذي قتل على يد المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية وذلك بعد أن تمكن أبو بكر من الإيقاع به (ابن عمار) لدى المعتمد بن عباد، وبذلك تمكن من التغلب على تلك المعضلة. وفي هذا المبحث أشير إلى دور اليهود وتدخلهم في الأمور السياسية، مستغلين حالة الانقسام التي نشأت بين حكام العرب أنفسهم، وبينهم وبين ملوك إسبانيا.

أما التحدي الآخر فكان مع بني هود أصحاب سرقسطة،وقد عمل أبو بكر على توثيق صلاته بهم عن طريق المصاهرة،إضافة إلى ذلك فقد كان للوزير أبي بكر بن عبد العزيز على صعيد العلاقات الخارجية علاقة عدائية مع السيد القنبيطور أدت إلى صدام مسلح، انتهى بانتصار السيد القنبيطور في معركة كامبال (Campal).

في حين أن القادر يحيى بن ذي النون، لم يستطع تحمل مسؤولية الحكم دون حماية خارجية، والممثلة بالبرهانس ممثل السيد القنبيطور، فالسلطة الحقيقية كانت للقائد البرهانس في المملكة، أي أن ميزان القوى أخذ يميل إلى القشتاليين، وفي ظل هذه الأوضاع، تحول اليهود عن العرب، فأخذوا يعملون إلى جانب الإسبان ويتدخلون في الشؤون السياسية لصالح الإسبان، وهؤلاء بدورهم، يبدو أنهم استقطبوا اليهود في صراعهم ضد العرب في الأندلس، فسمحوا لهم بالتدخل في الشؤون السياسية، وهذا الأمر كان يستهوي قلوب اليهود، ويفضلون ذلك، من منطلق أن كفة رجحان القوى السياسية كانت تميل لصالح الإسبان، فهذا السيد القنبيطور على سبيل المثال قد أطلق يد اليهود للتنكيل بالعرب، وذلك بعد سيطرته على بلنسية.

وخلص البحث إلى أن المرابطين قد عجزوا في البداية عن إنقاذ بلنسية من السيطرة القشتالية، فإذا بالمملكة تعيش تحت وطأة الحصار من قِبل السيد القنبيطور، ولم يستطع المرابطون تحريرها من السيطرة القشتالية إلاَّ عام 495هـ/1102م.

وأشار البحث أيضاً إلى وجود علاقات تجارية ما بين المملكة البلنسية وباقي مدن الأندلس ودول المغرب والمشرق والدول الأوروبية؛ فالمملكة قد توفر فيها الكثير من المنتوجات الزراعية والمواد الأولية، إضافة إلى وجود شبكة مواصلات برية ومائية، فضلاً عن موقعها المميز على البحر المتوسط، وكذلك توافر الأمن والاستقرار، كل ذلك أسهم في قيام نشاط تجاري واسع، فنشطت حركة التصدير والاستيراد.

وتم الاستنتاج من خلال هذا المبحث أن مملكة بلنسية قد عرفت صلات علمية متبادلة ما بينها وبين باقي مدن الأندلس وكذلك مع دول المغرب والمشرق.

فإليها سار طلاب العلم، لاحتوائها العلماء من جهة، واكتسابها مركزاً إدارياً وسياسياً

مستقلاً، وعنها رحل الكثير من الطلاب، فتجولوا في العديد من البلاد، فأفادوا الآخرين بعلومهم، وفي الوقت نفسه استفادوا من علوم البلاد التي كانوا يقيمون فيها.

الخـــاتمــــــة

إن الهدف من هذه الدراسة هو إبراز الصورة الحية التي كانت عليها مملكة بلنسية في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، في ميادين الجغرافيا والتاريخ السياسي والحضاري . فخلصت الدراسة إلى أن بلنسية كانت فرضة صغيرة، تسمى فالنثيا (Valencia) ،ثم قام العرب بعد الفتح بتعريب الاسم وصارت تعرف باسم بلنسية. وكان قد استقر بها الأمير عبد الله البلنسي ، وهو أحد أبناء الأمير عبد الرحمن الداخل ، مؤسس دولة بني أمية بالأندلس، وابتنى منية الرصافة (La Russafa) تقليداً لرصافة قرطبة التي ابتناها والده الأمير عبد الرحمن الداخل. وبلنسية المملكة المستقلة في شرق الأندلس، برزت إلى الوجود السياسي مع نشوب الفتنة بقرطبة، عندما استولى عليها الفتيان العامريان، بعد سقوط الخلافة الأموية في الأخيرة، فكان أن انفرد بحكمها الفتيان العامريان الصقلبيان مبارك ومظفر، فبنيا سورها وسدا عورتها، وأصبحت مع الوقت قاعدة لمملكة كبيرة، لها أهميتها بين دويلات الطوائف، اتسعت بسكانها، وتكوّن خارجها عدداً من الأرباض. وقد أطلق عليها اسم "مطيب الأندلس" و"مدينة التراب"، ومن تسمياتها الحديثة اسم "بستان إسبانيا" و"بستان الأندلس" وبلنسية السيد (Valencia del cid). وتقع في إقليم شرق الأندلس (El Levante) على مسافة ثلاثة أميال من ساحل البحر الأبيض المتوسط، وهي برية بحرية، ولها مرسى صغير يسمى جراو (Grao)، ويحدها من الشمال طرطوشة، ومن الجنوب دانية ومرسية، ومن الغرب طليطلة، وتطل بوجهها الشرقي على البحر الأبيض المتوسط. وقد خصها الله تعالى بطيب الهواء وغزارة الماء وخصوبة التربة وبالمناظر الخلابة . وقد افتخر المؤرخون والجغرافيون والشعراء والأدباء، قدماء ومعاصرين، بجمالها، وأشادوا بذكر محاسنها، وكان بها منتزهات تزيد من رونقها. كما ضمت سهلاً واسعاً عرف باسم : (La Huerta de Valencia). وكذلك عدة جبال، كما وهبتها الطبيعة أنهاراً متعددة، وهي نفسها (بلنسية) تقع على نهرٍ جارٍ (Turia)، وضمت كذلك أعمالاً وأقاليم وحصوناً وقرى.

ومن خلال هذه الدراسة تم التوصل إلى أن مملكة بلنسية عرفت ذروة ازدهارها السياسي والحضاري والاقتصادي على السواء، وذلك بعد أن انتزعها كل من مبارك ومظفر 400-408هـ/1009-1017م، من يد مجاهد العامري، فنعمت بالأمن والاستقرار، ولم تنجر وراء الفتنة التي اندلعت في قرطبة، وشملت مناطق متعددة من الأندلس؛ فكانت بلنسية ملجأ الفارين من أهوال الفتنة، فتحت أبوابها لكل خائف واحتمى فيها كل شريد طريد، لذا قصدها العلماء والأدباء وانتجعها أرباب الفنون والصناعات، وقد شارك الوافدون إليها في جميع مجالات الحياة، وأسهموا

في نهضتها وفي توسعها العمراني. ومع اختيار البلنسيين للمنصور عبد العزيز حاكماً عليهم، بلغت المملكة ذروة ازدهارها وعظمتها، كما وصلت إلى أقصى اتساع لها، وذلك استناداً إلى سياسته الحكيمة التي انتهجها، فامتد نفوذها إلى شاطبة، وألمرية، ومرسية، وظلت تحتفظ بهذا المركز فترة قصيرة، فقدت بعدها هذا النفوذ. أما أهم أعماله العمرانية فهي المنية التي عرفت باسمه "منية ابن أبي عامر"، وكان ذلك في ربض بلنسية الشمالي. ثم تناولت الدراسة الضعف الذي أصاب مملكة بلنسية في عهد ابنه المظفر عبد الملك 452–457ﻫ/1060–1065م، وكان الأخير قليل الحنكة السياسية، والخبرة في شؤون الحكم التي تميز بهما والده من قبل، فكان المظفر عبد الملك منغمساً في حياة اللهو والترف، وقد ترتب على ذلك سيطرة وزيره ابن روبش ثم ابنه أبي بكر بن عبد العزيز على أمور الحكم، ومنذ ذلك الوقت بدأ نجم المملكة في الزوال؛ فلما استولى المأمون صاحب طليطلة على بلنسية عام 457ﻫ/1064م ،أناب عنه فيها وزيره أبا بكر أحمد بن عبد العزيز، وهذا الأخير لم يلبث أن استقل بها عام 467ﻫ/1074م، ويعتبر أبو بكر من أقوى الولاة الذين تولوا حكم المملكة في عصر دويلات الطوائف وهذا ما نوه به ابن الخطيب، فاعتبره من أقوى الرجال وأكثرهم حنكة سياسية؛ ففي عهده نعمت المملكة بالأمن والرخاء، واستطاع أن يبعد كل ويلات الحرب عن مملكته بفضل سياسته الخارجية التي تقوم على الدهاء والمكر مع دويلات الطوائف المجاورة. ثم أوضحت الدراسة كيف بدأت المملكة تفقد قوتها وازدهارها، وتسير نحو الضعف والتدهور، بعد وفاة هذا الوزير واستلام ابنه القاضي أبي عمرو عثمان بن عبد العزيز مقاليد السلطة 478هــ/1085م، ثم في عهد القادر يحيى بن ذي النون 478–485هــ/1085–1092م الذي تسبب في سقوط مملكة طليطلة في أيدي الإسبان، الأمر الذي ساعد في تقوية نفوذهم في منطقة شمال وشرق الأندلس.

وكشفت الدراسة أن مملكة بلنسية وأثناء عهد القادر، قد عرفت أسوأ فترة حكم خلال عصر دويلات الطوائف، فقد مارس هذا الحاكم الظلم والطغيان في حكم مملكته واستعان بالقوى الخارجية، أي القشتاليين يقودهم البرهانس (Alvar Hanéz) لتأمين الحماية له. ولكن في الواقع، السيادة الحقيقية على المدينة كانت لهذا القشتالي وجنده، الأمر الذي أدى إلى ظهور حزب مناوئ للقادر وحلفائه الإسبان، تزعمه قاضي المدينة جعفر بن جحاف الذي قاد ثورة انتهت بمقتل القادر وتوليه شؤون الحكم.

ومن خلال الدراسة تم التوصل إلى أن السيد القنبيطور قد تمكن من خداع القاضي ابن جحاف فاستولى على مملكة بلنسية وأحكم الحصار عليها، ومن ثم غدر بابن جحاف وأمر بحرقه

حياً.

وعلى ضوء تلك الأحداث، خلصت الدراسة إلى أن هناك سمات بارزة قد توافرت في كل من القادر وابن جحاف، من هذه السمات : حب السلطة، وقلة الخبرة بشؤون الحكم والإدارة، وانعدام الحنكة السياسية، والاستناد إلى القوى الخارجية، لذا يمكن القول: إن ما أصاب مملكة بلنسية،وما حل بها من أهوال وخراب على يد السيد القنبيطور وجنده المرتزقة ، ومن ثم استيلاؤهم على المملكة في النهاية، إنما تعود إلى هذين الحاكمين.

ومن خلال الدراسة تم التوصل إلى أنه وعلى الرغم من انشغال المرابطين بالصراع ضد الخطر الأساسي الذي تمثل في مملكة قشتالة وأراغون، إلا أنهم استطاعوا التصدي للقشتاليين وانتصروا عليهم في معركة كنسويجرا وقونكة عام 491هـ/آب 1097م، وبذلوا جهودهم لمد يد العون لأهل بلنسية، ومنذ ذلك الوقت صب المرابطون اهتمامهم لمواصلة الجهاد في شرق الأندلس، فتمكنوا من تحرير مملكة بلنسية – موضوع الدراسة – من السيطرة القشتالية عام 495ه/1102م.

والحقيقة أن المرء لا يستطيع أن يتجاهل بطولة السيد القنبيطور وشجاعته ودهاءه وحنكته السياسية والحربية؛ فقد تمكن هذا المغامر، المتمرد من إقامة إمارة له في بلنسية استمرت نحو ثماني سنوات 487-495ه/1094-1102م، بفضل عدد من جنود الإسبان الذين لم يكن يهمهم في المقام الأول إلا الغنائم والمصالح الشخصية، دون أي اعتبار للمسائل الدينية التي كانت تميّز حروب العرب والإسبان في العصور الوسطى.

كما تضمنت الدراسة الحديث عن نظام مملكة بلنسية الاقتصادي ، العملة المعتمدة بها، وأهم وحدات الكيل، والأوزان والأسعار. ثم تناولت الدراسة البحث في موضوع الزراعة؛ فتوصلتْ إلى أن معظم أراضي المملكة كان خصباً صالحاً للزراعة، الأمر الذي ساعد على قيام زراعة مزدهرة بها، مثل الأرز، والقمح، والكروم، والزيتون، والزعفران، والقرمز وغيرها من المزروعات التي اشتهرت بها المملكة. وتناولت الدراسة وسائل الري والإشراف عليها، وهذا ما كان يسمى آنذاك بوكالة السقاية. وشملت الدراسة موضوع الصناعة ومقوماتها المتوافرة في المملكة مثل المعادن والكاغد (الورق)، وأهم الفنون الصناعية كالنسيج، والخزف، والفخار، والتحف، والورق، وصناعة السفن، والعطور وغيرها. وتم الاستنتاج من خلال دراسة موضوع التجارة الداخلية والخارجية ، أن المملكة كانت تصدر الكثير من محاصيلها الزراعية والصناعية، وتستورد بالمقابل جميع البضائع التي كانت تحتاجها فمن خلال البحث حول هذا الموضوع خلص

البحث إلى أن المملكة البلنسية، في فترة الطوائف، نعمت بازدهار تجاري كبير، إذ كان لعامل الاستقرار وتجنب الحروب والفتن الداخلية، أثره الكبير في رخاء المدينة اقتصادياً ولاسيما قبل تدخل السيد القنبيطور في شؤون شرق الأندلس.

وتوصلت الدراسة إلى أن مجتمع بلنسية كان يتكون من عناصر مسلمة تنحصر في المغاربة والعرب والمولدين، وعناصر غير مسلمة تنحصر في المستعربين واليهود، وأن هذا الخليط لم يفقده الاندماج والعيش المشترك، بحيث كان كل عنصر يتأثر بالآخر. ومع ذلك فإن سكان شرق الأندلس حافظوا قدر إمكانهم على اتخاذ موقف الحياد، ولم يختلطوا بالمغاربة على خلاف ما حدث بقرطبة وغرناطة وإشبيلية رغم وجود عناصر مغربية في شرق الأندلس، لذا ظلت الأخيرة بمنأى عن الفتنة التي اجتاحت الأندلس، ونعمت بفترة من الهدوء والاستقرار ولم تنظم إلى أي من الطائفتين المتنازعتين أندلسية كانت أم مغربية.

ومن جهة ثانية، قد ترتب على وجود حالة الاستقرار والأمن والرخاء في مملكة بلنسية خلال الفتنة القرطبية، ازدياد في عدد السكان، إذ وفد إليها العديد من التجار والصناع والعلماء هرباً من الفتنة التي شملت جنوب الأندلس. وكان هذا المجتمع يعاني من تناقض رهيب؛ فعرف ثلاث فئات، فئة أرستقراطية تعيش حياة ترف ونعيم، وفئة فقيرة تعيش في بؤس دائم، وثالثة تعيش وسطاً بين الاثنتين، وفي هذا المبحث كان حديث عن الأعياد، والاحتفالات ، والمواكب، والموسيقى، والأزياء، والاهتمام بالعمران، وأحوالهم في الدين إضافة إلى وضع المرأة ،واهتمام البلنسيين بالنظافة، الطعام،والأشربة ، والخلع، والهدايا ، فضلاً عن بعض مظاهر الحياة الاجتماعية (كالوفاة وغيرها).

وفي الناحية الثقافية ؛ العلمية والأدبية، عرضت الدراسة للنهضة العلمية والثقافية النشطة التي سادت البلاد، رغم الانحلال السياسي الذي عرفته مدن الأندلس كلّها في عصر ملوك الطوائف عامة، وألمحت الدراسة إلى وجود تواصل علمي بين بلنسية والمدن العربية الأخرى في المشرق والمغرب، كما خرجت الدراسة بنتيجة وهي أن العلماء في بلنسية ومدن الأندلس الأخرى حظوا بمركز اجتماعي مرموق وبثقة واحترام الأمراء، الأمر الذي دفع بالناس إلى مجالس العلم، فضلاًعن مشاركة علماء بلنسية أقرانهم الأندلسيين في الرحلة إلى المجالس والمراكز الثقافية العربية المنتشرة في المشرق والمغرب.

وتعرضت الدراسة أيضاً لبعض المظاهر العمرانية في مملكة بلنسية، فاستهدفت بعض المعالم العمرانية في المدينة نفسها، فعلى الرغم من ندرة المعلومات المتعلقة بهذا الجانب توصلت

الدراسة إلى إيضاح أهم الأبراج والأبواب إضافة إلى سورها والمسجد الجامع وهو الموقع الذي تقوم عليه الكاتدرائية حالياً، وكذلك إلى قصر الإمارة الذي يقع لصق الجامع، وعن القيسارية والأسواق وكذلك الفندق، إضافة إلى الحومات الداخلية الواقعة داخل النطاق العمراني للمدينة كحومة ابن جحاف وحومة اليهود وحومة الشريعة وحومة باب الحنش. هذا وقد تناولت الدراسة المساجد الثانوية كالمسجد البلنسي ومسجد بني حزب الله، ومسجد رحبة القاضي، وغيرها، كما تَعَرّضَتْ إلى الحمامات ؛ فأشارت إلى بقايا حمام يسمى اليوم بحمام الميرانتي (Almirante). وأوضحت الدراسة أهم الشوارع مثل شارع ابن جحاف ، وابن واجب والشريعة، ومعظمها كان يتفرع من ساحة المسجد الجامع ويتجه نحو أبواب بلنسية، وما كان يتخلل الشوارع من رحبات مثل رحبة القاضي، ورحبة الشريعة، وأشارت الدراسة إلى الأرباض خارج المدينة ومنها ربض الكدية، وربض الرصافة، وربض الشريعة وغيرها، وإلى خطط أخرى بالمدينة ورد ذكرها في كتب الأدب والجغرافيا مثل الجسر والقنطرة والرملة، وكذلك إلى المنيات والمنتزهات، وبيّنت الدراسة أن المنية التي أنشأها الأمير عبد الله البلنسي في الرصافة لا تزال تحمل الاسم نفسه حتى الآن "La Russafa" وهي في موضعها القديم نفسه. كما أوضحت الدراسة ما المقصود بولجة بلنسية، و تحديد موقعها وذلك في المنطقة السهلية الواسعة بين باب بيطالة والرصافة وتسمى اليوم بميدان السوق (Plaza del Mercado) ،فضلاً عن الإشارة إلى أهم المقابر، كمقبرة باب بيطالة ومقبرة الحنش، ومقبرة الجنان وغيرها.

وخلصت الدراسة إلى أن العلاقات السياسية كانت تتراوح ما بين الصدام المسلح من جهة- بالرغم من أن الحالة العامة للوضع السياسي اصطبغ بلون الاستقرار وعدم الخوض في الحروب والنزاعات التي اجتاحت جنوب الأندلس عامة -ومن جهة ثانية عرفت العلاقات الخارجية ألواناً من التودد والنشاط الدبلوماسي.

ففي عهد مبارك مثلاً نشب صداماً مسلحاً بين الأخير ومنذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة، رغم حالة الاستقرار والأمن التي نعمت بهما المملكة. ومن جهة أخرى بيّنت الدراسة أن هناك علاقة يسودها الود، كانت قائمة بين لبيب الصقلبي وبين ريموند صاحب برشلونة. وأن العلاقات الخارجية للمملكة كانت ودية للغاية ما بين المنصور عبد العزيز وجيرانه؛ فتوّج (عبد العزيز) هذه العلاقات بنشاط دبلوماسي واسع النطاق سواء مع القاسم بن حمود، خليفة قرطبة، وكذلك مع جيرانه ملوك إسبانيا، وأن مملكته قد توسعت ، وذلك بسبب سياسته الحكيمة والمرنة، فأخضع ألمرية لسيطرته إضافة إلى مرسية وشاطبة، وظل يحتفظ بهذه السلطات فترة قصيرة،

وفيما بعد فقد هذا النفوذ.

وفي هذا المبحث عرض لعهد أبي بكر الذي تعرض لتحديات سياسية كبيرة، والأخير كان سياسياً بارعاً استخدم حنكته السياسية وذكاءه لتفويت الفرص على الأعداء، من أبرز تلك التحديات، علاقته مع مرسية، حيث تمكن من الإيقاع بين عدوه اللدود ابن عمار صاحب مرسية والمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية، وانتهى الأمر بالقبض على ابن عمار وقتله بيد المعتمد، قد تضمن المبحث أيضاً دور اليهود وتدخلهم في الأمور السياسية، مستغلين حالة الانقسام التي نشأت بين الحكَّام العرب أنفسهم وبينهم وبين ملوك إسبانيا، ومن التحديات التي واجهت أبا بكر أيضاً، علاقته مع بني هود أصحاب سرقسطة، إذ وثق صلاته بهم عن طريق المصاهرة، وقد تعرض هذا المبحث للصلات القائمة بين الوزير أبي بكر وبين السيد القنبيطور، وذلك استناداً إلى المراجع الإسبانية التي تنقل عن المراجع القشتالية مشيراً إلى الصدام العسكري الذي وقع بين الطرفين على الحدود وانتصار السيد القنبيطور في معركة كامبال (Campal). وتوصلت إلى أن بلنسية كانت عرضة لأهداف الطامعين للسيطرة عليها أيام القادر يحيى بن ذي النون، الأمر الذي دفع بالأخير إلى الاستعانة بالقشتاليين يقودهم البرهانس (Alvar Hanéz)، الذي أصبحت له ولجنده السيادة الحقيقية على المدينة، وقد نتج عن ذلك ظهور حزب مناوئ للقادر وحلفائه الإسبان تزعمه قاضي المدينة أبو أحمد جعفر بن جحاف، فما كان من الأخير إلا أن طلب يد العون من المرابطين.

وأوضحت الدراسة أن المرابطين قد عجزوا في المرحلة الأولى عن إنقاذ بلنسية، فخضعت الأخيرة للحصار ولارتكاب الرذائل من قبل السيد القنبيطور وأجناده ومن ناصرهم من أشرار العرب، عندئذٍ طلب ابن جحاف المساعدة من المستعين صاحب سرقسطة، لكن دون أية نتيجة تذكر، فسقطت المدينة في يد السيد القنبيطور. كذلك أشارت الدراسة أنه وفي ظل هذه الأوضاع، قد تحول اليهود عن العرب، فأخذوا يعملون إلى جانب الإسبان ويتدخلون في الشؤون السياسية لصالح الإسبان، وهؤلاء بدورهم يبدو أنهم استقطبوا اليهود في صراعهم ضد العرب، فسمحوا لهم بالتدخل بالشؤون السياسية، وهذه الأمور كانت مفضلة عند اليهود، من منطلق أن كفة الرجحان كانت تميل لصالح الإسبان، فإذا السيد القنبيطور قد أطلق يد اليهود للتنكيل بالعرب، عندئذٍ تدخل المرابطون وتمكنوا من الانتصار على القشتاليين في معركة كونسويجرا وقونكة ، ومنذ ذلك صب المرابطون اهتمامهم لمواصلة الجهاد في شرق الأندلس، وتمكنوا من تحرير بلنسية من السيطرة القتشالية عام 495هـ/1102م.

هذا على صعيد العلاقات السياسية، أما على صعيد العلاقات التجارية، فعلى الرغم من ندرة المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع؛ فإن هناك إشارات تشير إلى قيام علاقات تجارية قامت بين مملكة بلنسية وباقي مدن الأندلس ،الدول المغربية ، والمشرق والدول الأوروبية؛ ففي بلنسية توافر فيها الكثير من المنتوجات الزراعية والمواد الأولية، إضافة إلى وجود شبكة مواصلات برية ومائية، زد على ذلك اطلالتها على البحر الأبيض المتوسط ، ومما ساعد على قيام نشاط تجاري واسع، توافر الأمن والاستقرار في منطقة شرق الأندلس ،فإذا بها (بلنسية) تصدر الكثير من حاصلاتها الزراعية كالأرُزِ، والزعفران، والقرمز، والمنتوجات المحلية كالكاغد والنسيج و غير ذلك إلى خارج المملكة. و بالمقابل تستورد كل ما تحتاج إليه سواء من غرب إفريقية أو المغرب و المشرق . وتوصلت الدراسة إلى أن دانية كانت ميناء جزر البليار وواحدة من مراكز الاتصال مع المشرق، إضافة إلى ذلك فقد عرفت المملكة نشاطاً تجارياً مع دول أوروبا والممالك الإسبانية، وأبرز أنواع التجارة كانت تجارة الرقيق من الأمم الأوروبية، هذا ما استوردته، وبالمقابل فقد صدرت المملكة الخزف والقراميد الخزفية (الزليج) وغيرها، إلى الدول الأوروبية.

كما خرجت الدراسة بنتيجة وهي أن المملكة عرفت صلات علمية متبادلة قامت بين الأخيرة وباقي مدن الأندلس، ودول المغرب، والمشرق؛ فإليها سار الطلاب، لاحتوائها العلماء من جهة، ولاكتسابها مركزاً سياسياً وإدارياً جديداً، وتوفر الأمن والاستقرار من جهة أخرى، ومنها رحل طلاب العلم لنهل العلوم والإفادة من خبرات وجهود العلماء أينما كانوا.

هكذا في صفحات هذا البحث، وعلى الرغم من الصعوبات التي قابلت هذه الدراسة، فإنه ما أمكن التوصل إليه هو رسم الصورة التي كانت عليها مملكة بلنسية في عصر ملوك الطوائف.

Resume en Français .

Le Royaume de Valence en l'époque de taifas 400 / 1102.

Valence, valencia , un des Etats d'Espagne , située à l'Est de la péninsule , à quatre kilomèters de la mer Méditerranée et de son port el Grao.

Valence fut fondée par les Romains en 138 a.J.C..Après la mort du rebelle Viriathe , le consul Junius Brutus y établit ue colonie de Vétérans demeurés fidèles à Rome .Les habitants prirent parti pour Sertorius . En 75 après J.C., Pompée detruisit partiellement la ville qui recommença à prospérer sous Auguste . Elle fut prise par les Wisigoths en 413, puis par les arabes en 713 .

Cette ville est devenue ensuite une capitale de l'un des Royaumes des taifas de l'Andalousie.

Sa situation est tout à fait remarquable au milieu de la fertile Huerta de Valencia qu'arrose Wadl-abyad , " la rivière Blanche " et oừ subsiste une partie du lac de la Albufera (Buhayra).

Elle porte plusieurs noms " Moutayab Al Andalous " , "Medina Al Tourabe " et" Valencia del Cid " , en souvenir du rộle que le célèbre héros Castillan joua dans son histoire.

Ce Royaume arabe contient des montagnes , des fleuves , des villes et des bourgs.

Dans l'histoire politique de l'Espagne Umayyade, Valence ne semble avoir tenu qu'une place assez effacée . La région dont cette ville dependait fut arabisée par l'installation de Abdalha Al Balenci , Ibn Abd Al Rahman 1.Pendant toute la durée de l'occupation arabe , ce royaume demeura la capital du Levant de l'Espagne et l'un des foyers d'arabisme les plus actifs de la péninsule et surtout à partir du Ve siècle .

Le royaume de Valence fut fondé en 400/ 1009 , par deux Slaves Mubarak et Muzaffar ,qui furent chargés de l'inspection du Système d'irrigation de la region , et qui se déclarèrent par la suite indépendents en se partageant le pouvoir . Après un règne assez court , Mubarak mourut et Muzaffar fut expulsé de Valence par les habitants de ce royaume . Les habitants élirent un

autre Slave de nom Labib .La principauté de Valence passa au pouvoir d’Abd Al Aziz I bn Abd Al Rahman Al Mansur Ibn Abi Ậmer . Le régne de Abd Al Aziz qui devait se prolonger jusqu’à sa mort en 452 /1060 ramena à Valence une ère de paix et de prospérité, son pouvoir s’etendit à Jativa , Almeria et Murcia , il reconnut l ’autorité du calif de cordoue Al Kassem Bin Hammud qui lui accorda les titres d’Al Mu’tamin , et de Dhû l - Sabikatayn , et se maintint en bonnes relations avec les royaumes chrétiens d’Espagne . Son fils Abd Al – Malik Al Muzaffar lui succéda , mais le pouvoir fut exércée par le vizir Ibn Abd Al Aziz parce que Abd Al Malik était jeune à son avènement .En ce temps , Ferdinand 1ere , roi de Castille et de Léon , attaqua valece .Abd Al Malik avait demandé l’assistance du roi de Tolède Al Ma’mun Ibn Dhi –l- Nûne , celui – ci se dirigea vers Valence et détrộna le jeune roi en 457/1065 . Le pouvoir deValence fut alors incorporé dans le royaume de Tolède et la régne fut exercée par le Vizir Abû Bakr Bin Abd Al Aziz . Quand Al - Ma’mun mourut en 467/1075 , il eut pour successeur Yahya Al kâdir dont l̉incapacité ne tarda pas à se manifester .

Quand Valence recouvra son indépendence , elle fut sous l̉autorité d̉ Al kadir qui sollicita l̉aide d̉Alphonse V I (roi de castile) et qui finit par lui livrer sa propre capitale . En 478 / 1085 , Valence fut conquise par le Cid Compeador) Rodrique Diaz Viver . L̉arrivée en Espagne des Almoravides rendit la ville à l̉ Islam . Après la mort du Cid en 492 /1099 , sa femme Chimène organisa une resistance contre les attaques desAlmoravides , ne quitta la ville qủ après l̉avoir incendiée . Alors les Almoravides prirent de nouveau possession de le 15 Radjab 495 / 5 mai 1102 .

La vie économique au royaume prit un grand essor. Ses terrains fertile aidèrent au développement de l̉agriculture , surtout la culture du riz , du blé , de la vigne et de l̉olive.

Dans le domaine industriel , le royaume qui possédait des resources essentielles (métaux, papier, bois) connut des industries développées , parmi lesquelles le textile , la porcelain et la construction de navires .

Par conséquent , le commerce export – import prospéra . L'établissement de l'ordre , l 'évitement des guerres et des troubles intérieurs contribuèrent à la prosperite économique du royaume , notemment avant l 'ingérence du Compeador dans la politique à l' Est de L'Andalousie .

Quant au domaine social , le royaume de valence connut la coexistence de plusieurs ethnies islamique (Marocains , Arabe , Muladies) et non islamiques (Muzárabes ,Juifs) Ce mélange ne nuisit ni à l'intégration de ces communautés ni à leur cohabitation , , surtout qu'elles ne se mêlèrent pas aux Marocains , contrairement à ce qui advint dans d' autres villes comme Cordoue , Grenade , et S'eville . Le royaume resta ainsi à l'abri des troubles qui ravageaient L Andalousie , ce qui contribua au développement de l' essor démographique . La société se divisa en trios classes : l aristrocatie au sommet , les masses populaires pauvres au bas de l'échelle et un classe moyenne . Cette société manifesta un grand intérêt aux sujets tells que la construction , la femme , la mode , les fêtes l'hygiène , le manger ,et les boissons , les présents, les décès etc .

A son tour , la vie culturelle connut un essor prestigieux dans les domaines littéraire et scientifique . Le royaume entreprit des relations et des échanges scientifique avec les autres villes du Levant et l'Afrique du nord . Malgré la dégradation politique dans toutes les villes de de L'Andalousie , les adeptes du savoir s' y destinaient , vu le nombre important de ses érudits d'une part et son indépendence administrative et politique d 'autre part . Les condisciples ne manquaient pas de diffuser les savoir partout où ils allaient .

Parmi ses monuments les pus célèbres , citons les murailles qui l' entouraient , les portes et la mosquée central à l'endroit où fut construite l'actuelle cathédrale . Il y avait d'autres mosquées moins importantes comme celle de Baní Hezbollah et celle d'Abdallah le Valencien .Valence avait aussi des marchés , des quartiers comme celui d'Ibn Jahaf , des bains publics (Hammum Al Miranti) , des rues (rue Ibn Jahaf) , de cimetières ((Bab Bitala, Bab Al Hanach)) . Parmi ses beaux endroits, on reconnait Moniat Al Rusafa qui porte toujours son nom.

Quant aux relations politiques extérieures, elles couvraient à la fois les

luttes armeés et les bonnes relations diplomatiques. Les conflits armés opposèrent Mubarak au gouverneur de Saragosse Munzer Bin Yahya Al Noujaibi. Des même, signalons les hostilités entre le Vizir Abi Bakr Bin Abdul Aziz et le Compeador. A cela s'ajoute le rôle des Juifs qui intervenaient dans les affaires politiques, profitant des divisions entre les gouverneurs arabes et entre ceux-ci et les rois d'Espagne. Forts de la complicité du Cid, les Juifs entretenaient leur rôle de fomenteurs des troubles et de massacreurs dans la société arabe, ce qui incita les Moravides à intervenir dans les affaires de I' Andalousie et à vaincre les Castillans dans les batailles de Consuegra et de Cuenca en 495/1102.

En outre, les relations politiques extérieures développaient des activités de conciliation et diplomatiques. De bonnes relations furent établies entre Labib et Raymond le gouverneur de Barcelone et entre Al Mansur Abel Aziz et Al Kassem Ben Hammoud le gouverneur de Cordoue, sans oublier les relations d'alliance qui unirent le Vizir Abi Bakr Abdul Aziz et Banĺ Houd les gouverneurs de Saragosse.

Au niveau du commerce extérieur, le royaume entretenait un grand trafic avec des villes andalouses et des Etats de l'Orient et de l'Afrique du nord .Les produits acicoles et les matières premières abondaient sur les marchés. La prospérité du commerce était due aussi au développement des réseaux routiers et maritimes, à sa situation géographique confinant à la mer méditerranée et enfin à l'établissement de l'ordre et de la paix à l'Est de I' Andalousie. Le royaume de Valence exportait le riz, le safran, Ie papier et importait les produits necessaires de l'Afrique Ouest, du Levant et des royaumes espagnols. L'Europe, célèbre par le commerce des esclaves, entreprit avec Valence ce trafic important, en échange le royaume exportait aux pays européens l'Azuléjos, la brique et bien d' autres produits.

ثبت بأسماء المصادر والمراجع العربية والأجنبية

أولاً – المصادر العربية:

ــ ابن الأبار: (أبو عبد الله محمد القضاعي البلنسي) ت 658هـ/1260م.

- أعتاب الكتاب، تحقيق صالح الأشتر، ط1 المطبعة الهاشمية، دمشق، 1380هـ/1961م.
- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت 1995م.
- الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط1، الشركة العربية للطباعة، القاهرة، 1963م.
- ديوان الأبار، تحقيق عبد السلام الهراس، الدار التونسية للنشر، فاس، المغرب، 1969.
- المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1967م.

ــ ابن أبي أصيبعة: (موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم الخزرجي) ت 668هـ/1270م.

- عيون الأبناء في طبقات الأطباء، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

ــ ابن أبي زرع: (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي) ت 726هـ/1325م.

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس، تحقيق كارول تورنبرغ، دار الطباعة المدرسة أو بسالة، 1823م.

ــ ابن الأثير: (أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي الكرم) ت 630هـ/1233م.

- الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1999م.

ــ الإدريسي: (الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز) ت 548هـ/1154م.

- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) ط1، دار عالم الكتب، بيروت، 1989م.

ــ الأزدي: (جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر الأزدي) ت 613هـ/1216م.

- بدائع البدائة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970م.

ــ الأصفهاني: (عماد الدين) ت 597هـ/1200م.

- خريدة القصر وجريدة القصر، قسم شعراء المغرب والأندلس، تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة، 1969م.

ـ ألونشريسي: (أحمد بن يحيى) ت 914هـ/1508م.

- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس، مطبعة الشافعية، د. ت.

ـ الأنباري (محمد) ت 577هـ/1181م.

- الألبا في طبقات الأدبا "النحاة" والأنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين.

ـ ابن الباذش: (أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري) ت 540هـ/1145م.

- الإقناع في القراءات السبع، تحقيق عبد المجيد قطامش، ط2، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، 2001م.

ـ ابن بسام: (أبو الحسن علي الشنتريني) ت 542هـ/1146م.

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق سالم مصطفى البدري، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

ـ ابن بشكوال: (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) ت 578هـ/1183م.

- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، إدارة إحياء التراث، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م.

ـ ابن بصال

- كتاب الفلاحة، نشر خوسيه مارية مياسي بيكروسا ومحمد غزيمان، تطوان، معهد مولاي الحسن، 1955م.

- ابن بطوطة: (محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي) ت 777هـ/1375م.

- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق أحمد العوامري بك ومحمد أحمد جاد المولى بك، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1934م.

ـ البغدادي: (إسماعيل باشا البغدادي)

- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، مكتبة المثنى، بغداد، 1951م.

ـ البكري: (أبو عبيد الله بن عبد العزيز) ت 487هـ/1094م.

- جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ط1،

دار الإرشاد، بيروت، 1968م.

- معجم ما استعجم، طبعة ويستنفلد، ليدن، د.ت.

ـ ابن بلقين: (الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيدي بغرناطة) ت بعد عام 483هـ/1090م.

- مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان، تحقيق ليفي بروفنسال دار المعارف، مصر، 1955م.

ـ البيروني: (محمد كامل حسين) .

- الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ليبيا.

ـ التادلي: (أبو يعقوب يوسف بن يحي بن عيسى بن عبد الرحمن).

- التشوف إلى رجال التصوف، نشره وصححه أدولف فور، الرباط، 1958م.
- كتاب المغري في أخبار مناقب الشيخ سيدي أبي يعزي، دار الكتب المصرية، رقم 1249، مخطوط رقم7.

– ابن التلمساني: (عبد الله بن محمد بن علي شرف، أبو محمد الفهري 567–644هـ).

- شرح المعالم في أصول الفقه، تحقيق، عبد الموجود، وعادل أحمد وعلي معوض، ط1، دار عالم الكتب، بيروت، 1999م.

ـ التهانوي: (محمد علي).

- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية للتأليف، والطباعة والنشر، القاهرة، 1963م.

ـ ابن تيمية: (تقي الدين أحمد بن تيمية) ت 728هـ/1327م.

- آداب الحسبة، دمشق، 1967م.

ـ ابن جلجل: (أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي) ت 377هـ/987م.

- طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

– ابن حجر العسقلاني: (شهاب الدين أحمد بن علي بن جعفر) ت 852هـ/1449م.

- لسان الميزان، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وعبد الفتاح أبو سِنَّة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

ـ ابن حزم: (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) ت 456هـ/1064م.

- التقريب لحد المنطق والمدخل، تحقيق إحسان عباس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1959م.
- جمهرة أنساب العرب، تحقيق مجموعة من العلماء، بإشراف الناشر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
- الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى، تحقيق إحسان عباس، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1960م.
- رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1981–1987م.
- طوق الحمامة في الإلفة والإلاف، دار صادر، بيروت، د.ت؛ وتحقيق صلاح الدين القاسمي، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 1979.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل ومعه الملل والنحل للشهرستاني. مطبعة محمد علي صبح وأولاده، القاهرة، 1964م.
- نقط العروس في تواريخ الخلفاء، تحقيق شوقي ضيف، مجلس كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، 1951م.

ـــ الحميدي: (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح) ت 488هـ/1095م.

- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1966م.

ـــ الحميري: (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم) ت أواخر القرن التاسع الهجري.

- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937م.

ـــ ابن حوقل: (أبو القاسم محمد بن علي) ت 380هـ/990م.

- صورة الأرض، ط2 دار صادر، بيروت، طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل 1938.

ـــ ابن حيان: (أبو مروان حيان بن خلف القرطبي) ت 469هـ/1076م.

- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973م.
- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت 1983م.
- المقتبس، قطعة خاصة بعصر عبد الرحمن الناصر، نشر بدرو شالميتا، مدريد، 1979م.

- المقتبس، تحقيق ملشور أنطونيا، باريس، 1937م.
- نصوص من كتاب "المتين"، تحقيق عبد الله محمد جمال الدين، القاهرة، 1997م.

-أبو حيان:(محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي) 654- 746هـ/1256-1353م.

- البحر المحيط،مطبعة السعادة ،القاهرة .

ــ ابن خاقان: (أبو النصرالفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان) ت 535ه/1134م.

- قلائد العقيان، تصحيح محمد الصباغ، القاهرة، 1238ه.
- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، رسالة ماجستير، إعداد وتحقيق محمد فاضل شوابكة، إشراف عبد الكريم خليفة، كلية الآداب الجامعة الأردنية، 1977-1978م.

ــ الخشني: (أبو عبد الله محمد بن الحارث) ت 361ه/971م.

- قضاة قرطبة، نشر عزت العطار الحسيني، القاهرة ،1952م.

ــ ابن الخطيب: (لسان الدين أبو عبد الله محمد) ت 776ه/1374م.

- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام (القسم الخاص بتاريخ الأندلس) تحقيق ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، 1956م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق مريم قاسم طويل و يوسف علي طويل، ط 1،دار الكتب العلمية، بيروت.
- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة الدار البيضاء، 1979م.
- اللحمة البدرية في الدولة النصرية، دار الآفاق الجديدة،ط2 ،بيروت،1978-1980م.

ــ ابن خفاجة: (أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح) ت 538ه/1143م.

- ديوان ابن خفاجة، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، 1961م؛ وتحقيق سيد غازي، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1979م.

ــ ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد) ت808ه/1405م.

- تاريخ ابن خلدون، المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة، سهيل زكار، ط1، دار الفكر، بيروت، 1981م.

ـ ابن خلكان: (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد) ت 681هـ/1282م.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق مريم قاسم طويل و يوسف علي طويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

ـ الخوارزمي: (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف) ت 387هـ/998م.

- مفاتيح العلوم، ط1، دار المناهل، بيروت، 1991.

ـ ابن خير الإشبيلي: (أبو بكر محمد) ت 593هـ/1196م.

- فهرسة الكتب المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، نشر كوديرا، سرقسطة، 1893م.

ـ الداودي: (شمس الدين محمد بن علي بن أحمد) ت 945هـ/1538م

- طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، ط1، مكتبة وهبه، مصر، 1972م.

ـ ابن دحية: (أبو الخطاب عمر بن حسين) ت 633هـ/1235م.

- المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد بدوي، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1954م.

ـ ابن دراج القسطلي: (أبو عمر أحمد بن محمد) ت 421هـ/1030م.

- ديوان ابن دراج القسطلي، تحقيق محمود علي مكي، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1961م.

ـ الذهبي: (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد) ت 748هـ/1348م.

- تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، مكتبة الحرم المكي بمكة، 1374هـ
- التفسير والمفسرون، بحث تفصيلي عن نشأة التفسير وتطوره وألوانه، ط4، مكتبة وهبة، القاهرة، 1989م.
- العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، 1960م.
- معرفة القراء الكبار، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار التأليف، القاهرة.

ـ ابن رشد القرطبي الأندلسي: (أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي) ت 595هـ/1198م.

- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق عبد الحليم محمد عبد الحليم، دار الكتب الإسلامية، 1983م.

ـ الرصافي: (أبو عبد الله محمد بن غالب الرصافي) ت 572هـ/1176م.

• ديوان الرصافي البلنسي، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1989م.
ـ الزبيدي: (أبوبكرمحمد مرتضى الزبيدي) ت 1205هـ/1790م.
• تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
• لحن العامة، تحقيق عبد العزيز مطر، دار المعارف، القاهرة، 1981.
ـ ابن الزقاق البلنسي: (أبوالحسن علي بن عطية) ت نحو 530هـ/1135م.
• ديوان ابن الزقاق، تحقيق عفيفة ديراني، دار الثقافة، بيروت، 1964م.
– الزهري: (أبو عبدالله، محمد بن أبي بكر)، عاش في القرن 6هـ/12 م .
• كتاب الجغرافيا ،تحقيق محمد حاج صادق ،منشورات مجلة الدراسات الشرقية ،دمشق ،1968 م.
ـ ابن زيدون: (أبو الوليد أحمد بن عبد الله) ت 463هـ/1070م.
• ديوان ابن زيدون، تحقيق كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت، 1851م.
ـ ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى) ت 685هـ/1286م.
• بسط الأرض في الطول والعرض المعروف بكتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري، ط1، بيروت، 1970م.
• رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق غرسية غومس، مدريد 1942م.
• المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1955م، 1964م.
ـ السقطي: (أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي) .
• آداب الحسبة، نشره ليفي بروفنسال، باريس، 1331هـ.
ـ ابن سلام: (محمد بن سلام الجحمي) ت 231هـ/845م.
• طبقات الشعراء، إعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1969م.
ـ السلفي: (صدر الدين أحمد بن محمد الأصبهاني) ت 576هـ/1180م.
• أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1963م.
ـ ابن سماك العاملي: (محمد بن أبي العلاء)
• الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1984م.

ــ ابن سهل: (أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأموي)

- وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس، مستخرجة من كتاب الأحكام الكبرى، تحقيق عبد الوهاب خلاف.

ــ ابن سيده: (أبوالحسن بن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي) ت 458ه/1065م.

- المخصص، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

ــ السيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن) ت 911ه/1505م.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- صون المنطق و الكلام عن فن المنطق و الكلام ،تحقيق علي سامي النشار ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،د.ت.

–ابن صاحب الصلاة،(عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي) ت594هـ/1197 م.

- تاريخ المن و الإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة و جعلهم الوارثين ،السفر الثاني ، تحقيق عبد الهادي التازي ،ط1 ،دار الأندلس ،بيروت ،1964 م.

ــ صاعد الطليطلي: (أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي) ت 463ه/1070م.

- طبقات الأمم، تحقيق حياة العيد بو علوان، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1985م.

– الصفاقسي : (محمود بن سعيد مقديش) .

- نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار ، تونس ،1321 هــ.

ــ الضبي: (أحمد بن يحي بن أحمد) ت 599ه/1203م.

- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، صيدا ــ بيروت، 2005م.

ــ الطرطوشي: (أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الفهري) ت 525ه/1130م.

- الحوادث والبدع، تحقيق الطالبي، تونس، 1959م.

ــ الطنطاوي: (محمد).

- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، تحقيق عبد العظيم الشناوي ومحمد عبد الرحمن الكردي، ط2، جامعة الأزهر، 1969م.

–ابن عبد البر: (يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري)ت 460هـ/1067 م.

- بهجة المجالس وأنس المجالس و شحذ الذهن و الهاجس ،تحقيق محمد مرسي الخولي ،الشركة المتحدة ،دار الكتب العلمية ، بيروت .

–ابن عبد الرؤوف: (أحمد بن عبد الملك).

- رسالة في آداب الحسبة و المحتسب ، تحقيق ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة،1955 م .

ـــ ابن عبد الملك: (أبو عبد الله محمد بن عبد الملك) ت 703هـ/1304م.

- الذيل والتكملة لكتابي الصلة والموصول، السفر الأول، القسم الأول، تحقيق محمد بن شريفة، بيروت، د.ت.
- بقية السفر الرابع، تحقيق إحسان عباس ومحمد بن شريفة، بيروت، 1964.
- السفر الخامس، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1965م.

ـــ ابن عبدون: (محمد بن أحمد التجيبي).

- رسالة في القضاء والحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة، نشر ليفي بروفنسال، مطبوعات المعهد الثقافي الفرنسي، القاهرة، 1955م.

ـــ ابن عذاري المراكشي: (أبو عبد الله محمد) كان حياً عام 712هـ/1312م.

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1–2، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، ط1، دار صادر، بيروت، مطبعة المناهل، 1950م.
- البيان المغرب، ج3، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
- البيان المغرب، ج4، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1967م.

ـــ العذري: (أحمد بن عمر بن أنس) ت 478 هـ/1085م.

- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965م.

ـــ ابن العماد: (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد) ت 1089هـ/1678م).

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، دمشق، بيروت، 1989م.

– ابن عمر: (يحيى) ت 289هـ/902م.

- أحكام السوق، تحقيق محمود علي مكي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية،

مدريد، مجلد 4، عدد 1−2،عام 1956م.

ــ عياض: (أبو الفضل عياض بن موسى السبتي) ت 544ه/ 1149م.

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، بيروت، د.ت.
- فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق محمد عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، 1398ه.

ــ ابن غالب: (الحافظ محمد بن أيوب) عاش في القرن 6 ه/12 ميلادي.

- فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، قطعة نشرها لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية، المجلد الأول، ج2، نوفمبر، 1955م.

ــ الغبريني: (أبي العباس الغبريني).

- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في الماية السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهضي، ط1، منشورات، لجنة التأليف والترجمة، بيروت، 1969م.

ــ أبو الفدا: (عماد الدين إسماعيل بن محمد) ت 732ه/1321م.

- تقويم البلدان، طبعة رينود، دي سلان، باريس، 1840م./ دار صادر ، بيروت .

ــ ابن فرحون: (برهان الدين إبراهيم بن علي) ت 799ه/1396م.

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، مصر، 1329هـ.

ــ ابن الفرضي: (أبو الوليد عبد الله بن محمد) ت 403ه/1013م.

- تاريخ العلماء والرواة بالأندلس، تحقيق عزت العطار الحسيني، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م.

ــ ابن فضل الله العمري: (شهاب الدين أحمد بن يحي) ت 749ه/1349م.

- وصف إفريقيا والمغرب والأندلس (مقتطف من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري)، تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة، 1924م.

ــ ابن قتيبة: (أبي محمد عبد الله بن مسلم) .

- الشعر والشعراء، دار صادر، بيروت، د.ت. ط2، دار إحياء العلوم، بيروت 1986م.

ــ القزويني: (زكريا بن محمد) ت 682ه/1283م.

- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1998م.

ــ ابن القطان: (أبو الحسن علي بن محمد الكتامي) ت 628ه/1231م.

- نظم الجمان في أخبار الزمان، نشر وتحقيق محمود علي مكي، الرباط، 1964م.

– القفطي: (جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف) ت 646هـ/1248 م.

- إنباه الرواة على أنباه النحاة ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الكتب المصرية ، القاهرة ،1950 م.

ـ القلقشندي: (أبو العباس أحمد) ت 821ه/1418م.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق محمد بن حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.

ـ الكتبي: (محمد بن شاكر الكُتبي الدمشقي) ت 764 هـ/1362 م.

- فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1973م.

ـ ابن كثير: (عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي) ت774ه/1372م.

- البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط2، الرياض، دار عالم الكتب، 2003م.

ـ ابن الكردبوس وابن الشباط عاش في القرن 6ه/12م.

- تاريخ الأندلس ووصفه، نصان جديدان، تحقيق أحمد مختار العبادي، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971م.

ـ الماوردي: (أبي الحسن ، محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي) ت 450ه/1058م.

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م.

–المراكشي: (محي الدين عبد الواحد بن علي) ت 647هـ/1250 م.

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق محمد سعيد العريان و محمد العربي العلمي،ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949 م.

ـ المسعودي: (أبو الحسن، علي بن الحسين).

- مروج الذهب، تحقيق شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية بيروت، 1966م.

– المعتمد بن عباد:(أبو القاسم محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد) ت488هـ/1095م.

- ديوان المعتمد بن عباد، تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، المطبعة الأميرية،

القاهرة، 1951م.
ـــ المقدسي: (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ت 380هـ/990م).
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.

ـــ المقري: (أحمد بن محمد) ت 1041هـ/1631م.
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، الرباط، 1978م، القاهرة ،1939 م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.

ـــ ابن منظور: (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري) ت711هـ/1311م.
- لسان العرب، ط6، دار صادر بيروت، 1997م.

ـــ مؤلف مجهول: (عاش في القرن 4هـ).
- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها فيما بينهم، مكتبة المثنى، بغداد، طبع بمدينة مجريط، بمطابع ربدنير، 1867م.
- الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول وعبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958م.
- تقويم غرناطي في القرن الخامس عشر الميلادي ،نشر خوسيه باسكنث ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، م 1-10 ، 1961-1962 م.
- الطبيخ في المغرب و الأندلس،نشره أوثي ميراندا ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية،م5 ،1965 م.
- ذكر بلاد الأندلس، تحقيق لويس ولينا، مدريد، 1983م.
- كتاب الطبيخ في المغرب و الاندلس في عصر الموحدين ، تحقيق أوثي ميراندا ،مجلة معهد الدراسات الإسلامية ،مدريد ،م9-10 ،1962 م.
- كتاب في الحمام و منافعه و آدابه ، دار الكتب المصرية، ميكروفيلم رقم 18107 ،مجامع تيمور .
- وصف جديد لقرطبة الإسلامية، تحقيق حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، م13، 1965- 1966م.

-النباهي: (أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن)

- تاريخ قضاة الأندلس المسمى" كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا"،نشر ليفي بروفنسال،دار الكتاب المصري ، القاهرة ،1948 م.

ــ ابن النديم: (محمد بن إسحاق) ت 367هـ/977م.

- الفهرست، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د.ت.

ــ النويري: (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد) ت 732هـ/1331م.

- نهاية الإرب في فنون الأدب، الجزء 22، نسخة مصورة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية تحت رقم 22 ، عن نسخة دار الكتب المصرية.
- نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق أحمد زكي، ومراجعة مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980م.

-ابن وافد: (أبو المطرف عبد الرحمن بن وافد الطليطلي ، كان حياً عام 460 هـ/1067م.

" الوساد" في الطب ، مخطوط بمكتبة الأوسكوريال ،مدريد تحت رقم 833 .

ــ ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي) ت 626هـ/1228م.

- معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت؛ وط1، مصر، 1906م.

ثانياً – **المراجع العربية:**

-أحمد، علي، وزعرور ، إبراهيم :

اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى ، طـ1، ،دار المستقبل ، دمشق ، 1999م.

ـــ أرسلان ، الأمير شكيب :

- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج3، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

ـــ إسماعيل، أحمد:

- دويلات الصقالبة العامريين في شرق الأندلس، رسالة ماجستير، الإسكندرية، 1992م.

ـــ أمين، أحمد:

- ظهر الإسلام، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت 1969م.

ـــ الباشا، مهجة:

- سقوط الأندلس، تاريخه وأسبابه، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 2002م.

ـــ بدر، أحمد :

- تاريخ الأندلس ، التجزؤ– السيادة المغربية – السقوط والتأثيرالحضاري، القاهرة،1983م.
- تاريخ المغرب والأندلس ، دمشق ، 1981م.
- دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، مكتبة القضبان، دمشق، 1969.

ـــ البدوي، عبد الرحمن :

- دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981م.

ـــ البشري، سعد عبد الله:

- الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية، 1997م.
- الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ط1، مركزالملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1414هـ/1993م.
- بنت علي فواز، زينب :

- الدُّرُّ المنثور في طبقات ربات الخدور ، طـــ1، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1999م.

ــ الجيوسي، سلمى الخضراء :

- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1988م.

ــ الحجي ،عبد الرحمن:

- أندلسيات، دار الإرشاد، بيروت، 1969م.
- تاريخ الموسيقى العربية الأندلسية، ط1، نشر دار الإرشاد، بيروت، 1969م.

ــ حسن ، حسن إبراهيم:

- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1967م.

– حسن، حسن علي:

- الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م.

ــ حسين ،جودت:

- جغرافية أوروبا الإقليمية، ط1، الإسكندرية، 1970م.

– حسين، محمد كامل:

- الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ليبيا.

ــ الحفني، محمود أحمد:

- زرياب أبو الحسن علي بن نافع موسيقار الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.

ــ الحكيم، عمر:

- تمهيد في علم الجغرافيا، الكتاب الأول في التضاريس، مطبعة الجامعة السورية، سوريا، 1958م.

ــ حلاق، حسان:

- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م.
- مقدمة في تاريخ العلوم والتكنولوجيا، الدار الجامعية، بيروت، 1990م.

- مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات، ط4، دار النهضة العربية، بيروت، 2004م.

ــ حمدي، عبد المنعم :

- دولة بني برزال بقرمونة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990م.

ــ حومد، أسعد :

- محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1988م.

ــ خالص، صلاح :

- إشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، بيروت، 1965م.
- خلاف محمد عبد الوهاب
- تاريخ القضاء في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، ط1، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، 1992م.

– الدُّريني، محمد فتحي:

- بحوث مقارنة في الفقه الإسلامي وأصوله، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م.

ــ الدفاع، علي:

- إسهام علماء العرب والمسلمين في علم النبات، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ.

ــ راضي، علي محمد :

- الأندلس والناصر، دار الكتاب العربي، القاهرة ، د.ت.

ــ الركابي، جودت:

- في الأدب الأندلسي، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1975م.

ــ الزجالي: أمثال العوام في الأندلس، تحقيق محمد بن شريفة المعروفة باسم أمثال أبي يحيى الزجالي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، القاهرة، 1968م.

ــ الزركلي (خير الدين بن محمود بن علي بن فارس الزركلي) ت 1893هـ/1976م.

- الأعلام، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980، ط14، 1999م.

ــ زيادة ، نقولا:

- الأعمال الكاملة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2002م.

ــ سالم، السيد عبد العزيز:

- تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي ، الإسكندرية ،1982م.

- تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1969م.
- تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية،ط1، بيروت، 1966م.
- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف، بيروت، 1962م.
- التاريخ والمؤرخون العرب، دار الكتاب العربي، الإسكندرية، 1967م.
- صور المجتمع الأندلسي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد 19، 1976–1978م.
- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، بيروت، 1971م.
- المغرب الكبير، ج2، الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1966م.

ـــ سلامة، إبراهيم عبد المنعم:

- الأندلس بين سقوط الدولةالعامرية ونهاية الخلافة الأموية 399–422هـــ/1009–1030م، رسالة ماجستير، الإسكندرية، 1993م.

ـــ شرارة ،عبد اللطيف:

- ابن حزم رائد الفكر العلمي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

ـــ شريف، إبراهيم:

- أوروبا دراسة إقليمية، نشر مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1960م.

ـــ الشكعة، مصطفى:

- الأدب الأندلسي، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1975م.
- المغرب والأندلس، ط1، دار الكتاب اللبناني،بيروت، 1987م.

ـــ الطائي، فاضل أحمد:

- أعلام العرب في الكيمياء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م.

ـــ الطاهر، أحمد:

- عامة قرطبة في عصر الخلافة، الرباط، 1988م.

ـــ الطباع ،عبد الله أنيس:

- القطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الإسلامي الدانية، ط1، دار ابن زيدون، بيروت،

1986م.
ـ عاشور، سعيد عبد الفتاح:
- المدينة الإسلامية، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963م.

ـ العبادي، أحمد مختار:
- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ط1، الإسكندرية، 1968م.
- الصقالبة في إسبانيا، نشر المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1953م.
- في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، د.ت.
- في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1971م.

ـ عباس، إحسان:
- تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، 1974م، 1981م.

ـ عبد البديع، لطفي:
- الإسلام في إسبانيا، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1969م.

ـ عبد العك، خالد:
- أصول التفسير وقواعده، ط2، دار النفائس، دمشق، 1986م.

ـ عتيق ، عبد العزيز :
- الأدب العربي في الأندلس، ط2 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1976م.

ـ عجيل ، حسين كريم :
- الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية ، 92–494هـ /711–1102م، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1976م.

ـ العدوي، إبراهيم أحمد:
- المسلمون والجرمان، ط1، دار المعرفة، القاهرة، 1960م.

ـ عفيفي، محمد الصادق:
- تطورالفكر العلمي عند المسلمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1976م.

ـ عنان، محمد عبد الله:
- الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، ط2، لجنة التأليف والترجمة والنشر،

القاهرة، 1961م.
- دولة الإسلام في الأندلس، ق2، العصر الأول، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، 1960م.
- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط1، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1960م.

ـــ عويس، عبد الحليم
- ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، دار الاعتصام، القاهرة د.ت.

ـــ فروخ، عمر:
- ابن حزم الكبير، ط2، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 1987م.
- تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ط3، دار العلم للملايين، 1972–1980م.

ـــ فروخ عمر ،وماهر عبد القادر، وحسان حلاق:
- تاريخ العلوم عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت، 1990م.

ـــ الفيومي، محمد إبراهيم:
- تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، ط1، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1962م،دار الجيل ، بيروت ،1997م.

ـــ كحالة، عمر رضا:
- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، المطبعة الهاشمية، دمشق، ط3، 1985م.
- العلوم البحتة في العصور الإسلامية ، مطبعة الترقي، دمشق ، 1972م.

ـــ الكرملي، أنستاس:
- النقود العربية وعلم النميات، المطبعة العصرية، القاهرة، 1939م.

ـــ الكعاك، عثمان:
- البربر، مطبعة الترقي، القاهرة ـــ تونس، 1956م.

ـــ مؤنس، حسين:
- تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، ط1، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1967م.
- التقسيم السياسي والإداري للأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد 1957م.

- رحلة الأندلس، ط1، الشركة العربية للطباعة، القاهرة، 1963م.
- فجر الأندلس، ط1، الشركة العربية للطباعة، القاهرة، 1959م.
- معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، 1980م.

ـــ ماجد، عبد المنعم:

- تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.

ـــ محمود، حسن أحمد:

- قيام دولة المرابطين، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957م.

ـــ مرزوق، محمد عبد العزيز:

- الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، د.ت.

ـــ مكي، الطاهر:

- دراسات عن ابن حزم وكتاب طوق الحمامة، دار المعارف، القاهرة.

ـــ موسى، إقبال:

- الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، ط1، الجزائر، 1971م.

ـــ نجيب، حكمت:

- دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، 1977م.

ـــ هيكل، أحمد:

- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1968م.

ثالثاً – المجـــــلات:

ـــ بليغ، محمد توفيق:

- المسجد في الإسلام، مجلة عالم الفكر، المجلد10، العدد2، الكويت، 1979م.

ـــ الجراري، عباس:

- أثر الأندلس على أوروبا في مجال النغم والإيقاع، مجلة عالم الفكر، المجلد 12، 1981م.

ـــ سالم، السيد عبد العزيز:

- أسماء قصور بني عباد بإشبيلية، الواردة في شعر ابن زيدون، مجلة أوراق، نشر المعهد الإسباني العربي، مدريد، 1979م.
- التخطيط ومظاهر العمران في العصور الإسلامية الوسطى، مجلة المجلة، العدد9، القاهرة، سبتمبر، 1957م.
- العمارة المدنية في الأندلس، الفنون والصناعات بالأندلس.
- القصور الإسلامية في الأندلس، مجلة المجلة، العدد 10، القاهرة، أكتوبر، 1957م.
- المساجد والقصور في الأندلس، مجلة المجلة، العدد 10، القاهرة، نوفمبر، 1957م.
- المساجد والقصور، سلسلة اقرأ، العدد 19، دار المعارف، نوفمبر، 1958م.
- مقالات في كتب الشعب: بلنسية (دائرة معارف الشعب، العدد61، القاهرة، 1959م).

ـــ العبادي، أحمد مختار:

- الإسلام في أرض الأندلس، مجلة عالم الفكر، المجلد10، العدد2، الكويت، 1979م.
- من التراث العربي الإسباني، مجلة عالم الفكر، المجلد 10، العدد2، الكويت، 1979م.

ـــ عبد الحميد، سعد زغلول:

- علوم العرب القديمة، مجلة عالم الفكر، المجلد2، العدد الأول، الكويت 1977م.

ـــ الفاسي، محمد:

- الأعلام الجغرافية الأندلسية، مجلة عالم البيئة، العدد3، الرباط، يوليو، 1962م.

ـــ مؤنس، حسين:

- السيد القنبيطور وعلاقاته بالمسلمين، المجلة التاريخية المصرية، المجلد2، العدد الأول، مايو 1950م.

ـــ محمد ،سوادي عبد:

- تأثر الفكر الأندلسي بالحركة العلمية في المشرق الإسلامي، مجلة عالم الفكر، المجلد 13،

العدد2، 1982م.

ــ مكي ،محمود علي:

- التأثيرات المشرقية في الأندلس ومدى أثرها في تكوين الثقافة الأندلسية ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، م9ــ10، 1961–1962م.
- التشيع في الأندلس، مجلة المعهد المصري، مدريد، العدد2، 1954م.
- عرض ونقد لكتاب الغز والصولة لابن زيدان ، مجلة المعهد المصري ، مدريد ، م9–10، 1961–1962م.

ــ ميراندا، أويثي:

- ابن جحاف قاضي بلنسية الذي أحرقه السيد حياً، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1963م.
- بلنسية الإسلامية ، تقرير معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، 1965م.
- المطبخ الإسباني المغربي خلال عصر الموحدين، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1957.

رابعاً _ الموسوعات:

– المعلم بطرس البستاني:

- محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1983.

ــ الحاجي، محمد عمر :

- موسوعة التفسير قبل عهد التدوين، ط1، دار المكتبي، دمشق، 2007م.

ــ فهمي، عبد الرحمن:

- موسوعة النقود العربية وعلم النميات، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1965م.

خامساً – المراجـــع المعرّبة:

ــ أشباخ، يوسف:

- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1958م.

ــ بروفنسال، ليفي:

- الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي، مراجعة لطفي عبد البديع، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1956م.
- حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

ــ بروكلمان، كارل:

- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه فارس ومنير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1965م.

ــ بريفالت، روبرت:

- أثر الثقافة الإسلامية في تكوين الإنسانية، ترجمة أبو النصر الحسيني، دار الكتب الحديثة، شارع الجمهورية، عابدين.

ــ بيرس، هنري جورج:

- الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، ترجمة أحمد مكي، دار المعارف، مصر، 1988م.

–بيرنت خوان :

- هل هناك أصل عربي لفن الخرائط الملاحية ، ترجمة أحمد مختار العبادي ، مجلة المعهد المصري ، مدريد ، 1953م.

ــ جنثالث بالنثيا ، آنخل:

- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1955م.

–دورثي ، لورد:

- إسبانية شعبها وأرضها ، ترجمة طارق فودة ، مكتبة النهضة المصرية ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1965م.

ــ ديورانت، ولِ:

- قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، عصر الإيمان، دار الجيل، بيروت.

ــ رابيرا، خوليان:

- المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية، ترجمة جمال محرز.

ــ ريمي كونستل، أوليفا:

- التجارة والتجار في الأندلس، ترجمة فيصل عبد الله، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2002م.

ــ زيغريد، هونكة:

- شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، ط6، دار الآفاق الجديدة، 1981م.

ــ سيد حسين، نصر:

- العلوم في الإسلام، ترجمة مختار الجوهري، الدار العربية للكتاب، ليبيا ــ تونس، 1398هـ.

ــ فارمر ،هنري جورج:

- تأريخ الموسيقى العربية، ترجمة حسين نصار، القاهرة، 1956م.

-كابا نيلاس ، داريو:

- ابن سيدة المرسي، حياته وآثاره، ترجمة حسن الوراكلي، الدارالتونسية للنشر، تونس، 1980م.

ــ لوبون، غوستاف:

- حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1979م.

ــ لويس ، أرشيبالد:

- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960م.

ــ متز، آدم:

- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1941م.

ــ مكي ، الطاهر أحمد:

- ملحمة السيد، ترجمة وتقديم الطاهر مكي، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1970م.

ـــ مورينو، مانويل جومث:

- الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة لطفي عبد البديع، السيد عبد العزيز سالم، مراجعة جمال محرز، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، 1968م.

ـــ ولاس، هاديل:

- أوروبا في صدر العصور الوسطى 400–1000م، ترجمة وتعليق حياة ناصر الحجي، ط1، الكويت، 1979م.

ـــ ويماند:

- الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد عيسى، ط2، القاهرة، 1958م.

سادساً- المراجع الأجنبية:

- **Bousquet (G**.H): Les Berbères , Paris ,1974.
- **Chalmeta (pedro)** : El Señor del zoco en España, instituto Hispano-arabe de cultura, Madrid 1973.
- **Claudio (Senchez Albornoz)** : la España de Musulmana, Cuatro edicion, Madrid,1974.
- **Devisse (jean)** : Routes de commerce et échanges en Afrique occidentale en relation avec la Méditérannée un essai sur le commerce Africain Médiéval de XI au XVIe siècle , Revue d´histoire économique et social , 1972.
- **Dictionnaire Hachette** (encyclopedique illustré) redacteur en chef:Jean-Pierre Mével, Paris, 1999.
- **Dozy (Rinhart):** Dictionnaire detaillé des noms des vêtements chez les arabes, Librairie du Liban-Beirut,1845.
- Glossaire des mots Espagnols et portugais derivés de l'Arabe, Librairie du Liban-Beirut,1974.
- Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie par les Almoravides, (1-3), leyde,1932.
- Recherches sur l'histoire de la littérature de l'Espagne pendant le moyen âge,leyde,1881.
- Supplement aux Dictionnnaires arabes , Beirut,1968.
- **Eduardo Hernandez y Francisco Hernandez**: Historia de España, dirigia por Menéndez pidal, Madrid.
- **Enciclopedia universal Ilustrada** ,Europeo Americana, Madrid, Barcelona.
- **Encyclopédie de l'Islam**, novelle édition établie avec les concours des principaux orientalistes,composé par comité de redaction de Rames,Lévi provençal, 3eme impression, Paris,1991.
- **García Gómez (Emilio):** Al Hakam II y los Berberes, Revista Al Andalus, Vol.13 , 1948.
- **Gaspar (Mariano)**: Historia de Murcia Musulmana, Zaragoza, 1905.
- **Gonzalo palencia (Angel):** Historia de la literatura arábico - española,Madrid,1945.
- **Gonzalo Maeso (David):** Garnáta-al yahud (Granada en la historia del Judaismo español, Universidad de Granada,1963).
- **Huici Miranda (Ambasio):** Historia Musulmana de Valencia y su region, 3 tomos, Valencia, 1969-1970.

- Las luchas del cid campeador con los Almoravides, Hesperis, Vol . 6 ,1965.
- **José Ibanez (Martin) :** Geografia de España, Madrid,1931.
- **Lacara (José Maria):** Un arancel de aduanas del Siglo XI , Actas del primer congreso international de pirenéistas , San Sebastián , 1950 .
- **Lévi-Provençal :** Histoire de l'Espagne Musulmane, 3 tomes, Paris, 1953,1967.
- Inscriptions arabes d'Espagne, 2Vol, Paris,1931.
- La description de l'Espagne d'Ahmed Al Razi Al-Adalus, Vol.18, Fasc,I , Madrid, 1953.
- **Levi-Provençal, García Gómez, olver Asin**: Novedades sobre la batalla llamada de Al-Zallaqua,Al-Andalus,Vol 15,Madrid,1950.
- **Makki (Mahmud Ali)** : Ensayo sobre las aportaciones oriertales en la España Musulmana, Revista del instituto Egipcio,Vol,9-10 ,1961-1962,
- **Menéndez Pidal (Ramon)**: la España del cid, Madrid,1947.
- **Mateu (Filipe):** Hallazgos ceramicos en Valencia Musulmana,Al-Andalus,Vol .16,Fas.I,Madrid,1951.
- **Monés (Hussain):** Essai sur la chûte de califa umayyad en 1009,le caire,1948.
- **Oliver Asin (Jaime):** Los dos Almuzaos,Al Andalus, Fasc.I, Madrid, 1962.
- **Prieto y vives (Antonio):** Los Reyes de taifas, Madrid,1926.
- **Pérès (Henri):** la poésie Andalouse en arabe classique au XI siècle,Paris, 1953.
- **Robles (F.Guillen);** Malaga Musulmana,Malaga,1957.
- **Rubiera (Maria Jesus Mata):** la Taifa de Denia,Alicante,1985.
- **Salem (El said Abdel Aziz):** Algunos aspectos del Florecimiento economico de Almeria Islamica, instituto Egipcio de estudios Islamicos, Madrid,1979.
- **Torres Balbás (Leopoldo):** Ciudades Hispano- Musulmanas, publicad, por :instituto hispano-arabe de cultura,Madrid,1985.
- **Teres (Elias):** textos poéticos arabes sobre Valencia,Al-Andalus,Vol 30,Fasc 2,Madrid,1965.
- **Turk (Afif):** El Reino de Zaragoza en el siglo XI de cristo (V Hegira) Madrid,1978.
- **Vallvé (Joaquin):** El Reino de Murcia en la época Musulmana, Revista del instituto egipcio de estudios Islamicos,Vol.20, Madrid,1979-1980.
- La Agriculture en Al- Andalus, Al Quantara,Madrid,1982.